













# مجلة مجمع المصنفين

السنين ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في شهر

تموز - آب

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي  
المدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
« ٣٠٠	« الخامسة الى العاشرة «
« ٦٠٠	« الاولى الى الرابعة «
« ٣٥٠	« الخامسة الى العاشرة «







## السحر والتماثر والحجب

« والرقى والعزائم »

—«X»—

— في معتقدات الشعوب الشرقية والام السامية وغيرها —

لا بد انك أيها القاري رأيت أطفالاً من الطبقة الفقيرة حملين أمهاتهن أحمالاً من الحجب المختلفة الأشكال والألوان والأوزان ، فمن « الخمسة » او الخمسة التي تثنى بها عين الحاسد الى قرب الخريت ، وعرق السودان ، وقطعة « الفاصوخ » الملصقة بشعره ومدلاة على جبينه ، ويجوارها عقد صغير من الخرز الأزرق ، الى منطقة من القبطان ينهي بحجاب ضخم ، قد كتبه احد المشايخ في ليال وايام عدة ، واخذ ثمنه جنيناً او جنينين بعد ان رقاها برقية من « شمس المعارف » واذا تحولت ببصرك عن هذا الطفل المسكين الذي تراه على الرغم من تلك الوسائل لحمايته من الشر ، أصفر ضعيفاً خائر القوى ، ومرت بجانبك سيارة تنهب الارض نهباً فلا تهمل ان تلقي عليها بنظرة ، فسترى فوهة الماء بمقدمتها ، وقد ركبت عليها صورة شيطان بذيل او نسر طائر او قزم ضاحك وحوله عقد من الخرز الأزرق . واذا مرت بك السيارة والقيت نظرة على مؤخرها لتأخذ عينك بالهائم المضطجعة ، او الباشا المسترسل في أحلامه ، تلحم في نافذتها الخلفية ، صورة عروس او قرد « خائف الحباب » يتدلى ويترجج ، لانه مربوط من عنقه الى سقف المركبة يخيظ دقيق كالمشقوق ، فاعلم يا أخي العزيز ان العفريت المذنب ، والخرز الأزرق والعروس المشنوقة ، كلها وقايات للسيارة واصحابها ، لتحويل عين الحاسد عن فخامة السيارة وسرعتها وجمال من فيها وثروتهم : فاذا كنت محباً للتاريخ او لعلم الاجتماع او باحثاً في علم النفس ، أدركت لساعتك ان المسافة بيننا ونحن الآن في



القاهرة في منتصف القرن العشرين ، وبين أجدادنا الأولين الذين عاشوا منذ عشرة آلاف سنة ، لا تزال من حيث العقل والاعتقاد قريبة جداً . . . .

فقد كانت الانسان الاول في فجر التاريخ يعيش وهو مملوء بالرعب من الكائنات والاحياء ، يحب الحياة ويتعلق باهداب النجاة بكل الوسائل ، فكان يلجأ الى التمايم والرقى والحجب ، ليحمي نفسه من الحسد او العين الشريرة ومن سحر خصومه ، وقوتهم ، ومن تألب أعدائه عليه . وكذلك تحمل المرأة الحجب لتجذب قلب زوجها ، او معشوقها وتجلب محبته ، وكان بعضهم يلبسون الحجب ، لتقيهم الاصابة بالسلاح في ميدان القتال . وقيل ذلك عن عثمان دقنة في حروب السودان . وروى مثله الكولونل لورنس عن عودة ابو تايه الصديق العربي الشهير للخلفاء . فقد روى للكولونيل الشريف المخلص للعرب ، وللثورة العربية . . . انه لا يصاب برصاص الاعداء لانه محجب ، وبرز حجابها الذي اشتراه باربعة عشر جنيهاً » وكان يطلق على الجنيمات كلمة (نيرات) محرفة عن ايرات» فلما استأذنه لورنس في فحص هذا الحجاب ، ألقى انه نسخة فوتوغرافية مصغرة من القرآن الشريف المطبوع في جلاسكو عاصمة اسكوندلاندا ، وثمنها شان وثمانية بنسات .

وكذلك يلبس الشرفيون الحجب لتحمل نساؤهم العوافر وليتغلبوا على اعدائهم من ظر منهم ومن اختفى . فلما انتقل الانسان من حالة الفطرة وبدأ يعبد الآلهة ، اخذ يعتقد ان آلهه المعبود في حاجة الى الحجاب مثل حاجة العابد اليه ، ولم يتخيل ان آلهه يستطيع العيش بغير حاجة الى القوى السحرية التي ننطوي عليها الرقى والعزائم والحجب . ثم تطور فصار يعتقد ان الآلهة أنفسهم ينجحون بالبشر قوة السحر ، وكانت هذه الفكرة شائعة عند كهنة مصر المتخضرين ورفاقهم كهنة سومير و بابل .

وانتقل هؤلاء الكهنة معتقدات أسلافهم ومنرجوها « بالخفاء الديني » او سر الاسرار ، ومن ذلك الحين اخذ السحر والدين يسيران جنباً الى جنب و بدأ يبد . . . فصار الآلهة سحرة ! واخذوا يوزعون السحر على الناس ، بواسطة الكهنة ! لاجل هذا ترى فرعون محاطاً بكهنة وسحرة . وترى المعجزة الاولى التي ظهر بها النبي السامي الاول الذي بعث به الى مصر — كانت معجزة السحر ، من نوع ما تبغ به اهل الملة التي بعث بها اليهم . فاذا اطلعت على الأدب المصري القديم والأدب البابلي ، وجدت السحر في معتقدهم



جزءاً لا يتجزأ من حياة الآلهة الذين مازالوا في حاجة اليه ليستعينوا به ، ويعينوا بعضهم بعضاً ، وينقلوه الى الناس عن طريق الكهنة .

وقد تفضل العالم الفاضل الروسي الاستاذ جولينشيف ( Golénisceff ) الذي كان حيناً أستاذاً للتاريخ المصري القديم بالجامعة المصرية ، فنشر كتاباً مصرياً اسمه « البابيروس الهيراتيقي » عدد ١١٠٥ و ١١١٦ حرف (أ) وحرف (ب) بمتحف الهرميناك بطرسبرج في سنة ١٩١٣ ، وعهد هذا الكتاب لا يتجاوز الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنه نسخة من اصل يرجع تأليفه لعهد الأسرة التاسعة او الأسرة العاشرة . وهو خاص بالسحر وقد أطلق عليه بين العلماء اسم ( بابيروس بطرسبرج ) واليك بعض ما جاء فيه خاصاً بالسحر .

« ان الاله الاعظم ( ربما كان بقصد رع ) خلق السحر لمنفعة البشر » . وقد كتب الملك خافي الذي حكم في الفترة الوسطي بين الأسرة السادسة وبين ملوك طيبة ، في الالف الثالثة قبل المسيح رسالة امر فيها ابنه « سري - كا - رع » ان ينفذ ما جاء بها بالدقة . قال الملك : ان الله ( كذا ) قد أنعم على الناس بخيرات كثيرة ، لانهم رعيته وقطيعه المحتاج لعنايته ورعايته وعطفه ، وقد خلق السماوات والارض لاسعادهم وهناءتهم وبدد ظلمات البحار ( بقصد المحيط الاول ) وخلق نسيم الحياة ليستنشقوه ، وخلق الله جميع الخلق ( رجالاً ونساء ) على صورته وصنعهم من اعضائه ، وهو يصعد الى السماء ليفرحهم ويحسن اليهم ؛ بنعم عليهم ، وخلق الفواكه والخضر والطيور ذات الريش والدواجن المجنحة ( الدجاج والأوز والبط ) والأسماك السابجة والأغنام والمواشي ليأكلوها . وتبارك الله فقتل اعداءه ، وأهلك اولاده اذ تدمروا ، وتآلبوا عليه . ان الله الذي جلت قدرته قد جعل نور النهار احساناً منه اليهم . ثم انه سبحانه خلق لهم السحر ليكون سلاحاً يحاربون به قوة الشر التي تحيق بالحوادث ، ويقاومون احلام الليل وأحلام النهار وما يزعجهم من رؤى !

وقرأ الاستاذ جولينشيف كلمة ( حيكاو ) بمعنى السحر ، وهي التي تكتب في الهيروغليفية من الشمال الى اليمين « جبل مفتول - ذراعان مرفوعان - طائر العقرب - واد مقلوبة - رجل راسم » . وكلمة ( حيكاو ) هذه تؤدي معنى السحر والطلاسم والصلوات المرتلة ، وكلمات القوة وكل فن من فنون السحرة .



و يوجد في المتحف البريطاني بابلوس تحت عدد ١٨٨٠ : يدل على القوة السحرية العظيمة التي كان يتمتع بها الرب ( ييب - أر - جر ) رب الحدود الذي كان اسمه ايضاً خبيراً ( او الخبير ! ) . وجاء في « كتاب معرفة أجيال رع » ان الرب وجد بنفسه وذاته ، بمفرده في المحيط الاول ( استوى عرشه على الماء ؟ ! ) بالاسم فقط ، وذلك بطريقة « الحكا » او السحر ولكن هذه الطريقة لم توصف ، وقد اشتغل بقلبه اي بعقله الى ان صار كائناتاً ، فعرف المصريون بعد ذلك انه خبيراً او رع ! . .

ومعنى هذا ان الرب قد وجد بالاسم فقط ، وقد جاء في لاسطورة ان الرب قد باح بهذا الاسم السري او الاسم الاعظم لايزيس لئتمكن من حكم العالم به ، وسبب ذلك ان ايزيس تمكنت بسحرها من خلق أفعى عظيمة سامّة وامرئها بلذع الآلهة ، فلما لذعته وسري السم في بدنه وأيقن انه لاشك هالك ، باح لها بالاسم الأعظم ، فقرأت ايزيس تعويذة شفته من لدغة الافعى . فظهر حذق ايزيس في السحرين الأسود والابيض لانها أمانت ثم أحييت .

وترى عند اهل بابل والأحباش عقائد لا تختلف عن معتقدات المصريين في السحر والتائم . كمقيدة احتياج الارباب جميعاً للسحر ، وما ينفع الأرباب ينفع البشر حتماً ، فتري عند اهل بابل « دوبر شيماقي » أو ألواح القدر . وقد شمل السحر قدرة الشيخ على تفسير الأحلام ، وهو دليل اعتقاده بان الآلهة تزيج الستار عن الحقيقة لبني آدم بطريق الرؤيا الصادقة ، فذكر في كتب القدماء كثير من الأحلام ، وجاءت في الكتب المقدسة رؤيا يوسف الصديق ورؤيا فرعون وغيرهما . وكان اليهود يعتقدون في (اوريم) و (تميم) وكانوا يسألونها عن المستقبل كما كان شاول يستخير الله ، وكما كان اليونان يستفتون الوحي في دلف ، وكما كان العرب يسألون اهل الكهانة وكانت الكهانة علماً محترماً عندهم ، ونبغ فيه كاهنة اليمن التي أنذرت بخراب سد مأرب ومحبي سبل العرم ، وزبراء وسليمي الحميرية وعفيرا ، وفاطمة الخنمية وزرقاء البجامة .

ولما جاء الدين المسيحي صارت صور الرسل والشهداء والعذراء وبعض آيات من الكتاب المقدس بمثابة تائم وحجب ، وقبل اختراع الورق كانت هذه الاشياء تكتب او ترسم على الجلد والعظم والمعدن . واكتشف المسلمون أن لأسماء الله الحسني فعلها



السحري ، وكذلك بعض آيات القرآن الكريم مثل « ان بصرك اليوم حديد » وفي القرون الوسطى انتشر السحر الشرقي في افحاء اوربا ولا تزال منه آثار باقية حتى الساعة . وفي فرنسا قرى يعتقد اهلها في السحر و يطلقون اسم الساحر على احد اهلها ، وهذا مشاهد في مقاطعة سافوا . وألف هنري بورديو كتاباً اسمه « الجحيرة السوداء » ، قصة رجل يقتل زوجته ختمه بفعل السحر عن بعد ، وأسس علماء الفلك والطبيعة والرياضيات علومهم على علوم السومريين والبابليين والاشوريين ، ويقول الاستاذ والاس بدج ان في إنجلترا واسريكا الوفا من الناس يعتقدون بامور كانت محترمة في بابل وآشور ، منذ ٥٠٠٠ سنة . فمهما كبر شأن العلم واتسع نطاق المعرفة وتأصلت الحضارة ، فلن يشفى الانسان من عقيدة السحر ، والتعلق بالتائم والحجب والتعاويد والاعتقاد بالنجوم وصدق التنبؤ بالغيب والكهانة وفي اوربا الآن اشخاص يمدشون ويربحون ارباحاً طائلة من التنجيم وعمل الطوابع وكتابة الحجب والتنبؤ عن المستقبل ، وزاد الاقبال عليهم بعد الحرب ، وظهر في الثورة الفرنسية كاليوسترو الذي قبض على زمام باريس بسحره وشعوذته ، وفي اوربا وامريكا مئات من أمثال هذا الرجل . ليس علم التنجيم من العلوم الحقة ولكنه يصدق غالباً في معرفة اخلاق الناس بواسطة الطوابع التي تسمى ( هوروسكوب ) . وفي اوربا اعمدنا هذا آباء خرجوا لاولادهم طوابع وهم يربونهم ولا يحيدون عن نبوة الطوابع فيد شعرة . و يوجد أطباء اوربيون وعلى الخصوص انجليز ، يعملون لمرضاهم طوابع ويتبعون العلاج الذي يظهر وصفه فيها . ويظهر في إنجلترا في كل عام تقاويم فلكية للنجوم أشهرها تقويم مستروايت وتقويم سيفار بال ومس آدمز . وكانت مدام تيب تصدر في فرنسا تقويميا سنوياً شهيراً ولما توفيت حل محلها كثيرون يتنبأون عن المستقبل واذا خاطبت عالماً طبيعياً في هذه الشؤون فانه يؤكد لك انها شعوذة ، فاذا ضربت له الأمثال بحوادث تعرفها معرفة شخصية يقول لك « لا بد ان يكون في الامر سر لا أدري ما هو ! » .

اما علم الكف فقد ظهر في الشرق والغرب ، وكان له شأن عظيم ، وألفت فيه كتب كثيرة وأشهر أربابه شيرو وهو رجل مختلف وراء اسم مصطنع ، وتنبأ بمستقبل كثيرين من العظماء بمحض النظر الى خطوط اكفهم . وترى بعض علماء الكف



يدلونك على ماضيك وحاضرك بمهارة ، وأطلق اسم شيرو على هذه الصناعة فصارت شيرومانسي .

وأشهر قراء الكف والوجه ( علم الفراسة ) من طائفة البارمي او مجوس الهند الذين نوطنوا في بومباي بعد ان هاجروا من بلاد الفرس . وأقل ما يستفيد البارمي لنفسه من علمه بالكف ان يتقن الاختلاط بالشرار ممن يكتشف شرهم بقراءة وجوههم والتفرس في أيديهم وكانت للعرب قدم راسخة في الفراسة .

اما طريقة «المندل» فطريقة علمية ، لانها مبنية على تنويم الناظر مغنطيسياً ثم تستعمل العصب البصري في التأثير في المخ فيستجيبه فيبعث الى العين بمناظر الغيب ، وهو على أنواع أشهرها في اوربا الطريقة الهندية او النظر في كرة البلور ، او في كأس ماء او في بحيرة او في مداد مسكوب في الكف . وقد عرف بعض اصدقائنا رجلاً كان يقرأ المستقبل في عظمة من لوح الضأف فيسرد الوقائع بانتظام عجيب ، ولا يزال في ايرلاندا واسكوتلاندا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وبولونيا سواحر يعشن من قراءة «البخت» بالورق او بغيره من أدوات المعرفة مثل فحص فنجان القهوة او «الحمس» او «قياس الاثر» ونعلم ان في السودان وغرب إفريقيا سمرة وبعضهم يتصدون لقتل الناس بالايحاء ، فيذهب الساحر الى الرجل و يأمره بان يموت يوم كذا ثم يتركه «ويحصر ارادته في موته» ولا يزال هكذا حتى يموت الرجل ، وقد وضع مستر سومرست موزام قصة في هذا الموضوع وأيده الاستاذ بدج في مقدمة كتابه في العلوم الخفية ص ٣٣ .

وروى بدج نفسه ان مرشداً عربياً صحبه من دمشق الى بغداد ، وأخبره بان السر في وصولها سالمين يرجع الى خمس خرزات زرق معلقة باعلى جبين كل جمل في القافلة وأقنعه بان نجاح الاستاذ المؤرخ في شراء الكتب المخطوطة في وادي تباري يرجع الى الخرز الأزرق وحجب القرآن التي كانت يحملها العربي . ولما بلغوا الموصل اخذوا حفنة تراب من قبر الحاخام «هر مزد» فألقنهما من شر اليزدية او عبدة الشيطانات ثم أخذوا حفنة مثلها من قبة ادريس فنجوا من الخطر في الشلال الثالث . ولما نهب عرب شمر فافلتهم لم يجرؤوا على قتلهم بسبب حجاب من القرآن كان يحمله المرشد العربي .

وجاء في ص ٣٦ من الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لاحاديث الجامع



الصحيح (البخاري) عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : أشعرت ان الله أفتاني فيما فيه شفائي أتاني رجلان فقام أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب ، قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم ، قال فيما ذا ؟ قال في مشط ومشاقة وجف طلمة ذكر ، قال فأين هو ؟ قال في بئر ذروان ، فخرج اليها النبي (ص) ثم رجع فقال لعائشة : حين رجع « نخلها كأنه رؤوس الشياطين » فقلت : استخرجته ؟ فقال : لا ! اما انا فقد شفاني الله ، وخشيت ان يثير ذلك على الناس شرأ ثم دفنت البئر .

وفي رواية أخرى أوردها الشرقاوي والغزي في الحاشية انه صلى الله عليه وسلم وجد في الطلمة تمثالاً من ثمع تمثال النبي صلى الله عليه وسلم واذا فيه إبر مغروزة واذا ترفيه إحدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكما تزع إبرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة . اه البخاري وشرحه .

وطريقة صنع التماثيل من الشمع او القماش ووخزها بالابر او الدبابيس لاحداث الألم في الشخص المقصود والمصنوع التمثال على صورته شائعة في الشرق ، وكانت معروفة لدى القبائل الوحشية من سكان استراليا الاصلاء والهنود الحمر وغيرهم . ولا تزال تعملها الفرائر بعضهن لبعض في مصر .

وكان قيصري روسيا يلبس خاتماً فيه قطعة من خشب الصليب الصحيح ويتعلق به ، وكان يعتقد ان هذا الخاتم قد وفي حياة جده فنسيه يوماً فصادف حدوث قتله في ذلك اليوم ( راجع كتاب اصول الادهام الشعبية تأليف شاربر نولسون ص ١٥٦ ) وكانت مستر وكفلر الشهير يحمل في جيبه حجر النسر وفي داخله أجسام لها كلاً ١٠ تزرنين خاص ويؤمن بان هذا الحجر يقيه المرض والفرق وغيرهما من المصائب ( الكتاب نفسه ص ١٠ ) وكان الاستاذ رايت المعلم في كامبردج يلبس خاتماً من الذهب من لوانجو عليه رسم خاتم سليمان ، ويقول انه لا يستطيع العمل ان لم يكن مختتماً به .

وكان هنري شيراف يحمل تيمية في جميع مسابقاته فنسيها يوم موته . والانجليز من اهل استراليا يعتقدون بان صورة الكائنات وثنائهم وتأتي لهم بصنوف من النجاح والنصر .



وروى لي شاهد عيان ان الخديوي عباس حلي يوم أطلق عليه الرصاص في الاستانة  
( يوليو سنة ١٩١٤ ) بيد الطالب المصري محمد مظهر ، كان يحمل في احد جيوبه حجراً  
من الزبرجد عليه بيت البردة الشهير :

وقاية الله اغنت عن مضاعفة . من الدروع وعن عالٍ من الأُطُم  
فمرت الرصاصة على الحجر وانزلت ، ولم تصب جسم الرجل ولو انها تخبطت الحجر  
الكريم ، لأصاب القلب نفسه .

واحة عين شمس (مصر) : محمد لطفي جمعة



## مجالس اناطول فرانس

- ٢ -

كانت مجالس اناطول نفص بكبار الناس عقائل وأوانس وسادات مشهورين من رجال السياسة الى الأدب الى رجال الفن الى الصحافة والطباعة الى الشعراء والشاعرات والكتاب والكتابات الى المشتغلين بالمشروعات ، وكانت هذه الطبقة ملازمة له كل اربعاء ، ومنها من يتناول الطعام على مائدته ، ومن جملة من كان يغشي مجلسه المفيد جوريس وطومسون وكليمانسو وبريان ولوتي رسوللي برودوم وريجان ولويي فولر وهالفي ويريال ، ولم ينقطع عن مجلسه سوى ليترو باريس ومورياس وكوبه لانه تطوع في قضية دريفوس فأصبح في نفوسهم شيء منه ، ومع هذا كان يجعل لكرام العقائل والغادات الفائنات نصيباً من الكلام وربما فاه أمامهم بامور قد تستنكرها العادة والعرف .

تكلم مرة على البكارة في العوانس وهزأ بها ضحكاً ، وقال ان الفتاة اذا بلغت الثلاثين كيف يطلب منها وهي بهذا الاختلاط ان تحتفظ بعفتها الخ . وذكر في مجلسه ذات يوم ان فتاة خطبت وانتظرت خطبتها مدة الحرب اربع سنين لم تنبش بنت شفة ، وقالوا ان من كانت على هذه الصورة لا بد ان تحتفظ بعد العهود الزوجية ، فقص اناطول قصة شاب انكليزي من أصحاب الأطاوار الغربية ومن ارباب السعة . قال انه خطب فتاة وكان غيوراً جداً وادعى ليلة البناء عليها انه طلب الى مكان بعيد وان شرفه يقضي عليه بالامراع . فزود خطيبته مالا تعيش به وسافر في الارض خمس سنين ، ثم جاء الى لندن وعاد ثانية مدة طويلة ، ثم عاد الى بلده واكثري دكاناً في حي خطيبته واخذ يستقري أخبارها ، فعرف انها صابرة على الفراق تنتظر أوبته ، وانه دخل عليها الدار بعد مدة وقد علاه المشيب وقال انه وان أضاع كثيراً من السنين في البعاد الا انه يرجو



انت يمش في السنين الباقية له مغتبطاً . قال اناطول : ان هذا الرجل بعد التجربة الطويلة يكون من حظه ان لا تحزنه زوجته ، اما انت يكون على ثقة من ذلك فليست موضوع بحث .

كانت فرانس عجباً في نقده المجمع العلمي الباريزي ، يصف اعضاءه بانهم أناس رجعيون ، وانهم يؤلفون دولة سيف وسط دولة ، وانهم يتألفون رجال السياسة بلباقة . وانهم لا يمتنون بالانشاء والتأليف وانهم اعداء الحكم الجمهوري ، وهم يسكنون في قصر من قصور الأمة ، ويتمتعون بامتيازات طبية ، والوصايا تغدق على مجموعهم من كل صوب وحذب ، فهم أغنياء لا تخضع موازينتهم لمراقبة الدولة ، وينفقون الأموال والجوائز على الجمعيات الدينية وعلى النافين وارباب الثقافة النافمة ، والمجمع آلة فساد ادبي لغوي ، وأشهر ساسة فرنسا يقدمون على أنواع الدناءات والسفاسف لينالوا شرف الدخول فيه . وسألته امرأة اميركية لها صلات كثيرة بالملايين — وكان يهزأ بها في باطنه ، فاذا غشيت مجلسه يسألها عن اسمهم شركات الذهب وعن اسعار الادراق المالية والسندات — فائلة انني لم اذهب قط الى المجمع العلمي فما تصنعون هناك اذا اجتمعتم . وكانت فرانس منقطعة عن المجمع العلمي منذ مدة ، فتلقى كلامها بدهشة وأجاب بقوله : اننا ايها العقيلة نجوض في الموضوعات السامية ، ونحاول ايضاً ان نحل المسألة التي طالما ذهبت فيها الآراء مذاهبها ، وأعني بها خلود الروح ، وأحياناً نلقي نظرات وتأملات في الجمال على ما عرفه أفلاطون ، فنحن ابدأ في نظام غير مادي ، نبحث فيما وراء المادة ، وحدبثنا في السموات العلى . فدهشت السيدة لمقاله ، وأعجبت بهذه الجلسات التي يجلسها رجال المجمع ، فعاد هو وعقب على قوله : لا ياسيدي ليست جلسات المجمع على شيء من الجمال ، فلا تصدقني شيئاً من ذلك ، فانا في الحقيقة نكلم قليلاً ونظل سكوتاً هناك وكثيراً مانشر بالبرد لعدم التدفئة في قاعات المجمع . ولما كانت خمرتنا من الشيوخ تربتنا محزونين فانامناك نحمل ممنا أحقادنا وهمومنا القاسية ، ونحن مخلوقات على صغرنا اي نحن أناس يقل فينا الذكاء ، فجلسات المجمع العلمي موحشة لا تتخلو من رفاة .

وقال مرة انه لم ينتفع من لقب المجمع العلمي الا يوماً واحداً وذاك انه كان مع فتاة في مكان لا تسوغه القوانين العامة فجاء الشرطي فلما اقترب منه ، اخرج فرانس من جيبه



بطاقته وشفعها بريال ودفنها له ، فسلم الشرطي تسليم اجلال ، وقال : ولكن يا سيدي ان فسطان السيدة احمر وهو يبدو عن بعد كأنه علم فقال لا بأس . فان الفسطان سيرفع عما قريب . وهذا من غرائب فرانس ويستدل من كثير من وقائمه انه كان يعبث بمصطلحات المجتمعات وبضحك من القوانين والعادات وتغلب عليه امور الحس .

تكلم يوماً على الشاعر فقال انه اكبر من ملك ، وهو رب سب في الارباب فان فريخته نوليه سلام القلب وافراح الفكر ، فهو بدون ان يتقلب من سريره يكتشف مثل خريستوف كولمبس قارات جديدة ، وبدون ان يتحرك يفتح مثل شارلمان بلاد الام الاصلية الاربع ، ومن دون ان يبعد عن منضدته يحب جميع النساء مثل دون خوان . فالناس من اجله يكشفون الجمال ، وينفذون المشاريع العظيمة ، وهو الذي يرى ان هيلانة فتاة وكليوباترا ملوثة ، وهو يلتقط جميع الحركات ، ويرى جميع ضروب الحياة ، ويستمتع بكل ما في العالم من سرور وهو من القدرة على التصرف بحيث يجمع الكلمات ولكنه يبدد صورة العالم .

وقال مرة اثناء كلامه على فيني الشاعر : ما من احد يتلو شعره ولكن الناس كلهم يعرفون اسمه ، وهذا المجد خاص بالشعراء عامة فهم أداة تعين العشاق على الحب وهم سماسرة من الطراز الاول ، وأرى ان الناس اليوم يحبون قليلاً ، فان الناس يتلاقون ويتضامون ولكنهم قلما يحبون ولذلك تخلوا عن تلاوة أقوال الشعراء . واي امرأة تستطيع اليوم ان تكرر كلمة شقيقة شاتوبريان وهي تحتضر قلقاً امام الراهب بقولها : آه ايها الأب ماذا اقول للمولى اذا مثلت أمامه وانا لا أعرف غير أبيات من الشعر . اي انها كانت تحاذر ان تلقى الله وهي لم تتعلم غير الفزل .

\*\*\*

كان فرانس خلال الحرب العامة يلتزم الصمت ولا يجاهر بأفكاره بعد ان رأى ما حل بصديقه جوريس من الاغتيال ، بل كان كثيراً ما يصانع القائمين بالحرب ويمتدحهم ويثني على اعمالهم . وقد رأى ذات يوم فتاة لصديقه وراوبته تحمل اليه باقة زهر فتذكر قصة وقال : هل في وسع الفتيان والفتيات ان يقضوا ياترى بتأثيراتهم على الحرب ، فقد حدث في الحرب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت ان الهومبيين في فاجعة كوتزبو

ضاق خناقهم من محاصريهم ، فأرسلوا ذات يوم أولادهم ذكوراً وإناثاً من سن السادسة الى الثانية عشرة يحملون أغصان الزيتون ، فدحش المحاصرون من هذا المشهد ، وكفوا عن الطعن بخرايهم ونشايهم ، وتصالح الإخوان المتقاتلون على الدين ، وكان ذلك اول مرة تغلبت فيه الشفقة على القسوة . وقال : ان عصر الهوسبين كان متوحشاً ، ونحن اراقيننا منذ ذلك العهد ، ولا نستطيع ان ننصور اليوم ان جيشاً من الأطفال ذاهباً الى الالمان ، فانهم قبل ان يلصقهم العدو تكون المدافع قد أتت عليهم يحملتهم ، واذا ساغ تحريك عواطف الجندي القديم فهل في المكنة تحريك عواطف السياهين وأرباب الاموال ، فنحن قد تمدنا ولذلك ليس للعواطف سلطان علينا .

حدث راوبرت قال : ان اناطول كان ذات يوم يمتدح الماضي بفصاحة زائدة وانه كثيراً ما كانت يحب المناقضات وبوردها مختاراً قال : أصبحنا باراقائنا اقل صبراً من أجدادنا واقل قابلية لتحمل المكاره ، فان المدنية لا تساعد على توسيع الأمل ، وتحمل الشدائد ، لانها تظهر الحقيقة على علانها ، ولذا يذهب بي الفكر الى الاسف على الماضي ، وعلى الرغم مما تم من المخترعات والمظاهر والمعارف المتنوعة ، وعلى الرغم مما اخترع من الطيارات والغواصات والاسلاك البرقية ، لا أرى اننا بلغنا من حيث المعنويات ما بلغه أجدادنا . فقد كان للمجتمعات قديماً شراب مسحور عجيب في اسكاره ، وبلاسم مؤثرة تعينها على الاحتمال . ولم يكن الامل والحركة قد افقرت منها الارض ، وكان آباؤنا يعترفون مثلنا ان الحياة ممزوجة بالآلام ، بيد انهم كانوا يرون انه لا بد ان يبقوها سرور دائم ، فكان الشر في نظرهم كظل صورة حميلة ملئت بالمنازع ، والالم شارة اصطفاء ، والموت ممر الى النور ، وكانوا على ثقة اذا رفعوا عيونهم خلال صلواتهم ان عيوننا أخرى تأتيمهم من السماء فتقابلهم . واي عزاء للنفس أحسن من الاعتقاد بان صوتاً الهياً ينادينا يوم الحشر في قبورنا ، ويتجلى لنا تعالى ولوليعاقبنا بما جئنا . وأحب ايضاً ان أعني ان الارض خلقت خلقة اسمية وانها متصلة بالسماء كل الاتصال وذلك بطائفة من الملائكة او وسطاء الشياطين وانها في وسط الوجود . . . . . ولكم كانت الأوهام عذبة في مذاق من يعانون المصائب ، ونحن نعلم الآن ان هذه الكرة الارضية ليست سوى نقطة من الطين في محيط غير منتهى مما تألف منه العدم . نعرف هذا ونعرف ان الانسان ليس من العوالم



المختارة ، بل هو درجة من السلم الكبيرة في العوالم . . . . . ولم يبلغ الانسان من النظام مبلغاً يؤهله الى فهم الحقيقة ولا يرى وان يرى ابدأ شيئاً من الحق فهو مخدوع وسيتخضع على الدوام . وذلك كله اوصاله الى معرفة الفناء ، وهو في الواقع ذكاء محدود لا بطلعه على شيء اللهم الا على أوهام في الحواس .

بقيت مسألة الوجدات فانها ما زالت منذ عهد ( كانت ) الفيلسوف موضع نظر الفلاسفة الملحدين ، يدعون ان صوته يسمع فينا ، وهو يملئ علينا واجباتنا ، وينادي بنا حتى على المعنويات ، ويدعونا الى ان لانعمل بالغير مالا نريد ان يعمل به معنا . وهكذا فاننا نشاهد الفيلسوف رناناً مثلاً يريد الاحتفاظ بمظهر المقصد الاسمي ، فبعد ان انكر وجود ادنى أثر للارادة الآلية في العالم صادق على فكرة الوجدان الذي يستلزم فكرة وجود الاله تعالى . وهذا يذكرني ببعض الفلكيين الذين ظلوا على نصرانيتهم يقومون بما تفرضه عليهم ويؤكدون انه اقتضى للنور مليون من السنين حتى وصل اليها ، وان الشمس ونظامها تسيران في الانهابة منذ مليارات من القرون ، ومع هذا فانهم لم يهزوا بعبوديت الاكاذيب التي اتى بها ذلك الشيخ اليهودي الذي زعم ان الارض خلقها في سبعة ايام ويؤكد انه ادار الشمس حول الارض وان اصل الخليقة لا يرد الى اكثر من سبعة آلاف سنة . وقال يوماً : الناس في غفلة عن ان العالم ينقض ويتداعي فبهم لا ينظرون الى ما يحدث مع ان الحالة بادية محسوسة فالعالم بل وكل عالم لا يعيش اذا لم يجعل الكمال له غابة الغايات ، بيد ان المقصد الاسمي على ما يظهر آخذ بالنفاد ، مشرف على الانتهاء . وما من امر يأخذ بيدنا ، وما تمددنا المراتي سوى ركام من المظالم آخذ بالخراب ، فقد كان الناس فينا مضى يعيشون بالمعتقدات والرجولية والذكاء ، فكان عيشهم وحشياً ، ولكنهم يعيشون بقوة ونشاط . ولا يعيش الناس اليوم الا بالمال ، وكل أمانينا منصرفة الى الاستمتاع . كانت الكلمات المحبوبة التي نبعالي في القرون الوسطى عبارة عن تأليف الاغاني وعن الاعتماد عن الاختلاط . وأقصى غاياتنا اليوم ان نبلغ ما نريد وان نخادع ونخدع وان نصارب ونضرب ولا شيء يكبح من جماحنا . والناس لا يحسنون التفكير ولا يجيدون الكتابة . وما خلا هذه البلاغة السياسية التي هي فن الغش بالألفاظ وصوغ الوعود بدون القيام بها ، والقاء البارود في العيون ، والاختفاء وراء حجاب لا شيء يبقى ويدوم .

لقد خلف ارباب الأموال فرسان القبر المقدس وكبار العلماء وعظماء المحاربين والقديسين والأبطال وأصبحت المجتمعات في ثورة متقدمة لأنها لا تقوم على أساس، ولأنها خالية من رأس مال حقيقي في الأخلاق وكل انسان يطالب بالسعادة ، و يعتقد انها عبارة عن ان يأكل طيباً وان يقتني مركبات لحسابه ، اما الامل والمفاداة والصبر والشعور وانها فرع من أسرة في مجموع العالم فهذا ما لا بال له . ولا تزال تثبيح بكلمات مبهمة لا يحصل لها كالحب والاخاء ، ولكننا أضعنا معناها او وضعنا لها معنى نرتجله وهو الفدامة بعينها . أصبح المجتمع على خطر لانه ضعف ضعفاً طبيعياً وتبدل لمكان المدنية من التسرب اليه وهو يقضي بامراض السرطان والسل ، وهو الى المرض أدبياً لانه لا يقوم على أساس راسخ . وتكثر في هذا المجتمع المصائب والنوائب ، ولذا كان حرباً بالهلاك ، وذلك لان كل ما هو ماثل لا اثر فيه للفضيلة . وعزاً فيه ظهور العظماء من الناس وانقطعت الحماسة الحقيقية .

ولما قال له مخاطبه : ان حكك على هذا العصر فاس يا سيد ، اجاب : وبعد فما أعمل وانا لم أرزق ملكة الاستسلام للأوهام ، وهي من العوامل المساعدة على الحياة . ولما كنت أنظر الى الامور نظراً واضحاً فقد ارى أناساً ليست لهم اقل قيمة في الأخلاق والعلم وهم مع هذا يضطهدون غيرهم . واذا طمحت المجتمعات الى ان تظل قائمة بتعذيب الضعاف فعلي الاقوياء ان ينتجوا و يبرزوا ويخلصوا لما هم بسبيله ليكونوا اهللاً بالامتياز به من الخصائص ، بيد اننا لانفتأ نعيش في الظلم على حين تتساوى في التوسط والاعتدال وفي كل مكان نجد للتجار بالسلم الرديئة رواجاً ، وابنا نطلعت ترى الطمع في الاستمتاع على صورة بشعة مفرطة آخذاً باعنة الناس . قال : واني لأرى المصانع القديمة آيلة الى مرض شديد ولا أعتقد ان في المكنة احياء الأموات ، وارى شعلة الدين والحكم المطلق ، وكانت مما يبرز على بلزاك ، قد اخذت لتطفي ، اما الجمهورية التي هي طراز من الحكم طالما دعوت اليه ، فالظاهر انها لا تحوي عناصر لمقاومة الاعاصير ، بيد ان تبديل الحكومات ليس الا ظاهرة من الظواهر ، والأزمة عمت وطمت ، فحين يا صاح في حالة تشبه حال العالم الروماني غداة غارات البرابرة . عالم ينشعب وآخر يبتدي .



ومن آرائه ( يشعر يب فاخوري ) : ليس التاريخ بعلم بل هو فن ، لا ينبغي فيه الا صاحب الخيلة ، ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يتهمون بالغرور . اقدم بهم ولا تكن مبتكراً ، فالمؤرخ المبتكر موضع ربه واحتقار واشتمزاز عند الناس كافة . ومما قاله ان التاريخ ليس مجموعة افاصيص اخلاقية او مزيجاً من الحوادث والخطب البليغة فقد لا توجد فيه قطع بياينة جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتبس فيه حقيقة ، لان الحقيقة هي اظهر ما بين الاشياء من نسب لازمة ولا سبيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتباع سلسلة العلل والمعلولات . فليس التاريخ اذاً بعلم لانه مقضي عليه بغيب في طبيعته ان يلزمه غموض الكذب وان يعوز السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونهما . . . . .  
التاريخ ليس بعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب . قال : علي مـ مؤلف تاريخنا وليس عليك الا ان تنسخ من أشهر كتب التاريخ كما هي العادة ، ان كان عندك فكر جديد او رأي خاص ، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوفة . فانك اذاً نباغت القاري والقاري لا يجب ان يباغت . هو لا يلتبس في التاريخ الا الحقائق التي يعرفها فاذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمرة جهلك ان حقرت في عين نفسه فأغضبت . لا تحاول انارة فكره والا صرخ قائلاً : انك تسفه عقائده .

وقال ان الحرب اليوم عار الانسانية وكانت من قبل فخراً ، لقد أوجبتها الضرورة على الممالك فكانت صريخة النوع البشري الكبرى . بها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها ، علمتهم الصبر والحزم والاستمانة بالمخاطرة ومجد التضحية . ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة لبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسايتهم وثيرانهم ، أنشي أول مجتمع انساني وضمن ترقى الصناعات . وهذا الخير العظيم الذي نعم به أعني الوطن او المدينة او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة انما هو ابن الحرب .

وقال في هذا المعنى : لا مرء في انه ستقع ايضاً حروب كثيرة فان الفرائز الوحشية والاطاع الفطرية والكبرياء والجوع التي أنلفت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إفلاسه ايضاً . وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التألف لم تجد بمدقاعدها ولم توفق الى توازنها . وكذلك لم ينظم تداخل الشعوب بعضها في بعض الانتظام الكافي

اضمان الرفه العام بحرية المبادلات ويسرها كما انت الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان ولم تتساو اجزائه البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالحجيرات والاعضاء في الجسد الواحد ، وليس بمقدر حتى لحدثنا سنناً ان يشهد ختام عهد السلاح . بيد ان تلك الايام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحن بمجبتها ، فاذا مددنا الى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا ان نرى مواصلات أوفر واكمل بين الامم والشعوب ، وشعوراً أعم وأقوى بالتضامن الانساني ، ونظماً أفضل للعمل ، وبالنهاية قيام ( الدول المتحدة ) في العالم بأسره ، وستحقق السلم العام ذات يوم لا لأن البشر يصبحون خيراً مما كانوا ( هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه ) بل لأن نظاماً شديداً للاشياء وعلماً جديداً وضروريات اقتصادية ستلزمهم بحالة السلام .

\*\*\*

هذه بعض حمل اثرائها مما نقل من كلام اناطول فرانس في مجالسه ونظن انها تمثل لكم روحه ومنازعه في الحياة ويتلخص منها انه من اصحاب الشكوك يشك في كل شيء ويقدر في المدنية الحاضرة ويسئ الظن فيها ، فليس هو اذاً من القاصصين العاديين الذين انبهر الغرب ، بل هو عالم يحسن بث علمه في الجمهور ، وعلمه هذا نقرأه في قصصه منشوراً اثر الذهب على نمارق من مختلف الزهور ، ولا ننفعمها على جليتها الا اذا قدرت لك تلاوتها باللسان الذي كتبها به ابوعذرهما ، وهو الغاية في الابداع والبيان وجمال المأثري .

واذا رأيت الكاثوليك المتدين قدنقبض نفسه لذكره فاعرف ان اناطول لم يترك للصالح مكاناً مع اهل الاديان . واذا سمعت بان مالياً غنياً يخنق افكاره فاعرف ان اناطول حاول ان يسقط هذه الطبقات لانها جائرة على ما يرى على المجتمع . ومعظم ما أصابه من الشرور كان بصنعهم وكرازة ايديهم ، وما ارتكبوه من الموبقات للاحتفاظ بمكانتهم والاستمتاع بشهواتهم . واذا قيل لك ان بعض طلاب التوسع في فتوح الممالك احصوا عليه أنفاسه في حياته ، وخافوه وعدوا موته نعمة عليهم فأيقن انه حاربهم طول حياته ، يريد ان يقنع كل مالك بملكه ، وترجع كل دولة الى حدودها الطبيعية . والحاصل ان اناطول عادى كل الطبقات في الباطن وان ألان لها في الظاهر أساليب الكلام ولذلك قل في قومه خصوصاً أنصاره وأعوانه ، وزامر الحى لا تطرب من امره ، ورحم الله عمر بن الخطاب إذ قال ماترك الحق لعمر من صاحب ، فالناس مذ كان اول اجتماعهم قد يرضون عن



برائيتهم ، ولا يرضون بحال عمن يتقدم ليقودهم الى الخير والسلام .  
وبعد كتابة ما مضى القول فيه حملت جريدة لنوفيل ايتير Les nouvelles  
littéraires الباريزية . مقالة لروزني البكر من اعضاء مجمع كونكور العلمي ، جاء فيها ان  
امرأة من مدهشات النساء كانت هي الملاك الحارس لاناتول استولت زمناً على عقله ،  
فكانت تصرفه كما تريد ، وتعنى بماديته عنايتها بمنوبياته ، تنعمه في لباسه وهندامه ،  
وتحمله على حضور جلسات المجمع العلمي ، وتفصل بينه قضاياه مع المتجربين بادبه تحفظ له  
حقوقه بما تعقده لمصلحته من الشروط ، ولتكسبه من فله أقصى ما يمكنه احتجانه من مال ،  
وكانت تريد من حيث المعنويات ان يكتب كتابات حية ، بعيدة ما أمكن من مقتبسات  
الكتب ، وقد وصف انا تول بأنه أرضة المكاتب او جرذ الخزائن . ومع هذا حملت كتبه  
كمية وافرة من آراء الناس وعتيق فلسفتهم . ذلك لان انا تول كان بطبيعته مهملًا  
متوانيًا يرضيه ان يضيع اوقاته في معالجة النصوص التي أكل الدهر عليها وشرب ، وهو  
على نوع من البلاءة يحملق فيما يشاهد ، ولا حظ له من امور الدنيا ، فكانت العقيلة  
تشذب من حواشيه ، وتحمله على الجادة لتخلد اسمه ، وتدخل النظام في عمله ، وتنجيه عن  
موضوع المحاورات الكثيرة فيما يكتب ، وتبعته على ادخال الحياة في كتاباته ، وتجد كل الجد  
ان تلقي في روعه قصصاً حية قائمة على الملاحظة مملوءة بالغرام والحب ، وكان معها اذا  
ضابقتها بغضب ويقف باهتاً لا حركة ولا سكون ، لانه عرف بميله الى الكسل ، ولا يثلذذ  
الا بقراءة المفكرات والامالي القديمة ، ينشر ما ينم عن تحقيق علمي ودقة في الانفاع  
بالأسفار ، والاخذ بمذاهب الفلاسفة .

وكان يضيق صدره من معالجة قصة جديدة وكثيراً ما يقول : انا لا بطمئن نفسي  
اذا حاولت ان افص شيئاً من عندياتي ، بل خلقت في حاجة لان أقع على قصة كتبت  
بقلم غيري ، وهيات في الجملة . اما صديقه فكانت تعذله وتسوقه الى وضع قصصه  
مباشرة من تلقاء نفسه ، وتطلب منه عملاً وجباً ، ويعملها ومراقبتها جود انا تول روايات  
تاييس ، والزينة الحمراء ، وسلسلة قصص يجر به البديعة ، وكان من احسانه فيها مكافأة  
له ومكافأة لها ، ولكن ذلك لم يمنعه من الرجوع الى ما يحلوه من القصص البالية . وبالجملة  
فقد كان لها تأثير حقيقي في فن انا تول ، وهي لم تعدل اصول عمله ، ولا حسنت ذوقه ،

بل بددت فيهما ، وحقنهما بدم طري ، فأسدت اليه معروفاً لا يبلى على الايام ، حتى اذا أطلق وشأنه أوشك ان يعود « جرذ كذب » مع ما يتخلل عمله من فترات وخلاعات . كان لا يتعب مما يدون من مطالعته ، ولا يربأ بنفسه ان يكون عبد الكتب القديمة ، ومغرمًا في التحدث بما كان يقرأ من الأسفار .

قال : واقد كان لهذا الملاك الحارس بعض التأثير في آراء اناتول السياسية الظاهرة . قلنا الظاهرة لانه كان من المتعذر علينا ان نعرف حقيقة آرائه ، وكيف يتصور في هذا السفسطائي العام ان يدخل في حزب او يدين بمذهب اجتماعي ، فقد رأينا الا قليلاً من حزب البولاشيين لما كانت هذه العقيلة منه . فلما حدثت قضية دريفوس وتحزبت له ماشاها اناتول ايضاً ، وأصبح اشتراكياً عندما اخذ جوريس بعد من ندماء بيت السيدة ، وكان في آخر مرحلة من حياته يغيل الى الشيوعية السوفيتية حتى قال علناً : اني احب لينين حباً مازج قلبي . ويرى من المضحك ان يتشدد المرء في الاحتفاظ بمعتقد ، وكل عمله خروج على المعتقدات ، وما كان أمام المعتقدين الا هازئاً او مشفقاً او خائفاً .

وقال ، بعد ان وصف كيف كانت ذاك الملاك الحارس يفتح قصره برضى زوجته لاناتول وضيوفه وكانوا عليه الطبقات السياسية والعلمية والفلسفية وفيهم أجمل العقائل والاوانس : ان اناتول كان ناكراً للجميل وذلك انه لما بلغ قمة الشرف ، واغني بتأليفه ، وأصبح يأتيه منها ريع عظيم ، نفص بديه ممن عملت كل شيء للاخذ بهسده ومنجحت شخصيتها بشخصيته ، فأصبح لا يحب ان يراما ، وتركها كدانه لم يغتن اس في حماها . وما بدر بك انه كان حائفاً عليها على غير رضاء ، لانها حاولت دون سيره السير الطبيعي . وحقيقة انها منذ اخذت بزمامه انشأ في الأحياء يبدو كدانه يحاول التفلت من قيد ، ويسير على غير هواه وميله . لقد كان الكسل حبيباً الى قلبه ، والعقيلة تحاول ان تطرد عن فطرته تشرده العقلي كما تطرد ربة الدار نسيج العنكبوت عن متاعها . انها لم ترم الى تهذيبه ، اما هو فاستطاع بدون عائق ولا هم كثير ان يتذوق طعم الجمع والبحث الى آخر ايامه اه .

\*\*\*

هذا ما قاله روزني في اناتول وكتب جورج لو كوفت من أعضاء المجمع العلمي الباريزي



في آخر عدد صدر من مجلة لاروس الشهرية المصورة Larousse Mensuel Illustré خلال كلامه على القصاصين في فرنسا ان انا تول فرانس من الرجال الذين أحرزوا مكانة للخطبة الجريئة التي ساروا عليها في المعارك السياسية الرنانة التي وقعت في عهدهم . فهو بلا جدال كاتب مجود بالنظر لما يتخلل افكاره من حرية لتطوي على جرأة جميلة ، ولادائه المعاني الجليلة المفرغة في دهباجة ناصعة كاملة ، ولسعة معارفه الدقيقة . واذا ذكر انا تول فلا يذكر الا بالاعجاب والاحترام . وهو من رتب صدق صوته الساحر في القاصية . وربما وضعوه في مكانة عظيمة قد بطن ان التاريخ الادبي لا يقره فيها جملة . وبلغ من الناس بالنظر لما خصت به أقاصيصه من السحر البراق ، ولأحكامه الحرة ولدعابته في نقده النفاق والمظالم الاجتماعية ، ان اصبحوا لا يرون فيما خطته انامله ما كان فيه فاسحا على منوال غيره مقتبسا عن الكتب على سبيل الذكرى . ولا سرا في ان انا تول قد قيد نفسه في حدود خزائن الكتب اكثر من تقيده بمشاهد الحياة ، فهو نظار في الاسفار اكثر مما هو نظار في الانسان ، هو مبدع في أحاديثه ، رزق ذاكرة مطواعة بمجهزة اجمل جهاز علمي ، وكان بطرب في التبسط في ايراد آرائه فيما يقرأه من الاسفار ، وفيما سقط عليه من امور نافذة في ذاتها ، وهو يوردها بأسلوب الحاذق الفنان ، ولذلك فلما كان يهتم ليستمع لما يقال ، او ليحول في علم الحال كل مجال . ولما كان يأتي بشيء كان مستعموه الواقفون على طريقته في صناعته ، وعلى نظامه في افكاره ، يتساءلون من اي كتاب مجهول صاد تلك النكتة الشاردة ، ويحمل تلك الفائدة الدقيقة باتور . وما عدا كتبه التي أوحى بها تاريخ المعاصرين ما كان المعجبون به ينبحون ابدأ في سلخ هذه الصورة عن كتاباته مما بلغ من سحرها وجاذبيتها . ولذلك كانوا يدعون ان السخرية البادية في كتبه قد اخذها عن فولتير وعلى طريقته سار ويهديه اهتدى . اما اخته السهلة العذبة فهي لغة احسن كتاب القرن الثامن عشر .

هذان رآبان لادبيين كبيرين من معاصري انا تول وهما احدث الآراء فيه . واذا جاز لمثلي ان يلقي دلو في الدلاء امام اولئك الفحول ، فانا انظر اليه من الوجهة التي تحدث افكاره فيمن يطالعها منا مطالعة امان لا مطالعة تسلية وتفكه ساعات الفراغ . انظر في تأثيراته بعد الذي ثلوه من مجموعة تأليفه التي انتهت الي في العام الغابر وهي في اثنين

وثلاثين مجلداً ، وفيها كتابه الذي اسماه ( الحياة الادبية ) وهو يدخل في اربعة مجلدات عرض فيه لكتاب عصره وأدبائه وشعرائه وقصاصيه ومثليه ، فجاءت في مقالته عبقة من النقد الشهي نشرها اولاً في جريدة الطان ايام كان يتولى فيها منصب الناقد الادبي . ثم جعلها في مجلدات برأسها على نحو ما فعل صديقه من قبل جول لينتر ، ونشر في الطان مقالات في أدباء عصره ثم كسرهما على ثمانية مجلدات وسماها ( المعاصرون ) . وهذه المقالات مدين اناثول فيما أحسب بالجزء الاعظم من شهرته الاولى .

والشهرة رأس مال الكاتب في الغرب وكم كاتب لم تكتب له شهرة مستفيضة فبقي ذكره مطويّاً عن اهل جيله والأجيال التالية . اما الباقي من أقاصيصه ورواياته فهي المرأة الصقيلة التي تعكس على انظارنا نبوغه وعبقريته تراه تارة يأتي بقصة قد تظنها تافهة بادي الرأي حتى اذا سرت في ثلاثتها شوطاً ورأيت اناثول يحاكيها بدرره الغوال التي ظفر بها خلال مطالعته وعدّ ذلك ( روزلي ولو كونت ) المشار اليهما من موجبات مؤاخذته ، تستعظم عمل المؤلف فلا تعرف بماذا تصف قصصه ، اذ تشهده يورد عليك بالمناسبات مسائل اجتماعية وتاريخية واخلاقية وعلمية ومادية ، وسدى اكثر ما يكتب ولحمته من هذا الطراز الممتاز ، فهو سلم واي إمام بعامة علوم البشر ، يعرف الناس من قرب ومن بعد لا كما حاول ناقدوه ان يصوروه ليسلبوه محامده ، ويشوهوا من طرف خفي محاسنه المجسمة للفكر والنظر ، وبعثوا غرامه في الاخذ عن القدماء واستخراج المدفون من الآراء من أسباب ضعفه ، وربما حسب المتجرد عن الغرض ان ذلك كان من دواعي فخره وعظمته .

الكتاب الجيد هو الذي يقفك على فكرة جلييلة ، و يقرب من ذهنك علم ما لم تكن تعلم من أيسر سبيل ، لا الذي تثقل بين سطوره وصفيحائه فتحدث لك ثلاثه لذة موقفة ثم تنساه او تناساه بحيث لا يضر كعلمه ولا جهله . يختص كل واحد من القصاصين في الغرب اليوم بناحية من نواحي المجتمع الانساني يلونون الكلام فيه ، والقصة عندهم هي الاداة الكاملة التي تفعل في اصلاح الجماعات والافراد فعلاً محمود الأثر في الجملة ، ولكم مذهب من حواشي مجتمعهم وعلمت جاهلهم وأصلحت بما ثبت من معوج شؤونهم . اما أقاصيص اناثول فهي الادب السامي والافكار النضيجة الطريفة ، والحرية المطلقة النادرة ، ولذلك لم ير خصومه او من كان في حكمهم ، الا ان ينالوا منه من ناحية ضعف تخيلوها فوصفوه بأنه



للإصلاح طرق وطريقة أناطول رافت البعيد والقريب ، بيد أن القريب قد يبدو منه بعض تأفف لدن سماعها ، لمكان النقاليذ والوراثه ، وللمحرص الداعي الى الاكتفاء بما علم وثقرر في العرف ، وللكسل المغروس في أغلب الخلق لا يتعبون انفسهم للإجادة في عملهم وبلوكون السنتهم فيمن يستلذون الذمب فيه . وهناك شيء آخر يقال له الحسد يأكل قلب صاحبه ، والحسد مسألة المسائل في كل مجتمع ، والحساد يرون ان مما يسكن ثائر نفوسهم ان يطعنوا في مثل أناطول يحطون من ادبه ومكانته لانه ينعم بتعنتهما . وكل ذي نعمة محسود . وما يدريك ان كان معظم الناقدين من التاقين عليه لذهابه بفضل السبق دونهم ولان منهم من يحاولون اقامة بنائهم الضئيل على حساب مجده المؤثر ، ليوهمو العوام ومن يعلمون فوق طبقتهم بعض الشيء انهم سباق في حلبة الأدب ، وان أناطول مما بلغ من المنزلة وزيد بسطة في العلم لا يتناول الى مساماتهم ولديهم العلم الجمر الذي لا يعرفه ، ومن صحيح الافكار ما تفردت به أذهانهم الثاقبة . وقلمنا خلا مجتمع من حسد مرمض ، والمعاصرة كما قيل حرمان ، والناس معادن ، والفضل لا يخفى معها حاول المنتطمعون ستره . والشهرة ربيبة الدرس الطويل ، واليحث المتواصل ، وقلمنا سلب دعي شهرة غيره فاستأثر بهادونه ، او كتب له ان يتعدى طوره ، ويخرج عن مقدار حجمه .

[illegible]

## عص الجاحظ (١)

— ٣ —

« الانقلاب الفكري »

بقي علينا الكلام على الناحية العجيبة من نواحي عصر الجاحظ أي على ناحية استفاضة العلم ، لقد جاءت العربية من هذه الجهة ببرهان بليغ على صلاحها للحياة وعلى استعدادها لقبول ما يندمج فيها من صور الفن والعلم ، وأعجب من هذا كله استعداد العرب للدخول في كل طور من أطوار الحياة ، ولا شك في أن التطور من علامات الحياة ففي أمرع من رد الطرف نقل معاوية الملك من شكل إلى شكل فبعد أن كان هذا الملك مصبوغاً بصباغ بدوي صبغه بصباغ حضري ، كلنا نعلم رغبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الخشونة سواء أكانت هذه الخشونة في الملابس أم في المآكل أم في المراكب ولكن معاوية لما كان عاملاً نهر على الشام تلون بالوان البيضة أي بيضة الشام فما لبث أن نغم ملكه على نحو نفخيم الروم حتى أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبدالرحمن بن عوف على حمار فتلقاهما في موكب ثقیل فجاء زعمر حتى أخبر فرجع إليه فلما قرب منه نزل إليه فأعرض عنه فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً فقال عبدالرحمن بن عوف : أتعبت الرجل ، فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية أنت صاحب الموكب أتفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال : نعم يا أمير المؤمنين قال : ولم ذاك ، قال : لأننا في بلد لا نمنع فيه من جواسيس العدو ولا بد لهم مما يرهيبهم من هبة السلطان فإن أمراني بذلك أقمت عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت فقال : لئن كان الذي تقول حقاً فإنه رأي أربب وأب كان باطلاً فإنها خدعة أدب

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري أحد أعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠



وما أمرك به ولا انهاء عنه فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر هذا الفتي عم  
أوردته فيه . فقال : لحسن موارد جثمانه ما جثمانه <sup>(١)</sup> .

ففي زمن غير طويل رتب معاوية الملك في الاسلام وفي زمن غير طويل ادخلت  
طائفة من خلفاء بني العباس ميراثنا الادبي في باب لم يدخله من قبل حتى رفل ملك العرب  
وادبهم في برد قشيب في قرن او في قرنين وما هو قرن وبعض قرن في استيقاظ الام .

كان الادب قبل بني العباس لا يحيط الا باخبار العرب وايامهم واشعارهم وخطبهم  
وملحهم ونوادرهم وأغرائهم وما شاكل اضراب هذه الامور فكان فيه شيء من الشعور  
والماطفة وانما كانت يموزه التبسط في مذاهب الفكر كالفلسفة والرياضيات والسياسة  
والتوحيد والطب واشياء ذلك فلما جاء ابو جعفر المنصور شرع يحيي بن البطريق وابن  
جبرائيل الطيب وابن المقفع وابن ماسويه وسلام الارش وباسيل المطران في الترجمة  
فنقلوا الى العربية بعض كتب المنطق والطب ولما جاء المأمون اندفق يوحنا بن البطريق  
والعجاج بن يونس وقسطا بن لوقا البعلبي وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي وحنين بن اسحاق  
واسحاق بن حنين في نقل الآثار فترجموا كتب بقراط وجالينوس وارسطاطليس  
وأفلاطون .

وقد كان الجاحظ يرقب كل حركة من حركات عصره فلم يغفل عن شيء مما كان  
يجري في ايامه فكانه صورة ناطقة أفصح لنا عن أحوال عصره فقد أشار الى التجديد  
إشارة خفية فقال <sup>(٢)</sup> :

وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد  
حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً . . . وقد نقلت هذه الكتب من أمة الى أمة ومن قرن الى  
قرن ومن لسان الى لسان حتى انتهت اليها وكنا آخر من ورثها ونظر فيها .

وكما انه لم يغفل عن التلميح الى النقل فكذلك لم يغفل عن التلميح الى الآثار المنقولة  
فأشار الى كتب إقليدس وجالينوس والجسطي مما تولاها العجاج وأشار الى ما في ابدية  
الناس من كتب الحساب والطب والمنطق والهندسة ومعرفة اللحوت والفلاحة والتجارة

(١) العقد القريب ( الجزء الاول ص ٧ ) :

(٢) الحيوان ( الجزء الاول ص ٣٨ ) .

وأبواب الاصباغ والعطر والاطعمة والآلات<sup>(١)</sup> وأشار الى كتاب الكون والفساد وكتاب  
السدوي لأرسطاطاليس والى كتب ديمقراط وبقرات وافلاطون وفلان وفلان وهؤلاء  
ناس من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم وهم اليونانيون<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان يحذر كذب التراجمة وز يادتهم وجهل المترجم بنقل لغة الى لغة<sup>(٣)</sup> فمن  
حذره هذا يتبين لنا وجه من وجوه الترجمة في عصره والىكم بعض ما جاء في بعض كتبه  
من هذا المعنى<sup>(٤)</sup>.

« ثم قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له : ان الترجمان لا يؤدي ابدأ ما قال  
الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ولا  
يقدر ان يوفيه حقوقها ويؤدي الامانة فيها ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على المجري وكيف  
يقدر على ادائها وتسليم معانيها والاخبار عنها على حقها وصدقها الا ان يكون في العلم بمعانيها  
واستعمال تصاريف الفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه فحقى كانت  
رحمة الله تعالى ابن البطريق وابن ناعمة وابوقرة<sup>(٥)</sup> وابن فهر وابن وهبلي وابن المقفع مثل  
ارسطاطاليس ولا بد للترجمان من ان يكون بهانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس  
المعرفة وينبغي ان يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيها سواء عليه  
ومنى وجدناه ايضاً قد تكلم بلسانين علمنا انه قد أدخل الضيم عليهما لان كل واحدة من  
اللغتين تجذب الاخرى وتأخذ منها وتعرض عليها وكيف يكون تمكن اللسان منها مجتهدين  
فيه كتمكنه اذا انفرد بالواحدة وانما له قوة واحدة فان تكلم بلغة واحدة استغرقت تلك  
القوة عليهما وكذلك ان تكلم باكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات  
وكما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به اقل كان أشد على المترجم وأجدر ان  
يخطي فيه ولن نجد البتة مترجماً يني بواحد من هؤلاء العلماء هذا قولنا في كتب الهندسة

(١) الحيوان ( الجزء الاول ص ٤٠ ) .

(٢) رسائل الجاحظ على هامش الكامل ( الجزء الثاني ص ١٦٧ ) .

(٣) الحيوان ( الجزء السادس ص ٩٠ ) .

(٤) ٣٨ ص الاول .

(٥) هكذا وردت ولعلها ابن قرة .



والنجوم والحساب واللحون فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين . . . »  
 هذا ما أبقاه لنا الجاحظ من آثار الاشارة الى الترجمة والى الكتب المترجمة والى  
 التراجمة والى آداب الترجمة في عصره . وان هذه الآثار على قلتها نستطيع ان تصور لنا  
 ناحية من نواحي الحياة التي عاشتها العربية في ذاك العصر فنذكر ان العربية خرجت من  
 شكل الى شكل بدخول عناصر فيها لم يكن لها عهد بمثالها من قبل . .  
 لاشك في ان الكلام على النقل وعلى الكتب المنقولة في عصر الجاحظ بطول مداه فن  
 اراد التوسع في هذا فليرجع الى الفهرست لابن النديم والى طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة  
 والى أخبار الحكماء للقفطي ولكن كيف كان الامر لانجد لنا مندوحة عن الايجاز في الكلام  
 على هذه الناحية الجديدة من نواحي ميراثنا الأدبي التي طبع بها هذا الميراث بطابع خاص  
 ظهرت آثاره على الفكر العربي حتى مزجوا الادب والدين بالعلم فلبس الادب بهذا المزج  
 لباساً لم يكن له في ماضيه .

وقبل الكلام على النقل من اليونانية وغيرها من اللغات لا بأس بالاشارة الى ان الجاحظ  
 قد عاش في عصر تم فيه اختلاط العرب ببعض الأعاجم فقد انصبت باهل هذا العصر  
 أخبار فر بق من الأعاجم كالصقالبة والترك والروم والهند وفارس والحبشة والنوبة  
 وأصناف السودان ونشأت اليهم أخبار الاكاسرة وعرفوا كثيراً من صفات نساء الروم  
 وفارس والهند واستجلبوا العبيد من السند واشتروا الغلمان للطبخ وربما سموا بعض مكهم  
 بأسماء الأعاجم فقالو : سكة اصطفانوس وربما سمعنا أسماء غير عربية مثل طينانوا ومنوبل  
 وسموعين ونوفيل وميخائيل وغير ذلك وقد خالط بعض اليونانيين العرب في أمصارهم  
 فعرف العرب طائفة من نوادرهم .

\*\*\*

استفاضت الروح اليونانية في آفاق آسية بعد فتوح الاسكندر فأصبحت الاسكندرية  
 زمناً غير قصير ملجأ يلجأ اليه اهل العلم والبحث وأشباه هذه الطبقات من الرجال الذين  
 أبعد غاياتهم ثقيف عقولهم وترويض أذهانهم وعلى الرغم من العوارض التي عرضت لدور  
 الكتب فأدخلت الضيم عليها بقيت طائفة من التصانيف مستفيضة في الناس تدل على ان  
 فكر المتقدمين لا يزال حياً .

وقد كانت بلاد الشام والعراق داخلة في حضارة يونانية فكانوا في أديرة الرهبان السريانيون ينقلون من اليونانية الى السريانية في احقاب متطاولة كتب فلسفة اليونانيين وعلومهم ، اما تراجمة العرب فقد كانوا في عصر الترجمة يعمدون الى الكتب السريانية فينقلونها الى العربية .

وقد كان المجمع العلمي الذي أنشأه كسرى الاول سنة ٣٥٠ في جندي سابور بنشر في الشرق علوم اليونانيين و تثبتت رغبة القوم في ذوق الفلسفة والطب .  
وبقيت مدينة حران في بلاد ما بين النهرين وثنية فاجتمع آلهة اليونانيين وآلهة رومة الى آلهة الساميين القديمة وكانت حران ايضا في القرون الوسطى ناحية حضارة يونانية فكان اهلها ينصرفون خاصة الى الرياضيات والى علم الفلك .

من هذا كله يتبين لكم ان الثقافة اليونانية هي التي فعلت فعلتها في ميراثنا الادبي وأريد بهذا ان العرب وجدوا في آفاقهم في اول يقظتهم مستودعا لآثار عقول اليونانيين فاستخرجوا من هذا المستودع ما قدروا عليه .

لاريب في ان نقل هذه الآثار قد شرع فيه القوم على زمن المنصور وانما المأمون هو اول خليفة في الاسلام كانت له جلائل الآثار في استيعاظ العقول من رقدتها فقد أنشأ في بغداد بيت الحكمة وهو اشبه شيء بجامعات هذا العصر وجعل لها دار كتب ورصد فلك فنقلت على ايامه كتب من السريانية الى العربية كانت في الاصل منقولة عن اليونانية فزادت هذه الكتب في ادبنا النامي الاصول المختلف الأشكال .

نعم نهض المأمون بالمسلمين نهضة لم يقتصر فضلها على العرب وحدهم وانما انتقلت اصداؤها الى آفاق اربعة الاف سنة فاستنافت اوربة من نومها بفضل الاندلس وتلك الايام ندادها بين الناس .

واظن ان الخوض في ذكر ما نقل من الكتب الى العربية يمتد بنا مداه كما قلت لكم وانما اجتزئ بالانارة الى العلوم التي دخلت العربية حتى تعرفوا طبيعة الطابع الذي طبعت به ثقافتنا فقد نقل العرب كتب افلاطون وارسطاطليس وبقرات وجالينوس وافلبس وارخميدس وبطليموس وهي في موضوعات شتى في السياسة والتوحيد والمنطق والشعر والخطابة والأخلاق والطب والرياضيات والنجوم واضراب ذلك .



وكان منهم من يذهب الى بلاد الروم فيتعلم اليونانية كحنين بن اسحق وهو ابن صيدلاني نصراني من الحيرة فقد سافر الى آسية الوسطى وتعلم اليونانية وعاد الى بغداد فكان طبيباً للتوكل وكتب في الطب والفلسفة .

انشأت قراءة كتب ارسطاطاليس رغبة في الفلسفة فكانت الفلسفة في المسلمين فاشية في طبقات قليلة من جمهرة المفكرين والعلماء اي لم تستفص في طبقات العامة الا ان رجال الفكر انصرفوا اليها بمجامعهم .

وقد طبقوا الفلسفة على السياسة فمن أقدم المؤلفات السياسية التي تشتمل على بعض نظرات فلسفية كتاب « سلوك الممالك في تدبير الممالك » لصاحبه شهاب الدين بن ابي ربيع وضعه على ايام المعتصم ومنه نسخة في باريس وقد طبع في مصر .

ومشت الرياضيات الى جنب الفلسفة فنقل العرب الهندسة الى لغتهم من كتب اليونانيين ولا سيما كتب اقليدس وربما اخذوا الحساب عن الهند .

اقدم العلماء الرياضيين من العرب انما هو الخوارزمي الذي كان على زمن المأمون فقد طلب اليه المأمون ان يؤلف خلاصة الكتاب الهندي « سدهاند » ونقلت كتبه في الجبر والحساب الى اللاتينية واستفادت في اوروبا ومن الخوارزمي اشتق الفرنجة كلمة ( Algorithm ) .

ثم وضعوا كتباً في النجوم ففي بدء القرن الثالث ظهر كتاب ابي يوسف يعقوب القارشي اما الطب فقد جاء المنصور بطيبيه بختيشوع من فارس الا ان الطب العربي عملت فيه عواجل هندية فكان للرشييد طبيب هندي وهو منك .

ومن جندي سابور جاء ابو زخر يا يحيى بن ماسويه فكان ينقل عن اليونانية كتباً كثيرة ووضع كتباً من عنده ككتاب نواذر الطب<sup>(١)</sup> .

وقد نقلوا ايضاً عن النبطية وعن العبرانية .

هذه خلاصة النقل في عهد الجاحظ فما اكثر الا أفكار الحديثة التي دخلت في ميراثنا الفكري فاستلزمت صوراً حديثة تمثلها للعقول ونقرتها من الأذهان فبعد ان كان العقل لاصقاً بصور المادة لا يحيط الا بما نعاينه الحواس انسلخ بعض الشيء عن هذه المادة وتعلق

(١) اذب العرب للاستاذ هوار ( Huart ) ص ٢٧٨ .

بالأمور المجردة فتغلغل في باطنه ففكك أجزاء النفس وقواها وحسبها وتفكيرها وأخلاقها وطمح إلى ما فوق البشر وإلى ما فوق العالم فنظر في المبادئ والنشأ ونظر في العلم والقوانين ومن عكف على دراسة اللغة وأطوارها في هذا العصر الذي نقلت في خلاله آثار اليونانيين وآثار الهند وآثار فارس وغيرهم من الأمم إلى العربية لا يتمالك أن يدهش لبها العرب وأن يقول : ما أمرن هذا البها ! وما أقدره على الحياة ! دخلته عناصر لا عهد له بها فقبلها ولم يعجز عن تمثيلها وتصويرها وهنا يظهر لنا سلطان العربية في أوضح مظاهره فما ضافت العربية في يوم من أيامها عن تصوير نتائج القرائح وثمرات الخواطر .

والى جنب هذه العلوم التي استفاضت في الجمهور خرافات لا بأس بذكر طائفة منها نقبسها عن كتب الجاحظ نفسه فكان العلم لم يفس في الطبقات كلها ، بذكر نبذ من هذه الخرافات فحيط بنا حية من نواحي عصر الجاحظ فكان الجاحظ لم يغادر لنا شيئاً من عصره نفوتنا معرفته ومن هذا يتبين لكم مقدار ندقيقه فهو الذي نبهنا على كل ناحية من نواحي عصره على حرية الفكر وعلى صلاح الأيام وعلى فساد الدهر وعلى كثرة الزندقة وعلى شيوع العلم وعلى ذبوع الخرافات .

فمن هذه المعتقدات جلب الخنافس للرزق قال أبو عثمان (١) :

« سقط إلى المقاييس أن الخنافس تجلب الرزق وأن دنوها دليل على رزق حاضر من صلة أو جائزة أو ربح أو هدية أو حظ فصارت الخنافس أن دخلت في قصصهم ثم نفذت إلى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً وأكثر ما عندهم اليوم الدفع لها ببعض الرفق ويظن بعضهم أنه إذا دافعها فمادت ثم دافعها فمادت ثم دافعها فمادت أن ذلك كلما كان أكثر كان حظه من المال الذي يؤمله عند مجيئها أكثر فانظر أبة واقية دائمة حافظة وأي حارس وأي حصن أن شاء الله تعالى لها بهذا القول وأي حظ لها حين صدقوا هذا التصديق والطمع هو الذي أثار هذا الأمر من مدافنه والفقر هو الذي سبب هذا الطمع واجتلبه ولكن الويل لها أن ألحت على غني عالم وخاصة أن كان مع حدوثه وعمله حديداً عجولاً وقد كانوا يقتلون الذباب الكبير الشديد البطش الملح في ذلك الجهر الصوت الذي تسميه العوام أمير الذباب فكانوا يحتالون في صرفه وطرده إذا أكرههم بكثرة طنينه وزجه وهما ممد فانه

(١) الحيوان (الجزء الثالث ص ١٠٦) .



لا يغير فلما سقط اليهم انه مبشر بقدوم غائب و برء سقيم صاروا اذا دخل المنزل وادسهم  
شراً لم يهجه احد منهم واذا اراد الله عز وجل ان ينسي في اجل شي من الحيوان هياً  
لذلك سبباً كما انه اذا اراد ان يقصر عمره هياً له سبباً فتعالى الله علواً كبيراً .  
ومن هذه المعتقدات طول العمر بطول الاذن قال الجاحظ<sup>(١)</sup> :

« قد سمعت من يذكر ان اذن الانسان دليل على طول عمره حتى زعموا ان شيخاً من  
الزنادقة لعنهم الله تعالى قدموه لتضرب عنقه فعدى اليه غلام سعدي كان له فقال :  
أليس قد زعمت يامولاي ان من طالت أذنه طال عمره . قال : بلى . قال : فهاهم  
يقتلونك . قال : انما قلت ان تركوه . »

وكانوا يعتقدون انه اذا كان في الدار دبك أبهى أفرق لم يدخلها الشيطان ويقولون  
من اكل لحم سنور اسود لم يضربه سمور واذا دخت الدار بالدخنة التي سموها بدخنة مريم  
او باللبان لم يكن عليها لعن الدار سبيل وان من نام بين البابين تحبته الغمار وخبثته الجن<sup>(٢)</sup> .  
والعامة تزعم ان لبس النعال السود يورث النيان<sup>(٣)</sup> .

وكان أمثال هذه المعتقدات لم تخصص بها العامة وانما ألحج بها فريق من العلماء والمؤلفين  
حتى قال الجاحظ<sup>(٤)</sup> :

« ومما لا اكتبه لك من الأجناس العجيبة التي لا يحسر عليها الاكل وقاح اخبار  
بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقرأها ويدرّس اهل البصرة ويتحفظها زعموا ان  
الضبع يكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى وسمعت هذا من جماعة منهم من لا أستجيز تسميته . قال  
الفضل بن اسحق : انا رأيت العفص والبلوط في غصن واحد قال : ومن العفص ما يكون  
مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الانثى ذكراً والذكر أنثى وقد ذكرت  
العرب في أشعارها الضباع والذئاب والسبع والعسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس  
وهم أخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ما هو أعجب وأظرف وقد ذكرت العلماء الضباع

(١) الحيوان ( الجزء السادس من ١١٧ ) .

(٢) = = الثاني من ٧٥ .

(٣) = = الخامس من ١١٥ .

(٤) = = السابع من ٤٩ .

في مواضع من العشب لم نر احداً ذكر ذلك واولئك باعيانهم هم الذين يزعمون ان النمر تضع في مشيمة واحدة جرواً وفي عنقه أفعى قد تطوقت به واذا لم يأتنا في تحقيق الاخبار شعر شائع او خبر مستفيض لم نلنفت اليه .

وتعرض الجاحظ لبعض المفسرين الذين قد يتصورون تصورات غريبة فقال <sup>(١)</sup> : « وزعم بعض المفسرين ان السنور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان اصحاب التفسير يزعمون ان اهل سفينة نوح لما تأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره ان يأمر الاسد فيعطس ولما عطس خرج من منخر به زوج سنابير من ذكر وأنثى خرج الذكر من المنخر الايمن والانثى من المنخر الايسر فكفاهم مؤنة الجرذان ولما تأذوا برائحة نجسهم شكوا ذلك الى نوح فشكا الى الله تبارك وتعالى فأمره ان يأمر الفيل فيسلخ فسلخ خنازير فكفاهم مؤنة رائحة ذلك النجس وهذا الحديث نافي عند العوام وعند بعض القصاص » .

واذا كانت اشباه هذه المعتقدات نافقة عند اهل الحضرة فاستفاضتها في الاعراب ادلى فالاعراب لا يصيدون يربوعاً ولا قنفذاً ولا ورلاً من اول الليل وكذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجن كالنعام والظباء . . . فان قتل الاعرابي قنفذاً او ورلاً من اول الليل او بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل ابله ومتى اعتراه شيء حكم بانه عقوبة من قبلهم <sup>(٢)</sup> . وتزعم الاعراب ان الضفدع كان ذا ذنب وان الضب سلبه اياه <sup>(٣)</sup> .

وتزعم الجحوس ان سومين الذي ينظرون خروجه يزعمون ان الملك يصير اليه يخرج على بقرة ذات فرون ومعه سبعون رجلاً عليهم جلود الفهود لا يقول : هراً ويراً حتى يأخذ جميع الدنيا <sup>(٤)</sup> .

— « \* \* \* » —

(١) الحيوان ( الجزء الخامس ص ١٠٦ ) .

(٢) « » السادس ص ١٤ .

(٣) « » الخامس ص ١٥٣ .

(٤) « » السادس ص ١٦٢ .



## تحقيق الجاحظ

أفلا يجدر بنا بعد ان أثبتنا على ذكر عصر الجاحظ ووصفنا أفقاً عجيباً من آفاق ذلك العصر وأريد بذلك استفاضة العلم فأشرفنا الى طائفة من الآثار التي اتصلت بميراثنا الفكري فطبعته بطوابع خاصة أفلا يجدر بنا بعد هذا كله ان ننظر في جهة من جهات ثقافة الجاحظ وهي جهة العلم .

انكم لتذكرون ما أثبتته لكم في كلامي على اول عهدي بالجاحظ من رأي (رنان) سيف المسلمين من حيث اهتمامهم بالبحث فقد وقع في خلدنا ان المسلمين يعتقدون ان البحث لا طائل فيه ولا شأن له .

وقد قلت لكم في حينه ان الجاحظ قد يكون حجة يمتنع بها من يريد ان يثبت ان في العرب علماء وانما عصرهم غير عصرنا فلننتفرغ في مجلسنا لتقليب النظر في هذه الحجة أي قاطعة ام هي غير قاطعة .

كنت أطالع من ايام غير بعيدة كتاب (مفكري الاسلام) لصاحبه البارون (كارا دي فو) Baron Carra de Vaux فانتبهت الى كلام المؤلف على الجاحظ فقد قال<sup>(١)</sup> :

« اكبر كتبه كتاب الحيوان وهو كتاب جليل أدبجت فيه فصول كثيرة لا متعلق لها بالحيوانات قد يجمع الجاحظ فيها ما يروحيه اليه حيوان من فكرة ومن ذكرى أدبية ومن شعر ومن قصة فاذا شرع القاري في قراءة هذا الكتاب وفي نيته ان يجد فيه مجيئاً علمياً عن الحيوان فقد خادعته نفسه ولكنه اذا قرأ دون عرض من الاغراض منقاداً الى مشيئة المؤلف غير سائله خطة مرتبة فقد يجد فيه كثيراً من لذة البال .

لا أظن اننا نستطيع ان نستنبط من الجاحظ فلسفة او مقاييس ولكننا قد نجد له روحاً فلسفية تنسبط في أعلى هضابها وذوقاً للحياة العقلية يذهب في ابعاد مداه .  
يشتمل هذا الكلام على رأيين : رأي في الجاحظ من جهة العلم ورأي فيه من جهة الفلسفة فصاحب هذين الرأيين يحرر احد كتب الجاحظ من قيمته العلمية تجريباً واضحاً فهو لا يجد في كتاب الحيوان بحثاً علمياً عن اصناف الحيوان وانما يقر له بقيمة فنه وهو ما افصح عنه في قوله : قد نجد في كتاب الحيوان كثيراً من لذة البال .

وكما جرّده من فضل العلم فقد جرّده من فضل الفلسفة فهو لا يستطيع ان يستنبط من الجاحظ فلسفة او مقاييس وانما يعترف له بروح فلسفية متسعة الافياء وبحياة عقلية بعيدة المدى .

فلننظر في هذا كله أصحح ان الجاحظ ليس له اساليب فلسفية في كل مذهب من مذاهب تحقيقه وتدقيقه فهل يدقق ويحقق دون ان يبني على اصول مرتبة وقبل ان أقلب النظر في نفي العلم عن الجاحظ رأيت من الواجب عليّ ان أبين لكم : من هو العالم وما الفرق بين علم العامة وعلم الخاصة .

عقد الاستاذ ( ريشه ) احد اعضاء معهد باريز في كتابه ( العالم ) فصلاً عرف فيه العالم تعريفاً بنّا ولحم الى ضروب العلماء والذي يستنتج من الفصل كله ان العالم انما هو الذي يتوخى البحث عن حقيقة مجهولة فهو الذي يرمي الى المعرفة <sup>(١)</sup> .

فالفرق بين علم العالم وبين علم العايمي من الناس ان العامة تقتصر على معاينة الاشياء ولكن العلماء يحاولون ان يعرفوا اسباب هذه الاشياء اي ان يعرفوا مبادئها وقوانينها فقد قال ارسطاطاليس : يبتدي العلم بالعجب وينتهي بضده فالعامة لا تعجب من الاشياء التي تعابنها كل يوم وتقع عليها حواسهم ولكن العلماء يعجبون منها ويجهدون في البحث عن عللها فهم يريدون ان يعرفوا مثلاً لماذا لا يصعد الماء في جوف المصخة الا الى حد معلوم فاذا عرفوا علة هذا بطل عجبهم وصاروا يعجبون من ضد هذا الامر .

فالعالم في نظر الاستاذ ( ريشه ) انما هو الذي يتقرب عن الحقيقة المجهولة ولكن لكل

(١) الاستاذ شارل ريشه ( Charles Richet ) كتاب العالم ص ٧ .

علم من العلوم اصولاً سيف التثقيب عن هذه الحقيقة فلنبحث في صدر الامر عن الاساليب التي يجري عليها الجاحظ في البلوغ الى حقائق العالم وكشف الغطاء عن غرائبه وطرائفه :

يقول ابو عثمان في مقدمة كتاب الحيوان<sup>(١)</sup> :

« وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الامم وتتشابه فيه العرب والعجم لانه وان كان عربياً اعرابياً واسلامياً جماعياً فقد اخذ من طرف الفلسفة وجمع معرفة السمائع وعلم التجربة وأشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة » .

لخص لنا الجاحظ في هذه الاسطر أصوله التي يبني عليها في الوصول الى معرفة الحقائق فهو يستعين بالحواس وبالعقل على إدراك الحقائق .

اما الاستعانة بالحواس فقد أشار اليها في كثير من المواطن فقوله الذي سمعتموه من قبل : ليس يشفيني الا المعاينة داخل في الاستعانة بالحواس والمعاينة عنصر من عناصر التحقيق في علوم الطبيعة يضم اليه التجربة والفرض والمقابلة والتصنيف فكل قول في نظره يكذبه العيان فهو أخش خطاً وأسخف مذهباً وأدل على معاندة شديدة او غفلة مغرطة<sup>(٢)</sup> .

ولم يقتصر الجاحظ على المعاينة وحدها وانما جمع بينها وبين التجربة في كثير من تحقيق الغرائب في هذا العالم وسأذكر لكم في مجلس آخر أنماطاً من تجريبه على أصناف الحيوانات ولقد وثق بهذه الطريقة الثقة كلها حتى أصبح لا يجد سبيلاً الى رد الخبر المعروف بموارثه ومرادفته الذي حققه العيان وضمت اليه التجربة<sup>(٣)</sup> .

فهو في هذا المعنى اي في الاستعانة بالحواس في التحقيق من اصحاب الفيلسوف (ياكون) الذي ظهر من سنة ١٥٦١ الى سنة ١٦٢٦ فقد سعى هذا الفيلسوف في تجديد العقل فحاول ان يصلح مناحي الفكر البشري واساليبه في التحقيق فمن رأيه انه لا ينبغي لنا الاستناد الى المتقدمين لانهم لا يعاينون الامور عياناً كافياً فإينبغي لنا ان نكون اصحاب أفكار مهبأة

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الاول ص ٥ ) .

(٢) = = = الثالث ص ١١٢ .

(٣) = = = الثاني ص ٤٧ .



نؤمن بها فان هذه الافكار انما هي بمنزلة الأصنام فلكل حزب أصنام ولكل مذهب أصنام ولكل عصر أصنام فما ينبغي لنا ان نرى في كل ناحية من نواحي الطبيعة مزاعم فاذا كانت الشمس تدني فبالزمن ان نعتقد انها خلقت لتدني واذا كانت الارض تغذي فما يلزمنا ان نعتقد انها خلقت لتغذي فما يلزمنا ان نرى العالم كله متوجهاً نحو الرجل مستعداً لخدمته ، يجب علينا ان نلجأ الى المعابنة والى التجربة ثم الى استنباط نتائج عامة من الامور التي نعابنها والامور التي نجربها فالاستنباط مداره الذهاب من الخاص الى العام ومن طائفة من الامور الى وضع القوانين .

هذه فلسفة ( باكون ) وقوامها : التجربة والعيان ، ولئن لجأ ( باكون ) الى هذه الفلسفة من ثلاثة قرون فقد لجأ اليها الجاحظ من أحد عشر قرناً الا ان ( باكون ) توسع في أساليبه فجعل للعيان والتجربة قواعد عامة فالتجربة في نظره ينبغي لها ان تكون متنوعة ممتدة مقلوبة .

وكان الجاحظ رأى ان هذه الطريقة وحدها لا تضمن له الافضاء الى الحقائق لان الحواس التي يعتمد عليها في التحقيق قد تخادع في بعض الاحيان فأحب ان يجمع الى معونة الحواس معونة العقل فقال <sup>(١)</sup> :

« فلا تذهب الى ما تربك العين واذهب الى ما يربك العقل وللأمور حكام : حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة » .

فكان لا يجعل الشيء الجائز كالشيء الذي تثبته الأدلة ويخرجه البرهان من باب الانكار <sup>(٢)</sup> .

فالأدلة والبراهين من أعمال العقل وهذه الطريقة انما هي طريقة ( ديكارت ) الذي ظهر من سنة ١٥٩٦ الى سنة ١٦٥٠ فان فلسفة ( ديكارت ) ملاكها العقل ومدار طريقته على هذه الكلمة : لا تصدق الا ما كان واضحاً ، صدق ما كان واضحاً فالوضوح انما واصل الامر في اليقين فما ينبغي لقوة من القوى الظاهرة ان يكون لها سلطان على حرية تفكيرنا ومنا القوى الظاهرة الا السلطة والادغام والمصلحة والاحزاب .

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الاول ص ٩٧ ) .

(٢) = = = السابع ص ٤١ .

فما أشبه قول (ديكارت) لا تصدق الا ما كا واضحاً بقول الجاحظ : لأجمل الشيء الجائز كالشيء الذي تثبته الأدلة ، ولكن (ديكارت) قد نبسط في هذه الطريقة فأنشأ لها فوائد منها تجزئة المصاعب ومنها الذهاب من المبسوط الى المركب وغير ذلك .

الا ان (ديكارت) يشك في كل شيء وقد تكون الحياة في نظره حلاً من الاحلام ولكن شكه هذا لا يشبه شك غيره من الفلاسفة فهو يشك في كل شيء فقد يزعم ان العالم لا حقيقة له على امل ان يصل الى حقائق يثبتها العقل فالشك في مذهبه سبيل الى اليقين .

واذا توسعنا بعض التوسع في الشكيب عن مذهب الجاحظ في التحقيق من جهة العقل تبين لنا انه قد يميل الى الشك على نحو ما مال اليه (ديكارت) في العصور الاخيرة وقد يجعل هذا الشك سبيلاً الى اليقين . من ذلك قوله (١) :

وزعم لي ان ابن ابي العجوز ان الدساس تله وكذلك خبرني به محمد بن ايوب بن جعفر عن أبيه وخبرني به الفضل عن اسحاق بن سليمان فان كان خبرهما عن اسحاق فقد كان اسحاق في معادن العلم وقد زعموا بهذا الاسناد ان الاروية تضع مع كل ولد وضعت أفعى في مشيمة واحدة . وقال آخرون : الاروية لا تعرف بهذا المعنى ولكنه ليس في الارض غمرة الا وهي تضع ولدها وفي عيقها أفعى في مكان الطوق وذكروا انها تنهش وتمض ولا تقتل ولم اكتب هذه للمقوية ولكنها آية أحببت ان تسمعها ولا يعجبني الا فرار بهذا الخبر وكذلك لا يعجبني الانكار له ، ولكن ليكن قلبك الى انكاره أميل وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً فلو لم يكن ذلك الا تعرف التوقف ثم الثبوت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ، ثم اعلم ان الشك في طبقات عند جميعهم ولم يجمعوا على ان اليقين طبقات في القوة والضعف ولما قال ابو الجهم للمكي : انا لا أكاد أشك قال المكي : وانا لا أكاد اوقن فنخر عليه المكي بالشك في مواضع الشك كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين .

فقول الجاحظ : اعرف مواضع الشك والحالات الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له يشبه مذهب (ديكارت) في جعل الشك سبيلاً الى اليقين .

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السادس ص ١٠ ) .

هذا مذهب الجاحظ في التحقيق في كل امر من امور العلم والدين جمع فيه بين معونة المادة ومعونة العقل فكان هذا المذهب مقدمة للاصول التي بنى عليها (باكون) و(ديكارت) في العصور الأخيرة فالجاحظ صاحب طريقة في تحقيقه ، انكم لا تجهلون قيمة الطريقة في العلوم فقد قالوا فيها انها فن استكشاف الحقيقة فاذا أراد البشر ان يصلوا الى الحقائق لزمهم ان لا يخطئوا غبطاً وان ينهجوا منهجاً قد اختطوه لانفسهم قبل التفرغ للبحث فلا يمكننا الوصول الى الحقائق الا اذا متبنا على خطة معينة اي على طريقة ومايكفيننا ان نلجأ الى طريقة ما في دراسة من الدراسات وانما يجب علينا ان نستعمل لكل صنف من الحقائق الطريقة الخاصة بهذا الصنف ففي صنف تحسين التجربة وفي صنف تحسين العقل وفي ناحية تحسين التجربة والعقل معاً فاذا تجرد الفكر البشري من هذه القواعد ومشى دون ان يعرف مبدأ طريقة ومنتهاه او ان يعرف الطريق التي يسلكها أضاع قواه دون ان يصل الى الحقيقة .

والتاريخ بدلنا على ان الفلسفة والعلوم انما وصلت الى ما وصلت اليه بفضل الطريقة وبفضل عبقرية الذين استعملوا هذه الطريقة .

ان واضع الفلسفة وهو سقراط انما هو اول من عاين طبيعة الرجل العقلية وطبيعته الخلقية وطبق هذا العيان على درس النفس وعلى درس الخلق .

واذا تقدمت في عصرنا هذا علوم الطبيعة تقدماً عظيماً فالفضل في ذلك يرجع الى الطرائق التي وضعها (باكون) و(كلود برنار) و(باستور) واستعملها العلماء من بعدهم .

ولم يكتف الجاحظ بهذه الطريقة وحدها ولكنه احب ان يمزجها بشيء من روعة الفن فا ذكر غريبة من غرائب العالم وطريقة من طرائفه الا ومعها شاهد من كتاب منزل او حديث مأثور او خبر مستفيض او شعر معروف او مثل مضروب او يكون ذلك مما يستشهد عليه الطبيب او من اكثر من قراءة الكتب او بعض من قد دارس الاسفار وركب البحار وسكن الصحاري واستندى الهضاب ودخل في الغياض ومشى في بطون الاودية (١) .

نعم ، الجاحظ صاحب طريقة في التحقيق ، ومن هذه الطريقة المعاينة والتجربة ومن

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السادس ص ٥ ) .



أكبر صفات المعايين التطلع فان هذا التطلع يحملنا على الاهتمام بامور لا يكون لها في نظر العامة معنى من المعاني مثل مصباح (غلبه) او مثل نفاحة (نوتون) واظن اني لا احتاج الا الى ذكر مثل او مثلين في هذا المعنى ، من ذكرهما لتبين لكم خصائص الجاحظ في حب التطلع والاستشراف فقد يقف على الامور وقوف معتبر ويتأملها تأمل مفكر فاذا اعترض لواحد منها فلا يهدأ باله الا اذا نفذ حقائقه وعرف علله وعلم بمقادير قواه ونصرف اعماله وننقل حالاته . قال ابو عثمان في اثناء كلامه على الفيلة<sup>(١)</sup> :

« خرجت يوم عيد فلما صرت بفساذ واذا فيل مجال بمقطوع ومقطعات واذا برجال جلوس عليهم الاسلحة فسألت بعض من شهد العيد فقلت : ما بال هذه المسلحة في هذا المكان وقد اخلط الناس بذلك التل ، فقال : هذا الفيل ، فقصدت نحوه ومالي هم الا النظر الى أذنيه وما كانت لي في ذلك علة الا شغل قلبي بكل شيء هجعت عليه منه وكله كان شاغلاً عن أذنه التي اليها كان قصدي فذاكرت في ذلك سهل بن هارون فذكر لي انه ابتلي بمثلها وأنشد في ذلك بيتين من شعره وهما قوله :

اتيت الفيل محتسباً بقصدي لا بصر أذنه وبطول فكري  
فلم أر أذنه ورأيت خلقاً يقرب بين نسياني وذكرني

فهذه القصة على حقارة شأنها تصوير لنا مقدار ميل الجاحظ الى التطلع فاذا مر بمشهد من المشاهد سأل عنه وقصد نحوه ونظر اليه وشغل قلبه به .

واليك المثل الثاني وهو ليس باقل دلالة من الاول على تطلع الجاحظ قال<sup>(٢)</sup> :

« ولقد تنازع بالبصرة ناس وفيهم رجل ابس عندنا أطب منه فأطبّقوا جميعاً على ان الجمل اذا فخر ومات فالتمست خصيته وشقشقتها انها لا توجدان فقال ذلك الطبيب فلعل مرارة الجمل ايضاً كذلك ولعله ان تكون له مرارة مادام حياً ثم تبطل عند الموت والفخر وانما صرنا نقول لا مرارة له لانا لانصل الى رؤية المرارة الا بعد ان يفارقه الحياة فلم اجد ذلك عمل في قلبي مع اجتماعهم على ذلك فبعثت الى شيخ من جزاري باب المغيرة فسألته عن ذلك فقال : بلى لعمرى انها ليوجدان ان ارادها مريد وانما سمعت العامة

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السابع من ٦١ ) .

(٢) = = = السادس من ١٤٩ .

كلمة وربما منحناءهما فيقول خصية الجمل لا توجد عند منخره ، اجل والله ما توجد عند منخره وانما توجد في موضعها . وربما كان الجمل خياراً جيداً فتلحق خصيته بكائتيه فلا يوجدان لهذه العلة فبعثت اليه رسولاً ، انه ليس يشفيني الا المعالجة فبعث اليّ بعد ذلك بيوم او يومين مع خادمي نفيس بشقة شقة وخصية ، ومثل هذا كثير قد يغلط فيه من يشتد حرصه على حكاية الغرائب .

فانظروا الى مقدار ولع الجاحظ بالتطلع ، يسمع كلام اهل الصناعة على امر من الادور ويجمعون على هذا الامر فلا يعمل الكلام في قلبه فيسأل شيخ الجزارين عنه فيعترف له بصحته ولكن الجاحظ ليس يشفيه الا المعالجة فهذا الافراط في حب التطلع انما هو من صفات العلماء ومن خصائصهم وهل الفرق بين معرفة العالم ومعرفة غير العالم الا في بحث العالم عن كل علة واقتصار غيره على البيان وحده دون الاهتمام بالعمل وبالقوانين .

يقول صاحب كتاب (مفكري الاسلام) لا يجد المرء في كتاب الحيوان مبحثاً علمياً عن الحيوانات .

فلنرجع الى كتاب الحيوان فهو الكتاب الذي صور لنا الجاحظ في صورة العالم على مصطلح هذا العصر في شواهد كثيرة على توخي الجاحظ الوصول الى الحقائق في مباحثه وفيه بيان لخلف أساليبه في التحقيق وفيه أنماط من نقد العلي ومن فلسفته العلمية فضلاً عن قيمته الفنية التي نرجي الكلام عليها الى حينه وقد ألف الجاحظ كتاب الحيوان وهو ابن سبعين بوجه التقريب اي بعد ان اختبر عقله واستوى فكره واتسعت تجاربه ومعارفاته . فلنستخرج من هذا الكتاب طائفة من الأقوال ولنحكم على طبائع هذه الأقوال وعلى خصائصها .

من هذه الأقوال ما يتعلق بخلق الطبيعة لكل صنف من الحيوان في تقويم يستعين به على مقادير حاجاته ، قال ابو عثمان <sup>(١)</sup> :

وليس شيء من صنف الحيوان أوردى حيلة عند معارضة العدو من الغنم لانها في الاصل موصولة بكفايات الناس فأسندت اليهم في كل امر يصيبها ولولا ذلك لأخرجت لها الحاجة ضرراً من الأبواب التي تعينها فاذا لم يكن لها سلاح ولا حيلة ولم يكن ممن يستطيع

الانسياب الى حجر أبصدع صخرة او في ذروة جبل وكانت مثل الدجاجة فان اكثرما عندها من الحيلة اذا كانت على الارض ان ترتفع الى رف وربما كانت في الارض فاذا دنا المغرب فزعت الى ذلك وربما كان عند الجنس من الآلات ضرروب كنخوزيرة الاسد وليدنه فانه حمل للسلاح الا في مراق بطنه فانه من هناك ضعيف جداً وقال التغلبي :

تري الناس منا جلد أسود سائح وزيرة ضرغام من الأسد خفيف

وله مع ذلك بعد الوثبة والذوق بالارض وله الحبس باليد وله الطعن بالخطب حتى ربما حبس البعير يمينه وطعن بمخالب يساره في لينة. وقد ألقاه على مؤخره ليتلقى دمه شاحباً فاه وكأنه ينصب من فؤارة حتى اذا شربه واستفرغه صار الى شق بطنه وله العض بانياب صلاب حداد وفك شديد ومنخر واسع وله مع البرثن والشدة باظفاره دق الاعناق وحطم الأصاب وله انه أسرع حضراً من كل شيء عمل الحضرة في الحرب منه ، وله من الصبر على الجوع ومن قلة الحاجة الى الماء ما ليس مع غيره وربما سار في طلب الماء ثمانين فرسخاً في يوم وليلة ولو لم يكن له سلاح الا زئيره وتوفد عينيه وما في صدور الناس له لكفاء وربما كان كالبعير الذي يعلم ان سلاحه في نابيه وفي كركوته والانسان يستعمل في القتال كفيه في ضرروب ومرفقيه ورجليه ومنكبيه وفمه ورأسه وصدره كل ذلك له سلاح ويعلم مكانه يستوي في ذلك العاقل والمجنون كما يستويان في الهداية في الطعام والشراب الى الفم والمرأة اذا ضعفت عن كل شيء فزعت الى الصراخ والولولة التماساً للرحمة واستجلاً بالانغايات في حمايتها وكفائها او من اهل الحسبة في امرها .

ومن هذه الأقوال ما يختص بثلاث كل صنف من الحيوان بالوان بيئته حفظاً لحياته قال الجاحظ (١) :

حدثنا ابو جعفر المكفوف النحوي العنبري واخوه روح الكاتب ورجال بني العنبران عندهم في رمال العنبر حية تصيد العصافير وصغار الطير باعجب صيد زعموا انها اذا انصف النهار واشتد الحر في رمال العنبر وامتنعت الارض على الحافي والمنثعل ورمض الجندب غمست هذه الحية اذنيها في الرمل ثم انصببت كأنها رمح مركوز او عود ثابت فيجي الطائر الصغير او الجرادة فاذا رأى عوداً قائماً ذكره الوقوع على الرمل لشدة حره وقع على رأس

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الرابع ص ٣٨ ) .



الحية على انها عود فاذا وقع على رأسها قبضت عليه فان كان جرادة او جملاً او بعض ما لا يشبعها مثله ابتلعتة وبقيت على انصائها وان كان الواقع على رأسها طائراً يشبعها مثله اكلته وانصرفت وان ذلك دأبها ما منع الرمل جانبه في الصيف والقيظ في انصاف النهار والهجرة وذلك ان الطائر لا يشك ان الحية عود وانه سيقوم له مقام الجذل للحرباء الى ان يسكن الحر ووهج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب ان تكون هذه الحية نهتدي لمثل هذه الحيلة وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود وفيه قلة اكتراث الحية بالرمل الذي عاد كالجر وصلاح ان يكون ملة وموضعاً للخبزة ثم يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار والرمل على هذه الصفة فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات .

ومن هذا القبيل ما نقله عن صاحب المنطق من ان لكل طائر بعش شكلاً يتخذ عشه منه فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع وعلى اختلاف صور تلك القراميص والافاحيص (١) .

ومن هذه المباحث الكلام على تأثير البيئة وقد نقل قول صنف من الناس فقال (٢) : وقال الصنف الآخر لانكر ان يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الايام كما عمل ذلك في طباع الزنج وطباع بلاد الصقالبة وطباع بلاد باءجوج وماجوج وقد رأينا العرب وكانوا أعرباً حين نزولوا خراسان كيف انسخوا من جميع تلك المعاني وتري طباع بلاد الترك كيف تطيع الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبيع وبهيمة على طبائعهم وتري جراد البقول والرياحين ودبدانها خضرا او تراها في غير الخضرة على غير ذلك وتري القملة في رأس الشاب الاسود الشعر سوداء وتراها في رأس الشيخ الابيض الشعر بضاء وتراها في رأس الأشمط شمطاء وفي لون الجمل الأورق ورقاء فاذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء فان نصل خضابه صار فيها شكله من بين بضع وحمرة وقد نرى حرة بني سليم وما اشتملت عليه من انسان وسبع وبهيمة وطائر وحشرة فتراها كلها سوداء وقد خبرنا من لا يحصى من الناس

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الثالث من ١٦١ ) .

(٢) = = = الرابع من ٢٤ .

انهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان ولم أذئاب الا تكن كأذئاب التماسيح والاسد والبقر والخيول والأوكأذئاب السلاحف والجردان فقد كان لهم عجوب طوال كالأذئاب وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفرات على وجهه شبه القرد وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ الا القليل وقد يجوز ان يصادف ذلك المرء الفاسد والماء الخبيث والثمرة الرديئة ناساً في صفة هؤلاء المشوهين والأنباط ويكونون جهالاً فلا يرتحلون ضئالة بما كنهم وأوطانهم ولا ينتقلون فاذا طال ذلك عليهم زاد في تلك الشعور وفي تلك الأذئاب وفي تلك الألوان الشقر وفي تلك الصور المناسبة للقرد .

وقال في الناحر على الحياة<sup>(١)</sup> :

ومن العجب في قسمة الأرزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويرى القنفذ الأفعى فيأكلها وكذلك صنيعه في الحيات ما لم تعظم الحية والحية تصيد المصفر فتأكله والمصفر يصيد الجراد فيأكله والجراد يلتهم فراخ الزنابير وكل شيء يكون الخوصه على المستوى والزنبور يصيد النحلة فيأكلها والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها .

واذا أردت الإفاضة في هذا الباب اتسعت مذاهب الكلام فأقصر على ما ذكرت دون التمرض لما نبه عليه الجاحظ في كتاب الحيوان او لما وصفه من غرائب أصناف الحيوان ومن إحساساتها وما شابه ذلك .

أظن أن أشباه هذه المباحث لا تخرج عن العلم وأظن ان الذي يخوض فيها لا يبحث انها لم تخل في تضاعيفها من امور جليلة تكاد تكون أجل ما اكتشفه علماء الطبيعة في العصور الأخيرة أمثال داروين ولا مارك وسبنسر وأضرابهم ، من هذه الامور الناحر على الحياة والتلون بألوان البيئة وتأثير البيئة والارث وغير ذلك فكان الجاحظ يترضى لأعجيب الطبيعة ويفكر فيها لان التفكير فيها على نحو ما قال مشحذة للأذهان ومنبهة لذهي الغفلة وتحليل لعقدة البلدة وسبب لاعتياد الروية وانفساح الصدور وعزفي النفوس وحلاوة ثقتاتها الروح وثمره تغذي العقل<sup>(٢)</sup> .

(١) الحيوان ( الجزء السادس ص ١٠٣ ) .

(٢) ٤ ٥ الثاني ص ٣٩ .

ولكن لا ينبغي لنا ان نفسي ان الجاحظ ظهر من احد عشر قرناً وان العلم الحديث لا يتجاوز عمره قرناً ونصف قرن فالجاحظ مشى على آثار ارسطاطاليس وغيره من العلماء اليونانيين في رومة والاسكندرية في تلخيص المعارف فلو ان لم يكتشف في علم الحيوان مكتشفات علمية فقد تلخص معارف عصره فكتب كتباً علمية في اشياء مختلفة .

فقلنا لا نجد في كتاب الحيوان مبحثاً علمياً لا يخلو من شيء من المجازفة واذا نظرنا في مجلسنا الآتي في أساليب الجاحظ في التحقيق تبين لنا ان الجاحظ لا يلهو وانما يبحث وينقب .



## الحُطَيْيَّة

— (X) —

شاعرٌ مخضرمٌ أدرك الجاهلية والاسلام وعثر بهما طويلاً ثم أدركته الوفاة وقد بلغ الثمانين . اسمه جرول العبسي وكنيته ابو مليكة والحطيفة لقب غلب عليه لقصره ودمايته . وهو احد فحول الشعراء ومنقدميهم وفصحائهم متصرف في كثير من فنون الشعر كالمديح والفخر والنسيب . يمدونه في الطبقة الثالثة بين منقدمي شعراء الجاهلية . وهو صاحب البيت المشهور وهو فيما قيل احكم بيت روي عن العرب :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس  
ولكنه مع ذلك كان هجاء خبيث اللسان دني الطبع كثير الالحاف اشتهر بقبحه ورثة زيه وسوء نسبه وفساد دينه لم يلم احد من لؤمه وشره حتى أبويه واهله وذوي قرابته وبما قاله في هجاء أمه :

نحني فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا  
اغربالاً اذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا  
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا

وقال في زوجته :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع

وقال في ابه وأمه :

ولقد رأيتك في النساء نسيتني وابا بنيك فساءني في المجلس  
وهو في كل ذلك فذ لا شبيه له ولا مثيل الا الهلالي شاعر حماة وهو من المعاصرين  
أدركته وعاشرته في مقتبل ابامي وسمعت منه قوله في هجاء أمه :

تالله لولا الخوف من دعواتها      واختلاطات محابة الدعوات  
لهجوتها هجواً أخس من الـ . . .      لكن خشيت نجاسة الكلمات  
وقوله في هجاء أبيه :

لو كان مثلك في زمان محمد      ماجاء في القرآن برؤ الوالد  
وهو من امرء الهجاء وأسوأه كما لا يخفى .

( عود الى الخطيئة ) ويستدلون على سوء نسبه انه كان سأل أمه الضراء وهي  
أمة لأوس بن مالك - عن أبيه فتلكأت وأجابته بقول غير سديد فغضب وخرج عنها  
لاحقاً باخوته بني الأقم وفي ذلك يقول :

نقول لي الضراء أنت لواحد      ولأثنين فانظر كيف شرك أولئك  
وانت امرؤ تبغي أباً قد ضللت به      هملت الماء تسفقي من ضلالكا  
وهكذا عاش متدافع النسب . وكان قد أسلم في صدر الاسلام الاول على عهد  
النبي (ص) فلما كانت الردة على عهد أبي بكر الصديق كان في طليعة المرتدين وفي  
ذلك يقول :

اطمنا رسول الله اذ كان بيننا      فبالعباد الله ما لأبي بكر  
أبورثها بكراً اذا مات بعده      وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ثم أسلم بعد ذلك تفاقماً ومجاهلةً وبقي على حاله الجاهلية حتى مات . قيل التمس يوماً  
من يهجو فلم يجد فقال :

أبت شفتاي اليوم الا نكلاً      بسوء فلا أدري لمن أنا فائله  
وجعل يردده حتى ورد غدير ماء صاف رأى فيه وجهه فقال يهجو :  
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه      فقبح من وجهه وقبح حامله  
وهذا من أعجب حاله .

وقيل مرّ رجلٌ يعرف بابن الحمامة بالخطيئة وهو جالس بفناء بيته فبادره بالسلام  
فقال له ( قلت ما لا ينكر ) قال اني خرجت من اعلى بغير زاد قال ( ما ضمنت لاهلك  
دراك وراؤك اوسم لك ) . قال افتأذن لي ان استظل ببيتك قال ( دونك الجبل فهو

بظلك) . قال انا ابن الحمامة . قال ( انصرف وكن ابن اي طائر شئت ) وهذا  
عمري غاية ما ينتهي اليه البخل » وقد رويت هذه القصة مع زيادة قليلة عن ابي الاسود  
الدؤلي ايضاً .

قال الأصمعي : لم ينزل ضيف بالحطيئة الا هجاء . وقال عمرو بن العلاء كان  
الحطيئة متين الشعر شروذ القافية وما تشاء ان نطعن سيفه شعر شاعر وجدت فيه مطعناً  
وما اقل ما يجسد ذلك سيف شعر الحطيئة . وانما آخره عن اللحاق بكبار الشعراء  
واعاظمها سوء اخلاقه وضعمة مكانته وقبح هيأته .

قيل أراد يوماً السفر فأثنته امرأته براحلته وهي تقول :  
اذكر تحنننا اليك وشوقنا      واذكر بناتك انهن صفار  
فعدل عن رحلته وقال لا سافرت بعد اليوم ابداً .

وقيل نزل الحطيئة في سنة ضيقة بنبي مقلد بن يربوع فمشى بعضهم الى بعض وقالوا  
هذا رجل لا يسلم احد من بوادر لسانه تعالوا نسأله عما يحب فنفعله به وعما يكره فتجنبه  
فأتوا اليه وسألوه فقال لا تكثروا زيارتي فتملوني ولا تقطعوها فتوحشوني ولا تجعلوا ذنائب  
يأتي مجلسكم ولا تسمعوا بناتي غناء شبانكم ففعلوا ما أراد واحتاطوا لذلك كل الاحتياط  
فلم يجد ما يؤاخذهم به فلما انقضت السنة رحل وهو يقول :

جاءت آل مقلد فحمدتهم      اذ ليس كل اخي جوار يحمد  
ابام من يرد الصنمية يصطنع      فينا ومن يرد الزهادة يزهد

ومن اشتهر بهجائه اياه الزيرقان<sup>(١)</sup> بن بدر وهو احد سادات العرب واعلامها كان  
النبي ولاه عملاً وأقره عليه ابوبكر في خلافته فقدم الى المدينة في سنة محدبة يؤدي  
الى عمر صدقات قومه فلقية الحطيئة ومعه أسرته في بعض الطريق فقال له الزيرقان  
وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد ؟ قال العراق لعلي اجد فيه رجلاً يكفي  
مؤونة عيالي في هذه السنة وأصفيه مدحي ابداً . فقال الزيرقان : قد اصب ذلك  
عندي فسأوسعك لبناً وتمراً وأجورك اكرم جوار ثم عرفه بنفسه وبعث به الى زوجته  
فأكرمه عملاً بوصية زوجها . وكان بغيض بن عامر وعشيرته بنو أنف الناقة يفاخرون

(١) من اسماء القمر



الزبرقان وقومه فلما رأوا منها التقصير بحق الخطيئة بعد ان رأت من دميم خلقه وزري حاله ما رأت اغروء على التحول الى جوارهم كيداً بالزبرقان وحباً بالتمداح فأبى وقال هذا شأن النساء ولست بعناب على صاحب المنزل فانه برأى من ذنب المرأة . ثم تمادى بحفاء المرأة له لبعض الاسباب وأخّ عليه بنو أنف الناقة ان بأنهم حتى ابرموه فتحول الى جوارهم فضربوا له قبةً وزينوها واكثروا له من اللبن والتمر واعطوه كسوةً وإلاً . فلما عاد الزبرقان أخبر بقصته فجاء بني أنف الناقة يعانهم ويطلب ان يردوا عليه جاره فأبوا وقالوا انت اطرحتيه واضعته وهو الآن جارنا . ولما تمادى بين الفريقين اللجاج خيروا الخطيئة فيما يريد فاختار جوار بني أنف الناقة وقال للزبرقان انني لم أترك جوارك عن سخط وذم فرضي منه ، انصرف واخذ الخطيئة بمدح بني بغيض ومن جملة ما قال فيهم :

قومٌ همُ الانف والاذناب غيرهمُ      ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

وكان هذا اللقب عاراً عليهم فصار من يومئذ فخراً لهم . ثم لم يزلوا يفرون الخطيئة بهجاء الزبرقان ويكثرون له الهبات والوعود حتى هجاء ومن جملة هجائه البيت المشهور :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها      واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الامام عمر فقال لا أراه هجاك في هذا القول وكان حسان بن ثابت حاضراً فقال له بل هجاء أشدّ الهجاء فاستقدم عمر الخطيئة وحبسه في جب فقال يستعطفه :

ما ذا نقول لأفراخٍ بذى صرخٍ      زغب الحواصل لا ماء ولا شجرٍ

القيت كاسيهم في قعر مظلةٍ      فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

انت الامام الذي من بعد صاحبه      اتى اليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بهباً اذ قدّموك لها      امكن لانفسهم كانت بك الأثر

وهذه الأبيات غاية في السهولة والانسجام ظاهر على ديباجتها عدم التكلف .

ففرق له عمر وأفرج عنه وقيل بل سلمه الى الزبرقان فقاد بهمايته ليعاقبه فاستوهبته منه غطفان . وقيل ان عمر قال له لما أطلقه إياك وهجاء الناس قال اذا يموت عيالي جوعاً

هذا مكسي ومنه معاشي : فاشتري عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم .

ولما أدركته الوفاة قيل له اوص يا ابا مليكة فقال ويلٌ للشعر من رواة السوء ثم أنشد قول ضابي :

لكل جديد لذة غير انني رأيت جديد الموت غير لذيد  
ولما الحوا عليه بالوصاة وسأله بما يقول في عبيده قال هم عبيد من ما عاقب الليل  
النهار . قالوا فيم توصي للفقراء ، قال أوصيهم بالالاحاح في المسألة فانها تجارة لن تنبور .  
قالوا فما نقول يا مالك ، قال للانثى ضعفا ما للذكر ، قالوا ليس هكذا فغضب الله ، قال  
ولكنني هكذا قضيت . ثم طلب بعد حديث لا يجدر بنا ذكره ان يحملوه على اثنان و يتركوه  
راكباً حتى يموت زائماً ان الكريم لا يموت على فراشه ، فحملوه على اثنان وجعلوا يذهبون  
به ويحيثون حتى فاضت روحه وهو يقول :

لا أحده ألام من حطية هجا بنيه وهجا المربية

من لومه مات على فريضة<sup>(١)</sup>

وهذه الوصية ان صحت فهي دالة على ان الرجل أدركه الخرف . في آخريات ايامه  
حتى لم يعد يعقل ماذا يفعل ، لان المجنون لا يبيل اليه ، وشجع الموت ماثل له .  
هذا بل ما يؤثر عن الخطيئة أثبتناه في هذه الصفحات نفكها لقراء مجلة المجمع الذين  
قلما رأوا بين ثناياها غير الجد والعويص من المسائل ، فما عليهم لو تملحوا منها الفينة بعد  
الفينة بامثال فكلمات الخطيئة ونوادره فانه على كل حال يموت الينا بنسبة الادب واللغة  
والشعر فما هو عنا - وان كرت العصور دونه - بغريب او بعيد .

عضو المجمع العلمي

سليم عنخوري

==«»==

(١) الفريضة الاثنان اي اثني الحمار .

# آراء وافكار

—«»—

مولفوا الفنون الحديثة

« إزاء كلمات اللغة العربية »

قضيتُ حيناً من الزمن في تصحيح بعض المصنفات العربية الحديثة التي وضعت وضعاً أو ترجمت من اللغات الأخرى . واقد وجدني وأنا أقلب النظر في عبارات المؤلفين إزاء خربين من الكلم :

( الضرب الأول ) كلمات أو جمل خولف فيها الفصح المألوف من كلام العرب . فصحتها من دون تردد ولا توقف : وذلك مثل كلمات (مخابرة) فقلت مكانها (مراسلة) و (اختصاص) (إخصاء) و (مفاداة أو تضيحية) — (بذل النفس) أو (مغامرة) و (أشهر سيفه) (شهر سيفه) و (أعتاد الحرب) (عتدأ أو أعتدة) و (هذا الأمر يحلب نظر الدقة) فقلت مكانها (يستدعي الاهتمام أو يستميل النظر) و (هذا الأمر ذو أهمية) فقلت مكانها (ذو بال أو ذو خطر أو ذو شأن) الخ .

وتصرفتُ في بعض الكلمات تصرف تجديد في الوضع والاستعمال : فمثل قولهم (قلعه بند) أي السجين داخل أسوار القلعة . قلت مكانه (سجين مسوّر) . وأشارت أن تستعمل كلمة (أعفاج) لأمعاء الإنسان ومائراً كلمة اللحوم . و (مصارين) لأمعاء أكلة النبات . بدلاً من أن تستعمل (أمعاء) في الجميع إلى غير ذلك من الترميم والتجديد . على أن المعروف من بداي أنني أحب التساهل في الكلمات المعربة والدخيلة . وأفضل استعمالها على إهمالها . وذلك نعمة للغة وتوسيعاً لدائرة التخاطب بها .

( الضرب الثاني ) كلمات أو تراكيب جرت لدى المؤلفين في الفنون الحديثة بحري



الاصطلاح والمواضعة بحيث صاروا اذا استعملوها في مواضعها اللاتفة بها ففهمها الناس بسهولة . وتبادر الى أذهانهم معناها الخاص بها جلباً واضحاً . فلا يترددون فيه . ولا يستزبدون ايضاحاً منه .

هذه الكلمات الاصطلاحية كثيرة جداً ومتكررة في المؤلفات التي عانيت تصحيحها . وهي — وان كانت عربية المبنى والمادة — محولة او محرفة عما يعرفه اهل اللسان من معناها .

وقد جربت ان استبدل بها كلمات أخرى أفصح منها . واكثر ملائمة لأوزان العرب ومناسجهم . نزولاً مني عند رغبة المحافظين على الفصح . المتشائمين بالدخيل — وجربت على هذه الطريقة منفرداً من دون ان أطلب موافقة المؤلفين . حتى اذا دروا بالأمر عارضوني . وابوا الا الاحتفاظ بكلماتهم . والابقاء على اصطلاحاتهم .

واذ ذاك حمي الوطيس واشتد الجدل بيني وبينهم . واحتجوا لأنفسهم بما يأتي :

(١) ان هذه الكلمات والنماير الاصطلاحية من قبيل (الدخيل) . واللغة العربية كريمة النجر . واسعة الصدر . فهي ترحب بالدخيل والمغرب متى أنست بهما الافهام . وعذب وقعها في الآذان . وفي القرائن الكريم والسنة وكلام فصحاء العرب الشيء الكثير منها .

(٢) ان هذه الكلمات والتراكيب قد اصطلمنا عليها معشر الكتّاب والمؤلفين في الفنون الحديثة وتواضعنا على استعمالها والتفاهم بها فيما بيننا : فهي من قبيل مصطلحات العلوم الاخرى المتداولة بين أربابها منذ صدر الاسلام الى اليوم : فالمحدثون والمتكلمون والفقهاء والنحاة والصوفية والمناطق والفلاسفة وعلماء الهيئة والهندسة والكيمياء — كل هؤلاء اصطلمحوا او وضعوا كلمات جديدة لمعانٍ حديثة في فنونهم . بل ان الاسلام نفسه اصطلمح على كلمات استحدث لها معاني جديدة كالصلاة والصيام وغيرهما . وما زالت هذه الاصطلاحات الى اليوم مقبولة عند المشتغلين بتلك الفنون . ولم يعيبها عليهم عائب . حتى ان اكبر كاتب نقاد في الاسلام (ابن خلدون) أشار الى هذه المصطلحات في مقدمته وسلمها لاهلها تسليماً . وهذا ابن ابي الحديد يقول في خاتمة شرحه لنهج البلاغة :

« وقد استعملتُ في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة — ألفاظ القوم مع علي بن العربي لا تجيزها نحو قولهم (المحسوسات) وقولهم (الكل والبعض) وقولهم (الصفات الذاتية) وقولهم (الجسمانيات) وقولهم (أما أولاً فالحال كذا) ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب . ولكننا استهجننا تبديل ألفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كذب قوماً كلهم باصطلاحهم » اهـ .

(٣) اننا اذا عدلنا عن هذه الكلمات الاصطلاحية الى غيرها وألزمنا بها الطلاب — أطاعونا قليلاً . ثم خالفونا كثيراً . ولا سيما حينما يحاولون الاختصاص والتوسع في هذه الفنون ويرجعون الى أمهات كتبها في التركية والفرنسية : فان هذه المصطلحات ترجمت عنها حرفياً . فيقعون من جراء تغييرها في حيرة وارتباك .

ثم قال المؤلفون : وبالجمله فان اصطلاحاتنا لنا . لا نعدى فيها مواضعها من فنوننا . واذا كتبنا في غيرها استعملنا التماثيل والتراكيب التي يريدها المنشئون . كما ان المناطقة مثلاً اذا كتبوا في فنهم قالوا (ماهية) و(هوية) . أما اذا كتبوا في او غيرهم في الاجتماع والسياسة والأخلاق استعملوا مكان (الماهية والهوية) كلمات (حقيقة . كنه . عين) وما شاء الله ان يستعملوا من الكلمات القاموسية .

فقلتُ لهم : اما انا فأبارك لكم في اصطلاحاتكم هذه . غير ان اخواننا المنشئين يخشون على اللغة العربية أن أفسد على مدى الزمن بتزاحم هذه الاصطلاحات الكثيرة على أبوابها . وهم يقولون ان اصطلاحات الفنون الحديثة لم يضعها علماء عرب كالذين وضعوا اصطلاحات العلوم القديمة وانما وضعها الأتراك وقلدهم فيها أبناء العرب الذين لم يشغلوا بحق في اللغة العربية وآدابها . فلا يصح قبول مصطلحاتكم الفنية ما لم يوافق عليها مجمع لغوي عربي .

فأجاب الاساتذة :

ولكن اصطلاحات الفنون القديمة لم يضعها (مجمع لغوي) ايضاً وانما وضعها العلماء الاخصائيون في تلك الفنون . فشاعت وألفتها النفوس . ونحن اليوم قد باشرنا طبع مصنفاتنا واحداً واحداً . ووزعناها على تلاميذنا : ملزمة ملزمة . فأرجاء العمل بهذه الاصطلاحات ربما ينظر (المجمع اللغوي) فيها ويجيزها — من الصعوبة بمكان .

فقلت لهم : لنعرض الامر اذن على أعضاء مجتمعنا العلمي . وعلى علماء اللغة في بلاد (الضاد) ولنضع تحت مواقع أنظارهم نموذجات من اصطلاحاتكم هذه . فلعلهم اذا رأوا كثرتها . وعذوبة ألفاظها . وسهولة انقهاها عند اربابها أجازوها لكم . ووافقوكم على رأيكم . ولا سيما اذا رأوا انفسهم يتجاء امر واقع . ماله من دافم :

« الهيئة التشريعية » « هيئة المحكمة » « تشكيلات المحاكم » « تعقيبات قانونية » « تطبيق النظام » « التصديق او المصادقة على القرار » « مأمورية » « مسؤولية » « صلاحية » « تعليمات » « مقررات » « اقتراح » « نصويت » « أعمال ادارة » « حاكمية » « تابعة » « ميزانية » « تأمين المنافع الوطنية » « مناسبات دولية » « حكومة محلية » « مؤسسات خيرية » « تأسيس محل تجاري » « فتح اعتمادات مالية » « سد العجز » « المتعمد » « الملتمزم » « التمتع » « الرسوم » « بدلات الأعمار » الخ الخ .

وكل هذه الكلمات عربية الاصل . وقد حوّلها المصطلحون عليها الى معانٍ جديدة حدثت في فنونهم . قالوا : فاذا تكلفنا لهذه المعاني إيجاد الفاظ عربية غيرها اشد انطباقاً على اللغة ومناهجها فقلنا مثلاً :

( طائفة المحكمة او جماعة المحكمة )	( مكان )	( هيئة المحكمة )
( أوضاع المحاكم )	=	( تشكيلات المحاكم )
( حالة الحكومة الحاضرة )	=	( وضعية الحكومة الحاضرة )
( إلقاء التبعة )	=	( إلقاء المسؤولية )
( علاقات دولية )	=	( مناسبات دولية )
( معاهد اجنبية )	=	( مؤسسات اجنبية )

لو قلنا ذلك وحلا هذا الاستبدال والتغيير في بعض الأذواق فانه لا يحلو في كثير منها . ولا سيما عند الذين ألفوا هذه الكلمات وانطبع حسهم اللغوي بطابعها الخاص . مثال ذلك ان فاضلاً من رجال المحاكم يضرب بسهم في اللغة العربية وآدابها وهو جد حريص على استعمال فصيحها . كما انه كثير التشاؤم بمعربها ودخيلها - صرح بان قولهم ( عضو دائم ) - وهو ما اصطلح عليه رجال المحاكم - نفيد غير ما نفيده عبارة ( عضو دائم )



التي ارادوا استبدالها به . وان كلمة ( حقيقة ) أو ( كنه ) لا تفيد نفس المدنى الذي نفيسده  
كلمة ( ماهية ) . فهو بفضل البقاء على استعمال كلمتي ( الدائمى ) و ( الماهية ) الاصطلاحيتين .  
على ان التعابير الاصطلاحية ليست سوى وسائط نقل : لنقل المعاني من نفس المتكلم  
الى نفوس المخاطبين . فكما كثرت هذه الوسائط وامرعت في ابصارها ومرنت الجوارح  
على استعمالها — عمت الفائدة . وحسنت العائدة . « المغربي »

— « \* \* \* \* \* » —

### كتاب الفلاحة الاندلسية « وملاحظات الامير مصطفى الشهابي »

اطلعت في « مجلة المجمع العلمي » على بحث ممنع للعالم الامير مصطفى الشهابي يتعلق  
بكتاب ( الفلاحة الاندلسية ) لابن العوام الاشبيلي وأنعمت النظر في ملاحظاته الدقيقة  
ومطالعاته الجلية في وصفه لهذا الكتاب الذي هو من اجل ما كتب العرب في الزراعة  
فأحببت ان أضف الى هذا البحث الكلمات الآتية :

في شهر يونيو ( حزيران ) من السنة الماضية ( ١٩٣٠ ) كنت في مجريط ( مدريد )  
حيث أقمت مدة اسبوعين في اول رحلتي الى الاندلس . وفي اثناء مقامي بتلك العاصمة  
ترددت الى المكاتب التي فيها ومن جملتها « مكتبة اكااديمية التاريخ » واطلعت فيها على  
كتب قيمة وقيدت اسماءها ونقلت بعض فصول او بعض عبارات منها على قدر ما سمح  
لي الوقت .

فن أعظم الكتب التي استجلبت نظري كتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريا يحيى بن محمد  
ابن احمد بن العوام الاشبيلي الاندلسي رحمه الله . وكتب أخرى سأذكرها واذكر من  
بعضها بعد ان أنهي من الكلام على هذا الكتاب .

ولم اطلع على النسخة المطبوعة من هذا الكتاب في مجريط وهي التي أشار اليها الامير  
مصطفى الشهابي ولا علمت حينئذ ان هذا الكتاب كان قد طبع . بل النسخة التي اطلعت

عليها مخطوط يقع في ٨٤١ صفحة وينقسم الى جزءين . واوله : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين وسلم تسليماً . اما بعد فاني لما قرأت من كتب الفلاحة المسلمين الاندلسيين ومن كتب غيرهم من القدماء المتقدمين في صناعة فلاحه الارضين المظمئنة كيفية العمل في الزراعة والغراسة ولواحق ذلك وما يتعلق به من كتبهم في فلاحه الحيوان ما وصل اليّ منها ووقفت على ما نصّوه فيها نقلت من عيونها الى هذا التأليف ما ان نظر فيه وحفظ أبوابه وفصوله ومعانيه من يريد ان يتخذ هذا الفن صناعة يصل بها بحول الله الى معاشه ويستعين بها بحول الله على قوته وقوت عياله واطفاله وجد فيه حاجته وبلغ فيه ارادته واستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح آخره بتوفيق الله تعالى اياه اذ بالغراصات والزراعات تكثر بمشيئة الله الأقوات وقيل انه الى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم : اطلبوا الرزق في حنايا الارض .

وروي عن النبي (ص) : من غرس غرساً او زرع زرعاً فأكل منه انسان او طائر او سبيع كان له صدقة . وروي عنه : من غرس غرساً فأثمر أعطاه الله من الاجر بقدر ما يخرج من الثمر .

روي عن ابن حزم الاندلسي : اعلموا ان الراحة واللباء والسلامة والعز والأجر في اصحاب فلاحه الارض اذا كانت عشرة فقط . وفلاحه الارض هي اهني المكاسب جملة . انتهى .

وصاحب هذا الكتاب ينقل كثيراً عن الفقيه الامام ابي عمر احمد بن محمد بن حجاج في كتابه المقدم وهو الذي ألفه سنة ست وستين واربع مائة . وينقل فيه عن الرازي وعن اسحاق بن سليمان وعن ثابت بن قرة وعن ابي حنيفة الدينوري . وقد اخذ ايضاً عن الفلاحه النبطية تأليف قوتامي وهو مبني على أقوال جلة من الحكماء منهم آدم وصفر بن ونبوشاد واخنوخا وماسي ودونا وكامتري وغيرهم .

واخذ ايضاً عن كتاب الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفضال الاندلسي وهو المبني على تجاربه وعن كتاب الحكيم الشيخ ابي الخير الاشبيلي وهو مبني على آراء جماعه من الحكماء والعلاخين وعلى تجاربه الخاصة وعن كتاب الحاج القرناطي وكتاب ابن ابي الجواد وكتاب غريب بن سعد وعن حكماء اليونان .

وفد قسم التأليف الى سفرين الاول في معرفة اختيار الارضين والزيول والمياه وصفة العمل في الغراسة والتركيب والثاني الزراعة وما اليها وفلاحة الحيوانات .  
والباب السادس عشر هو في صفة العمل في اختزان الحبوب والفواكه - الغضة واليابسة واختزان الثين غصاً وباباً واختزان التفاح والكمثري والسفرجل والأترج والرمان والإجاص والقراشيا والعناب والبلوط والقسطل والفسطق والبر والشعير والعدس والفول والدقيق وزرايع الخضر والورد المبيس والورد المقطر وتحليل بعض الخضر واختزانها لتؤكل في غير ايامها .

والباب الخامس عشر هو في التطعيم وفيه صفات في دس الطيب والحلاوة والترياق الخ في الأشجار المطعمة وفي القضبات والبقل المغترسة ليؤدي ثمرها طعم ذلك وفوحه وقوته وصفة عمل بصير به لون الورد أصفر ولازوردياً ايضاً . وتدبير في الورد حتى يورد في غير ايامه . وتدبير في التفاح حتى يثمر في غير ايامه . وكيف يُتحيّل في ثمر التفاح حتى يحدث فيه كتابة وتصوير . وصفة عمل في ثمر السفرجل والكمثري والتفاح والبطيخ والقشاء حتى لتشكل الحبة منها باي شكل احببت . وصفات ايضاً في العنب بطول بها حبه وبصير عنقوده كأنه حبة واحدة ويكون عنقوده فيه حب ذو ألوان مختلفة . وكيفية تدبير غرس العنب حتى يكون حبه دون نوى . وتدبير في شجر الثين حتى يكون في الغصن منه حبات ثين مختلفة الألوان وحتى تكوّن التينة الواحدة فيها ألوان مختلفة وكيف ينبت في الخس والسلق أنواع من البقول تجتمع في اصل واحد الخ . وفيه في قسم فلاحة الحيوان عن الحيوانات وتربيتها وأنواعها ما لم أره في كتاب آخر انتهى .

هذا كل ما وجدته في كناشي منقولاً عن كتاب الفلاحة الاندلسية للشيخ ابي زكريا يحيى ابن العوام الاشبيلي نسخت ذلك كما تقدم الكلام عليه ولم ينسم لي الوقت ان أنسخ أكثر من ذلك فيما كنت فيه مع ضيق الوقت من التفتيش في خزائن الكتب المختلفة كمكتبة الاسكوريال والمكتبة الملوكية ومكتبة اكاديمية التاريخ . وكان مرادي ان أنقل ما في كناشي هذا عن هذا الكتاب النفيس الذي لم أجدا في منه بعلم الزراعة عند العرب الى رحلتي الاندلسية التي انا مباشر تحريرها .



قال الأمير مصطفى ان دوزي وغيره نقلوا عن هذا الكتاب وانه يعد أكبر معلة زراعية في القرون الوسطى . ومن الغريب انه قد ذكر مثلي اسماء أكثر الذين اعتمد عليهم ابن العوام من علماء الزراعة الذين سبقوه وانه مثلي قد استغرب فقد هذه الكتب التي لم نجد لها أثراً في الفهارس . ولقد نقل الأمير الشهابي بعض أقوال علماء الافرنجية عن كتاب ابن العوام هذا ثم أبدى بشأنه مع اعترافه بجلالة قدر الكتاب آراء سديدة فمما قاله ان ابن العوام وأمثاله ممن القوا في الزراعة كانوا قليلي الحرص على سلامة لغة مصنفاتهم ثم انهم كانوا يستعملون في بعض الأحيان الفاظاً ومصطلحات لا تجيزها معاجم اللغة وقواعدها . قلت ومن هذه الالفاظ لفظة الغراسه بمعنى الزراعة فقد أجراها ابن العوام بحرى الزراعة والصناعة اي جعلها مصدراً ، والحقيقة انه لم يرد في كتب اللغة ذكر الغراسه بهذا المعنى وانما الغراسه هي الفسيلة التي تغرس كما ان الغراس هو ما يغرس وبأني ابضاً بمعنى وقت الغرس . وانك لتجد في مثل هذه الكتب الفاظاً ومصطلحات عامية ربما حملهم عليها مراعاة فهم العامة الذين أكثرهم لبسوا بلفظ بين وهم أحوج الى المعنى منهم الى اللفظ . ثم ان الأمير يقول ان طبعة مجربط من هذا الكتاب بالعربية والاسبانية مشحونة بالاغلاط المطبعية وهو ادرى بذلك لاني انا لم أطلع على النسخة المطبوعة وانما قرأت المخطوط ونقلته عنه ؛ لكن بلغني ان من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة لندن ونسخة أخرى خطية في المكتبة الوطنية في باريس ونسخة أخرى خطية في مكتبة الاسكور يال .

وسمعت ان من هذا الكتاب مخطوطاً رابعاً وهذا السماع عن الاستاذ المستشرق هس مدرس الألسن الشرقية في جامعة زوريخ واحد اعضاء مجمعنا العلمي . ولعل هذا المخطوط الرابع هو الذي اطلعت عليه انا في خزانة اكاديمية التاريخ في مجربط . ويقول الاستاذ هس ان ترجمة هذا الكتاب الى الافرنسية مشحونة غلطاً لان المترجم كان ضعيفاً في العربية .

وبقول الأخ الأمير انه مما يلفت النظر ان بعض الذين نقل عنهم ابن العوام كأبي عبد الله ابن الفصال الاندلسي كانوا يستعملون اسماء الاشهر الافرنجية وهي ينساير وفبراير الخ . قلت ان هذا الاستعمال كان عاماً في الاندلس والمغرب ولا يزال الى يوم الناس هذا فجميع إخواننا المغاربة من السوس الافصي الى طرابلس يستعملون اسماء الاشهر الافرنجية

وكذلك إخواننا المصريون ، ولم يكن هذا اصطلاحاً جديداً نقلوه عن الاوربيين بل هو اصطلاح قديم عندهم باقٍ من القرون الوسطى وليس من يؤرخ بالاشهر السريانية غيرنا نحن الشاميين ومن الينا . وانا على رأي الاخ الشهابي في وجوب وضع اسماء الاشهر الافرنجية بجانب السريانية بين قوسين . ولقد أورد الاخ كثيراً من الالفاظ التي جاءت في كتاب ابن العوام وفسرها وقابلها بامثالها من مصطلحات اهل بلادنا في معناها ووضع بجانبها ترجمتها بالفرنسية وأورد ايضاً لغوية زراعية معاً دأبت على ضلأته في كل من الفنين اللغة والزراعة .

لوزان :  
شكيب أرسلان  
عضو المجمع العلمي

—\*—

### حول الاكليل

استفهم العلامة الا.يرشكيب<sup>(١)</sup> عن تاريخ الاكليل العديم المثال بعد ان بشرنا بان لديه منه جزءين . وقد علمت وانا بحضرموت سنة ١٣٤٦ هـ ان منه نسخة في خزانة السهد العلامة المرحوم الحبيب احمد بن حسن العطاس العلوي ، فكتبت لحفيده السهد محمد بن سالم بن احمد العطاس فأجابني بكتاب مؤرخ ١٥ رجب سنة ١٣٤٦ هـ بانه لا يوجد في الخزانة غير جزء واحد . وما اخبرني به هذا السهد ايضاً انه يوجد بخزانة جده تاريخ يوسف بن احمد الازدي ، و يوسف هذا معاصر لسهدنا الامام المهاجر احمد بن عيسى . وكتاب مصباح الظلام فيمن بحضرموت من العرب وخالطهم من الاعجام للعالمي . وعجائب الزمن في اخبار حضرموت وصنعاء واليمن لابن مطروح الصنعائي . وتاريخ بن عقبة وديوانه . وتاريخ الملوك حمير . وهو غير التيجان المطبوع بالهند سنة ١٣٤٧ هـ . وقد اخبرني الوالد العلامة المحقق زعيم الرابطة العلوية السهد علوي بن طاهر الحداد انه يوجد

(١) كان استفهام الامير في مقال نشره في العدد ٢٨٧ من جريدة (حضرموت) .

في مكتبة الحبيب احمد بن حسن العطاس نسخة خطية من هذا الكتاب ، وما يوجد فيها ايضاً تاريخ ابي حسان . وتاريخ عدن وتاريخ بانخرومه كاملاً .

وفي كتاب لي من سيدي العلامة المحقق الوالد محمد بن عقيل بن يحيى العلوي بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٣٤٩ من عدن ان في خزائنه الخاصة يوجد الجزء الاول من الاكليل وتاريخ زبيد وذيله والشرجي والخزرجي وعنده نسخة من تاريخ ملوك حمير وحجمها ثقباً من نحو ٢٠ - ١٥ سنينتهز ونقع في نحو ٤٠٠ صفحة ولكن الخط ضعيف ، وعنده نسخة من مقامات السيد باعبود وهي بحجم ملوك حمير . وقد تفضل عليّ سيادة الوالد محمد بن عقيل بهذين الكتابين الاخيرين في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٥ عند عودتي الى الوطن ومروري بالكليل لا طالعها غير اني لم اتمكن من المطالعة لمرض المّ لي ولسفري الى الشحر وقد أجز سيدي الوالد محمد بن عقيل كاتباً لينقل تاريخ ملوك حمير للعلامة المرحوم احمد تيمور باشا . و يوجد عند سيدي الاستاذ الوالد المحقق علوي بن طاهر الحداد جزء من كتاب الاكليل وعلى ما أنذكر انه الجزء السادس وقد استعاره منه الوزير المرحوم السيد حسين ابن حامد المحضار العلوي .

ثم انني أؤيد (حضرموت) فيما اقترحت على عطوفة الامير من نشر الجزءين من الاكليل والتعليق عليهما المتضاعف حسناً هذا الأمير الجليل .

صولو (جاوه) : علي باعبود العلوي



## الالفاظ التركية

« في لهجة الدماشقة العامية »

أتانا مع البريد كتاشة من المقالات المفيدة أصدرتها شعبة المستعربين في المعهد العلمي الفرنسي بدمشق عن سنة ١٩٢٩ فلفت نظري فيها مقالة للاستاذ سوسي E. Saussey عنوانها « الألفاظ التركية في لهجة الدماشقة العامية » أجاد فيها المؤلف كل الاجادة وغلط في بعض الألفاظ على ما أعنقد كما سها عن ذكر الالفاظ تركية مهمة يستعملها الدماشقة اليوم .

فما غلط فيه :

اولاً الالفاظ عربية امعربة موجودة في الأسماء من المعاجم العربية ما برحت شائعة على الألسنة وفي بطون الكتب القديمة والحديثة ولا يجوز الظن باننا اقتبسناها من الأتراك العثمانيين او سبناها حتى أتوا فنبهونا اليها مثل عرصة وبكرة والبيع والشراء وبنديق ودبوس وامضاء وفانوس وجورب ومعدن ومبرجم واميري وقرميد وقنبيط ( وكذا قرنبيط ) وقسط وصراحية وسروال وغيرها .

ثانياً الالفاظ أعجمية ( وخاصة ايطالية ) يرجح لأ سباب شتى ان العرب ( ومنهم الدمشقيون ) اقتبسوها عن الفرنج مباشرة قديماً او حديثاً وليس للترك فضل في تعريف العرب بها مثل : بالة ، بطاطا ، بيرا ، بوصلة ، برنقال ، بورصة ، دامة ، فاصوليا ، فانورة ، غارصون ، كستنا ( وقسطل وشاه بلوط ) غاز ، كدش ، مانيفاتورة ، قبطان ، قرصان ، شوال ( وجوالق ) ، ليرا ، معكرونة الخ .

ثالثاً الالفاظ لم نسمع بها ولا يستعملها سكان الشام اليوم الا اذا تكلموا بالتركية مثل يمش وقونش ( من قونشتمق ) ، گل ( من گلتمك ) ومرايعجي ( لأنهم يقولون مرايع ) ونا كردي ( لا كردي ) .

رابعاً الالفاظ غلط في تفسير معانيها مثل : « ديوتك بريسي » فمعناها ديوت ما لارأس الديوثين كما ذهب اليه ( ديوتلك اك بريسي ) . والدماشقة يستعملون هذا اللفظ للمعني الاول دون غيره .

ومثل الفئة فهي من التي بمعنى الخراج والغنيمة أو من الفئة بمعنى النوع لا كما ذهب إليه .

خامساً الفاظ لم يستعملها الترك إلا قبل الحرب العامة مثل كاتب العدل للنوثير .  
فهي قد وردت في القرآن وكان الترك يسمون كاتب العدل محرر مقاولات .

ومن الألفاظ التركية ( أو الفارسية المقتبسة عن الأتراك ) التي يستعملها الدمشقية ولم يذكرها صاحب المقالة . خوش بوش و طنبرجي و ذرين ( من درآن ) و دز كين ( ديز كين اي المقود ) وهو يدوشن ( من دوشمنك ) و حجر مشخن ( من شش خانه ) و دربين ( منظر و مدنية ) و ضاين ( من ضاينق ) و آش ( من آشمنق ) و بجايج ( من بجايش ) و پيشروش ( من پيشروش ) و داكش ( من دكشمك ) و شو باصي ( تصحيف صوباشي ) .

والخلاصة انه ليس من الغريب ان يترك الأتراك هذا العدد من الألفاظ في اللغة العامية الدمشقية بعد ان حكموا الشام بضعة قرون ، على ان هذه الكلمات زال استعمال كثير منها بعد تقلص حكمهم عن هذه البلاد . والباقي على وشك الزوال . ومع هذا لو حسب الكاتب الفاضل في قائمته حساباً مضبوطاً لعدد الألفاظ العربية الأصل والألفاظ الأعجمية غير التركية لوجد ان الكلمات التركية الخالصة فيها عدد قليل لا كبير كما ذهب إليه . ولا أحد يجادل ان الترك لو جرّدوا لغتهم من الكلمات الفارسية والفرنجية وخاصة العربية فان ما بقي لديهم من الألفاظ لا يعبّر عن معان مهمة .

مصطفى الشهابي

## مطبوعات حديثة

— « —

### الاصول العربية لتاريخ سورية

« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها وضبط قراءتها ووضع فهرسها الدكتور اسد رستم

المجلد الثاني ص ١٧٠

هذا هو الجزء الثاني من الوثائق التاريخية التي اخذ السيد رستم على نفسه نشرها .  
ويحتوي هذا الجزء على الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٨ هـ ٣١ أيار سنة ١٨٣٢ — ٢١  
أيار سنة ١٨٣٣ م نشرها بحرف فها ولكنه هيأها بالطبع الجيد بحيث تروق مطالعتها  
المفيدة للباحث في تاريخ هذه الحقبة كما هي مفيدة في تصور أسلوب الكتابة العربية في  
ذاك العهد .  
م - ك

— — —

### مختارات بعض زعماء البلاغة العربية المصرية

« الملحق الثاني تأليف السيد طاهر الخميري والاستاذ السيد كامپفايرالاماني »

« ص ٤١ ومثلها بالامانية »

هذا مختصر فيه كلام على بعض رجال الادب في مصر كطه حسين ومنصور فهمي  
وعباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل وابراهيم عبد القادر المازني وماري زيادة .  
وعد المؤلف من جملة أدباء العصر الشاعر ايليا ابوماضي وجبران خليل جبران . نشرت  
نمذجات من ادب الموما اليهم بالعربية وجعلت التعليقات والفوائد بالامانية . وقد قدم  
الناشر الاستاذ كامپفاير مقدمة لهذا الكتاب قال فيها : « فان مجد الشرق ان يقام في



المستقبل على الجديد أو القديم وإنما على أساس الجيد من الجديد مقترناً بالجيد من القديم وما من جيد إلا مانع الأمة وطابق الفطرة التي جبلت عليها . . . ليزداد الغرب علماً بحضارة الشرق تلك الحضارة التي ليست أقل من حضارة الغرب وإن اختلفت عنها .

م . ك

— — —

## كتاب نظام الحكومة النبوية

« المسمى بالتراتب الادارية »

— جزؤه الثاني —

مؤلف هذا الكتاب ( سيدي عبد الحى الكتاني ) عضو مجمعنا العلمي من علماء المغرب الافصى . وقد كان منذ ثلاث سنوات أصدر الجزء الاول من هذا الكتاب مسمى باسم « التراتيب الادارية . والمعاملات والصناعات والمتاجر . والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية . في المدينة المنورة العلية » هكذا سمى المؤلف كتابه في الجزء الاول ثم بدله فأضاف اليه في الجزء الثاني قوله : ( نظام الحكومة النبوية ) . ومن عنوانه عرف القاري غرض المؤلف من تصنيفه : فهو يسوق لنا من نصوص السنة وأخبار السلف ما يفيدنا في إصلاح الدنيا وإدارة الملك وسياسة الرعية وكل ما تقوم به الحضارة : من زراعة وصناعة وتجارة — كل ذلك وجد له المؤلف آثاراً في السنة النبوية وأعمال الصحابة . فموضوع الكتاب إذن مادة يستمد منها ويستند اليها العاملون في وضع النظم والقوانين اللازمة للبلاد الاسلامية .

وقد جعل المؤلف كتابه هذا متمماً لكتاب ( ابي الحسن الخزازي ) التلمساني ( المتوفى سنة ٧٨٩ هـ ) فهو يذكر ما قاله الخزازي مما جاء في السنة المحمدية من الموضوعات العمرانية ثم يفتي عليه بما تناولته اطلاعه الجمة . وأحاط به عمله الواسع . وقد كان يبحث في الجزء الاول عن أعمال الحكومة : ما بين إدارية وكتابية وحرية وجنائية — وجاء بكتابه الثاني

فضمنه مباحث الحرف والصناعات حتى الرفص والغناء والطبخ ولعب الصبيان بالطيور الخ ثم ذكر النصوص التي لها علاقة بالعلم والتعليم . ووصف ما كان عليه الصحابة من استجماع الفضائل العلمية شارحاً اختصاص كل منهم بنوع العلم الذي امتاز به عن غيره . وهذا الجزء في ٤٨٠ صفحة من القطع الوسط . عدد النحو ٦٥ صفحة ملئت نقار يظ بي في مدح الكتاب وتماجيد في منافع مؤلفه .

ومن مزايا هذا التأليف بل كل تأليف أشرق علينا من المغرب ان نعثر فيه على نقول تاريخية ودينية اقتبسها هؤلاء المؤلفون من مصنفات علماء بلادهم ( المغرب والاندلس ) مما لا عهد لنا بمثله في مصنفات علمائنا وأئمة مشرقنا .

اما المزية الخاصة بكتاب (الترانيب الادارية) فهو ان مؤلفه اذا خاض بحثاً من مختلف المباحث الاسلامية تراء بنقتهى المصادر والاسفار التي كتبت في هذا البحث : من قديم وحديث وبنفضها نفصاً فلا يدع شيئاً يضيع عليه من نثارها .

غير اننا نأسف لما وقع في هذا الجزء من الاغلاط الكثيرة وكنا نتمنى لو نثره عنها . ولا سيما ما وقع منها في النصوص الدينية كحديث أم زرع . وقد ألحق طابع الكتاب به جدولاً للخطأ والصواب بلغ تسع صفحات بخط دقيق . ولا اظنه استوعب جميع ما في الجزء من الاغلاط .

والمسنف مجيد ايما إجادة في لمّ متفرق الموضوع وسرد النقول المختلفة للاستشهاد له . ونقصني آراء العلماء والموازنة بينها وتقديم ما يراه احق بالتقديم منها .

ونسمعه احياناً يستشهد بكلام ابن خلدون في (المقدمة) لكنه فلما يسلم له نظريته بل تراء يرجع عليها آراء الحشو بين ممن ليسوا من هذه المباحث التي كتب فيها ابن خلدون ولا قلامة ظفر .

ومعظم ما قرأته في هذا الجزء نصوص وآثار للسلف الصالح يسردها المؤلف . واقوال واختلافات رؤيت عنهم : فهو يلخصها او يرويها على علائقها . وقد بعلى عليها او يلحم بينها عبارات موجزة من عنده بظهر عليها مسحة من ضعف الأسلوب الانشائي من ذلك قوله في ص ٣٦٣ .

« المقصد الثاني في محازره اصحابه عليه السلام من السبقيات . وما تميز به افرادهم

من علو المدارك والكيفيات . مما يعرفك ان المدينة المنورة كانت في الزمن الاول مجموعة مهولة بصنوف واختلاف الأعمال والأفكار والصفات . والأشغال الحياتية التي لا بد منها في كل بلد مصر . واتخذت عاصمة لمدينة عظمى سادت على العالم في اقرب وقت . وما وصل اليه ذلك العصر الزاهر . والمصر الطاهر . من الاختلاط والاختلاف في الأحوال . والاتفاق في الآمال . وانه من اندر ما حفظه التاريخ عن الاجيال والدهور » اه .

على ان ماتخلل هذا الجزء من كلام المؤلف قابل جداً كما قلنا آتفاً فيكون الكتاب بهذا الاعتبار فهرستاً عاماً لما ورد في السنة المطهرة من النصوص المتعلقة بموضوع الحضارة والاجتماع والسياسة والعلم والتعليم والصناعات الخ .

وقد لمحنا ان إخواننا المغاربة ما زالوا على الشنشنة الشرقية القديمة من حيث التهمويل في سرد الالقاب والاعتداد بالضخم الرنان منها يظهر ذلك من التقارب الكثرة في آخر هذا الجزء ومما سطره ناشره على غلافه .

وباليت إخواننا المغاربة يخففون من هذه اللهجة كما فعل إخوانهم المشارقة . وليدعوا الأعمال تشهد لقاعها . والآثار لتطق بفضل قائلها .

ولعمري ان مطالعة هذا الجزء من كتاب ( الترانيب الإدارية ) تركت في نفسي أثر إكبار للفوائد التي تلتقط من جوانب كتابه - أمثل وأكمل من الاثر . الذي تركه لقب الشيخ الأكبر . والكبريت الأحمر .

« المغربي »



## هدايا كتب

أهدي البنا كتاب ( يوبيل لسان الحال ) الذهبي وهو يتضمن ما قاله المخفلون في بيروت بذكري مرور خمسين سنة على جريدة ( لسان الحال ) التي هي من أقدم صحف بيروت السياسية .

— ورواية ( من عراقي الى زغلول ) وهي رواية اجتماعية تضمنت أبلغ دروس في الوطنية من تصنيف السيد نقولا حداد احد صاحبي مجلة ( السيدات والرجال ) .  
— وكتاب ( الحصاد الاول ) وهو يتضمن احدى وثلاثين قصة عراقية وضعها السيد انور شاول من أدباء بغداد .

— ورواية ( اليهودي شيلوخ وأفاصبص أخرى ) تعربب السيد سامي شمة وقد افلحت بمقدمة من قلم السيد كامل عباد . عنيت بنشرها مكتبة عرفة بدمشق .  
— وكتاب ( مع الحقيقة ) وهو يبحث في تطبيق الفروع والمظاهر على الاصل بقلم السيد نجيب شعبا . وقد طبع بالمطبعة التجارية بمصر . والكتاب مقدم الى ( فرانس ) إقراراً بحميلها .  
« المغربي »



## النقد التاريخي

« وعروبة آل معروف »

—\*—

نقل المؤرخ الاستاذ فيليب حتي في كتابه عن الدروز جميع ما خلط الخاطون من افرنج وغيرهم في اصل هذه الفرقة وجرى هو نفسه مجرى بعض مؤرخي الافرنج ولم يردّ تعليقاتهم الكثيرة التي لا تزيدنا كثرتها الا فراغاً والتي سمعها الكبرى وعلاقتها الفارقة ان يجتهد المؤرخ بكل قدرته في الايتيان برأي طريف لم يكن موجوداً والاطلال على عالم العلم بنظرية جديدة غير مسبوقة .

ولعمري حسن جداً ان بدق المؤرخ في كل رأي يطلع عليه وان لا يقبله بالغاماً بلغ من الشهرة الا بعد تخصيص نظمتن به نفسه وتحقيق يصل به الى برد اليقين . ولكن فبيج جداً ومضرباً بالعلم جداً ومغترراً بالمتعلمين ان تدور جميع اجتهادات الباحث حول نقطة الايتيان بيدع والسبق الى رأي لم يقل به احد او نقوبة رأي ضعيف .

مخالف لشروط العلم على الاطلاق ان ينعمد الباحث المستطلع مخالفة الرأي المشهور لانه مشهور ومحاولة كسب الشهرة باحداث رأي جديد يقوم مقام القديم . قد نغم هذه الامور موقع القبول في الازياء والألبسة والمساكن والمطاعم والمشارب وغيرها من ضرور المعيشة وثرناح الانفس الى التغيير وتلذذ بالمعاقبة والمداولة وتمل من الشكل الواحد بدون انقطاع وتسأم الذوق الواحد بلا تنوع ولا تصرف وكل هذا معقول ومقبول وطبيعي وبشري ولكنه لا يجوز في الحقائق العلمية . حقيقة من الحقائق التاريخية مثلاً تكون مقررة على وجه من الوجوه بعد استيفاء شرائط البحث فيها وانطباقها على المتواتر بين الناس والمنقول من الخلف عن السلف والمأثور في الكتب المعهود باصحابها الاطلاع وتأيدتها بالقرائن القوية

كالسحر والاخلاق والعادات والمذاهب والمشارب ونأتي فننعمد نقضها نعداً او نحاول ان ننقصها من أطرافها تحكماً لمجرد ملئنا من نواتر القول بها وتبرمنا بتوالي الخلق على نقلها او لاجل الانصاف بسلامة الاختراع واحراز شهرة الابتداع . هذا خلق لا يجوز في العلماء ولا يحسن ان يفشو في دوائر العلم . فالاختراع جميل في الطبيعيا والكيميا والعلوم المادية . والتسابق في ميدان التغيير والتنويع والتنافس في الايتان بالشيء الذي لم يعمده الناس من قبل كل هذا لذيد ومفيد وقد يكون ضرورياً لاجل المجتمع الانساني . ولكن اختراع الآراء التاريخية حياً بجدة الآراء والبحث عن خبر جديد نأتي به ولو لم يركب في عقل ولا نقل ونؤبده ولو كان متداعياً بمجرد الجمع كل هذا ولوعاً منا بالأطراف والابتداع هذا جنابة على العلم . ولست أقصد بهذا الوصف كتاب الاستاذ حتي الذي ليس له فيه شيء من هذه الآماد البعيدة في حب الطرافة . وانما أقصد بعض الشرقيين الذين أولعوا بهذا المشرب السقيم زاعمين انه منزع تحقيق سار عليه علماء الافرنج وانهم انما يقلدونهم فيه . وانا أحذر الدكتور حتي من ان يسلك هذا الشعب التحقيق الذي يجلب عن مثله . فمنزع التحقيق هو منزع التحقيق وافق الرأي القديم ام خالفه لا يبالي بما يجيء في طريقه . وانما الذي نحذر الناس من التهاوت عليه هو منزع الاغراب حياً بالشهرة وتعداً لمخالفة الجمهور وجعل «التحقيق» مرادفاً «للاغراب» والحال انه ليس التحقيق اغراباً ولا الاغراب تحقيقاً . فان الاغراب هو ان يأتي الانسان باصر غريب قد يكون صحيحاً في نفسه وقد يكون خطأ او كذباً . وان التحقيق هو ان ينصح الانسان جهده طاقته وينتهي في البحث الى الغاية فاما ان يصل الى تأييد ما كان مقرراً سابقاً واما ان يصل الى نقضه واما ان لا نطمئن نفسه الى القديم ولكنه لا يجد من الأدلة ما يكفي لهدمه فينتسار الوقوف . وليس الوقوف بعيب اذا لم تتوفر الأدلة ولم تُفد القطع وانما العيب هو القول بلا علم والجزم بدون جازم والعجوم بدون سلاح .

واما ان الافرنج اجمالاً يحبون هذا المشرب الشاذ فليس بصحيح . فالافرنج كالشرقيين فيهم المحقق المحص الذي اذا استوفى البحث شروط الصحة جديداً كان الحق ام قديماً اخذ به وعول عليه . وفيهم المولع بالابتداع والأطراف ولو كان ابتداعه وامياً وإطرافه سخيفاً . ولقد اتسمت مدنيتهم وتشعبت ثقافتهم الى حد ان كثرت عندهم الغرائب وفشا



السذوذ وملوا النظريات القديمة بصرف النظر عن صحتها وعدم صحتها . ولكن العلماء  
الحققةين منهم لا يزالون يميزون بين الصحيح والفاسد من المباحث وإذا جاء مؤلف أو مؤلفون  
فكتبوا ما ينبغي وجود المسيح مثلاً لم يتلقوا أدلتهم بالتسليم لمجرد أنهم أنوا بأدلة وفرائض  
واماثر واشارات تجعل لهذا القول وجهاً ، بل وازنوا بينها وبين الأدلة والقرائن والنصوص  
الواردة على محيى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فوجدوا أدلة الايجاب أمتن جداً من  
أدلة النفي وحكموا بان محيى المسيح حقيقة وعلموا انه اذا كان الحكم للمرجوح على الراجح  
بطلن التاريخ وارفع العلم من الارض .

فأما ما يكثُر فيه خلط الافرنج الى الحدة الذي لا يتصوره العقل احياناً وما يبلغون  
منه الدرجة التي تضحك وقد تبكي وقد تثير الغضب ومن اي الجهات جاءها الانسان  
وجدها مصيبة من المصائب — فهو كلام الافرنج عن الشرقيين : ولا اقول اني قرأت كل  
ما كتب الاوربيون عن الشرق والشرقيين وأحطت بهذه المسألة علماً ولا احد يقدر ان  
يدعي هذه الإحاطة .

ولكنني قرأت بدون شك في هذا الباب ما يندر ان يكون تيسر مثله لغيري وصار لي  
الحق في ان أدلي برأيي في هذه المسألة . فأقول ان خلط الغربيين في كلامهم عن الشرقيين  
زائد جداً ويكاد يكون عاماً لمؤلفيهم الى انه صار الاسترسال الى أقوالهم في احوال الشرق  
والشرقيين عبثاً . ولقائل ان يقول : اني أراك مبالغاً او جائراً في الحكم أفهؤلاء العلماء  
المنقبون الذين فتحوا مغلفات الألسن الشرقية القديمة وحاولوا طلسمات الآثار العتيقة التي  
كان الشرقيون لا يعرفون منها شيئاً وأفاضوا أذعة تحقيقاتهم على التاريخ القديم سواء  
عن مصر او عن فلسطين او عن فينيقية او عن جزيرة العرب او عن بابل ونيينوى الى غير  
ذلك حتى جلوا منه تلك الصفحات التي لم يكن شرقي يعرفها من قبلهم — تعدثم انت من  
اخللاطين الذين لا يؤخذ بكلامهم ولا يوثق بسبيل أقلامهم ! فأجيب على ذلك : حاشا  
ان أقصد ذلك فيما يتعلق بالتواريخ القديمة والخطوط اليدوية والمسمارية والآثار الحفرية  
التي صارت فناً من الفنون اتقنه الافرنج وكشفوا به مخبآت عظيمة واضاءوا به ظلمات من  
التاريخ الشرقي لاشبهه فيها . ولكنني أقصد ذلك فيما يتعلق بتواريخنا المصرية واحوالنا  
الاجتماعية وما نعرفه نحن جيداً ونقدر ان نميز به الصحيح من الفاسد وما هو واقع تحت

حواسنا او متواتر خبره عندنا . ففي هذه الامور نجد خلط المؤلفين الاوربيين ببحراً عباباً وعجائباً عجائباً ونجد المعصوم منهم أقلهم خلطاً وأندرهم غبطاً . ولعلمهم يخطون ايضاً في مباحثهم عن اللغات والخطوط الشرقية القديمة ويخطئون في نتائج تنقيباتهم عن الآثار الحفرية الاركيولوجية في كثير من الامور الا اننا في هذه قل من يقدر منا ان يمازهم الحبل وبقنهم يخطأهم لانها علو قديمة عادية دهرية استوى أمامها الشرقي والغربي وصارت بعيدة عن الجميع لأنها في ظلمات القدم فلم يزد الشرقي بها علماً كون تلك الآثار هي في بلاده اذ كانت نسبتها من آلاف من السنين قد انقطعت وعلاقتها بالحاضر كادت تكون معدومة . فعار الاوربيون اعرف بها من الشرقيين ولو كان هؤلاء جيرانها لان مدنيتهم صارت ارفع من مدينة الشرقيين . ولما كانت المدنية تقضي البحث والاستطلاع كانوا هم اجد وانهمض للبحث وارغب في التقيب واملك لوسائله . فعلى كل حال اصبحنا لا نقدر ان نجاريهم في هذا المضمار وان وجد منا من يعرف هذه العلوم فيكون قد اخذها عنهم وتخرج فيها عليهم .

ولكن ليس الشأن كذلك في التاريخ الاسلامي مثلاً لاننا نملك من وسائل معرفته نواتراً ونقلاً وخطوطاً ونقوشاً وآثاراً مالا نحتاج فيه انهم بل ما لا يملكونه هم ثم لاننا عاثون في ثمنه مندبحون في ضمنه نقدر ان نفهم منه مالا يفهمه الغرباء عنا مهما اجتهدوا في فهم تاريخنا . وليس الشأن كذلك في امورنا الاجتماعية وخططنا الجغرافية واحوالنا الاحصائية التي نحن بها ادرى من الغرب لاننا بشاهدنا كل يوم ونعرف منها مالا يعرفه الاوربي وان علا كعبه في العلم . فاذا ضل الاوربي في ظلمات تاريخ الشرق القديم فلا نحن ان نرده الى الصواب كما اذا ضل في تاريخ الحقب التي بعد الاسلام او اذا اخطأ في اوصاف الحالات التي نحن عليها الآن .

ففي هذه نحن نملك من اسباب العلم ما يحصل لنا به برد اليقين ونقدر ان نبين الحق من الباطل ونفرق بين الحالي والعاطل . ومن جراء هذا نقضي العجب العجيب من شطط اكثر الاوربيين الذين يتكلمون عنا ومن تعسفهم الطرق ومن بنائهم على التخيلات والتخرصات ومن تعلقهم باسباب واهية يخرجون منها الى إطلاقات عجيبة غريبة ومن أخذهم بمقدمات غير ثابتة ومن افضائهم منها الى نتائج فظيعة . وقد ثبت لنا بهذا ان الراقي

في العلم لا يمكنه ان يكون راقياً في كل علم وان الاعتقاد باحاطته ضرب من الجنون .  
ويجوز ان يكون الاوربي اليوم في ثقافته ارقى من الشرقي على وجه الاجمال لكن  
هذا لا يستلزم ان يكون أعلم من الشرقي في كل شيء ولا ان يكون أعلم من الشرقي بنفسه .  
ومن هنا جاء خطأ بعض الشرقيين العظيم في نقديس معارف الغربي في كل شيء وتلقي  
كل ما يحكم به قضايا مسلمة حتى فيها هو نفسه لا يدعي فيه العصمة وحتى فيها هو نفسه يدعو  
الناس الى ان يصححوا كلامه . فتجدهم يكابرون انفسهم فيها هو واقع تحت حواسهم نظراً  
لكون احد مؤلفي الافرنجة قال خلاف ذلك .

وبعد هذه المقدمة أقول ان كثيرين من كتاب الافرنج هم منشئون او ممن تسهل  
عليهم الكتابة في موضوع اجتماعي اوسياسي او في رحلة الى بلد من البلدان بصف بها  
الافرنجي دأراه وما ارتسم في مخيلته . ولكن ليس كل كاتب منهم عالماً ولا محققاً ولا متخصصاً  
في الفن الذي يكتب فيه . والحال اننا نحن الشرقيين قد تلقينا كل افرنجي تقريباً عالماً  
وصرنا نستشهد باقواله . ثم تلقينا كل عالم منهم متخصصاً حتى لو كان مقتصرأ على مجرد  
المشاركة في الفن الذي استشهدنا فيه بكلامه . ثم تلقينا كل متخصص منهم معصوماً وفلذا  
لا سمح السجود . فهذا كله عبث وغير لائق بالعالم بل ضلال واضلال لا يغفران . فالناس  
يجب ان ينظروا الى القول لا الى القائل ، وماذا يعني القائل اذا كان افرنجياً وانا أرى  
خبثته بعيني وأمس خطئه بيدي ؟ أأجمل كل كاتب من الافرنج عالماً وكل عالم عبارة  
عن انسيكلوبيديا وسعت كل شيء علماً وكل انسيكلوبيديا معصومة من الخطأ نزيلاً من  
حكيم حميد ؟ لقد قرأنا الانسيكلوبيديا الاسلامية - التي لم نتم - ووجدناها من أنفع  
الكتب وهي محررة باقلام نخبة من المستشرقين الذين هم أعرف الافرنج بأور الشرق  
والعالم الاسلامي لكننا عندما عرجنا فيها على الموضوعات التي تقدر ان تفرق فيها بين  
الحق والباطل رأينا فيها خطأ كثيراً .

واذا جئنا نستشهد على خطايهم في الكلام علينا وعلى الشرق أجمع حفيت الأفلام  
وضافت بالشواهد الأجلاد الضخام . ولا يسلم من هذا العثار في امور الشرق احد من  
مؤلفيهم ولو بلغ من العلم ارفع الدرجات . وقد يقال لي : أقترى الشرقيين في امور الشرق  
أسد منهم رأياً وأصح معلومات ؟ فأجواب :



أولاً ان غلط الشرقي سهل تداركه لانك بمجرد ما نقول للشرقي الفارسي ان فلاناً الشرقي المؤلف اخطأ في كذا تلقى كلامك بالقبول او بالميل الى القبول وذلك لانه متهاافت بطبيعته على تصديق ما يهوى من الخطأ الى ابن طنه او جلده . فأما اذا قلت له ان المؤلف الافرنجي فلاناً اخطأ لم يمكنك ان تقنعه بسهولة . وان كان الافرنجي المؤلف مشهوراً لم تجرّ الشرقي الى التسليم بخطئه لا بحبال ولا برجال . وما هذا الا لما وفر في صدور الشرقيين من نقديس علم الافرنج والمبالغة في تزيينهم عن الخطأ حتى في الامور التي نحن أدري منهم بها فعلاً . ونقول ثانياً ان الشرقيين في تاريخ الشرق بعد الاسلام أدري وزكن من الغربيين بلا نزاع .

كثير من المؤلفين الاوربيين اذا عثر على حادثة واحدة جرّد منها قاعدة ! فاذا اتسق له العثور على حادثين او ثلاث ظن انه اختزن الحقائق كلها في جيبه . والحال ان الجزئيات لا بد من ان تبلغ عدداً لا يكاد يحصى حتى تجرّد منها قاعدة كلية . فاذا تسارت الجزئيات في السلب والايجاب لم يمكن تجريد قاعدة كلية منها وتحتّم الوقوف حتى نهز الحقيقة بوجه من الوجوه اذ يكاد يكون من المستحيل خفاء الحقيقة الى الابد . وعلى كل حال الواقعة الواحدة والاثنان والثلاث لا يبنى عليها حكم ولا يستنبط منها من العلم الا بقدرها . وهذا ما لا يريد الافرنجي ان يفهمه اذا خاض في معامع البحث عن الشرق . فهو كما وقع على حدث حاول ان يستخرج وان يستنتج وسبح في بحر الخيال . وصل الى نتائج ما أنزل الله بها من سلطان .

وعند الاولاد لعبة يسمونها « الغمّة قضاء » يعصبون عيني احدهم ويتخبّأون كل واحد في زاوية وبدور هو والعصابة على عينيه فيبحث عنهم بيده ويتلمّس من هنا ومن هناك حتى يعثر على احدهم . وكثيراً ما نقيم يده على حجر او شجر او متاع من الامتعة او حيوان مربوط فيظن انه امسك واحداً من رفاقه المتخبئين ويهتف صائحاً : هوذا انا قد امسكتك ! ولا يكون امسك احداً . وهذا النفر من الافرنج يبحث عن قضية لا تتجلى له فاذا لاحت له لائحة معها كانت ضعيفة ظن انه قبض على مفتاح السرف فيها وهتف : قد انكشف لي المغلق . او كما رأى شعباً من الشعوب اعتقد انه هو الطريق المؤدية الى المقصد وصاح : هذه هي المسجّة !

وكم مؤلف منهم ببني تاريخاً طويلاً عريضاً على لفظه . وقد تكون محرفة او مصحفة او مصادفة . فهل ببني العاقل تاريخاً على مجرد كلمة ؟ يأتي افرنجبي فيقول مثلاً ان الدروز هم من بقايا الصليبيين وان اسمهم مشتق من اسم الكونت «درو» Dreux الذي كان من غزاة الصليبيين ونحن نقشر هذه السخافة ونرفع هذا الرأي الى درجة الآراء ولا نبالي باضاعة وقت الناس في افرائهم سخافات كهذه . . . . . وباليست شعري ماذا وجد في الدروز مما يشبه الافرنج الصليبيين أسمخهم م الوانهم ام تركيب رؤوسهم ام اخلاقهم ام عاداتهم ام لفظهم بالعربي الفصيح الذي لا يساوهم فيه احد من جميع سكان سورية ؟ وكيف امكن ان يتحولوا هذا التحول العظيم من افرنج صليبيين الى عرب اتحاح ؟ ومتى وقع هذا التحول واين وأني وهل كان الدروز موضوعين في غلبة او في صندوق محكم الاقفال حتى تحولوا من افرنج الى عرب وهم بهذه السواحل الشامية وعرضة للفتيش والبحث والنظر ولم يشعر بذلك احد من سكان هذه السواحل لاسم مسلمين ولا من نصارى ولا من يهود . والدروز مع ذلك مختلطون بجميع هذه الطوائف ومساكنون لهم لا تقع عندهم صغيرة ولا كبيرة الا كان خبرها عند جيرانهم والمقيمين من هاتيك الطوائف بين اظهرهم . ومما لا مسربة فيه ان تحول قوم من الاقوام عن جنسيتهم ولغتهم وعاداتهم واخلاقهم واندماجهم في أمة أخرى يقتضي اوقاتاً وآماداً متطاولة ولا يحصل في زمن قصير فكيف جرى هذا الحادث العجيب الذي لا يتم الا في القرون بدون ان يشير اليه مؤرخو الاسلام ولا مؤرخو الافرنج انفسهم ولا مؤرخو الموارنة الذين هم اكثر الطوائف اللبنانية اختلاطاً بالدروز . فلا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولا ياقوت الحموي ولا ابوالفداء ولا ابن عساكر ولا الذهبي ولا ابوشامة صاحب الروضتين ولا ابن شداد ولا ابن العديم ولا ابن خلكان ولا ابن قاضي شهاب ولا العمري ولا شمس الدين ابن طولون ولا الصلاح الصفدي ولا النجم الغزي ولا شيخ الربوة ولا المحبي ولا احد ممن كتبوا عن سورية اشار الى حادث كهذا مع انهم تقبوا عما هو اصغر منها كثيراً . واغرب من هذا ان مؤرخي لبنان الذي فيه الدروز لم يشموا أدنى رائحة لامر كهذا فلا السمعاني ولا الحاقلائي ولا جبرائيل القلاعي ولا الدوبعي ولا ابن اسباط ولا صالح بن يحيى ولا الصفدي مؤرخ الامير فخر الدين بن معن ولا طنوس الشدياق ولا بطرس البستاني ولا غيرهم ذكر ان الدروز هم من بقايا الصليبيين او انهم

منسوبون الى الكونت دروا (١) .

فاذا كانت المشابهة في لفظة واحدة تجعلنا نقرب التاريخ رأساً على عقب : ونضرب صفحاً عن جميع تلك الأدلة المحسوسة فماذا أبقينا للعوام من الشرقيين والجهلاء من الحشوة الذين يقولون لك ان اسم حلب الشهباء اصله ان ابراهيم الخليل كانت له بقرة شهباء يحلبها ويجود بلبنها على الفقراء فيجتمعون عليه واذا حلبها قالوا : حلب الشهباء . فمن هنا جاء اسم حلب الشهباء ! او ان طبرية اصلها من ان ملكاً كان عنده ابنة اسمها «ريّا» وكانت عليلة فأرسلها تستحم في الماء السخن الذي على شاطئ بحيرة الجليل فنالت الشفاء فقالوا : طابت ريّا . ومن هناك جاء اسم طبرية ! او ان حاصبيا اصلها من ان فتاة رأت اباهم قد حار في امره فأخذت تعول وتقول : حاص أبنا . فصارت حاصبيا وهم جرّاء . ولم ينحصر هذا البناء على مجرد المشابهة في اللفظ في العوام وحدهم بل تجد منه عند الخواص ايضاً او عند من يصح ان يقال لهم «عوا الخواص» لان في الخواص عوام ايضاً .

ففي جبل لبنان يروون ان اسم «الشوف» مشتق من كلمة «شُف» فعل امر من «شاف» اي رأى بحسب لغة العامة . وذلك بزعمهم ان الجد الاعلى للامراء المعنبيين

(١) من عادي اني اذا عربت عن الافرنجية كلمة فيها eu كلفظة Dreux مثلاً أعربها بالواو وأضع فوق الواو الناء صغيرة لانها بالافرنجية واو مائلة الى الفتح . واذا كانت لفظة فيها u كلفظة Rhur مثلاً او Ziurich أعربها بالواو وأضع فوق هذه الواو ياء صغيرة لانها واو مشوبة بياء كما يعرف ذلك من بعلم اللغات الاوربية . وان كانت لفظة فيها واو شديدة الضم اي مكذا ou كما لو قلت Atnfou او Toulon مثلاً أكتبها هكذا «طولون» مع واو صغيرة فوق الواو . واما الواو التي في مثل Rome و Lausanne مثلاً فأعربها بالواو المعتادة هكذا «رومة» و «لوزان» وهذا التفريق بين الواوات الافرنجية مهم لانها اربعة أشكال كل منها يلفظه لافرنج بشكل خاص فواو طولون الاولى غير واو رومة . وواو لوزان غير واو مونثرو . وواو زوريخ غير واو مونثرو وغير واو لوزان . وعليه لزم ان يجعل لها فوارق في العربي حتى تلفظ بالعربي كما تلفظ بالافرنجي .



عندما قدم الى جبل لبنان يريد ان ينتجع منه محلاً لنزوله كانت الجهات التي تسمى اليوم بالشوف الحيطي والشوف السويحاني - واصلها الشويزاني - خراباً فجاء الامير المعني الى عبيه من ناحية غرب لبنان نزلاً على الامير النخعي واستشاره في المكان الذي يوافق نزوله فيه فيقال ان الامير النخعي صعد به الى الجبل الذي فوق عبيه الذي يقال له «المطير» والذي منه تظهر من الجهة الشرقية بعقلين ونواحيها ودأبه باصبعه قائلاً له «شُف» فصارت «شوف» .

وما أرى شيئاً من هذا وإنما ارى اللفظة آرامية او فينيقية معناها «الاجرد» لان جميع صرود لبنان يقال لها «الجرْد» بضم الجيم جمع أجرد . ويجوز ان تكون هكذا بالعربية ايضاً لان فعل «شاف» معناه بالعربي جلا وصقل و «الشَوْف» بفتح اوله هو الجلو والصقل وكله يتضمن معنى «الجرْد» بفتح اوله . فالجرْد في العربي هو فشر العود او نزع الشعر ومكان جرد لانيات فيه . وكذلك المكان الجرْد بفتح اوله وكسر ثانيه الذي لانيات فيه . وايضاً المكان الاجرد الذي لانيات فيه وجمعه «الجرْد» بضم اوله كما يلفظ به اهل كسروان والمثني والغرب والشوف جميعاً . والجرْد هو الذي يجلو آنية النحاس اي المعروف عند العامة «بالميتض» فأنت ترى ان الجرد والصقل والجلو كله بمعنى واحد ولذلك يكون «الشوف» بمعنى «الجرْد» واذا رأى الانسان من بعيد رؤوس تلك الجبال وأسنادها وجدها جرداء صلاء كأنها مجلوة . وهذا هو الاقرب في اصل هذه اللفظة . وفي الافرنسية لفظة Chauve «شوف» هي بهذا المعنى ايضاً اي أصلع .

ومن هذا الضرب ما يقولون في مدينة حماه عن محلة اسمها «الحاضر» فيها مساكن الاشرف بني الكيلاني . فيروون انه لما قدم جدهم من العراق مختاراً الإقامة بجماه أشار عليه ملك تلك البلدة بالنزول في المكان الذي يقال له «الحاضر» في الوقت الحاضر وقال له «هذا الحاضر» اي اسم فاعل من حضر ضد غاب . اي انزل بهذا المكان فهذا الذي يحضرنا الآن وفيما بعد تفكر . وهذا كلام عامي ، والاصح ان الحاضر كان من قديم الزمان محلة عامرة بجماه وهو اسم فاعل من الحضارة لا من الحضور . والحاضر في اللغة الحي العظيم . وقال الجوهرى : هو جمع كما يقال سافر للسماز وحاج للحجاج ومنه «كان بنام خارجاً عن حاضره وكان الحاضر اذا أتاهم الفزع صاحوا» .

وفي حلب حاضر ايضاً كما في حماه . ولكن حاضر حلب قد صار اليوم خراباً . واما حاضر حماه فقد قال فيه ياقوت الحموي : « وبظاهر السور حاضر كبير جداً فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهر المارون المعروف بالعاصي » الى ان يقول : « ويقال لهذا الحاضر السوق الاسفل لانه منقطع عن المدينة ويسمون المسور بالسوق الاعلى » .

ومن هذا القبيل تأويل عامي رأيت في « صبح الاعشى » مع فضل صاحبه وسعة اطلاعه ولكن علماءنا في الأغلب لا يخرجون عن دائرة العربية فشكل مغلق يفسرونه بها . وهذا التأويل الغريب في صبح الاعشى هو قوله ان لفظة « تركمان » اصلها « ترك ايمان » لان الترك تركوا دينهم القديم وأسلم منهم مائتا الف في يوم واحد . فجعل لفظة « ترك » من فعل « ترك » العربي وهو غريب جداً . وجعل لفظة « مان » محرفة عن « ايمان » وهو لا يقل عنه غرابة ولم يفكر في ان تلك الامة لها لغتها القديمة ولها الفاظها وان الفاظها لا تؤوّل بالعربية وان معنى « مان » Mann باللغات الآرية هو رجل وان هذا الاسم « تركمان » اي رجل تركي قد يكون اطلق عليهم في فارس ولا يوجد مزلة مدحاض في العلم اكثر من تشابه الالفاظ لانها تتشابه كثيراً بين لغات مختلفة وفي وسط اللغة الواحدة . فاذا أردنا ان نستخرج من تشابه كل لفظتين تاريخياً لم نعرف الى اية سخافة بعيدة يؤدي بنا ذلك .

وقد سمعت ان ادبياً تركياً نشر في الاستانة مقالة يزعم فيها ان التورانيين ياتراك كانوا من قديم الدهر في سورية وفي فينيقية واستدل على ذلك بلفظة « ارواد » اسم هذه الجزيرة التي هي قصد طرابلس . وقال : هذه محرفة عن « اروات » واروات محرفة عن « اورت » او « عورت » وهي « المرأة » بالتركي . ومن هنا تحقق ان هذه البلدان كانت تركية ! حقاً ان هذه من أعاجيب العصر . وهي لا تقل في الغرابة عن كون الدروز أصلهم من الافرنج الصليبيين بدليل انه وجد في الصليبيين من اسمه « درو » .

ومن أهم واجبات العالم ان لا يتهافت على الاخذ بادل دليل والحكم بموجبه فقد يضلّ ضلالاً بعيداً ويندم او يصبح سخرة ومضغة في الافواه . وهذا مما يقع فيه مؤلفو الافرنج كثيراً عندما يتكلمون عن العرب والشرقيين . وسترى انهم خلطوا بين نيوخ ونوخ من جراء اتحاد الاسم . وتابعهم في ذلك الاستاذ حتي . وظنوا جميعاً ان الامراء النيوخيين أمراء الدروز في لبنان هم من نوخ القبيلة المولفة من ثلاث قبائل التي يقال انها تحالفت

على انقام بمكان بالتسام ابو على «الننخ» وهو الافامة بالمكان فجاء من ذلك اسمها «ننوخ» وقد قيل فيها انها تزار وأسد وغطفان . وقيل بل هي الضجاعة ودوس الذين نذخوا بالبحرين . وذهب ابو الفداء الى انهم من جرم واسمه علاف بن زبن بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من العرب القحطانية . ونقل علي ظريف الاعظمي البغدادي في كتابه «تاريخ ملوك الحيرة» ان ننوخ فرع من قضاعة من القحطانيين هاجروا من اليمن مع من هاجر من البانيين بعد اتجار سد مأرب مما سموه سيل العرم وذلك في أوائل القرن الثاني للميلاد ونزلوا البحر بن وزعيمهم يومئذ مالك بن فهم بن نيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . قال : ولما نزل بنو قضاعة بالبحرين نزل معهم الأزد مهاجرين ايضاً وزعيمهم مالك بن فهم بن غانم والنفت حوهم القبائل البانية من بطون نمارة بن ظلم وغيرهم من بني قحطان . ووافق خروج هذه القبائل البانية خروج قبائل من ولد اسماعيل فرفتهم الحروب فلجأوا الى البحرين وانضموا الى البانيين . ولما اجتمعوا بالبحرين اتفق الزعيمان زعيم قضاعة وزعيم الأزد على التعاضد والتناصر وتحالفوا على ننوخ اي المقام فسموا ننوخاً من ذلك الحين الى آخر ما قال .

والحاصل ان مؤرخينا انفقوا على قصة «الننوخ» هذه مما يطول بنا استقصاء رواياته وانفقوا ايضاً على ان قضاعة من قبائل ننوخ هاجرت من البحرين الى العراق وذكروا ان مالك بن فهم زعيم قضاعة صار ملكاً على العراق وتسمت دولته بدولة آل ننوخ واستمرت نحو ١٣٠ سنة واستفحل شأنها كثيراً في زمن جذيمة بن مالك بن فهم الملقب بجذيمة الوضاح عدو الزباء ابنة عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي ملك الجزيرة ومشارف الشام . وانه بعد ان غدرت الزباء بجذيمة وقتلته اخذاً بثأر ابيها انتقل ملك الحيرة من آل ننوخ الى آل ظلم لان جذيمة لم يعقب ولداً فورثه في الملك ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وكانت لاعتقابه دولة من أعظم دول العرب اسمها دولة المناذرة . وعظمت الحيرة في زمانهم كثيراً . وقد انقرضت هذه الدولة بظهور الاسلام وفتح خالد بن الوليد للحيرة . وجملة ملوك الحيرة ٢٤ ملكاً منهم ثلاثة من الننوخيين وستة عشر من اللخميين وخمسة من الدخلاء الذين كان يوليهم الاكاسرة من وقت الى آخر في اثناء غضبهم على اللخميين ومدة الجميع ٤٩٤ سنة .

وقد ثبت انه بعد زوال ملك المناذرة هاجرت أنفاز من ننوخ و ظلم الى الشام واوطنت



الجهات الشمالية من سورية كالمجرة وفسرين واللاذقية وكان الغالب عليهم النصرانية . ثم أخذوا يدخلون في الاسلام . وجاء في «فتوح البلدان» للبلاذري وهو من أثق ما ألف في فتوحات الاسلام يروي عن ثقات حديثي العهد بالفتح ان ابا عبيدة بن الجراح بعد فراغه من ارض اليرموك سار الى حمص فاستقرها . ثم الى ففسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة ففسرين ثم لجأوا الى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ابو عبيدة على مثل صلح حمص وغلب المسلمون على ارضها وفراها وكان حاضر ففسرين (اي المدينة) لننوخ منذ اول ما تنحوا بالشام نزولهم وفي خيم الشعر ثم ابتدوا به المنازل . فدعاهم ابو عبيدة الى الاسلام فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليج بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . فحدثني بعض ولد يزيد بن حنين الطائي الانطاكي من أشياخهم ان جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة امير المؤمنين المهدي ( خلافة المهدي من ١٥٨ الى ١٦٩ ) فكتب على أيديهم بالخضرة ففسرين .

ثم ذكر البلاذري نقلاً عن هشام بن عمار الدمشقي عن يحيى بن حمزة عن ابي عبد العزيز عن عباد بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم ان هذا قال انهم رابطوا مدينة ففسرين مع السمط او قال شرحبيل بن السمط فلما فتحها أصاب فيها غنائم وبقراً فقسمها بينهم وجعل بقيتها في المغنم وكان حاضر طي قديماً نزولهم بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين ( أظنه يريد أجادسلى جبلي طي ) من نزل منهم وتفرق باقوهم في البلاد فلما ورد ابو عبيدة عليهم أسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية . ثم أسلموا بعد ذلك بيسير الا من شذ عن جماعتهم . وكان بقرب مدينة حلب ( وهذا الذي سبق لنا الكلام عليه ) حاضر يدعى حاضر حلب تجمع اصنافاً من العرب من ننوخ وغيرهم فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم انهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين وأعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ( مات الرشيد في ثالث جمادى الآخرة سنة ١٩٣ ) ومن ننوخ هؤلاء ابو العلاء المعري الضرير الفيلسوف الكبير والشاعر الشهير والمفكر المنقطع النظر وهو احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن انور بن اسلم بن ارقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

ومنهم أمراء اللاذقية ممدوحو ابي الطيب المنني . ومنهم مرارة وأعيان وعلماء  
وفقهاء لا يأخذهم الاحصاء في المشرق والمغرب وليس هنا موضع هذا البحث .  
واما الأمراء النخعيون الذين كانوا في بيروت وغرب لبنان فليستوا منهم . وانما اتحاد  
اسم نخع هو الذي غبى على الاستاذ حتي وعلى من اخذ عنهم من الافرنج حقيقة الامر .  
فالنخعيون اللبنانيون ليس لهم نسب الى نخع قضاء . وانما هم بحسب ما ينسبهم الناس  
وما ينسبون أنفسهم من نخع لا من نخع الذين كانوا نصارى وأسلمت منهم جماعات في عهد  
الخلفاء الراشدين ثم في عهد العباسيين . وصالح بن يحيى المؤرخ احدثهم الذي عاش في أواسط  
القرن التاسع للهجرة يسميهم « أمراء بني الغرب » نسبة الى الغرب المقاطعة التي كانوا  
يسكنونها من لبنان وهي مقاطعة الارسلاتيين أيضاً كانت مقسمة بين الفريقين . وما قيل لهم  
نخع الا نسبة لاحد اجدادهم نخع بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن  
سعد بن لحي بن تميم بن نعمان بن المنذر بن ماء السماء . وهي ماوية بنت عمرو لقبته بماء السماء  
لجمالها . والمنذر بن ماء السماء المذكور هو ابن امري القيس بن النعمان الاعور بن امري  
القيس المحرق بن عمرو بن امري القيس الاول بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن الحارث بن  
مالك بن غنم بن نمارة بن نخع بن عدي بن الحارث بن مرة بن اد بن زيد  
ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن  
قحطان . هكذا كما جاء في تاريخ صالح ابن يحيى ونقله عنه ابن سباط العاليحي ونقل عن هذا  
الامير حيدر الشهابي والشيخ طنوس الشدياق وغيرهم . واذا كان الاستاذ حتي لا يعلم  
بهذه النسبة الواردة في تاريخ صالح بن يحيى وغيره من تواريخ لبنان ولا يجدها دليلاً  
كافياً فليس لدينا دليل آخر يثبت عكسها ولا حجة على ان الأمراء النخعيين اللبنانيين هم من  
نخع قضاء . والتواريخ لا تبني على الظنون ولا على الخرص والحدس . وغاية ما يقال ان في  
تاريخ صالح بن يحيى أغلاطاً . وربما لم تكن هذه النسبة كلها ثابتة بالتسلسل الذي هي عليه  
فإن هذه السلاسل القديمة وان كانت متواترة فإنه قد نواتر الخلاف ايضاً في كثير من رجالها .  
حتى ان النبي عليه الصلاة والسلام لما وصلت سلسلة النسب العبداني الى درجة معينة وقف  
وقال : كذب النسابون .

وسنسوق الى القاري نسبة ملوك المناذرة كما هي واردة في تاريخ ابي الفداء وفي تاريخ

جرجي زيدان وفي تاريخ علي ظريف الاعظمي وفي تاريخ صالح بن يحيى التنوخي وفي سجل نسبنا الأرسلافي وتقابل بينها لنظهر ما بينها من الفروق التي وجودها لا ينفي صحة النسب من حيث الجملة . فان الاختلاف في بعض التفاصيل مع الاتفاق من حيث المجموع يزيد الثقة بدلاً من ان ينقصها او ينقصها .

كنت أرسلت الى الأخ المؤرخ المحقق سليمان بك أبي عن الدين المقابلة في سلسلة المناذرة بين سجل النسب الأرسلافي وتاريخ صالح بن يحيى التنوخي وتاريخ ملوك الحيرة لعلي ظريف الاعظمي البغدادي . فأرسل هو بالجدول الآتي . فوجدت مفيداً ان انقله :

« ملوك الحيرة اللخمين »

( ابو الفداء )	( جرجي زيدان )	( علي ظريف الاعظمي )
عمرو بن عدي	عمرو بن عدي	عمرو بن عدي
امرؤ القيس بن عمرو	امرؤ القيس بن عمرو	امرؤ القيس الاول بن عمرو
عمرو بن امريء القيس	عمرو بن امريء القيس	عمرو بن امريء القيس
اوس بن قلام العمليقي	اوس بن قلام	اوس بن قلام
ملك آخر من العماليق	لم يذكره زيدان	ولا الاعظمي
امرؤ القيس المحرق بن عمرو	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	امرؤ القيس المحرق بن عمرو
النعمان الاعور بن امريء القيس	النعمان الاعور بن امريء القيس	النعمان الاعور بن امريء القيس
المنذر بن النعمان	المنذر بن النعمان	المنذر بن النعمان
الاسود بن المنذر	الاسود بن المنذر	الاسود بن المنذر
المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر
لم يذكر احداً	النعمان بن الاسود	النعمان بن الاسود
عاقمة الذبيلي (لخمي)	عاقمة ابو يعفر	عاقمة بن مالك الذبيلي
امرؤ القيس بن النعمان	امرؤ القيس بن النعمان	امرؤ القيس بن النعمان
المنذر بن امريء القيس	المنذر بن امريء القيس	المنذر بن امريء القيس



( ابو الفداء ) ( جرجي زبدان ) ( علي ظريف الاعظمي )

الحارث بن عمرو بن حجر الكندي الحارث بن عمرو بن حجر الكندي الحارث بن عمرو بن حجر الكندي

عمرو بن هند	عمرو بن هند	عمرو بن هند
قابوس بن المنذر	قابوس بن المنذر	قابوس بن المنذر
لم يذكر	في شهرت او زيد	في شهرت او زيد
المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر	المنذر بن المنذر
النعمان بن المنذر	النعمان بن المنذر	النعمان بن المنذر
اياس بن قبيصة الطائي	اياس بن قبيصة الطائي	اياس بن قبيصة الطائي
زادوه بن ماهان الحمذاني	زادوه بن ماهان الحمذاني	زادوه بن ماهان الحمذاني
		ماهان الحمذاني

المنذر بن النعمان بن المنذر المفرور المنذر بن النعمان المفرور المنذر بن النعمان  
هذه سلسلة الملوك النخمين مع ذكر الذين تولوا خلال بعض قترات بامر الاكاسرة  
من غير ابناء البيت المالك . اما نسب الملوك النخمين بحسب الاب والجد فينبغي ان  
يكون هكذا :

المنذر المفرور	هو المنذر الخامس	من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٢
بن النعمان	ابي قابوس	هو النعمان الثالث من سنة ٥٨٥ الى سنة ٦١٣
بن المنذر الرابع		٥٨٥ = ٥٨٢ =
بن المنذر الثالث الذي أمه	السماء	٥٦٣ = ٥١٤ =
بن امري القيس الثالث		٥١٤ = ٥٠٧ =
بن النعمان الثاني		٥٠٤ = ٥٠٠ =
بن الاسود (واما المنذر الثاني فهو اخوه)		٤٩٣ = ٤٧٣ =
بن المنذر الاول		٤٧٣ = ٤٣١ =
بن النعمان الاول الاعور		٤٣١ = ٤٠٣ =
بن امري القيس الثاني		٤٠٣ = ٣٨٢ =

بن عمرو الثاني من سنة ٣٢٨ الى سنة ٣٧٧

بن امري القيس الاول المحرق = ٢٨٨ = ٣٢٨

بن عمرو الاول بن عدي اللخمي = ٢٦٨ = ٢٨٨

فاذا نظرنا الى تاريخ صالح بن يحيى النخعي نجده يذكر نسبهم الذي تقدم لنا  
مردده على ان جدهم لنوخ هو ابن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن  
سعد بن لحي بن قميم .

بن النعمان

بن المنذر الذي أمه ماء السماء

بن امري القيس

بن النعمان الأعور

بن امري القيس المحرق

بن عمرو

بن امري القيس الاول

بن عمرو بن عدي اللخمي

فهكذا يكون نقص من السلسلة المنذر الرابع الذي يأتي قبل المنذر الثالث الذي  
أمه ماء السماء . ويكون النعمان الأعور هو النعمان الثاني ابن امري القيس مع انه  
يحسب التواريخ الاخرى هو النعمان الاول . ويكون نقص امرؤ القيس الثاني وعمرو  
الثاني . ويكون نقص ايضا الاسود بن المنذر الاول . اي اربعة أجداد .

واما في سجل النسب الارسلاني فالترتيب هو هكذا : ارسلان بن مالك بن بركات  
ابن المنذر بن مسعود بن عون .

بن المنذر المغرور ( هو هنا الثالث لا الخامس )

بن النعمان ابي قابوس ( هو الثالث )

بن المنذر ( هو هنا الثاني )

بن المنذر الذي أمه ماء السماء ( هو هنا الاول )

بن امري القيس ( الثالث )

ابن النعمان الاعور ( الثاني )

بن امري القيس ( الثاني )

بن النعمان ( الاول )

بن عمرو ( الثاني )

بن امري القيس ( الاول )

بن عمرو بن عدي اللخمي ( الاول )

وهذه السلسلة تنقص اثنين عن سلسلة الاعظمي ليس فيها الاسود بن المنذر الاول ولا المنذر الاول ولكنها تجعل النعمان الاعور هو الثاني لا الاول كما هو في سلسلة الاعظمي . فهي من هذه الجهة متفقة مع سلسلة صالح بن يحيى . ولكنها تختلف عنها في ان سلسلة صالح بن يحيى ليس فيها الا منذر واحد وهو خطأ فظيع اذ لو لم يكونوا اكثر من واحد واثنين ما قيل لهم «المناذرة» . واما في سلسلة الاعظمي فالمناذرة خمسة منهم المنذر الثاني اخ للاسود بن المنذر الاول فيكون المناذرة الذين على عمود النسب اربعة . واما في سلسلة السجل الارسلاني فالمناذرة الذين على عمود النسب هم ثلاثة فقط . اما المنذر بن مسعود بن عون فهو ليس من ملوك الحيرة بل من أعقابهم الذين كانوا في الشام . وفي سلسلة صالح بن يحيى لا يوجد الاثنان ممن اسمه النعمان احدهما ابو قابوس والاخر الاعور . واما في السجل الارسلاني فهم ثلاثة ابو قابوس فالنعمان الثاني الاعور فالنعمان الثالث وهذا كما في سلسلة الاعظمي والسلاسل الاخرى . وفي نسب عائلتنا ان النعمان الاعور تزهد وترك الملك وهو كما في تاريخ ابي الفدا وتاريخ الاعظمي . وفي سلسلة صالح بن يحيى ثلاثة اسمهم امرؤ القيس . وفي سجل نسبنا كذلك . وفي تاريخ ابي الفدا وتاريخ الاعظمي كذلك . وفي الجسيم اثنان اسمهما عمرو . وهناك اختلاف في نسب ماء السماء أم المنذر الثالث التي لقبت بذلك لحسنها وجمالها واسمها الاصلي ماوية . ففي تاريخ ابي الفدا انها بنت عوف بن جشم . والاعظمي يقول انها بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط . وصالح ابن يحيى يقول : « لقبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو » ولا يرفع اكثر من ذلك وفي سجل نسبنا : « ماء السماء ماوية بنت ربيعة التغلبي اخت كليب والمهمل لقبت بذلك لصفاء نسبها اولقاء لونها » فهنا ايضا اختلافات في الرواية لكنها لا تبطل النسبة من حيث



العموم وانت لا تكاد تقرأ سلسلة آباء واجداد خصوصاً قبل الاسلام الا وجدت الروايات فيها متباينة اما بكثير واما بقليل . و يظهر من كلام صالح بن يحيى الذي ينقله عن شيوخ اهله انهم اي الاسراء النخعيون ينسبون الى تميم بن النعمان ابي قابوس بن المنذر . ولكنه لا يذكر شيئاً عن كيفية مجيئهم من الحيرة الى غرب لبنان ولا شيئاً من خبر تميم هذا ابن النعمان . ولم نجد في الكتب المشهورة ذكراً لولد من اولاد النعمان ابي قابوس اسمه تميم غير ان هذا لا يمنع صحة الخبر لان الكتب المشهورة من كتب التاريخ لا تذكر كل شيء وكثيراً ما تخفل اسماء اولاد ملوك كانوا في زمانهم اعظم من النعمان بن المنذر . وقرأت في سجل نسبنا انه مرة بسواحل الشام محمد بن احمد بن ابي يعقوب بن هارون الرشيد العباسي . وانه نزل عند احد اجدادنا الامير النعمان بن الامير عامر بن الامير هاني الارسلاني وانه كان معه زوجه وبنوه . فأقام عنده زمناً غير قليل . وكان محدثاً عالماً فروى عنه جماعة من الاسراء وغيرهم . ثم خطب منه النعمان ابنه السيدة كلثوم لولده الامير المنذر فأزوجه منها وأقامت معه زمناً طويلاً وهي أم ولده الامير تميم . وهذه الحادثة في سنة ثلاثمائة واثنى عشرة . ولما لم يكن لي عهد بذكر احد من اولاد هارون الرشيد اسمه ابو يعقوب تحيرت مدة في هذه الرواية وما زلت متحيراً الى ان اطلعت على كتاب اسمه تاريخ الملوك يذكر اولاد هارون الرشيد كلهم ومن جملتهم ابو يعقوب . ثم رأيت ذلك في تاريخ ابي الفداء . اذاً عدم اطلائنا على اسم احد اولاد الملوك في تاريخ ابن الاثير او ابن خلدون او الطبري او المسعودي لا يعني انه وجد . بل قد يغفل كثير من المؤرخين الكبار عن حوادث من اهم الحوادث وكثير من مترجمي الرجال عن تراجم أناس من أخرى الناس بالترجمة . افلا ترى كيف غفل ابن خلكان في وفيات الأعيان وهو رأس في هذا الفن عن ترجمة أناس من اشهر الرجال الذين يستحقون الترجمة وذلك اما ذهولاً منه او لانه لم يقع لديه من الاخبار ما يعول عليه . فقام محمد بن شاكر الكتيبي والف كتاباً في تراجم من غفل عنهم ابن خلكان وسماه « فوات الوفيات » .

على ان الاعظمي يقول — ولا أعلم مصدر نقله — انه « لما قتل النعمان الثالث — ابو قابوس قتله كسرى ابرويزا ومات في حبسه — صار احد اولاده يجملة من قبائل العرب ونزل بهم في سفح جبل لبنان وسكنوه مدة وثبتت الامارة لاولاد النعمان ونوارثوه

منهم الامير ظهير الدين الذي ولاه السلطان نور الدين ملك مصر والشام على سنج الجبل المذكور سنة ٥٥٦ الموافقة لسنة ١١٦٠ وضم اليه القنيطرة وبرز صيدا والدامور ووضع عنده فرساناً ورتب لهم راتباً وجعلهم لقتال الافرنج ومنهم الامير بدر الدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ وكلهم من نسل النعمان الثالث .

وعليه يكون للنعمان الثالث ابي قابوس اولاد غير قابوس وغير المنذر المغرور . ولم يذكر المؤرخون منهم غير هذين لانها اشتهرا في زمن النعمان فلما انقرضت دولة المناذرة بظهور الاسلام وذهب منهم ملك الخيرة لم يعن المؤرخون بذكر اولادهم . فكما ان النوخيين ينسبون الى تميم بن النعمان بن المنذر بنسب الارسلانيون الى عون بن المنذر المغرور بن النعمان ابن المنذر . ومن هنا جاء التواتر الذي في جبل لبنان بان هذين الفخذين هما من اصل واحد ويزيد ذلك تأكيداً تجاور العائلتين في السكنى وتقاسمهما الاقطاعات من قرى ومزارع وارضين وكثيراً ما وقعت بينهما الفتن والعداوات بسبب المقاطعات . وقرأت في بعض مخطوطات لبنان القديمة ذكر الارسلانيين والنوخيين وان منهما بيروتاً في عرمون وانها « على السيف » واذا قرأت تاريخ صالح بن يحيى النوخى تجد انه بطمع في الارسلانيين في مواضع كثيرة وبذكر مناصبتهم العدا للנוخيين . واذا ذكر احداً منهم بخير يقول مثلاً : « وفي ذلك الوقت قتل عماد الدين موسى بن حسان بن رسلان — كل من اسمه ارسلان فالعامة تخففه ونقول رسلان وهذا في كل محل — وكان المذكور خيراً من سلفه واجود منهم في حق البيت » فمقياس الجودة عند صالح بن يحيى هو حب البيت النوخى . ومنشأ هذه الاختلافات كلها هو الاقطاعات والمنافسات على الامارة واذا قرأت تاريخ صالح بن يحيى وجدت شدة التشابك والتداخل بين اقطاعات النوخيين والارسلانيين . فكلام الاستاذ حقي صحيح من جهة ان الامارة على الدروز لعهد الصليبيين كانت في يدي هاتين العائلتين . ولقد كانت هذه الامارة في غرب لبنان وبيروت من قبل ذلك التاريخ بكثير .

شكيب أرسلان

## تحقيق الجاحظ<sup>(١)</sup>

- ٢ -

« التجربة والعباث »

- « - » -

بقي من بعد هذا كله أن ننظر في الاصول التي كان يبني عليها الجاحظ في التحقيق فنذكر أنماطاً من تجربته وعبثاته ، ونشير الى بعض الخصائص في هذه التجربة وهذا العبث ونذكر معرفة سماعه ، واذا فرغنا من الكلام على استعائته بالحواس تعرضنا للكلام على استعائته بالعقل .

فلنأت على ذكر نماذج من تجاربه فقد جرب على أصناف شتى من الحيوان كالضب والحيات والظليم والخنافس والسمك والمقارب والجرد والنمل وجرب على النبات ، وكان في كل تجربة من تجاربه يذهب مذهباً خاصاً ففي بعضها كان يقطع طائفة من الاعضاء وفي بعضها كان يلقي على الحيوان ضرباً من السم ، وحينئذ كان يرمي في تجربته الى معرفة بعض الحيوان واستقصاء صفاته ، وحينئذ كان يعزم على ذبح الحيوان وفتش جوفه وقائضه ، ومرة كان يدفن الحيوان في بعض النبات ليعرف حركاته ، ومرة كان يذوق الحيوان وكان في أوقات يبيع بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده ، وفي أوقات يجمع أصداد الحيوان في اناء من قوارير ليعرف ثقلها ، وكان يلجأ في بعض الاحايين الى استعمال مادة من مواد الكيمياء ليعلم مبلغ تأثيرها في الحيوان .

من هذه التجارب قطع طائفة من اعضاء الحيوان فقد عقد فصلاً في كتاب الحيوان

---

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .



بحث فيه عن نصيب الضباب من الأعاجيب والفرائب قال في مقدمة هذا الفصل<sup>(١)</sup> :

« أول ذلك طول الدماء وهو بقية النفس وشدة انعقاد الحياة والروح بعد الذبح وهشم الرأس والطمع الجائف النافذ حتى يكون في ذلك أعجب من الخنزير ومن الكلب ومن الخنفساء وهذه الأشياء التي قد تفردت بطول الدماء ثم شارك الضب الوزغة والحية فان الحية تقطع من ثلث جسمها فتعيش ان سلت من الذر فجمع الضب الخصلتين جميعاً الامارأت في دخال الاذن من هذه الخصلة الواحدة فاني كنت أقطعه بنصفين فيمضي احد نصفه يمناً والاخر يسرة الا اني لأعرف مقدار بقائهما بعد ان فاتا بصري » .

انكم لتدركون انه في خلال كلامه على صنف من الحيوان وفي اثناء تجربة من تجاربه قد يتعرض للمقابلة بين الحيوانات ففي هذه التجربة قد أشار الى مشاركة الضب للوزغة وللحبة في بعض الخصائص والمقابلة ركن من أركان التحقيق في علم الحيوان .

ومن تجاربه القاؤه على الحيوان ضرباً من السم فقد قال<sup>(٢)</sup> :

« وقيل لي وقرأت في كتاب الحيوان ان ريح السذاب يشتد على الحيات فألقيت على الافاعي نور السذاب فما كان عندها الا كسائر البقل فلو قلت لم في ذلك شيئاً لقالوا : الحيات غير الافاعي ، وهذا باطل ، الافاعي نوع من الحيات وكلهم قد عم ولم يخص » .

فانظروا كيف لا يصدق ما يقال له ولا يصدق ما يقرؤه في كتاب الحيوان حتى يقرن هذا كله بشيء من التجريب .

وقد كرر ذكر هذه التجربة في موطن آخر فوضعت الأعضاء التي جرب عليها فقال<sup>(٣)</sup> :

« والأفاعي تكره ريح السذاب والشج ونستريح الى نبات الحرمل واما انا فاني أقيت على رأسها وانفها من السذاب ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً » .

ومن تجاربه محاولته معرفة بيض الحيوان واستقصاء صفاته فقد قال<sup>(٤)</sup> :

« وقد رأيت بيض الحيات وكسرتها لا تعرف ما فيها فاذا هو بيض مستطيل اكدر

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السادس من ١٦ ) .

(٢) = = الخامس من ١١١ .

(٣) = = السادس من ١٣٣ .

(٤) = = الرابع من ٥٦ .

اللون أخضر ، وفي بعضه هش ولمع فاذا داخله فلم أر شيئاً قط ولا صديداً خرج من جرح فاسد الا والذي في بعضها أسمع منه وأقدر .

ومن تجار به القبض على الحيوان ليعرف حركته كقوله (١) :

« وفي الافاعي من العجب انها تذبح حتى يفرى منها كل ودج فتبقى كذلك اباماً لاتموت فأمرت الخاوي فقبض على خرزة عنقها فقلت له اقبضها من الخرزة التي تليها قبضاً رقيقاً فما فتح بينها بقدر سم الابرة حتى بردت ميتة » .

وفي هذه التجربة تظهر لنا صفة من محاسن صفات التجربة وهي التكرار فقد قبض الخاوي على خرزة عنق الحية فأمره الجاحظ ان يقبضها من الخرزة التي تليها .

ومن تجار به محاولته ذبح الحيوان ليفتش جوفه وقانصته فقد كذت ذكرت هذه التجربة في كلامي على اول عهدي بالجاحظ وذلك ان بعضهم شهد من يلقي الحجر في النار فاذا عاد كالجر قذف به قدام الظليم فاذا هو يبتلع كما يبتلع الجمر وقد كانت الجاحظ حاول ان يعرف أليستري الظليم الحديد كما يستمري الحجارة فعز على ذبح الظليم ونفتيش جوفه وقانصته فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعضهم الى سكين فأحمى ثم القاه اليه فابتلعه فلم يجاوز أعلى حلقه حتى طلعت طرف السكين من مذبجه ثم خر ميتاً فتم الجاحظ بخبره من استقصاء ما أراد .

ومن تجار به دفنه الحيوان في بعض النبات ليعرف حركته كقوله (٢) :

« وفي الذبان طبع كطبع الجمالان فهو طبع غريب عجيب ولولا ان العيان قهر اهله لكانوا خلقاء ان يدفعوا الخبر عنه ، فان الجمال اذا دفن في المورد مات في العين وقبض حركته كلها وعاد جامداً تارزاً ولم يفصل النساظر اليه بينه وبين الجمال الميت ما أقام على تأمله فاذا أعيد الى الروث عادت اليه حركة الحياة من ساعته وجرت انا ذلك في الخنفساء فوجدت الأمر فيها قريباً من صفة الجمال ولم يبلغ ذلك لقاربة بين الخنفساء والجمال » .

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الرابع ص ٣٩ ) .

(٢) « الثالث ص ١٠٨ »

« ودخلت يوماً على ابن أبي كريمة وإذا هو قد أخرج من اجانة كان فيها ماء ، من غسالة اوساخ الثياب وإذا ذبان كثيرة قد تساقطن فيه من الليل فمتن ، هكذا كان في رأي العين فغبرن كذلك عشيتهم وليلتهم والغدا الى ان تصاف النهار حتى انشفخن وعفن واسترخين وإذا ابن أبي كريمة قد أعد آجرة جديدة وفتات آجر جديد وإذا هو يأخذ الخمس منهن والست ثم يضعهن على ظهر الآجرة الجديدة . ويذر عليهن من دفاق ذلك الآجر الجديد المدقوق بقدر ما يغمرها فلا تلبث ان يراها قد تحركت ثم مشت ثم طارت الا انه طهران ضعيف » .

وسرة كان يبيع بطن الحيوان ، من هذا النوع قوله (٣) :  
« كنت بعت بطن عقرب اذ كنت بمصر فوجدت فيه اكثر من مائة عقارب  
صغار كل واحدة نحو أرزة » -

وحيثما كان يلجأ الى استعمال مادة من مواد الكيمياء ليعلم مبلغ تأثيرها في الحيوان

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الثالث ص ١٠٨ ) .

(2)

(٣) الرابع من ٠٠٦



كاستعماله الكبريت الأصفر والقطران فقد قال في كلامه على النمل<sup>(١)</sup> :

« ومن أسباب هلاك النمل نبات الاجنحة له وقد قال الشاعر :

واذا استنوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

واذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير لانها تصطادها في حال طيرانها وتقتل بان يصب في أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر ويدس في أفواهها الشعر وقد جربنا ذلك فوجدناه باطلاً » .

اما تيجر به على النبات فقد ذكرت لكم قصة في كلامي على حيائه ائتملى باعثنائه بداره فقد أراد ان يغرس في داره أراكة فكان ينقل المشارات من مكان الى مكان فما أفلح حب الأراك .

وحينما كان يجمع أصداد الحيوان في اثناء من قوارير ليصرف ثقاتلها كالجمع بين الجرذ والعقارب فقد قال<sup>(٢)</sup> :

« ويزعمون انهم لم يروا قتالاً قط بين بهيمتين أشد من قتال يكون بين جرذين فاذا ربط احدهما بطرف خبط وشد رجل الآخر بالطرف الآخر فلها عند ذلك من الجلب والجش والعض والتشبث والفقاس ما لا يوجد بين شبيهين من ذوات العقارب والهراش الا ان ذلك ماداما في الرباط فاذا انحلا وانقطع وأى كل واحد منهما عن صاحبه في الارض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر ، وان جمعا في اثناء من قوارير أعني الجرذ والعقرب وانما ذكرت القوارير لانها لا تستر عن أعين الناس صنيهما ولا يستطيعان الخروج للملاسة الحيطان فالفارة عند ذلك تخذل العقرب فان قبضت على ايتهما فرصتها وان ضربتها العقرب ضرباً كثيراً فاستنفدت منها ما كان من أسباب حثفها .

والى جنب هذه التجارب أعمال كان يعملها على سبيل الضحك كقوله<sup>(٣)</sup> :

« واذا أردت ان ترى من الفيل ما يضحك وتراه سيفي أسخف حالاته فألق اليه جوزة

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الرابع ص ١١ ) .

(٢) = الخامس ص ٧٧ .

(٣) = السابع ص ٥٤ .

فانه يأخذها بطرف خرطوم . فاذا دنا منها تنفس فاذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه ثم يدنو ثانية ليأخذها فيتنفس أخرى فتبعد فلا يزال ذلك دأبه .  
وهذا يدلنا على مبلغ ميله الى الهزل وعلى سر من أسرار روجه كما يتبين لنا ذلك في كلامنا على تهكمه .

هذه طائفة من تجارب الجاحظ على الحيوان ، قد نجد فيها صفة من صفات المحرب الحاذق وأريد بهذه الصفة التطلع العلمي فان هذا التطلع قد يحمل العالم على الامتناع بامور لا يكون لها في نظر العامة معنى من المعاني وقد نجد فيها شيئاً من الصفات التي تستلزمها التجربة كالانقباض والنزاهة عن كل غرض وانما ينقصها لوازم التجربة في عصرنا هذا فمن هذه اللوازم تنويع التجربة وبسط آفاقها ونقلها من شكل الى شكل وقلبيها وماشابه ذلك فليكن كتاب الجاحظ محرب فما رأيناه في بعض تجاربه يذهب مذاهب مختلفة وصولاً الى الحقائق فما كان ينوع هذه التجارب او يبسطها او يخرج بها من صورة الى صورة او يقلبها من وجه الى وجه .

ولقد كان ينقصه شيء أعظم من هذا كله على ما اعتقد فما كان يذهب من التجريب على امور خاصة الى استنباط القوانين العامة وما كان يقابل بين أصناف الحيوان ويصنف ضروب هذا الحيوان والمقابلة والتصنيف ركنان من أركان التحقيق في علم الحيوان وما رأيناه من بعض مقابلاته قد لا يكون كثيراً .

على ان الجاحظ ظهر من احد عشر قرناً وليس من العدل ان نكلفه اموراً لم تهتد اليها الفلسفة والعلم الا من زمن غير بعيد .

وسواء أنقصت اصوله التي كان يبني عليها في التحقيق نواقص ام لم ينقصها شيء انه لم يخرج في تجربته من زمرة كبار العلماء . وما يقال في نماذج تجربته قد يقال في أنماط عيانه ولا بأس بان أذكر طائفة من هذه الماينات فقد اخذ عيانه أصنافاً مختلفة من البشر ومن الحيوان ايضاً كالنمل والذباب والسنور والمقارب والفار والجمير .

اما بعض معابنه لامور البشر فقد كان يختص بما يعرض للخصيات من هذا النوع قوله (١) :

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الاول من ٦٣ ) .

« ومن العجب انهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال الى طبائع النساء لا يعرض لهم التخبيث وقد رأيت غير واحد من الأعراب مخنثاً منثككاً وموئناً يسيل سيلاً ورأيت عدة مجانين مخنثين ورأيت ذلك في الزنج الأتقاح وقد خبرني من رأى كروياً مخنثاً ولم أر خصباً قط مخنثاً ولا سمعت به ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف المانع منه ولكن كان الامر في ذلك الى ظاهر الرأي ولقد كانت ينبغي لم ان يكون ذلك فيهم عاماً » .  
ومنه قوله <sup>(١)</sup> :

« وقد توجد المرأة ذات لحية وقد رأيت ذلك وأكثر ما رأيت في عجائز الدهاقين وكذلك الغيب والشارب وقد رأيت ذلك ايضاً وهي ليست في رأي العين بمخنث بل أنثى تامة الا ان تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذي يقوى حتى يظهر في غير ذلك المكان ولبس يعرض ذلك للخصي » .  
ففي هذه المعاينة شيء من المقابلة .

واما بعض معاينته لامور الحيوان فأذكر من هذا النوع كلامه على شيء من أطايب الدباب وفيه صورة العالم الطلعة الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، من هذا اقله <sup>(٢)</sup> :

[ وعندنا بالبصرة في الدباب أعجوبة لو كانت بالشامات او بمصر لأدخلوها في باب الطلسم وذلك ان التمر يكون مصبواً في بادر التمر في شق البساتين فلا ترى على شيء منها ذبابة لا في الليل ولا في النهار ولا في البرد ولا في أنصاف النهار نعم وتكون هناك المعاصر ولأصحاب المعاصر ظلال ومن شأب الدباب الفرار من الشمس الى الظل وانما تلك المعاصر بين ثمرة رطبة ودبس ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر في انصاف النهار وفي وقت طلب الدباب الكن الا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الدباب وهذا الشيء يكون . وجوداً في جميع الشق الذي فيه البساتين فان تحول شيء من تلك البادية الى جميع ما يقابلها في نواحي البصرة غشيه من الدباب ما عسى ان لا يكون بارض الهند أكثر منه ولبس بين جزيرة نهر ديبس وبين موضع

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الاول ص ٥٢ ) .

(٢) « « « الثالث ص ١٢٥ .



الذباب الا فيض البصرة ولا بين ما يكون من ذلك بنهر اذرب وبين موضع الذبان  
ما يقابله الا فرسخان وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ولا تكون تلك المسافة الا مائة  
ذراع أو ازيد شيئاً أو انقص شيئاً .

وأعجوبة أخرى وهي عندي أعجب من كل شيء صدرنا به جملة القول في الذباب  
فمن العجب ان يكون بعض الحيات لا ينام كالصافير والننوط فانها اذا كان  
الليل فالت احدما يتدلى من غصن الشجرة ويضم عليه رجله وينكس رأسه ثم لا يزال  
يصيح حتى يبرق النور والآخر لا يزال يتنقل في زوايا بيته ولا يأخذ القرار خوفاً على  
نفسه فلا يزال كذلك وقد تنف قبل ذلك مما على ظهور الأشجار مما يشبه بالليف ففته  
ثم قتل منه حبلاً ثم عمل منه كهيئة القفة ثم جعله مدلاً بذلك الحبل وعقده بطرف  
غصن من تلك الأغصان الا ان ذلك يترصع ونسج ومداخلة عجيبة ثم يتخذ عشه فيه  
و يا وي اليه مخافة على نفسه ] .

ومن هذه المعانيات ما حكاه في بعض كلامه على غمس خراطيم الذباب في جوف لحوم  
الدواب وخرق جلودها الغلاظ قال <sup>(١)</sup> :

[ وربما رأيت الحمار وكأنه منعر او معصر فانهم مع ذلك ليحلبون حرمهم و يهرقونها  
وما بدعون موضعاً الا ستره يجهدم فرجاً رأيت الحمير وعليها الرجال بآيديهم المناخس  
والمذاب وقد ضربت بانفسها الارض واستسلت للموت وربما رأيت صاحب الحمير اذا كان  
أجيراً يضربها بالعصا بكل جهده فلا تنبث وليس لجلد البقرة والحمير والبعير عنده خطر  
ولقد رأيت ذباباً سقط على سالفه حمار كان تحتي فضرب باذنيه وحك رأسه بكل جهة  
انا أنأمله وما يقلع عنه فعمدت بالسوط لانجي به فتزا عنه ورأيت مع نزوه عنه الدم وقد  
انفجر كأنه كان يشرب الدم وقد سد المخرج بفيه فلما فجاه طلع ] .

ولقد كان يراقب السنابير في داره نفسها فيشهد ثقافتها والجراذين فقد قال <sup>(٢)</sup> :

[ وانا رأيت سنوراً عندنا ساور جرذاً سيفي بيت الخطب فأفلت الجرذ منه وقد فقاً

عين السنور ] .

(١) كتاب الحيوان (الجزء الثالث من ١١٠) :

(٢) الخواص من ٢٢٢ :

## تحقيق الجاحظ

— ٣ —

« معرفة السماع »

— «X» —

والى جنب هذا المذهب الذي كان بذهبه في التحقيق اي مذهب الاستعانة بالعيان والتجربة مذهب آخر وهو معرفة السماع وقد أشار اليه في مقدمة كتاب الحيوان لما قال : فقد أخذ ، اي كتاب الحيوان ، من طرف الفلاسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة ، وهذه الطريقة اي طريقة التحقيق بالسماع قد يلجأ اليها اكابر العلماء في عصرنا أمثال « سبنسر » فقد وجدت انه في كلامه على تأثير الحيوان في العمران كان يروي كلام احد التجار على النمل فقد كان الجاحظ يعتمد في تحقيقه في بعض الاحوال على ما يسمعه من أفواه بل متعلقها الحيوان فكان يسمع اخبار المطارين والجزارين والبحريين والسماكين والصيادين والملاحين والحواثين والأطباء والأكرمة وغيرهم من اصدقائه واهل المعرفة والعلم ، وقد تدخل هذه الأخبار في أبواب شتى من أبواب الحيوان مثل تقطيع أصوات بعض الطير او اقتتال العقارب والفار او طعم العقارب او طعم الحيات او سم الأفاعي او أخلاق بعض الكلاب او بهوت الزنابير او ختل الاسد لفرسته او زواج الشفنين او تسافد الذئب والذئبة او بعض أخبار الفيل او اخبار السمك .

ولكن كيف كان الجاحظ ينظر في هذه الاخبار ، أفكان يلتقطها النقاطا ليس فيه شيء من التمهيص ، أفكان يجمع هذه الاخبار دون ان يعرضها على تمحيظه ، او يعمل فكرته فيها وهو المتوثق في تحقيقه المثبت في تدقيقه ، الذي لا تشفيه الا المعاينة والذي لا يصدق الا ما ثبتته الأدلة ويخرجه البرهان من باب الانكار .

ام كان الجاحظ يعمل الرواية في الذي يتصل به من الأخبار فلا ينقل الا عن رجل لا يرتاب بخبره<sup>(١)</sup> او عن رجل قاطع الشهادة<sup>(٢)</sup> او عن أمثال هذه الطبقة من الرجال ممن يصدق اخبارهم<sup>(٣)</sup> . او عن أستاذ من الاساتيد . او عن رجل يثق بعقله ويسكن الى خبره<sup>(٤)</sup> .

ام كانت ينقل عن جماعة اذا خالجه الشك في أخبارهم نبتة على غرابة أقوالهم وغشائة عباراتهم وسماجة مخارج هذه الأقوال والعبارات حتى يجعل القاري على هدى من أمره . لقد وقفنا على نماذج مختلفة من الأخبار التي كانت بنقلها . فمرة كانت يسم من هذه الاخبار ما لا يهتدي الى الاوحاطة بأسرارها فيسأل عن هذا الاسرار أهل المعرفة حتى ينكشف له الامر . من هذا النوع ما حكاه لنا لما قال<sup>(٥)</sup> :

وقال ابن الكلبي : قال الشرقي بن القطامي ذات يوم : أرأيتم لو فكّر رجل منكم عمره الأ طول في ان يعرف الشيء الذي نأخذ الزنابير بيوتها المهدفة بمثل المجالس المستوية في الأقدار المتخازنة بالحيطان السخيفة في المنظر الخفيفة في المحمل المستديرة ، المضمرة بعضها ببعض المتفاربة الاجزاء ، وهي الدبوت التي تعلم انها بنيت من جوهر واحد وكأنها من ورق أطباق صفار الكاغذ المزورة ، قولوا لي : كيف جمعتها ومن ايسه شيء اخذته وهو لا يشبه البناء ولا النسيج ولا الخياطة ولم يفسر ابن الكلبي والشرقي في ذلك شيئاً فلم يصر في ابدنا منها الا التعجب والتعجب فسألت بعد ذلك مشايخ الأكره فزعموا انها تلتقطه من زبد الممدود فلا يدري أمن نفس الزبد تأخذ ام من شيء يكون في الزبد والذي عرفت الزنابير مواضع تلك الأجزاء ودلها على ذلك الجوهر هو الذي علم العنكبوت ذلك النسيج .

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الخامس من ٢٥ ) .

(٢) = = = ص ٢٠ .

(٣) = = = الثالث ص ١٦٢ .

(٤) = = = السابع ص ٤٢ .

(٥) = = = ص ١٣ .



ومن هذا النوع قوله في طعم الحيات وقد سأل عنه بعض الحواثين ، فقد قال <sup>(١)</sup> :  
[ وسألت بعض الحواثين عن يأكل الافاعي حيّة ونيّة مما دونها فقلت : ما بال  
الحيات مثننة الجلود والجذوم ، قال : اما الافاعي فانها ليست مثننة لانها لا تأكل الفأرة  
فأما الحيات عامة فانها تطلب الفأر طلباً شديداً وربما رأيت الحية وما يكون غلظها  
الا مثل الايهام الكبير ثم اجدها قد ابتلعت الجرذ اغلظ من الذراع ، وانكرتني الحيات  
الا من هذا الوجه ، ولم ار الذي قال قولاً مثل قول اعرابي ودخل الامصار فلتني من  
الجرذات فوجد بها ودعا عليها فقال : الابات ..... »

« وحدثني صديق لي قال : رأيت الفيالين على ظهر فيل من هذه الفيلة فأقبل صبي يربد السندي راكب فكلم الفيل بالهندية فوقف ، ثم كلمه ، فمدَّ يده رافعاً سيفه الهواء حتى ركبها للغلام ثم رفع يده حتى مد السندي يده فأخذ بيد الصبي » .

- (۱) كتاب الحيوان ( الجزء الخامس من ۸۰ ) .  
 (۲) # # # # من ۱۱۱ .  
 (۳) # # # # الرابع من ۲۰ .

او قوله في اخبار تسافد الذئب والذئبة<sup>(١)</sup> :

و-ثني احمد بن المثنى قال : خرجت الى صحراء خوخ لجنابة جنيتها وخفت الطلاب وانا شاب اذ عرض لي ذئب فكنت كلما درت من شق استداري فاذا درت له دار من خلفي وانا وسط بركة لا اجد معيناً الا بشيء أسند اليه ظهري واصابني الدوار وابقنت بالهلكة فبينما انا كذلك وقد اصابني واصابني وذلك هو الذي اراده الذئب وقدره واذا بذئبة قد عرضت وكان من الصنع وتأخير الاجل ان ذلك كان في زمن احتياجها وآسافدها فلما عاينها تركني وقصد نحوها فما تلعم ان ركبها وقد كنت قرأت في بعض الكتب انها تلتم فقومت سهي وهما ينظران الي فلما لم ار عندهما نكيراً حقق ذلك عندي ما كان في الكتاب من تلاحمهما فمشت اليهما بسيفي حتى قتلتهما .

او قوله في بعض اخلاق الكلاب وعاداتها<sup>(٢)</sup> :

او قوله في السنابير<sup>(٣)</sup> :

وزعم بعض الاطباء ان السنور انما يدفن خراً ثم يعود الى موضعه فيشمه فان كان يجد من ريحه بعد شيئاً زاد عليه من التراب لان الفأرة لطيفة الحس حيدة الشم فان وجدت تلك الريح عرفتها فأمعنت في الهرب فلذلك يصنع السنور ما يصنع .  
او قوله في طعم المقارب<sup>(٤)</sup> :

« وقد زعم ناس ممن يأكلون المقارب مشوية ونية انها كالغراخ السماء » .  
وحيناً كان يسمع الأخبار فيرتاب بها ارتياباً شديداً وخاصة اخبار البحر بين فما كان يغفل عن التنبيد بهم في كل فرصة يصيبها .  
من هذا النحو قوله في بعض كلامه على كلام السمك<sup>(٥)</sup> :

« ولم يفعل لما يكن الملح والعذوبة والانهار والادوية والمنافع والمياه الجارية من

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الثاني ص ٢٨ ) . . .

(٢) = = = ص ٤٥ .

(٣) = = = الخامس ص ٢٨ .

(٤) = = = الرابع ص ١٥ .

(٥) = = = السادس ص ٦ .

السماك وما يخالف السمك مما يعيش مع السمك باباً مجرداً لاني لم اجد في اكثره شعراً يجمع الشاهد و يوثق منه يحسن الوصف وينشطه بما فيه من غير ذلك للقراءة ولم يكن الشاهد عليه الا اخبار البحر بين وهم قوم لا يعدون القول في باب العمل وكما كانت الخبر أغرب كانوا به اشد عجباً ، مع عبارة غثة ومخارج سمجة ، وفيه عيب آخر وهو ان معه من الطول والكثرة ما لا تحتملونه ولو غداكم بجميعه مخارق وضرب عليه زلزل وزمر عليه برصوماً فلذلك لم اتعرض له .  
او قوله في موطن آخر<sup>(١)</sup> :

« وقد روي لنا غير واحد من اصحاب الأخبار ان اياس بن معاوية زعم ان الشبوط كالبلغل وان أمها بربة واباها بحري وان من الدليل على ذلك ان الناس لم يجدوا في بطن شبوطه قط بيضاً وانا أخبرك اني قد وجدته فيه مراراً ولكني وجدت بها اصغر جثة وابتعد من الطيب ولم اجد له عاماً كما اجد في بطون جميع السمك .

فهذا قول ابي وائلة اياس بن معاوية المزني الفقيه القاضي وصاحب الاوزكان وافوق من كور بن علقمة وداهية مضر في زمانه ومفخر من مفاخر العرب فكيف امكن بعد هذا الى اخبار البحر بين واحاديث المساكين والي مافي كتاب رجل لعلة ان لو وجد هذا المترجم ان يقيم على المصطبة ويرأى الى الناس من كذبه عليه ومن افساد معانيه بسوء ترجمته .  
واذا كانت اخبار البحر بين مما يتقبله بعض الناس وهو لم يوفق به كل الايقان نبه عليه بك قوله<sup>(٢)</sup> :

وسمعت حديثاً من شيوخ لآحي الموصل وانا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم ويتقبله جميعهم وزعموا ان الاسد ربما جأل قأس السفينة فيثبت به ليلاً والملاحون يمدون السفينة فلا يشكون ان القلس قد النف على صخرة او تعلق بجذم شجرة ومن عادتهم ان يبعثوا اول المدادين ليحمله فاذا رجع اليه الملاح ليحمله الاسد بالارض ولزق بها وغمض عينيه كيلا يبصر ويبصعها بالليل فاذا قرب منه وثب عليه فحطفه فلا يكون للملاحين هم الا القاء انفسهم في الماء وعبورهم اليه وربما اكله الا ما بقي منه وربما

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السادس من ٦ ) .

(٢) = = = الثاني من ٤٥ .



جرّ فرسته الى عريسه وعريته والى أجراءه واشباله وان ذلك على اميال .  
او اذا كان البحري مقتصدًا في القول مدبدا الرأي قليل الكلفة اخذ عنه الخبر  
واشار الى صفاته حتى بنى الشبهة عنه كما قال في بعض المواضع (١) :  
واخبرني رجل من البحر بين لم ار فيهم اقصد ولا اسد ولا اقل تكلفاً منه ، قال :  
لم اجدهم يشكون ان فيلاً ضرب فيلاً فأوجعه فألح عليه ، وانهم عند ذلك نهوه وخوفوه  
وقلوا لانهم حيث ينالك فانه من الحيوان الذي يحقد وبطالاب ولما اراد السائس القائلة  
شدته الى اصل شجرة واحكم وثاقه ثم نحرى عنه بمقدار ذراع ونام ، لذلك السائس حجة  
فحاول الفيل بخروطومه غصناً كان مطروحاً فوطي على طرفه حتى تشعث ثم اخذه بخروطومه  
فوضع ذلك الطرف على حمة الهندي ثم لواها بخروطومه فلما ظن انها تشبكت به وانهقدت  
جذب الهندي فاذا هو تحت رجله فخبطة خبطة كانت فيها نفسه ، فان كان الحديث  
حقاً في اصل مخرجه فكيفالك بالفيل معرفة ومكيدة وان كانت باطلاً فانهم لم ينحلوا  
الفيل هذه النحلة دون غيره من الدواب الا وفيه عندهم ما يحتمل عليه ويليق به .  
على انه كانت ينقل عن فريق منهم من غير ان يتبين في كلامه الشك ، من هذا  
الشكل قوله (٢) :

« يزعم البحر بون ان طائر ين يكونان ببلاد الصقالية ، احدهما يظهر قبل  
قدوم السفن اليهم وقبل ان يمكن البحر من نفسه لخروجهم ومناجرهم فيقول الطائر :  
قرب أمد ، فيعلمون بذلك ان الوقت قد دنا وان الامكان قد قرب ، قالوا ويحيي  
به طائر آخر وشكل آخر فيقول : سماروا وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم  
فيسمون هذين الجنسين من الطير : قرب وسماروا ، كأنهم سموا بقولهما ونقطيع  
أصواتهما كما سمى العرب ضرباً من الطير القطا ، لان القطا كذلك تصيح ونقطيع  
أصواتها : قطا ، كما سموا البيغا بنقطيع الصوت الذي ظهر منه ، فيزعم اهل البحر ان  
ذئبك الطائر ين لا بطير احدهما ابداً الا في اناث وان الآخر لا بطير ابداً الا في  
ذكورة » .

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السابع ص ٧١ ) .

(٢) = = = الثالث ص ١٦٢ .

وربما نقل عن بعضهم كلاماً جعله حجة يحتاج بها أرسطاطاليس في بعض رده عليه فإنه لما قال <sup>(١)</sup> :

« وقد قلت لرجل من البحر بين : زعم أرسطاطاليس أن السمكة لا تبتلع الطعام ابداً إلا ومعه شيء من ماء مع سعة المدخل وبشره النفس فكان من جوابه أن قال لي : ما يعلم هذا إلا من كان سمكة أو أخبرته به سمكة أو حدثته بذلك الحواريون أصحاب عيسى ، فإنهم كانوا صيادين وكانوا تلامذة المسيح ، وهذا البحر بك صاحب كلام وهو يتكلف معرفة العلل وهذا كله جوابه ولكني لم أقنع بذلك بعض ما وجدته في الأشعار والأخبار إذا كان مشهوراً عند من ينزل الأسياف وشطوط الأودية والأنهار ويعرفه السماكوت ويقر به الأطباء بقدر ما أمكن من القول » .

جعل قول البحري حجة له في رده على أرسطاطاليس <sup>(٢)</sup> :

« وأما قول صاحب المنطق في أن الضفادع لا تنق حتى تدخل فكما أنزل في الماء لأن الصوت لا يجيئها حتى يكون شيء فيها ماء فقد قال ذلك ووافق عليه ناس من العلماء وادعوا في ذلك العيان ، وإنما زعمه بأن السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعام إلا ببعض الماء فأبي عيان دل على هذا وهذا عسير » .

والخلاصة كان نقل عن ثقة وهذا الثقة قد يكون أستاذاً كما في قوله <sup>(٣)</sup> :

ودخلت أنا مرة وحمدان الصباح على عبيد الشونيزي فإذا عنده برنية زجاج فيها عشرون عقرباً وعشرون فاراً فإذا هي تقتل تغيل لي أن تلك الفأر قد اعتراها ورم من شدة وقع اللسع ورأيت العقارب قد كلت عنها وتاركتها ولم أر إلا هذا المقدار الذي وصفت ، وحدثنا عنها عبيد بأعاجيب ولو كان عبيد أستاذاً ظهرت عنه ولكن موضع البياض من هذا الكتاب خير من جميع ما كان لعبيد » .

هذه جملة القول في معرفة سمائه ومنها يتبين لكم أن الجاحظ لم يخل من الوثوق في تسقط أخباره فإذا وجد مجال الشك ذا سعة عمد إلى الشك لأن الرجل الذي يقول في

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السادس ص ٦ ) .

(٢) = = = الخامس ص ١٥٦ .

(٣) = = = ص ٧٧ .





## الشاعر الصنوبري

—«»—

فلما أنظر في كتاب موضوعه الشعر والادب العربي الا وبرز لي في اثناء سطره شيء من الشعر الرائع المنسوب الى الصنوبري اذ يقول مورده ( قال الصنوبري ) او ( والصنوبري ) مقتصرأ على هذه الكلمة غير مصرح باسمه ونسبه وشيء من سيرته . وقد لفت نظري كثرة ورود هذه الكلمة الى عظمة الصنوبري ونهني الى علو كعبه بين شعراء عصره وصوره لي في مخيلتي شاعراً مطلقاً واديباً كبيراً جديراً بان ياط الحجاب عن اسمه ووطنه وشيء من سيرته وعن العصر الذي وجد فيه وتاريخ وفاته خصوصاً وقد رأيت في عنوانات بعض ما ينسب اليه من الاشعار كلمة ( الحلبي ) فقد ضاعت هذه الكلمة شوقي الى الوقوف على حقيقةه والاشراف على شيء من سيرته حرصاً على الفخر الذي يحوزه بلدي من هذه اللاحية ونعصباً لرجل يحمل فسقى شعره مبعثراً في شتى الكتب ومطايي صحف التاريخ ، فجمعت نبذة من أخباره وبحث عن هذه المقاصد وجلت في كتب الادب بجولة نفع واستقصاء حتى تبسر لي شيء مما قصدت واردت فجمعت من أشعاره زهاء اربعمائة بيت ولم ازل دائباً في البحث عنها واثبت في ترجمته مقدمة مختصرة وكان اول سفر عثرت فيه على كلمات في هذا الشاعر — مجموعاً قديماً مخطوطاً قال فيه صاحبه :

« احمد ابو بكر بن محمد بن الحسين الضبي الحلبي الشاعر المعروف بالصنوبري تكلم جده بين يدي المأمون فأعجبه شكله فقال انك لصنوبري الشكل فلزمه هذا اللقب ، وهو من بضرب بالمثل بروضياته توفي سنة ٣٢٤ » ثم قرأت في كتاب فوات الوفيات للكتبي ما صورته :

« احمد بن محمد الصبني الحلبي الصنوبري » تم اورد نبرة من اشعاره مقتصرأ على ذلك دون ان يتعرض لشيء من اخباره وتاريخ وفاته ، بعد هذا قرأت في كتاب معجم البلدان لياقوت عند الكلاء على حلب ما نسخته : وقد اكثر الشعراء من ذكرها (حلب) ووصفها والحنين اليها وانا اقنع من ذلك بقصيدة لابي بكر محمد بن الحسن بن مروان الصنوبري وقد اجاد بها ووصف منزلها وقراها القرية منها ثم اورد القصيدة التي اولها :

احبس العيس احبسها وسلا الدار سلاها

وهي قصيدة طويلة تعد ١٠٣ ابيات .

ثم رأيت في تاريخ الشام الكبير لابن عساكر ما نصه :

« احمد بن محمد بن الحسين بن مرار الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي الشاعر المحسن اكثر اشعاره في وصف الرياض والأنوار قدم دمشق وله اشعار في وصفها ووصف منزلها ، قال عبدالله الصقري سألت الصنوبري عن السبب الذي من اجله نسب جده الى الصنوبر حتى صار معروفاً به فقال لي كان جدي صاحب بيت حكمة من يهوت المأمون فخرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحده مزاجه فقال له انك لصنوبري الشكل يريد بذلك الذكاء وحده المزاج اه .

وقرأت في كتاب العمدة لابن رشيق النيرواني ما خلاصته : ان الصنوبري كان يسمى حبيباً الاصغر لجودة شعره ، قال واقبه المنني بالمصبصة او غيرها فقال له هزأ به ، انت صاحب بغدادين يريد قصيدته :

شربنا في بغدادين<sup>(١)</sup> على تلك الميسادين

لما فيها من المحون والخلاعة فقال له الصنوبري وانت صاحب الطوطبة يريد قصيدته :

(١) بغدادين بغين معجمة ودال مهملة — غلط صوابه بعاذين بعين مهملة وذال معجمة — علم على ناحية من بساتين حلب وكانت قبلاً علماً على قرية في موضع هذه الناحية قال فيها ابو العباس الصقري من شعراء سيف الدولة :

يا لأيا منسا بمرج بعاذين وقد اضحك الربا نواره  
وكأن الشقيق والريح لنني الطل عنه جمر بطير شراره  
اذكرني عناني من بان عني شخصه باعناقها اشجاره

ما انصف القوم ضبه وامه الطرطبة

لما فيها من اللين والركاكة اه .

وقرأت في كتاب يتيمة الدهر للشمالي ماصورته :

« وحكى ابن جني قال حدثني ابو علي الحسين بن احمد الصنوبري قال خرجت من حلب أريد سيف الدولة فلما برزت من السور اذ انا بفارس ماثم قد اهوى نحوي برمح طويل الى صدري فكدت اطرح بنفسي عن دابتي فلما قرب مني ثني السنان وحدثت به فاذا المنني وانشدني :

نثرنا<sup>(١)</sup> رؤوساً بالاحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدرام

ثم قال كيف ترى هذا القول أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك قد قتلني . قال الشمالي : قال ابن جني فحكيت انا هذه الحكاية بمدينة السلام لابي الطيب فعرفها وضحك لها وذكر ابا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله . قال وانشدت ابا علي لبلال قصيدة ابي الطيب التي اولها :

« واحر قلباه بمن قلبه شيم » الخ فلما وصلت الى قوله :

وشمر ما فنصته راحتي فنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

اعجبه جداً ولم يزل يستعيد حتى حفظه اه .

الاختلاف في ترجمة الصنوبري — اذا امعنا النظر في ترجمة الصنوبري التي اتى بها

كل واحد من صاحب المجموع المخطوط وفوات الوفيات ومعجم البلدان وابن عساكر وابن جني — فاننا لاول وهلة يظهر لنا اختلاف عظيم في اسم الصنوبري واسم ابيه وجده وجد ابيه ووصفه مرة بالصيني وأخرى بالضبي وتسمية ياقوت لجدد بمروان وتسمية ابن عساكر لجد ابيه بمرار وثفرد ابن جني باسمه واسم ابيه دون جميع من ذكرناهم من ترجموا له :

(١) هذا البيت من جملة ابيات من قصيدة للمنني اولها :

« على قدر اهل العزم تأتي العزائم » الخ .

واصل هذا البيت في هذه القصيدة هكذا :

نثرهم فوق الأحيذب كله كاثرت فوق العروس الدرام



اما انا فانبج باسمه واسم ابيه ونسبه - الاكثرية التي تنألف من صاحب المجموع المخطوط وصاحب الفوات وابن عساكر فأقول هو « احمد بن محمد الصبني الصنوبري الحايي » وان كلمة الصبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر - محرفة عن الصبني ، احثار هذا في ترجمته واقتصر عليه واوكل تصحيح اسم جده وجداه به الى رائدي لتحقيق والبحث عنهما في معاجم الادباء وكتب التاريخ .

تاريخ وفاته - اما تاريخ وفاته فلأر من صرح به سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ ، وهذا بلارب تاريخ مغلوط اذا سلمنا بصحة الكتابة التي اوردها صاحب التبتية عن ابن جني فانها كادت تفيدنا صراحة ان الصنوبري كان في سنة ٣٤٦ حياً يرزق ، نستفيد هذا من قول ابن جني : وانشدت ابا علي ليلاً قصيدة ابي الطيب التي ادها : واحر قلباه الخ فان هذه القصيدة آخر ما نظمه ابو الطيب في حلب اي انه نظمها حين فارق سيف الدولة وذلك في السنة المذكورة . وعلى كل حال فان تاريخ وفاة الصنوبري لا يخلو من إبهام فهو يحتاج الى تدقيق عميق .

عدم الثوبع في شعر الصنوبري - رأيي في الصنوبري من هذه الجهة انه كان عالي النفس ضيقاً بما يحياه عن ان يذله في طلب جوائز ومدوح صائناً لسانه عن قول الهجر والبذاء في هجاء من نراه او عاداه ، يقول الشعر تأدياً لانكسباً مقتصرأ في اكثره على وصف الرياض والأزهار كعندليب بقليل في ظلالها ويتقل في افيائها ويغرد في انوارها يشدو بذكر المحبوب ويلهو بلذيد المشروب قائماً من دنياه بعيش مقرون بالجز وشرف النفس معتمداً على قول القائل « من قر عيناً بعيشه نفعه » .

وما استحسن ايراد نبذة من اشعاره التي تسني لي جمعها ليستدل الناظر فيها على منزلته في الشعر وعلو كعبه في البديع وثقنته بانواع التشبيه التي كاد يضاهي بها براعة ابن المعتز الذي انفرد بهذه الصناعة ، فأقول :

قال الصنوبري كان اول شعر قلته وارفضيته قولي :

ما حل بي منك وقت منصرفي      ما كنت الا ودبعة التلغف  
كم قال لي الشوق قف لتلثمه      فقال خوف الرقيب لا تنف

فكان قاي في زي منعطف      وكان جسي في زي منحرف  
كان للصنوبري ابن مسترضع ففطم فدخل الصنوبري يوماً داره والصبي يبكي فقال  
مالا بني ، قالوا : فطم فنقدم الى المهد وكتب عليه ارجحاً :  
منعوه اخب شيء اليه      من جميع الوري ومن والديه  
منعوه غذاء وقد كان      مباحاً له وبين يديه  
عجباً منه ذا على صغر السن      هدي فامتدى الفراق اليه

وله :

نار راح ونار خد ونار      لحشا الصب بينهن استعمار  
مالا بالي ما كان ذا الصب عندي      كيف كان الشتاء والامطار

وله :

ما قضى في الربيع حق المسرا      ت مضيع زمانه في الخريف  
نحبت منه على تلقي شتاء      بوجب القصف او وداع مصيف  
في قميص من الزمان رقيق      ورداء من الهواء خفيف  
يرعد الملاء منه خوفاً اذا ما      لمست يد النسيم الضعيف  
وقال :

اني طربت الى زيتونة بطياس<sup>(١)</sup>      بالصاحبة بين الورد والآس  
من ينس عهدهما يوماً فليست له      وان تطاولت الايام بالناسي  
ياموطننا كان من خير المواطنين لي      لما خلوت به ما بين جلامي  
وقائل لي أفق يوماً فقلت له      من مسكرة الحب ام من مسكرة الكاس  
لا اشرب الكأس الا من يدي رشيا      مهفوف كقضب البان مياس  
مورد في الخلد في قمص مودة      له من الآس اكليل على الراس  
قل للذي لام فيه هل ترى خلفاً      يا امليح اليروض بل بالملح الناس

(١) بطياس قرية في باب حلب بين النيرب وبابلي وكانت قصراً لعلي بن عبد الملك  
ابن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر وصار في موضعها بستان فسحق يعرف  
الآن بكرم القصر .

وله :

سقى حلباً سافك دمه  
ميادينهُ بسطهن الرياض  
ثرى الريح نديج من مائه  
كأن الزجاج عليها اذ  
هي الجو من رقة غيران  
وقد نظم الزهر نظم النجوم  
كما درج الماء مر الصبا  
بسامين اعلام قص القيا  
وقال في دمشق وبعض منزهاتها :

أمر بدير مران<sup>(١)</sup> فأحيا  
وتبرد غلتي برداً فسقيا  
تفيض جداول البلور فيها  
مكلمة فواكهين ابهى الـ  
فمن نفاحة لم تمد خدأ  
ونعم الدار داريا<sup>(٢)</sup> فنيها  
ولي في باب جيرون ظبا  
صفت دنيا دمشق لمصطفىها  
فأجمل بيت لهوي بيت لها  
لأيامي على بردا وسقيا  
خلال حدائق ينبتن وثيا  
حناظر في مناظرنا واعيا  
ومن رمانة لم تعد ثديا  
صفا لي العيش حتى صار ربا  
أعاطيها الهوى ظيها فظيها  
فلست أريد غير دمشق دنيا

وله يفضل فصل الربيع على بقية الفصول :

ان كان في الصيف ريحان وفاكهة  
وان يكن في الخريف النخل مخترفاً  
فالارض مستوقد والجو تنور  
فالارض محسورة والجو مأسور

(١) دير مران كان بالقرب من دمشق فوق تل مشرف على مزارع الزعفران  
ورياض جنة وبنائه بالجلس واكثر فرش بالبلاط الملون وكان ديراً كبيراً وفيه رهبان  
كثيرة وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة به اه معجم البلدان .  
(٢) داريا من أمهات قرى غوطة دمشق ومنها يخرج العنب الزيني المنقطع النظير .



وان يكن في الشتاء الغيث متصلاً  
 ما الدهر الا الربيع المستنير اذا  
 فالارض يافوتة والجو لؤلؤة  
 ما بعدم التبت كلاً من سحائبه  
 فيه لنا الورد منضود مودود  
 ونرجسي ساحر الابصار ليس لما  
 هذا البنفسج هذا الياسمين وذا الذ  
 تظل تنثر فيه السحب لؤلؤها  
 حيث التفت فقمري وفاخته  
 اذا الهزارات فيه صوتا فهما  
 تطيب فيه الصخاري للمقيم بهـ  
 من شم ريح تحيات الربيع بقل  
 وله :

ولم انس<sup>(١)</sup> ما عاينته من جماله  
 وقرأت في المحراب والناس خلفه  
 فقلت تأمل ما تقبل فانه  
 وله في المواعيد الكاذبة :

قال لنا نخلة وقد طلعت  
 حتى اذا صار طلوعها بلحا  
 حتى اذا بسرها غدا رطباً  
 فعد عن نخلة كخلة عسقو - ب وعن قصة كفتها  
 نخلتنا فاصطبر لطلوعها  
 قال توقع بلوغ بسرتها  
 قال اصطبرنيها لتمرثها

وله :

(١) هذه الايات الثلاثة نسبتها صاحب معاهد التنصيص الى ابي نواس وقد رأيتها  
 في عدة كتب منسوبة الى الصنوبري .

ولقبوه <sup>(١)</sup> بحب الظرف ليتهم ضاعوا كما ضاع وصف ذلك القلب  
ولكنكف هنا بهذا القدر من اشعار الصنوبرى راجين من محبي الادب الحر بصين على  
احياء ذكر هذا الشاعر ان يمدوا لنا يد المساعدة و يكتبوا الينا بما يظفرون به من ينسب  
اليه لضيفه الى ما جمعناه وما نجمعه بعد وفعه للطبع ، وهنا نذكر اسماء الكتب التي  
استقصيناها للبحث عن آثار الصنوبرى كيلا يتكبد غيري مشقة استقصاءها مرة ثانية  
فأقول هي : ( العمدة لابن رشيق ) ( معاهد التنصيص ) ( التبيان شرح ديوان المتنبي )  
( الشريشي شرح مقامات الحريرى ) ( خزائن الادب للحموي ) ( فتحات الازهار للنابلسي )  
( فوات الوفيات للكتبي ) ( معجم البلدان لياقوت ) ( تاريخ الشام الكبير لابن عساكر )  
( صبح الاعشى للقلقشندي ) ( نهاية الارب في فنون العرب ) ( زهر الآداب للقيرواني )  
( نزهة الانام في محاسن الشام ) ( مواسم الادب ) انهم  
( حلب )



(١) حب الظرف عند اهل العراق هو الجرب . (المجمع) كذا جاءنا هذا البيت وهو  
غير مستقيم الوزن فلعل صوابه ( ضاعوا كما ضاع منهم ذلك القلب .

## الغلاظة في اللغة

—\*—

غلظ الشيء :- غلَظَ و غِلَظًا و غِلَظَةً : خلاف دق ورق ، وكذلك استعمل جلدُه  
وأعْيِل الشيء .

وعرَد - 'عرء دأ ، وشئز المكاث يشأز شأزاً وشؤوازاً ، وشئزت الارض  
شئزقة ، وجفا الثوب يجفو جفأً ، واحز زم المكان ، وعقد العسل والرب ونحوهما ،  
واستكثف الشيء ، وكذب الرجل - 'كنوباً ، وخصم زعليه البلد او القبر ، وخصم زراً .  
وشئهر الشيء : غلظ وصار شديداً ومثله احب جراً وتكاد البعير والكلبدى ،  
وعرّز الشيء - 'عرزاً ، واستعلب اللحم وحدر الوتر حدرورة ، وانعقد العسل والرب  
ونعقداً ، وقد اعلوّد الشيء اي غلظ واشتد ورزن .

(اليد) - وشئلت اصابعه - شئلاً : غلظت - وبدء ورجله : غلظ لهما  
ونراكب وكذلك شئلت شئولة ، وشئنت كفه تشئن شئناً وشئنت شئونة :  
غلظت وخشنت ومثله شئنت - شئناً ، وعست يده عسواً : غلظت من العمل ،  
وكذا عظبت يده عظباً وعظوباً ، وكثبت كذباً ، وقد عجّلت يده - 'عجلاً  
وعجولاً : وعجّلت - 'عجلاً : تقطعت من العمل فمرت ومثله أبحّلت وشئنت - شئناً  
واذا غلظ ظهرها من برد الشتاء فتشقق قيل شرّثت يده - شرثاً وانشرثت .

(خشن) - وعين جسمه - 'عينا : غلظ وخشن نقول في جسمه عيّن اي غلظ  
وخشونة ، وكث الشيء - 'كثاً : غلظ وثخن ، وجشّب الطعام - ' : غلظ وخشن  
ومثله جشرب جشباً ، وحثر الشيء : غلظ وخشن وضخم .

واستلغظ الشيء : صار غليظاً ومثله حزن المكاث حزنه اي صار حزناً جي به



على بناء ضده وهو قولهم مكان - هل وقد - هل - هولة ، وأحزن بنا المنزل .  
 وضرك الرجل - ضراكة : كان ضريبكاً وضرباكاً والضرباك الرجل الغليظ  
 الشديد عصب الخلق وعثيل الشيء عثلاً : كان عثلاً اي غليظاً ضخماً ، وجزل  
 الخطب وغيره جزالة : عظم وغلظ فهو جزل ، وأذك الشيء - أنسك : عظم وغلظ ،  
 وترويت مفاصله : اعتدلت وغلظت ، وفجيم فجماً : كان في شدة غلظ ، وعجبت النافه  
 عجياً : غلظت عجب ذنبها ، وعطن جسمه : غلظ جسمه ، وتلك الرجل : غلظ لحمه ،  
 ونبلخص زيد : غلظ لحمه وكثر . وجبل - : صار كالجبل في الغلاظة ، وعكت  
 الابل تمكو عكراً : غلظت وسمنت ، وجفا القلم : غلظ قطه .

واكتب الشيء ، غلظ ومثله ناز - نوزاً وتيزاً ( واوي بأي ) واستجب السقاء ،  
 وجبل الشيء - جبلاً فهو جبيل وجبيل . وجش - وخنزا الرجل وادانظى وهبلمت  
 المرأة . وقد ثخن الشيء - ثخونة وثخانة وثخنًا اذا غلظ وصلب فهو ثخين ومثله  
 ثخن - وحدّر جلده - حدراً وحدوراً ، غلظ وانفخ وورم قال عمر بن ابي ربيعة :  
 لودب ذرت فوق ضاحي جلدها لأبانت من آثارهن حدورا

وحدر الغلام حدارة وحدرت حدراً كان حادراً اي سميناً غليظاً . وخثر الابن -  
 خثراً وخثر - خثارة وخثورة ، غلظ . وشثن البعير ، غلظت مشافره من رعي الشوك  
 وحثرت عينه ، غلظت اجفانها من رمص او رمد . وأرثا الابن وارثاً ، خثر ومثله  
 أرضت الرثبة وهي الابن الحامض يخلط بالخلو .

( التغليظ ) - وغلظ الشيء ، جعله غليظاً ومثله اثفن العمل بده . واعتقدت العمل  
 والرّب وعقدته اي اغايته حتى غلظ . وأنبل قداحه ، جعلها جافية غليظة .  
 واستغلظ فلان الشيء ، رآه غليظاً - والثوب ترك شراءه لغلظه . وغلظ الثوب ،  
 وجسده غليظاً وقيل اشتراه كذلك - والمسافر ، نزل بالغلظ . وأعش الرجل ، وقع  
 في ارض عشّة اي غليظة . واستجنن الفراش وغيره ، عبّه جافياً اي غليظاً او خشناً .

\*\*\*

( الغلظ ) - وهي الغلظة والغلاظة والغلظ . قال احمد شوقي :

ان الشجاعة في الرجال غلاظة مالم يزننها رأفة وسخاء

وقال خليل مطران في عنبرة العبسي :

ولينه في نصابه وغلظته في ملعب المارت بين السمر والخدَم  
وكذلك الخنزرة والأشترز والأشترص والشنزرة ( الغلظ والخشونة ) والشرز  
والشُرْونة ( الغلظ من الارض ) والهُكْوَة والكِبْنة كقوله في وصف جمل :  
ذا كِبنة يملأ التصدير محزمه كأنه حين يقف رجله فسدن

والجرز نقول انه لدر جرز . والوَكَعة ( الغلظ والشدّة ) والعُنف ، الغلظ  
والصلابة . والجَهْن ، غلظ الوجه وفي التاج غلظ الوجه والجسم . والكَشْ ، غلظ سيف  
جلد اليد وثقبض . والحدّر ، اجتماع الخلق مع الغلظ .

ونقول هذا رجل فيه غلاظة اي فظاظة وقسادة ، وفيه غلظة اي فظاظة . وفيه  
علكة وجسارة في خلقه اي غلظ : وبه شبع اي غلظ في الساقين . وفي خلقه ضمّره  
وغمارز اي سوء وغلظ . وكتال وكتل اي غلظ جسم . وكنب وهو غلظ يعملوا الرجل  
والخف والحافر واليد او خاص بها اذا غلظت من العمل . وبلهثة اي غلظ جسم مع  
رخاوة . وانه لدر كنديرة اي غلظ وضخامة . وكيع اي خشونة وغلظ . وتبغيل اي  
غلظ جسم وصلابة يقال بغل الجسم اذا غلظ وصلب . ويقال انه لشديد الكدنة وشديد  
الجلبة اذا كان غليظاً . وبه خشمة اي قصر في انفه وغلظ وتفرطح . وجفاء اي غلظ في  
العشرة ومثل اليجفة . وعنجهية اي جفوة في خشونة مطعمه واموره . وعنجهرة اي  
جفاء وغلظ خلق . وجعش اي جفاء وغلظ . ومثله العيدمة والعيدرية .

« للبحث صلة »

( النبك ) : سالم خليل رزق

## آراء وافكار

==>>>==

### عجز اللغات

وحين أضيف (العجز) للغات لأستثنى واحدة من جميع اللغى المعروفة في العالم ، نعم كلها عاجز ، وإن كان هذا العجز يتفاوت بينها بقدر كبير أو صغير ، ولقد يخيل اليك وانت تطرح نظرك على الوار المعاجم والموسوعات إن أكثر اللغات غني مري لم بدع غرضاً الا احصاء ، ولا معنى الا اداء ، ولا جليلاً الا شكه ، ولا دقيقاً الا اصابه ، وخاصة لغة العرب ، فالك تجد فيها من البذخ وعظم الافضال ما يمتد الى شدة لافراط وغاية الاسراف ، فهي تطلق على كل من الجمل ، والغزال ، والسيف ، والخمر ، وغير هذه من الاسماء والنعوت ما لا يعلم عدته الا الله . وهي في كل باب تفيض على المعنى الواحد من الالفاظ اشكالاً والواناً ، وبحسبك ان تقرأ للمهبيين من متقدمي اهل البيان من امثال الجاحظ ليهما جملك الانهار من غنى هذه اللغة وما بلغت في ذلك العصر ، من اليسار ، الى حد ان الكاتب من هؤلاء يردد على المعنى الواناً كثيرة من التعبيرات والصيغ لاتدعو اليها حاجة في تقرير المعاني واساغتها لفهم القارئ ، وانما تدعو اليها موسيقى النظم من جهة ، ومكاثرة الكاتب بالوفر من اللغة من جهة اخرى .

ومع هذا كله فاني ما زلت ازمع ان اللغات المعروفة كلها ، وفيها العربية قاصرة من بعض النواحي واضحة القصور ، عاجزة شديدة العجز . ولست أريد بتلك الناحية ماسبق لي ان قررت في رسائل ( ادبنا القومي ) من عجز العربية عن أداء كثير من الاغراض الحديثة ، والمسميات الطريفة ، فان لغات الغرب تؤديها كلها احكم الاداء ، هذا الى ان للعربية عذرها في ذلك فلقد انقبضت دهرأ طويلاً انبعث فيه العلم الحديث . واقبلت أذهان الغربيين على الاستنباط والاستكشاف والابتكار والاختراع ، حتي لم يكدا ابتناء



الشرق يفتحون عيونهم بعد طول هجمتهم الا وقد راعهم ان رأوا كل ما يحيط بهم غريباً عنهم . جديداً عليهم ، بل الذي أعنيه واتهم اللغى جميعاً بالتقصير فيه هو شيء قديم جداً ، أقدم من العلم ، وأقدم من الاختراع ، وأقدم من اللغات نفسها ، وهو انفعالات الوجدان . نعم ، لقد شياً للغات حقاً ان تؤدي حاجات العلم ، وان تفرغ الاسماء على كل ما يحيط بنا من الماديات ، وان تسخ الصيغ على الاسباب الدائرة بين النار ، وان تبسط الالفاظ للترجمة عن كل ما يدور في رؤوسنا من الأفكار والآراء . وبهذا استطاع الناس ان يتطارحوا الأفكار ويتبأثوا فتورنا كثيرة من المعاني . ومع هذا قد بقيت انفعالات الوجدان كل هذه الادمار ، بحجزة لا تؤديها اللغة الا بالجملة ولا تمسها ، ان مستها ، الا من بعيد .

ومن بدية القول ان الناس من يوم درجوا على هذه الارض يحبون ويبغضون ، ويفرحون ويحزنون ، ويبصرون ويسمعون ، وينذقون ويشمون ، ولكل شيء من هذا اثر خاص في الحس لا يكون لغيره ولا يعدوه الى سواء ، وهذا يجده كل انسان ، بل لقد يجده كل حيوان فتري ماذا ارصدت اللغة للترجمة عن هذه الاحساس المشتركة بين الناس جميعاً ؟

لقد زعمت لك ان اللغة لا تصيب هذا الضرب من المعاني الا بالجملة ، ولا تمسه ، ان هي مسته ، الا من بعيد ، واني أضرب لك طائفة من الأمثلة يتضح بها هذا المقام . هنالك شيء نعرفه انت ونعرفه الناس جميعاً من عهد آدم وولده يدعى (الحب) . وان المرء يحب أمه ، وانه يحب ابيه ، ويحب اخاه ، ويحب أخته ، ويحب ولده ، ويحب زوجته ، ويحب صحبه ، هو ، في الغاية ، يحب هؤلاء جميعاً وهو لا يستطيع ان يترجم لما يجده اكل منهم الا بكلمة (الحب) اذ الواقع انه انما يشعر لكل منهم بشعور خاص متميز لا يخالط غيره ، ولا يشبهه في كثير من عناصر الحس سواء ، فاذا اقتضيته الفروق بين هذه الالوان من (الحب) قررت لك انني عاجز عن بيانها بياناً واضحاً دقيقاً لان اللغة لم تبينها بياناً واضحاً دقيقاً وكل ما استطيع ان ابلغه من هذا ان اعين كل واحد منها باسبابه وملاساته لا بجهوهه ومذاقه كأن اقول لك ان حب الام يمتاز بعرفان الجميل لما عانت في حمل الولد وولادته ، وإشهاد الجنين في إرضاعه وتعليمه ، وتحيضه اصدق الحب ، وإيثاره حتى على النفس ما تبغي من وراء

ذلك اجراً ولا شكراً ، وان حب الالب يمتاز فوق عرفان الجميل بما ربي وما اتفق ، وما جهد في سبيل التربية والتأديب ، ويمتاز بالاعظام لانه سبب انحداره الى هذه الدنيا ، وبانه الاصل الذي ينسب اليه ، ويعترف الى الناس به . والتمس مثل هذه الاله باب حب الأخ والولد والام والصحب وغيرهم .

اني أستطيع ان أفعل هذا ، ولكنني لا أستطيع ان اقع بك على كل لون من ألوان هذا الحب بحيث تستخضره وتستشعره كما أستطيع ان اقع بك بفضل التعبير ، على مطالب العقل مثلاً ، فسرعان ماتدركها تامة وتصورها كاملة . فان شئت ان تحسها وتستشعرها فليس هناك من سبيل الا ان تراجع فيها نفسك ، وتفتش عنها بين اضالك ، فهناك تعرفها اباح المعرفة ، وتدر كما اتم الادراك .

وان المرء ليحزن لان يغشى المكروه احداً من هؤلاء ، ولكن نكل حزن كذلك انفعالا خاصاً لا يخالط غيره ولا يشاركه في مذاقه سواء .

ثم انك تشم الورد فتنتعش بشذاه ، وتشم الياسمين فتزكو نفسك بطيب رياه ، وتشم القرنفل والفل والترجس والمسك والند . المنبر والطيب وغيرها من كل ما يستريح اليه الانف ، وتزكو به النفس ، ولكن مما لا شك فيه ان لكل من هذه ريحاً خاصة ، لنفعل بها النفس انفعالا خاصاً لا يخالطه غيره ، ولا يشركه فيه سواء .

فقل لي حبشك ، كيف كان سبيل اللغة الى التعبير عن كل منها تعبيراً يحضره نفسك ، وبصله بوجودك ؟ اللهم ان كل ما اتعت له اللغة من نحو ما يأتي : هو نبات اوزهر طيب الريح ، له عرف ، له شذى ، له اريج يتضوع الخ الخ . وكل هذه نعوت تصلح للجميع . فاذا هي تزاخت قليلاً للتميز والتجديد لا تعدو ان تميز بين بعضها وبعضها بالخفة والشدة والضعف والسطوع ، وهذا مالا يعني في كثير .

ثم انك تطعم من الفاكهة النفساح والظوخ والشمس والعنب والماوز والزمان والكثيرى والسر والنين والبلح بضروبه ، والكرز والمالجو والبطيخ والشمام والبرنقش واليوسني ، والليمون الحلو ، وغيرها مما تخرج الارض من فاكهة وثمر ، أفبتري في مذاقك واحداً منها مثل الآخر في اكثر مشابهه ؟ الواقع لا ! على ان كلها في تعبير اللغة ، حلو ! فاذا هي استشرقت للتميز ، وثمرت للأداء لم تزد على حلو حامض ، او مر ، او نحو ذلك مما يسلكها

فصائل لا افراداً ! ومن تداعي المعاني أذكر في هذا المقام ان امير الشعراء قد أبدع كل الابداع في قوله : ( وكذلك كل مليحة بمذاق ) ويقول الله تعالى في كتابه العزيز ( والنخل والزرع مختلفاً أكله ) وليس بعد كلام الله تعالى كلام .

ثم انك لتفرح ويشجع فيك السرور : تفرح لانك اصبحت ثروة ، وتفرح لان ابنك ابلت من مرض ، وتفرح لانك ظهرت على عدو ، وتفرح لانك وافقت حبيباً في غفلة من الرقباء ، وتفرح لانك أصبحت ذا منصب وجاء ، وتفرح لانك هديت الى زوجة صالحة - انك لتفرح لكل هذا ولغيره وتسرب به وتغبط ، ولكن لكل فرح من هذه مذهباً ، ولكل منها وجداناً يميزه عن غيره ، ويستقل به عماءه . اذ اللغة لا تسعفك في هذا كله الا بالفاظ الفرح والسرور ، والاغتباط ونحو ذلك مما لا يجدي فيما نحن بسبيله فتيلاً .

هذه طائفة من الامثال اوردتها عليك لتدرك بها مبلغ عجز اللغات في هذا الباب . ولا شك بعدها في ان امرءاً لم يرزق الولد يستحيل ان يشعر حب الولد ، وان امرءاً لم يطعم الكثيري يستحيل ان تقرب من نفسه مذاقها . وان امرءاً لم يرتفع الى المنصب هيهات ان يستشعر لذة الجاه والسلطان ، وذلك ان اللغة التي واثت مطالب الانسان في كل شيء ، وافضت عليه الافضال كله ، واذنت له في ان يسرف في الالفاظ ، ويتبذخ بفنون التعبيرات في كل جليل وحقيق ، حتى لقد اسعفت خياله في الصعود الى جوار السماء ، والغوص الى قرارة الدأماء ، واقامت له عند السماء مأرباً ، وفسحت له في الأفلاك مطلباً ، ورحم الله ذلك الشاعر البارد يقول عن ممدوحه :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منطلق !

هذه اللغة التي واثت بهذا كله ، واسعفت في ذلك اجمعه ، مازالت تضن على الناس بالاسعاد فيما يجده كل امرئ منهم كل يوم وكل ساعة وكل لحظة : مما تختلج به احساسهم وتجييش به عواطفهم ، ويحرك له وجدانهم !

\*\*\*

وبعد فثم مسألتان ان لم تدخلا في صميم هذا الموضوع فانهما متصلتان به اوثق الاتصال ، واحدهما جمال الخلق ، والثانية جمال الصوت . وقبل كل شيء نقرر ان



ارادة اللغة على ان نتناول موضوعها بالتبسط والتفصيل لا نتخلو من الارهاق والاعنات .  
على انها اذا لم تكن مطالبة بالتفصيل فهي ولا شك مطالبة بالاجمال .  
جمال الخلق في كل مكان من هذه الارض وفي كل زمان . وان الناس لينتمشون  
الجمال . ويكافون به ، وانه ليأخذ في نفوسهم كل اخذ ، حتى ما يكاد يدع بعضهم بفكر  
او يتحدث الا فيه ، او يطلب من دنياه غير هواه ، ولقد نبلي به الفئنة في هذا الى حد  
الصرع والى حد الجنون . وكثيراً ما تجرد الشعراء والادباء في وصف فتاة مليحة فافتنوا  
في هذا وتطيرت فيه أخيلتهم كل مطير ، ولكنهم كسروا كل جهدهم على ان هذه المرأة  
او تلك الفتاة فتاة ، بارعة الحسن ، رائعة الجمال ، فاذا هم تدنوا الى التفصيل ما زادوا على  
انها فارعة الفرع ( هذا اذا كان شعرها مسرحاً ) او انه ( أثبت كقنو الخلة المتشكل )  
اذا كان شعرها جمداً ، وانها واضحة الجبين ، وانها مقوسة الحاجبين ، حتى لكأنها ( نونان )  
ونها سابغة الهدب ، نجلاء العينين ، ايلة الخدين حتى كأن الشمس تجول فيهما ، وان  
لها أنفاً كحد السيف ، وان لها شفتين قدتا من العقيق . وثنايا صيفت من الدر او التوم .

وثناياك انها اغريض ولا ل نوم و يرق وميض  
واقاح منور سبه بطاح هناء في الصباح روض اريض

الى آخر ما يسبغ على الغانيات ، من فنون الذموت والصفات .  
وانك لتخرج بعد هذا ، وذهنك لا يتصور كل جميلات النساء في عشرة قرون  
الا مطبوعات على غرار واحد ، بارزات للعالم في صورة واحدة ، بحيث لا يقع بين خلقهن  
اي اختلاف اللهم الا في الاسماء والالقاب . فهذه هند ، وهذه دعد ، وهذه تماضر ،  
وهذه بثينة ، وهذه ليلى العاصرية ، وهذه ليلى الاخيلية الخ . ولعمري ، لست أدري  
كيف كان كل شاعر متمشق من شعراء العربيه يميز معشوقته ويهتدي الى هواه بين  
سائر الجميلات من النساء ؟ وما يحدث به عن الجمال ، في هذا ، حدث به ، عن النقيج  
سواء بسواء .

الواقع انه من العنت والارهاق ان تريد اللغة على ان نصف لك خلق انسان حتى  
كأنك تراه او ترى له تمثالاً محكماً او صورة من نقش صناع . وانه معاً جد المرء ودق  
وصدق في وصف انسان بتساؤل كل اعضائه وتصوير جميع اجزائه . فانك حين تراه

تراه على صورة مغايرة للصورة التي تمثلت في ذهنك تمام المغايرة . ولكن المشاهد المحسوس ان الناس مهما افرقوا في خلقهم بالحسن والقبح . ومهما اختلف الخلق بين كل من هؤلاء وكل من هؤلاء ، فانه ما من انسان الا ينسب في كيفية تكوينه ونظام خلقه الى فصيلة معينة تحسبها انت في نفسك ، ويشعر بها غيرك في نفسه ، سواء أكانت دارسة المعالم ام واضحة الحدود .

وهناك اصوات المقتنين مثلاً . تسمع منها العشرات او المئات فتدري لكل واحد منها لونا ، وتجده له مذاقاً خاصاً ، فاذا أردت ان تصف احداها ان لم يسمعه فقلت تعدو ان تقول انه جميل ، او حلو ، فاذا طلبت (الفن) ليعينك ويسعدك في وصفك ، قلت انه رفيع او عريض ، وانه اذا ارتفع تسليخ او ظل على استمساكه ، وانه اذا تدلى الى (القرار) نقيص او دوى وانغم الخ على انك لا تخرج من هذا بجميل ، اللهم الا ان يقول لك ان هذا الصوت من (بدنية) صوت فلان واست خارجاً بشيء اذا لم تكن سمعت صوت فلان هذا .

والواقع ايضا انه ما من صوت كريم او غير كريم الا ينسب ، في الاصوات ، الى فصيلة معينة تحسبها انت ويحسبها غيرك ، سواء أكانت هي الاخرى دارسة المعالم ام واضحة الحدود .

والحاصل ان اللغات لم تكن العناية الكافية بتعيين هذه الفصائل فلم تحررها من الالفاظ والصيغ ما يجليها تمام التجلية على النفس . وبصلها تمام الصلة بالشعور .

نعم ، لقد عنيت لغات الغرب بشيء من هذا ولكن الامر ما يرح بتطلع منها الى مزيد . اما العربية فما احسبها عنيت منه بجميل ولا صغير .

\*\*\*

وبعد فلو انه قدر للغات ان تئسس الى مطايع الوجدان فتحدث عن كل ما يشيع فيه من شعور ، ويترقب من حس ، ثم لو انها استطاعت ان تمثل للنفس ، ولو على جهة التقريب ، صورة مما تقع عليه العين وتسمعه الاذن — لثم للادب كماله ، وتهياً للنفس ان تنفض كل ما فيها واضحا جليا في غير مطاولة ولا كبير عناء . ثم لقام قلم الشاعر او الكاتب

مقام ريشة المصور او ( اسطوانة الفونوغراف ) وذلك المثل الاعلى للادب الصحيح . فهل  
ترانا بالغيه في يوم من الايام ؟  
وربما كان من الخير ان نعاود هذا الموضوع نزلة أخرى فانه اجل واضنى من ان  
يستوفي الكلام فيه مقال .

« باحث »

— « \* \* \* » —

### مقتطفات

« من كتاب الحيوان للجاحظ »

كنت منذ سنين قرأت كتاب الحيوان للجاحظ وعدت الى قراءته فافتبست منه  
عدداً من المصطلحات والملاحظات أذكر منها طائفة فيما يلي :

أوردت في الصفحة ١٩٥ من المجلد الحادي عشر من هذه المجلة ان ابن العوام استعمل  
لفظة « الصنف » بمعنى Variété وقد اتخذ الجاحظ ايضاً تلك اللفظة لذلك المعنى . قال  
في ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠ « ومن اصناف الكلاب ما يحمل ربع السنة » .

واستعمل حري في القسمة والتصنيف بمعنى Classification فقال ( ج ٤ ص ٩٠ )  
« وقد وضع الكلام على قسمة أجناس الحيوان وعلى تصنيف ضرور الخلق . . . » .

ولقد قلت مراراً ان كتاب العرب الأقدمين كانوا يطلقون الفاظ جنس ونوع  
وصنف وضرب على مختلف حلقات التصنيف لأن وضع هذه الحلقات وثبيتها هما عمل من  
أعمال البارحة فترى الجاحظ مثلاً يستعمل لفظة « الضرب » « لأنواع » Espèces من  
الطيور حيث يقول ( ج ٣ ص ٤٥ ) « والقمرية حمام والفاخرة حمام والورشات حمام  
وكذلك الحمام وضروب أخرى » . اما في الصفحة ٦٦ من المجلد ٥ فتراه يستعمل لفظة  
« الضرب » المذكورة بمعنى Catégorie او Division وذلك في الجملة الآتية :

« والطيور كله على ثلاثة أضرب فضرب من بهائم الطير وضرب كسباع الطير وضرب  
كالمشرك المركب منها جميعاً » . وهو يطلق لفظة « الجنس » على ماسي بالفرنسية  
Espèce اذ يقول ( ج ٥ ص ٦٧ ) « والأجناس التي تعايش الناس الكلب والسنور



والفرس والبعر» . اما لفظة النوع فهو يميز بها عن الحلقات Genre و Espèce و Variété على السواء في مواضع شتى .

وقرأت في الصفحة ٨٣ من الجزء الثالث « واجعل حمام النساء المسرولات العظام الحسان . . . واجعل حمام الفراخ من غير ذوات الأعراق الكريمة » . فالأعراق هنا بمعنى Races لأن هذه الحلقة هي حلقة الأصناف التي رسمت صفاتها ونأصلت ( انظر مجلة المجمع سنة ١٩٣٠ ص ١٩٣ ) .

والخلاصة ان حسن حفظ اللغة جعل علماء اليوم ينفقون على تخصيص Genre الاعجمية بلفظة جنس و Espèce بلفظة نوع حتى صار القول في هذا الباب شيئاً يكاد يكون من الفضول . اما تخصيص Variété بلفظة صنف فقد كان انكره علي العالم الدكتور محمد شرف صاحب المعجم في العلوم الطبية والطبيعية مع ان ابن العوام والجاحظ لم ينكرا ذلك . وانكر ايضا اطلاق العرق على Race مع أن ذلك له وجه كما ترى وكذا لفظة رس للعلامة الأب انستاس .

والقضية ليست سوى تواضع العلماء على تخصيص كل حلقة من سلسلة التصنيف بلفظة واحدة ولهذا لا يجوز ان يفرض احد العلماء في هذا الصدد رأيه على سائر علماء العربية فرضاً . واذا كان المجمع العلمي العربي بدمشق يدرج في مجلته آراء اعضائه في هذه الألفاظ وفي كل المصطلحات العلمية الحديثة دين ان يقرها في جلسة رسمية فما ذلك الا لعله ان هنالك أقطاراً عربية أخرى . غير الشام فيها علماء لم آراء محترمة وانه لا يجوز ان نقر لفظة ما رسمياً الا في مجمع علمي مشترك . ارحنا نوقب تأسيسه . اما ومجمعنا في دمشق يراعي هذه المسألة المهمة الى هذا الحد فأحر بالأفراد العلماء في مصر والعراق خاصة ان يتشدوا ويتواضعوا قليلاً فلا يلزمونا بأرائهم كأنها قرآن منزل وليرقبوا مثلنا ظهور هذا المجمع المشترك حيث يردن المجال متسماً لتحري أصح الألفاظ للعلماء العلمية الحديثة .

وهناك مؤلفون ربما اقتبسوا وانحلوا الألفاظ التي وضعها أعضاء مجمعنا فحبذا لو عدل هؤلاء فلم يجعلوا حظنا منهم كحظ العلامة الدكتور امين باشا المملوف من الاستاذ المحقق الدكتور شرف فان الثاني اقتبس في مجمه كثيراً من ألفاظ معجم الحيوان تأليف الاول دون ان يذكر معجم الحيوان في جملة منابع التي استقى منها . ولا شك ان ذلك

مهم وقع فيه الاستاذ شرف ( جل من لا عيب فيه ) لكنه لا يجوز ان يسهر علماءنا عن مثل هذا .

وانعد بعد هذا الاستطراد الى ذكر بعض الألفاظ التي لفتت نظرنا في كتاب الحيوان . قال الجاحظ في ( ج ٣ ص ٨٣ ) : « جميع الفراسة لا تخرج من أربعة أوجه اولها النقطيع والثاني المحسة والثالث الشمائل والرابع الحركة . . . . . فالنقطيع انصباب العنق . . . . . واتساع التخزين . . . . . وقصر المنقار » الخ . وهنا يلحظ انه استعمل لفظة النقطيع بمعنى Morphologie تماماً قال : « هذه أعلام الفراسة في النقطيع » . قلت اي بي المورفولوجيا .

اما المحسة فاستعملها بمعنى Maniement وكنت ذكرتها لهذا الغرض . واما الشمائل فبمعنى Caractères .

وجاء في ( ج ٧ ص ٤٨ ) « وقد يكون في الخلق المشترك وغير المشترك . . . . . فالمشترك مثل الانسان الذي يأكل الحيوان والنبات » . فتري ان لفظة المشترك في هذا الباب تصلح للتعبير عن كلمة Omnivore الفرنسية .

وأورد في ( ج ٣ ص ٨٣ ) الجملة الآتية في تدجين بعض الحيوانات « ولا بد لجميعها من الصرامة ومن التعليم أولاً والتروطين آخرأ » فلفظة التروطين أطلقها على Acclimatation وهي كأبلاف الإقليم التي ذكرتها في مقال سابق .

ولفت نظري في ( ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠ ) تعبيرات يفيدان الغاية اي بمعنى Au maximum وهما « اطول ما يكون » و « في القوط » في الجملتين الآتيتين :  
« وانكوبة الانثى تحمل واحداً ومئين يوماً أطول ما يكون » .  
« واكثر ما تنضم الكلبة اثنا عشر جرداً وذلك في القوط » .

ورأيت في ( ج ٢ ص ١١٥ ) الجملة الآتية : « ويكون مثله من الناس الزنج فانهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومنزاجاً » . ورأيت فيها ايضاً عن الغراب « فيكون اختلاف تركيبه ونضاد أعضائه . . . » . فالذي يلفت النظر في هاتين الجملتين لفظة التركيب فالجاحظ ساقها بمعنى Composition على حين ان بعض الكتاب يترجم هذه

اللفظة الأجنبية بحرف « بناء » . وأظن ان هذا الحرف الأخير كان استعماله العلامة الفقيده يعقوب صروف ثم عدل عنه للفظ التركيب وهي لا غبار عليها وتفيد المعنى المذكور . وقرأت في ( ج ٤ ص ١٠٣ ) « غرائز أخر وخاصيات أخر » . وفي ( ج ٢ ص ٨٢ ) « ولم ينيهوني على هذه الخاصة التي فيه » . قلت ان لفظة الخاصة بمعنى *Propriété* موجودة في الأسماء لكنك لا تجد فيها لفظة الخاصة بالياء . ومع ذلك عثرت على اللفظة الأخيرة في مادة « سنبل » من القاموس مع ان الفيروز ابادي لم يذكرها في مادتها . والخاصية من المولدات كالفاعلية وأشباهاها .

وتمثل الجاحظ في ( ج ٢ ص ١٠٨ ) بالبيت الآتي :

باليلة لي في حوران ساهرة      حتى تكلم في الصبح المصافير  
وأورد ذلك البيت في ( ج ص ٧٢ ) هكذا :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة      حتى تكلم في الصبح المصافير

قلت سواء أكانت ليلة الشاعر في حوران ام في حواريين ( قرية في عمل القرينين الى شرقي حمص الجنوبي ) فان الذي بلغت النظر قوله ليلة ساهرة وهو تعبير نصت عليه المعاجم . وهنا يرد على البال السؤال الآتي وهو الا يجوز ان نقول على هذا القياس ليلة راقصة وليلة عازفة بمعنى *Soirée dansante* و *S.musicale* من البدهي ان الليلة لا ترقص ولا تمزف . لكنهما لا تسهر ايضاً . فكما جاز استعمال اسم الفاعل من « سهر » كذلك يجوز استعماله من الفعلين المذكورين ولومع التجوز . وأمثال ذلك كثير .

وأدخل الجاحظ في ( ج ٦ ص ١٥٩ ) ال التعريف على ( غير ) في الجملة الآتية : « وخبرني بعضهم انه رأي من يبكي باحدى عينيه و بانني يقترحها عليه الغير » . وهذا الوجه جائز لدى بعض اللغويين .

وكان بعضهم انكر استعمال حرفي جر متعاقبين مع انهم نصوا على جوازه . وقرأت في ( ج ٥ ص ١٢٠ ) « فكنت والله اري البعوضة تطير من على ظهر الدور » .

وأدخل التاء على لفظة العنز وهو غريب قال في ( ج ٥ ص ١٤٢ ) « انني اتخذت عنزة رجوت رسلها وتسليها » . وجاءت ايضاً كذلك قبل بضعة أسطر .

واستعمل لفظة القوصرة بمعنى الأصيص « شقفة زريعة » . قال في ( ج ٥ ص ١٢٥ )



فقالوا لي ان الأراك انما ينبت من الأراك يفرس في جوف طين في قواصر و يبقى الماء اياماً . . . » .

وفي الصفحة ١١٠ من الجزء ٣ وجدت لفظة القبو (ج ١٠ الأقباء) بمعنى (ave و بودروم) اي بالمعنى الذي نعرفه في ايامنا هذه . قال « والباقلاء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً فربما أغفلوه في تلك الأقباء . . . » .

وقسم الطيور الى قواطع وأوابد . ويقالها بالفرنسية Oiseaux migrants و O. indigènes قال في (ج ٢ ص ٦٥) والخطاف من القواطع غير الأوابد اذا قطع الى الأنايس لم يبن بيته الا في أبعد المواضع .

وجاء في (ج ٢ ص ١٠٤) « وقد قالوا رجل ورحلة وشيخ وشيخة » . واستعمل في (ج ٣ ص ٩٩) لفظة القائلة بمعنى Sieste كما وردت في المعاجم . وكان استعماله اياماً على أوجه شتى قال « كنت أريد القائلة فأمرت باخراج الذباب . . . فكنت أدخل الى القائلة فيأكلني البعوض . . . فأبيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة . . . » .

وفي (ج ٣ ص ٤٥) ذكر الماعزة والضانية بمعنى المنزل والنخلة . ومن التعبيرات الشيقة التي لفت نظري « عبد عين » في الجملة الآتية الواردة في (ج ٣ ص ٢٦) وهي :

« ويقال للمرائي وللمن ذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة في طاعته واذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك انما هو عبد عين » .

ومنها « التفخ والتزبد » الواردة في (ج ٢ ص ٥٦) حيث قال « واعلم ان هذه الأحاديث من أحاديث الفرس وهم اهل تفخ وتزبد ولا سيما في كل شيء مما في باب العصية » .

ومنها الوصف الآتي للرجل المجد في (ج ٣ ص ٢) « ألف تفكير وثقير ودراسة كتب وحلف نبيين » .

ومنها في وصف الكتب القديمة ووصف حفظها النعس من المترجمين والخطاط (ج ١ ص ٤٠) « كتاب منقاد الميلاد دهرية الصنعة . . فما ظنكم بكتاب يتعاقبه

المترجمون بالافساد وتساوره الخطاط بشر من ذلك .  
ومنها تعبيرات ما برحت شائعة على الألسنة كضرب اللين في الجملة الآتية التي تجدها  
في (ج ٤ ص ١٣٩) « ولم أر سقاء قط بلغ حال اليسار والثروة . وكذلك ضرب اللين  
والطيان والحراث . . . » . وكما أقوا على دوابهم في الجملة الآتية الواردة في الصفحة ١٣٥  
من الجزء نفسه « . . . حين نزلوا وبهم كلال السير وحين علقوا على دوابهم . . . » .  
هذه طائفة مما اقتبسته من ذلك السفر الثمين فاعل فيها فائدة للكتاب والمترجمين .  
مصطفى الشهابي

## مطبوعات حديثة

النثر العربي في القرن الرابع للهجرة

— بقلم —

الدكتور زكي مبارك

— \* —

رسالة أنشأها الدكتور زكي مبارك باللغة الفرنسية وقدّمها الى جامعة باريس .  
بحث فيها عن خصائص النثر في القرن الرابع للهجرة فأشار الى محاسن هذا النثر وإلى  
معيبه وحاول ان ينسج في مباحثه من تأثير علماء المشرقيات .

القرن الرابع في نظر الدكتور انما هو من اعظم القرون شأنًا فان اللغة فيه خصائص  
لم تكن لها في العصور السالفة ، من هذه الخصائص اجتهاد الكتاب سيفي نتميق كتاباتهم  
بمحاسن الشعر فان قدماء الكتاب لم يخطر ببالهم ان يقلدوا الشعراء ، اما كتاب العصر  
الرابع فقد قلّدهم مقتصدون في تقليد دون شيء من الاسراف وانما الاسراف وقع من  
قبل خلفائهم في العصور اللاحقة .

ومن خصائص النثر في القرن الرابع النقية والسجع وفي هذا العصر ظهرت المقامات  
وان لم تكن المقامات من وضع العصر الرابع وانما كانت من اقتباسه .

وقد ذكر الدكتور في رسالته انه نبت على أصاليل سيف تاريخ ادب العرب من جعلتها وضع البديع والبيان وانشاء المقامات واصل الصناعة اللفظية وما شابه هذه الامور .  
تضمن الرسالة مقدمة وخمسة وعشرين فصلاً وخلاصة .

اما الفصول فقد بحث فيها صاحبها عن النثر قبل الاسلام وبعد الاسلام وفي القرن الرابع للهجرة وعن البلاغة في ذلك القرن وعن مصادر الصناعة اللفظية او التكلف في الكتابة وعن الحياة العقلية وعن المقامات وعن أحاديث ابن دريد وعن روايات الأغاني وعن الاخبار بين والقصاص وعن تراجم ابن العميد والصاحب بن عباد وبديع الزمان والحوارزمي والتوحيدي وابن نباتة والخطيب والصائي وابي حسن الجرجاني وابن فارس والتمالي وابي هلال العسكري وابن شهيد الاندلسي واحمد بن يوسف المصري والنونجي .

أبرز صفات هذه الرسالة بناء صاحبها على اصول برونتير ( Brunetiere ) في مباحثه ، فمذهب ( برونتير ) في الأدب انما هو مذهب ( التطور ) فان ( برونتير ) لا يؤمن بمذهب التولد الذاتي في الأدب فالطريقة الغنائية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما هيئت من القرن الثامن عشر .

وعلى هذه الأساليب جرى الدكتور زكي مبارك في مباحثه فالنثر العربي لم يخلق فجأة وانما العرب كان لهم قبل الاسلام نثر يفصح عن شرف نفوسهم وعن طبيعة احساسهم وانما آثار هذا النثر قد فقدت فقد كان قبل الاسلام أدب وفلسفة وفن فلا يتصور العقل ان ينفجر فجأة في جاهلية جهلاء لا يفكر احد منها في بلاغة او في عروض او في نقد أثر كالقرآن رائم الحسن ، فالدكتور زكي مبارك من هذه الناحية يخالف الدكتور طه حسين ويصرح بهذه المخالفة .

وكذلك المقامات لم تخلق فجأة وانما اقتبسها الحريري عن الحمذاني والحمذاني عن ابن دريد صاحب الأحاديث وعلى هذه الصورة انتقلت أحاديث ابن دريد على الأيام من طور الى طور حتى طبعها الحمذاني والحريري من بعده بطابع خاص .

لا شك في ان أدب العرب في أمثال هذه المباحث يدخل في طور خاص فلا يأتي عليه حين من الدهر إلا وأوائله مرتبطة بأواخره بحيث يصبح سلسلة محكمة الحلقات .  
على اننا اذا أردنا ان نصل الى هذه الخواتيم المحمودة لزمنا ان نوازن بين الآثار فاذا ذكرنا مثلاً ان اصل المقامات مقنيس عن احاديث ابن دريد وجب علينا ان ننبه على مواطن الافتباس حتى يتبين لنا كيف انتقل هذا النوع الأدبي من حال الى حال او من طور الى طور على الأيام ولئن نعذر علينا ان نقايس بين آثار اللغة الجاهلية واللغة الاسلامية لفقدان المصادر الجاهلية فما يتمذر علينا ان نقايس بين الآثار التي جاءت بعد الاسلام حتى ندرك مختلف أطوارها وانما الرأي المجرّد غير المبني على امثال هذه الموازنات والمقايسات لا يفعل فعلته في العقول . « شفيق جبري »



### أشعة رونتجن

« الجزء الاول في تشخيص الامراض الباطنة لمؤلفه الدكتور محمد فريد »  
« خريج جامعة برلين والاختصاصي في الامراض الباطنة والأشعة »

هو كتاب يقع في ٦٥ صفحة قسمه مؤلفه قسمين بحث في الاول منها عن فحص المعدة بأشعة رونتجن وتشخيص امراضها فبين مكانة فحص المعدة بالأشعة بطريقة الفحص فشكل المعدة السليمة واشكال المعدة المصابة بالقرحة او السرطان بصورة الاثني عشري المصاب بالقرحة .

وجاء في الرسالة الثانية على فحص الامعاء وتشخيص امراضها وكيفية فحص المعى الدقيق ووظيفته ، وكيفية فحص المعى الغليظ وتأثير العقاقير فيه وتكلم عن انسداد الامعاء وضيقها وأورامها وديدانها وسأها وعن التهاب الزائدة وركود الصائم ونقصيره وغير ذلك مما يعترى الانبوب الهضمي من التبدلات والامراض .

والكتاب اذا نظرنا اليه نظرة علمية حسن التيوب غزير المادة فيه احدث ما جاء به



علم الاشعة ، مزين بمائة رسم وتكمل ، متقن الطبع . فليس لنا والحالة هذه الا ان نشكر  
 لمؤلفه ذلك العناء الكبير الذي قاساه في نقل مستحدثات هذا العلم الى لغتنا العزيزة .  
 غير اننا كنا نود ان تكون لغة الكتاب نقية خالية من الخطيئات اللغوية والنحوية  
 والصرفية وان تكون مصطلحاته الطبية صحيحة منطبقة على ما وضعه الناضون بلغتنا  
 العزيزة في هذه الحقبة الأخيرة من الزمن . ولا يخفى ان لغة المؤلفات لا تقل مكانتها عن  
 العلم نفسه لانها الثوب الذي يظهر به ذلك العلم فاذا ما كان جميلاً أكسب العلم نفسه  
 رونقاً وجمالاً واذا ما كان ركيكاً أثر في مظهر العلم اذا لم يؤثر في جوهه .  
 ليست غايي ان أبين جميع ما في هذا الكتاب من الخطيئات اللغوية فانك لا تكاد  
 تقرأ سطراً حتى تقع على خطأ اذ اكثر بل غايي ان أورد مثالا للقراء الكرام .  
 فمن الخطيئات قوله :

كان ينقص لغة الناطقين بالضاد كثيراً . . .	تصادف تلك المعدة عند الرجال أقويا .
بادرت بتأليف . . .	البنية عريضي التركيب
ما لم من ابادي بيضاء . . .	نعتبر الصور الثلاثة
فقد نشاهد اسراع في طرد . . .	ان الثلاثة أصناف
فان الرئتين مملوءتين . . .	او الثانية عشر الصدرية
بل ونستطيع . . .	للعامود الفقاري
ثم جعلوه اجوفاً	تراكد محتويات المعدة
لم يستطاع	أورام الكبد وتضخماته
لا يؤثر عليها	مع ما حولها من الأنسجة
ثم استعويض تحت كاربونا - البريموت عن	حتى يقدمون
تحت ازوتاته	وقد يقع بين شكلي معدة الرجل والمرأة
٤٠٠ جراماً	اختلافاً
اذا كان بين الجدران فراغاً	اربعة ساعات
اما نحن نرى	جدولاً آخر
	خواف الاخيز

وترى المعدة والحجاب الحاجز مندفعان  
والا اذا استمرنا  
مستوى الضلع التاسع أو العاشر  
الاعنقاد بندورة

وغير ذلك من مئآت الخطيئات ، وصحيحها :

كان بنقص لغة الناطقين بالضاد كثير	تعتبر الصور الثلاث
بادرت الى تأليف	ان الأصناف الثلاثة
ما لم من اباد بهضاء	او الثانية عشرة الظهرية (وايست الصدرية)
فقد شاهد إمرعاً في طرد	لعمود الفقاري
فان الرئين مملوء تان	ر كود محتويات المعدة
بل نستطيع	اورام الكبد وضمخاماتها
ثم جعلوه أجوف	مع ما حولها من النسيج
لم يستطع	حتى يقدموا
لا يؤثر فيها	وقد يقع بين شكلي معدتي الرجل والمرأة اختلاف
ثم استعوض تحت فخات اليزموت عن تحت	اربع ساعات ( وهذه الخطيئة مكررة كثيراً )
ازواته	جدولاً آخر
٤٠٠ غرام	حافات الاخير
اذا كان بين الجدران فراغ	وترى المعدة والحجاب الحاجز مندفعين
اما نحن فنرى	والا اذا استمرنا
وتصادف تلك المعدة - في الرجال الأقوياء	مستوى الضلع التاسع أو العاشر
البنية العريضي التركيب	الاعنقاد بندارة

وفي الكتاب كثير من الأوصاف المغلوطة نرغب في تنبيه المؤلف الفاضل اليها منها :  
( الهيكل العظمي ) ص ب سطر ٧ والاصح العنقل كما ارنا في العلامة الاب انتاس  
الكومبي لانت كلمة ( squelette ) باليونانية ( skeletos ) معناها الضامر الضعيف

اليابس اذ المنهضم الخاصر ابن ثم توسعوا في معناها فأطلقوها على هيكل عظام الانسان فاذا جردت الكلمة اليونانية من ( etos ) وهي علامة الاعراب بقي ( skel ) المقابلة لأصل لفظاً ومعنى .

( الكشف الاكلينيكي ) ص ج سطور ١ لا يزال زملاؤنا المصريون متعلقين تعلقاً لا انفكاك منه بهذا اللفظ الأجنبي الثقيل مع ان معنى ( clinique ) « دروس تلقى على سرير المرضى » فستحسن اذن نسبتها الى السرير . فيقال الكشف السريري والدرس السريري ونحو . .

( التشريح المرضي ) ( autopsie ) بعد الوفاة ص ج سطور ١٣ وقد اشتهرت ترجمة ( autopsie ) بفتح الميت اما التشريح المرضي فمعناه ( anatomie pathologique ) ( الليكيمي ) ( leukémie ) ص د سطور ١٣ ومعنى هذه الكلمة ابيضاض الدم وترجمتها خبر من تعرف بها على ما أرى .

( الجونزالجوزي ) ص د سطور ١٤ وهي الجُدَرَة ج أجدار او الجُدَرَة ج جُدَر و جُدَر .

( البروستاتا ) ص د سطور ١٥ وقد ترجمها العلامة الكرمل بالموثة ولا غبار على هذه الترجمة لان الكلمة أخف لفظاً واسهل نسبة من الكلمة الأعجمية .

( فتح البطن للتجربة ) ص ٥ س ١٥ والأصح قولنا « فتح البطن الاستقصائي » .

( القفص الصدري ) ص ٦ س ١٣ وهو القُوس على رأي العلامة الكرمل .

( المجس ) ( bougie ) ص ٨ س ١١ والصحيح « الشمعة » .

( aneuorism ) ص ٨ س ١٤ وترجمتها ام الدم .

( الجلانين ) ص ٩ س ٤ وهو المُلَام .

( بالون ) ( ballon ) ص ١٢ س ١٣ وهو الحوجلة .

( افقية ) ( transversale ) ص ١٣ س ٦ والصحيح معترضة لان افقية ترجمة

( horizontale ) .

( الأجواف ) ( Antrum ) ص ١٣ س ١٢ والصحيح الجيب لان أجواف قد أطلقت

على ترجمة ( cave ) .

- (سيفون) ( siphon ) ص ٤١ س ٩ وهي السحارة .  
 (العظم العاني) ( symphyse ) ص ٦١ س ٦ وهو الوصل العاني وليس العظم نفسه .  
 (العاصر الأُجوف) ( sphincter antrum ) ص ٢٠ س ١٧ وهي مصرة الجيب .  
 (عدم كفاءة) والأفضل أقصير .  
 (صل النخاع الشوكي) ( tabès dorsalis ) وهو الدُّهَام حسب تسمية الأب  
 الكرملي والكلمة من اصل لاتيني .  
 (مرطان قسم البواب) ص ٣٣ والاصح ترجمة ( région ) برجا لما بين الكتفين من  
 التقارب اللفظي .  
 ( القولون الهابط ) ص ٤٣ س ١٦ و يعني به ( colon descendant ) وهو النازل  
 وليس الهابط لان هذه الكلمة تعني ( ptosé ) .  
 ( askaris ) ص ٥٠ وتجب ترجمتها بخراطين المعى .

\* \* \*

هذا نذر مما وقع عليه بصرنا حين تصفح هذه الرسالة وقد كنا نود ان تكون منزهة  
 عن هذه الشوائب لتزف الى اللغة العربية نقية صافية . فعمسى ان يتدارك مؤلفها الفاضل  
 هذه الخطيئات الكثيرة في الطبعة المقبلة ويهذب لغتها فترندي الحلة العربية الفصحى .

الدكتور

مرشد خاطر



# مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : سنة ١٩٢١

تشرين في دمشق مرة في الشهر

أيلول - تشرين الأول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفع مقدماً  
أ في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورية  
| وفي جميع الأقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠	من السنة الأولى الى الرابعة كل سنة منها
« ٣٠٠	« الخامسة الى العاشرة « «
« ٦٠٠	« الأولى الى الرابعة « «
« ٣٥٠	« الخامسة الى العاشرة « «



## ابن زيدون

—\*—

هو الكاتب الشاعر الأديب ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي .

وبنو مخزوم الذين يمت إليهم بالنسب بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد الفاتح العظيم . جلا أجداده الى الأندلس مع من جلا اليها من عرب المشرق ، ولم تعرف بالضبط سابقتهم فيها هم وسلالتهم ، غير انه اشتهر من أعقابهم ثلاثة تسموا بابن زيدون : المترجم ، وابوه ، وابنه . ويظهر ان بينهم نشأ في قرطبة مقر الخلافة الأموية في المغرب . وكان اول المعروفين منهم أبو المترجم ، ذكروا انه كان فقيها متأدبا وجيها عند اهل عصره . شفى عليه بالجميل ، وكان يكنى بابي بكر ، توفي بمدينة البيرة سنة خمس واربعمائة ، ونقلت جنازته الى قرطبة ، فدفن بها ، وورثاه بعضهم بقوله :

أي ركن من الرياسة هبضا      وجموم من المكارم غيبضا

حملوه من بلدة نحو أخرى      ليوافوا به ثراء الأربضا

مثل ماء السحاب ماء صيبا      ليدأوي به مكانا مريضا

وللمترجم ابن يكنى أبا بكر بن زيدون ، تولى وزارة المعتمد بن عباد بعد أبيه ، وقتل يوم اخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد لما استولى على مملكته سنة اربع وثمانين واربعمائة .

الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصر ابن زيدون — نشأ ابن زيدون في عصر انقرط فيه نظام حكم العرب بالأندلس ، وثقوت فيه اركان الدولة الأموية ، وذهبت ريج من زاحمهم من بني حمود من سلائل العلوية الأدرسية ، وتفرقت رجالات

هذه الدولة العظيمة طوائف وشيعة ينضوي كل منهم الى كنف رئيس من قضاة الدولة اوقوادها او ولاية نواحيها ، ينشي بهم دولة اعلمها لا تزيد على مدينة وأرباضها ، واذا أتيح لمملكة من ممالك هذه الطوائف بسطة سلطات وآساع رقعة شملت عمالة قديمة او عمالتين ، ولكنهما لا تقوى الا على مصارلة جاراتها والكيد لها ، واغراء العدو من ملوك الاسبان بها بل مناصرته عليها ، فاستطار مشرر هؤلاء الملوك الاسبان ، وتدخلوا في شؤون هذه الدول بلات بالقوة والسياسة ، وانتهى الامر باكثر هذه الدول بلات ان استخذوا أمام هذا العدو القاهر ، ودفعوا له الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهم على ذلك الذل يتنافسون في الالقاب وشارات الملك ، وتشيد القصور والمصانع وتنسيق المنازه والملاعب ، واقتناء الجواري والقيان واجتلاب فاره الدياب والعلمان ، وسهل عليهم تأسيس ممالكهم وتأثيل نعمتهم تلك المغانم العظيمة والثروة الجزيلة التي أفعمت بها البلاد فتوح المنصور ابن ابي عامر قبيل ذلك العهد ، فتسمى كل زعيم منهم بامير المؤمنين ونائب بالرشيد والمأمون والمتوكل والناصر والمنصور والمعتمد كما يقول في ذلك ابن شرف القيرواني .

مما يزهدي في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها كالمحكي انتفاخا صولة الاسد

واستخذ له بطانة من خيرة الادباء والكتاب والشعراء والمؤلفين ، يحرض جد الحرص على الا يكون عند غيره من ملوك الطوائف مثلاً ، بحيث اذا اشتهر من بين رجال هذه الدول بلات نابه في قيادة حرب او تدبير ملك او نجاح في شعر او كتابة او تأليف ، خطب كل منهم وده ، فنفق ذلك سوق العلم والادب من جهة ، وواحد من جهة أخرى في نفوس وزرائهم وأعوانهم دالة عليهم طرقت الى الشك حيلة إخلاصهم ومؤامرة أعدائهم عليهم فعاجلوهم بالنكبات ، وباغتوهم بالحبس والمصادرات ، وربما اقلت بعضهم ، فألقى بنفسه في أحضان مملكة مجاورة يؤلفها على دولته الاولى ، وييدي لها وجوه ضعفها ، وما استشر من غوارها ، فتطعم في الاستيلاء عليها او انتقامها من أطرافها ، فاما ان تفوز بإرضائها ، واما ان تكون باحثة عن حنقها بظلمها . كل هذا والعدو من الاسبان ينطعم منهم بلداً بعد بلد ومملكة بعد مملكة ، وهم لاهون غارتون في بذخهم واصلفهم وتجاهلهم ونطاعتهم ، فلم يبقوا حتى ضيق عليهم خنافتهم من الشرق والغرب والشمال ، وحتى تهدم بالاجلاء



عن ارض الاندلس جملة ، ففزعوا الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك البربر من المرابطين يستصرخونه على عدوهم ، وينشدونه بلسان حالم :

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدرى كني ، ولما أمتق

فجاءهم ابن تاشفين بجيوش البربر الجرارة فدحر الاسبان في موقعة الزلاقة الشهيرة ، وردهم الى أسوار طليطلة ، ورجع الى بلاد . فرجع ملوك الطوائف الى ما كانوا عليه ، فكر يوسف عليهم وأخرجهم من ديارهم وأدخل ما بقي للمسلمين من ارض الاندلس في سلطانه ، ونقل كبار العلماء والكتاب وكل من يحسن صناعة الى مراكش حاضرة ملكه ، وولى عليها الولاة المسميين بالسادة من ذوي قرابته . فحمل شأن الاندلس بالتدريج في العلم والادب ، وزالت منه أهية الملك ، فقلت الرغبة من ولاة البربر في الاستئثار بالعلماء والادباء واستبطن ارباب الاجادة ، فنقصت المهمة عن التحصيل والدرس والاعتزاز بالعلم والادب ، بين الذين آثروا الافامة بالاندلس لضعفهم عن الرحلة اولفضل تراث بقي في ايديهم عن آباءهم ، فربما جاشت نفوس هؤلاء بالشعر فأجادوه تكلاماً او نظراً وتلميحاً لا تكسباً وثميراً أكابن خفاجة وأضرابه .

ولما كان عهد ملوك الطوائف قصيراً لم يدركوا اوائل زؤسانه وجلة علمائه وأدبائه ممن درجوا من مهد الدولة الأموية ، وربما أدرك بعضهم عصر تجميد الدولة وبسطة سلطانها على اديم الجزيرة زمن المنصور ابن ابي عامر المعافري حيث العلوم مديدة الرواق ، والآداب وارفة الظلال ، والامن والعافية وخصب العيش وطيدة الدعائم ، فلم يؤثر تفرق الكلمة وتشتت الجماعة بادي بدء في الثقافة العامة ، فوجد كل مؤسس دولة من ملوك الطوائف من يشد أزره ويسد عوزة من أرباب السيف والقلم الذين خدموا الدولة المعاصرة اوبني حمود العلويين ومن تزين بهم ملكه من الشعراء والندمان وارباب الفنون والصناعات الجميلة . فكان للملك منهم عدة وزراء نابهي الشأن في السياسة والعلم والكتابة والشعر . وكان له من المهندسين والبنائين والمزوقين من قاموا بتشيد تلك القصور البديعة ذوات الفرش الوثيرة والبساتين النضيرة التي خلقت لب ابن تاشفين على غرارته وعنجبيته ، وجعلته بنفس عليهم عيشهم ، ويستكثر عليهم ملكهم .

لذلك نعتبر عصر ملوك الطوائف من نعمة عصر نهضة اللغة وآدابها - في الاندلس .

ولهذا أيضاً كان كثير من أدباء هذا العصر في عداد رجال الذخيرة لابن بسام والقلائد للفتح بن خاقان على الرغم من فوضي حكمه واختلال نظامه . ولكن لما بقي القرن الاولون وخلفهم القرن الآخرون قدت تلك الفوضى السياسية في عضد الثقافة العامة ، وهاضت من جناح التبوغ في العلم والأدب وتدبير الملك والصناعات الجميلة ، وأخلت بالرخاء ورغد العيش . فلما اكتسح ابن تاشفين بسيط الجزيرة نقل عتاد ملك الاندلس وثقافته الى بلاده كما نقل ملوكه والله عاقبة الامور .

ولاحاجة بنا في ترجمة اديبنا ان نسرّد كل مملكة من ممالك الطوائف ، وما دخل سيف حوزتها من البلاد ، وانما نشير بإيجاز الى نشأة كل من مملكة آل جمهور وآل عباد وعاقبة امرهما لارتباط سيرة مترجمنا بهما .

آل جمهور بقرطبة — يرجع نسبهم الى بني كلب احدي قبائل قضاة . دخل ابو عبيدة اولهم الاندلس ، ونسل بها بنيه ، وسكنوا قرطبة ، ووزروا للناصر والمستنصر والمنصور ابن ابي عامر ، وكان منهم الوزير ابو الحزم جمهور بن محمد بن جمهور عين أعيان قرطبة ورئيس الجماعة بها زمن الفتنة عند انقضاء الخلافة الأموية ، فانه استقدم المعتمد آخر من بويغ من بني أمية بالخلافة الى قرطبة ، وبابعه ، وحمل اهله على بيعته الا ان الجند خلعوه ، ففر الى لاردة سنة ٤٣٠ هـ ثم هلك واقرض به ملك بني أمية ، فقام جمهور بضبط امور قرطبة والحكم بين الناس بها ملازماً بيته متباعداً عن قصر الخلافة ريثما يتفق الناس على إقامة خليفة فلم يتم لهم ذلك ، واستبد هو بامر الملك على زهادة وصلاح الى ان مات ودفن بداره سنة ٤٣٥ هـ وولي ابنه ابو الوليد محمد بن جمهور وكان عالماً اديباً فارساً ثم خلفه ابنه وكان سيء السيرة ، فحاصره ابن ذي النون بقرطبة ونظامه المعتمد بن عباد بنصرته فأرسل جيشاً الى قرطبة فاستولى عليها ، وداخلوا اهل قرطبة ، فخلعوا ابن جمهور وبابعوا المعتمد بن عباد ملك اشبيلية فولى عليها احد ابنائه .

آل عباد باشبيلية — اما آل عباد فأصلهم من ظم من جند حمص الشام دخل اولهم عتاف قرية بشرق اشبيلية ونسل بها بنيه ، وكان اول مستبد منهم بالملك القاهي ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين اسماعيل بن عباد ، فولى القضاء باشبيلية واشترك في بيعة

القاسم المأمون بن حمود العلوي على اشبيلية ، ثم ثار عليه اهله ، وولوا القاضي ابن عباد اميراً في صورة القاضي حتى هلك . وتولى بعده ابنه عباد مجاهراً بالملك ، وتلقب بالمتعصد وكان حازماً شديداً الدهاء والجبروت ، فانسع ملكه حتى عم غرب الاندلس ، ومات . وخلفه ابنه محمد المعتمد وامتد ملكه الى قرطبة ، فأخذها من آل جمهور وذاع صيته وخدمه كثير من فضلاء الوزراء والادباء . وكانت اشبيلية في عصره مقصد الشعراء وقبلة كل محسن لصناعة ، الى ان نكبه الدهر واستولى على ملكه ابن تاشفين ونقله الى أغمت الى ان مات سنة ٤٨٤ هـ .

نشأة ابن زيدون — عاش ابن زيدون عيشتين : الاولى عيشته في قرطبة ، وهي عبشة تحصيل وكد ، ومزج هنر الجهد ، والثانية عيشته بعد الفرار من السجن ، وهي عبشة غلب عليه فيها الجد والوفار والعظة والاعتبار .

حياته في قرطبة — ولد ابن زيدون بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ في ايام الدولة العاسرية بعد موت الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة واحدة ، وفي اول عهد ابنه المظفر الذي كانت ايام حكمه كلها اعياداً رخاء عيش وأمان مرطب ، وحكم قرطبة يومئذ يمتد باسبانيا من مدينة شنت بمقرب شمالاً الى أقصى بلاد السوس من المغرب الاقصى جنوباً ، واهل قرطبة مغمورون في الثروة التي اغرقها عليهم الناصر والمستنصر والمنصور بن ابي عامر وابنه المظفر مدة قرن من الزمان ، من المغنم الكثيرة والسبايا اللاتي امثلت بهن البلاد وجعل يخس اثمانهن شبان الاندلس يزهدون في زواج الحرائر . ففي ربوع هذه الغبطة وفي ظلال ذينك الأمن والعافية نشأ ابن زيدون في حجر أسرة نبهية الشأن من رجالات الدولة وأعيان فقهاءها . فوآد ذلك فيه حب التمتع باللذائذ والطيبات والاعتباط بمشاهد الانس والجمال ، كما وآد فيه كرم بشاره علو المحبة وتطلب ذرائع الشرف والرياسة في زمانه وبهيمته : مثل وعي اللغة وحكمها وأمثالها ، والايحاطة بعلوم لسانها وحفظ القرآن الكريم ورواية الكثير من الخبر ومأثور النظم والنثر وحوادث التاريخ والقصص والنوادر فتنبهاً له من ذلك فوق ذكائه الفطري مادة أكسبته النبوغ في فرض الشعر وإجادة الترميل ولطف المحاضرة ، كما انتهت عادة بأمثاله من أدباء الاندلس الى تسنم مرتبة الوزارة .



وقد كاد موت أبيه وهو بعدُ يافع لم يتأخر الحادية عشرة من سنه يكون عائقاً عن استكمال ثقافته وصارفاً له عن معاناة الكد ومضض التحصيل ، شأن كثير ممن حرمهم الزمان رعي عائلهم ، غير أن النشئة إذا كانت وطيدة الأسس نبيلة القصد شب الناشئ على ما عودته أبوه ، ولم يعوزه في استتمام سميه غير مراقبة هيئة من ذوي قرابته ، وذلك ما نظنه مكفولاً في مثل بيت ابن زيدون ، وخاصة إذا اجتمع له في البيئة التي شب فيها كل ما يرغب من صنوف العلوم والآداب ، وكثيرها عديد الفحول من العلماء والأدباء ، لما كانت عليه قرطبة في ذلك العهد وهي يومئذ حاضرة الأندلس في كل شيء من علم وأدب ، وشارة ملك ، وجمال صناعة ، وراحة عيش .

قضى ابن زيدون في هذه الحال بعد موت أبيه نحو ست عشرة سنة لا نعرف ، بالتفصيل كيف قضاهما ، ولكننا نستظهر أنه كان في آخر باتها معدوداً من شبان قرطبة البارعين في العلم والآداب المشاركين بأرائهم ومساعدتهم في شجوب نيران الثورة الكبرى في قرطبة تلك الثورة التي ابتدأت بزعة أركان الدولة الأموية ومنازعة دولة بني حمود العلويين لم في الاختصاص بالملك ، وانتهت بانقراض الدولتين وتقسيم البلاد بين ملوك الطوائف . وقد بدأ وحديثاً كانت الثورات متباعدة خصباً لعظماء الرجال وأرباب المزايا كما قد تكون مورداً لحتوفهم ، ولكل ما قدر له أن معادة أوشقاء قنرى ابن زيدون يظهر في فتنة قرطبة من كبار أهل الرأي والمشايخين لآل جمهور في اختصاصهم بإدارة قرطبة ، بل سمى الفتح بن خاقان صاحب فلائد العقبات « زعيم الفتنة القرطبية ، ونشأة الدولة الجمهوريّة » وآل سميه وصعي من على شاكلته إلى انتخاب الوزير أبي الحزم جمهور بن محمد ابن جمهور حاكماً على أهل قرطبة ضابطاً لأمورها حتى ينفق الناس على إقامة خليفة من الأمويين ، ولكنه بدمائه ومظاهرة أمثال ابن زيدون أثّل ملكه وثبّت قدمه في الإمارة وإن لم يتسم بها ، واختص من أنصاره بطانة في هيئة الوزراء والمشيرين ، وعلى رأسهم مترجمنا .

قامت دولة أبي الحزم جمهور سالكة طريق الحزم والعدالة ، والتظاهر بالتمسك بآداب الدين ، والرجوع بالناس إلى آداب السلف والعالحين : قال ابن خلدون في ذلك « ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة ، وكان على سنن أهل الفضل يعود المرخي ويشهد الجنائز



ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي ، و بصلي التراويح ولا يحجب عن الناس » وقال التميمي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب « وكان ابو الحزم هذا يشهد الجنائز ويعود المرضى جارباً على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الامور تدبير الملوك المتغلبين ، وكان آمناً وادعاً ، وقرطبة في عصره حرمٌ بأمن فيه كل خائف . واستمر امره على ذلك الى ان مات في غرة صفر سنة ٤٣٥ هـ فكانت مدة تدبيره منذ استولى الى ان مات اربع عشرة سنة وأشهرآ ثم ولي ما كان يتولى من امر « قرطبة بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جمهور فجري في السياسة وحسن التدبير على من ابيه غير مغل بشيء من ذلك الى ان مات في سلخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ .

فدولة هذا شأنها من ملازمة الجدد وايقار الضبط وبث الامن والتصون عن مواطن الرب والخلاعة لا تطيق العبث بملكها وفرط الدالة عليها حتى من الداعين اليها والحاظين في حبليها ، اذ سببناهم محسوبة من مثاليها . ولم يكنف ابن زيدون وهو بعد شاب لم يبلغ الثلاثين باستغلال معاه في انشاء هذه الدولة بارثقاء منصب الوزارة والسفارة ، والائابة عن ابن جمهور في مهمات الامور ، حتى سوت له دالته على مولاه ان يستغله ايضاً في مقارفة اللذات وغشيان مجالس الشراب ومخادنة الحسان ، فوجد اعداؤه في قناته مغمزاً في رأي جمهور ، فأوغروا عليه صدره ، وروج كيدهم له استهتاره باصرين يستدعيان الحذر .

الاول : انه أعلن التهنك والاستهتار بحب الادبة الطائفة الصيت في ذلك العهد بالادب والجمال وحسن المحاضرة «ولادة» بنت المستكفي الخليفة الأموي ، وكانت لها بقرطبة مجلس أدب ومحاضرة يحشد فيه أدباء قرطبة وشعراؤها وابناء الوزراء السابقين والاعيان القدامين ، تطارحهم الادب والاخبار ، وتبادهم في الملمح والاشعار ، وكلهم معجب بادبها وجمالها جامد في ذيل الخطرة عدها والتقرب منها ، فاستبق الجميع الى قلبها ومجلسهم ادبنا ابن زيدون ، وهو يومئذ وزير الدولة الجهورية . فيظهر ان جمهوراً أوجس خيفة من حشد يجتمع في بيت من بيوت الخلافة الاموية ان يصير امره الى كيد لدولته وألب على سلطانته ، وخاصة اذا كان أقربهم الى الوقوع في الشرك وز ير دولته وأقدرهم على افساد القلوب عليه . ورأى مزاحميه في حب «ولادة» وحاسدوه على مكانته من وزارة جمهور ان الفرصة في ابن زيدون ممكنة فسما به اليه ، وجعلوا ظنه يقيناً .

وصادف ذلك دالة من ابن زيدون عليه لقديم بلائه عنده ، وسعيه في قيام دولته  
فما جله بالحبس ، وتغدي بابن زيدون قبل ان يتعشى هو به .

او أن جمهوراً انكر من ابن زيدون طوره وخلاعه وانقطاعه الى ما يكون نفاضيه عنه  
قادحاً في دولته جالباً على سمعته المعرة وسوء القالة ، فحسم الداء قبل استشرائه .

الثاني : ان جمهوراً كان يسفره الى ملوك الطوائف ، وزعماء الموالي العاصرين من  
البربر والسودان ، لمنتزين على أملاك الخلافة في كثير من المشكلات السياسية ، فيكفل  
مسماء بالنجاح ، وتقع بلاغته في رسائله اليهم من نفوسهم موقعاً ، فحسدوا جمهوراً عليه  
ورغب كل في استئثاره اليه ، وشدأزود دولته به ، كراً ينادك في كل دولة عظيمة اقتسمت  
رقعتها ملوك طوائف وزعماء شيع ، فكانت كل دولة منها تجهد ان تجتذب الى دعوتها  
فحول الرجال ، وتبذل النفيس في اصطناع العلماء والشعراء والكتاب ، تجعلهم عناداً لها  
وزينةً للملك : كاللؤلؤ التي تألفت من تشتت شمل الدولة العباسية : من الدول البويهية  
والسامانية والحمدانية والايخشيديّة والفواطم ، كاللؤلؤ التي انعقدت من انحلال دولة  
السلجوقيين ، ودولة صلاح الدين الايوبي ، ودولة الموحدين بالمغرب ، وفي كل ذلك نرى  
العلماء والشعراء وكل ذي مزية يُدل على سلطانته بنفاق موقه ، ويهدده بالانضواء الى  
غيره ، وفي حياة المثني والبديع والحوارزمي والشريف الرضي وابن نباتة السعدي  
وابن سينا والفارابي والرازي وابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم شاهد  
ضدق لذلك .

فيظهر ان ابن زيدون كان يدل على مولاة بسابقته عنده ، ومكانه من تنوس ملوك  
الطوائف كما أشار بل صرح بذلك في كثير من شعره ونثره ، حتى في رسائله التي استشفع بها  
وان اجتماع كلنا الحسنين في خادم دولة كاف لا يغار صدر المنفرد بها بمجد الملك والعظمة ،  
فهو لا يطيق من مؤسس مملكته دالته عليه ، ويغار على سلطته معه من مزاحمته فيها ، فيتمجّل  
نكبته : كما فعل عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد ، والمنصور العباسي بابي مسلم الخراساني  
وعبد الرحمن الداخل بمولاة بدر ، وعبيد الله الفاطمي بابي عبد الله الشيعي الداعية ، وغير  
هؤلاء كثيرون ممن لا يحصون عدداً .

نكب جمهور وزيره ابن زيدون وسجنه سجن اعتقال مرفهاً عليه في العيش ومكانة الناس

ثم حرد عليه لسبب ما وجعله في سجن اللصوص والمجرمين . ولعل ذلك كان بسبب الرسائل التي كتب بها الى الناس رالى مخدومه يعدد بها أعماله في توطيد امر جمهور ويمتن بذلك عليه .

لبث ابن زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كانت مدتها ؟ ومتى كان يبدؤها ؟ اما الاول فيجيبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية البليغة :

سنون من الايام خمس قطعها اسيراً ران لم يبد شد ولا ربط  
واما الثاني فيجيبنا هو ايضا عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتب بها من السجن الى ابي الحزم جمهور :

لم يطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعلى في عارض الشعر  
قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كتب وللشبيبة غصن غير مهتصر  
ونحن نعلم ان انقطاع دعوة بني أمية من قرطبة كان سنة اثنين وعشرين واربعمئة ،  
ونعلم ان مولد ابن زيدون كان سنة اربع وتسعين وثلاثمئة ، فاذن كان بدء خدمته في  
دولة آل جمهور وهو في الثامنة والعشرين من عمره .

واذا قدرنا انه بعث بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر اذ قد صرح فيها  
بانه لم يبلغ الثلاثين كانت مدة خدمته لآل جمهور لا تزيد على سنتين ، وكان بدء اعتقاله  
في نهاية سنة اربع وعشرين واربعمئة ، او اول خمس وعشرين واربعمئة .  
لبث ابن زيدون في السجن خمس سنين استعطف فيها ابا الحزم جمهوراً واستشفع عنده  
بابنه ابي الوليد محمد بن جمهور ، وكان اليه وصديقه من قبل ، وبغيره من الرؤساء ووجوه  
قرطبة ، وبث اليه واليهم شكواه بمدة قصائد أبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، ومن  
ذلك رسالته الجديدة الشهيرة ، فما ألانت منه قلباً ولا ثنت له عطاء .

فأعمل الحيلة في الفرار من سجنه فتم له ذلك ، وتوارى مدة في قرطبة والزهراء حتى  
سكن غضب جمهور عليه بشفاعته ابنه ابي الوليد محمد بن جمهور وكثير من الفضلاء ، وأذن له في  
الظهور ، ولكنه لم يجد له مساعداً من نفوس آل جمهور ومن نفسه ان يستعيد عندهم حظونه  
الاولى ومنصبه القديم ، فرغب في عرض ادبه وكفايت على ملوك الطوائف ، ونقلت به  
الاحوال من دولة الى أخرى حتى اتى المصا في مملكة آل عباد سنة ٤٤٤ .



وهنا تبدى حياته الثانية بعد فراره من السجن وخدمته غير آل جهور . وقبل ان نذكر شيئاً عن حياته الثانية نرى انه من المناسب ذكر شيء من اخباره مع ولادة .  
 اما ولادة هذه فأميرة أدبية أموية . ومع بعد صيتها جاءنا اسم ابائها مختلفاً فيه فقد كُتب في فلائد العقيان غير مرة انها بنت المهدي من الخلفاء المتخلفين الذين ولوا أزماناً قصيرة زمن العترة البريرية . وكذلك كُتب في تاريخ المعجب للتميني ، و كُتب في نفح الطيب نقلاً عن ابن بشكوال انها بنت المستكفي من اولئك الخلفاء . غير اننا نرجح الأخير ، ونظن ان ذكر المهدي فهو من الفتح او تحريف من نساخ فلائده وان كان تحريف المستكفي الى المهدي غريب لتباعدهما في الزمن فان الاوصاف التي ذكرها ابن بشكوال وغيره في ابائها تنطبق على المستكفي اكثر من انطباقها على المهدي و يضيّق بنا المقام عن ذكر النصوص الدالة على هذا الترجيح .  
 وفيها يقول ابن بشكوال في الصلة :

« كانت أدبية شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ، وكانت لناضل الشعراء وتساجل الادباء ، وتفوق البرعاء ، وعمرت طويلاً ولم تتزوج قط ، وماتت ليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين واربعمائة ، وقيل اربع وثمانين رحما الله تعالى . وكان ابوها المستكفي بايعة اهل قرطبة لما خلعوا المستظهر . . . . . وكان خاملاً ساقطاً . وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف ، حضوراً شامداً ، وحرارة أوايد ، وحسن منظر ومخير ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها بقرطبة منندي لأحرار المصر ، وفناؤوما ملعباً لجياد النظم والثر ، يمشوا اهل الادب الى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منابها . تخلط ذلك بعلوم نصاب وكرم انساب ، وطهارة أثواب ، على انها اوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها اه » .

وفيها يقول صاحب المغرب :

« انها بالمغرب كعنية بالمشرق الا ان هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . واما الادب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة في الغناء . وكانت لما مجلس يغشاها أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك اه » .



أحب ابن زيدون هذه الأدبية حباً مفرطاً جرع عليه وعليها سوء القالة على عفافها وصيانتها . وكاننا يتهاجران : يتهاجران حتى يبلغها الهجو حد الافذاع ، ومع ذلك صرح غير مرة في شعره بأنها لاندال ، وان وصلها في منزلة المحال . وفيها يخاطب الوزير ابا عامر ابن عبدوس مزاحمة في حبها في نوبة هجر منها لابن زيدون وصفوا لابن عبدوس :

وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض

هي لما بعز على قابض ويمنع زبدته من مخض

وابن عبدوس هذا هو الذي كتب اليه ابن زيدون رسالته الشهيرة الهزلية على لسان ولادة جواباً لرسالة بعث بها اليها مع عجوز يسترث وصلها ، ويستعطف قلبها ، وسنصفها بعد .

ولتبع اخبار ولادة وشعرها في الغزل والهجو والتماجن يخرجنا عما قصدنا اليه . وكل ما ينبغي ان نشير اليه هنا هو تأثير حبها في ابن زيدون : شعره وخلقه . اما في شعره فذلك الغزل الرقيق ، لا يصدر الا عن حب عميق ، واما في خلقه فقد خلم فيها العذار ، وجانب الوقار ، وعادى الأحرار ، وقامر بمنصبه وجاهه جد قمار ، واستعقب الحبس والاسار . وسنأتي بعد على طرف من غزله فيها وتشوقه اليها .

واذا قدرنا انه فر من السجن سنة تسع وعشرين واربعمئة فعلى اي حال قضى هذا الاثنتي عشرة سنة ، وما الدول التي انصل بها ؟ هذا السؤال يجيبنا عليه الفتح بن خافان صاحب قلائد العقيان بجواب مجمل وافظ مبهم فيقول :

« ولم تزل الايام تدينه وتبعده ، وتسوؤه وتسعده ، واقذف به الى كل نازح ، ونطرف أمله بين اللاعب المازح ، حتى أحلته بلنسية وهلال ذهائه كما أقمر ، وغصن نباهته بانع قد أثمر ، وبنو عبد العزيز شررهم ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الندى ، ويومضون في كل منندي ، فخل منهم محل الحيا في الكؤوس ، ووقع منهم . وافع البشائر في النفوس . وأقام بين مبرة تواصله ، ومسرة تفازله ، ومكارمة تغاديه . ومجاملة كرايح القطر وغاديه . فلما انفصل ، وحصل فيما حصل ، تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح ، وغصن سنه قد دوح . فلم يجد الا له طيبا ، ولم يهصر غير فننه غصنا رطيبا ، فكتب الى ابن عبد العزيز :

راحت فصح بها السقيم      ريج مطرة السقيم  
 مقبولة هبت قبو      لا فهي تعبق في السقيم  
 أفضيض مسك ام بلذ      سبة لرياحها نعيم  
 بلد حبيب أفقه      لغنى يحل به كريم  
 إيه ابا عبد الال      نداء مغلوب العريم  
 ان غيل صيري من فرا      فك فالعذاب به اليم  
 او اتبعك حنينها      نفسي فانت لها قسم  
 ذكرى لهدك كالها      د مري فبرح بالسليم  
 مما ذمت فما زما      في في ذمامك بالديم  
 زمن كما لوف الرضا      ع يشوق ذكره الفطيم  
 أيام أعقد ناظر      بذلك المرأى الوسيم  
 فأرعى الفتوة غضة      في ثوب أواه حليم  
 الله بعلم انت حب      لك من فؤادي في الصميم  
 ولئن تحمل عنك في      جسم فعن قلب مقيم  
 ثم السلام نبلغ      بقلب مهديه السليم

وفي أيام مقامه ببلنسية وتشوقه الى بلاده قال :

غريب بارض الشرق يشكر للصبا      تحملها منه السلام الى الغرب  
 وما ضر انفاس الصبا في احتمالها      سلام فتى يهديه جسم الى قلب «

وبنو عبدالعزیز الذين يذكركم صاحب القلائد هم من أحفاد المنصور بن أبي عامر أقام  
 مواليتهم من البربر دولة لم في شرقي الاندلس وهي المعروفة بدولة العامريين ومواليهم من  
 البربر ، وكان للمنصور عبدالعزیز بن عبدالرحمن الباصر بن المنصور بن أبي عامر منهم دولة  
 عتيقة دامت نحو ٤٠ سنة زمن الثورة وبعدها .

ولم نعلم المدة التي خدمهم فيها ابن زيدون وإنما نفهم من سرد هذه النبذة انه غادر بلنسية  
 لا عن مودة عليه من ملوكها ، وإنما هو الشوق الى وطنه غربي الاندلس جره الى ان  
 خدم ملك الغرب المعتضد بن عباد .

« حياته الثانية »

خدمته آل عباد - لم يطب لابن زيدون عيش في خدمة العامريين بشرقي الاندلس  
ابعد ما عن وطنه ولأنه رأى ان لا أمل في رجوعه الى قرطبة الا اذا انتزعها منهم ملك  
يعيش في كنفه من ملوك الطوائف . فلم يصدق ظنه الا على ابن عباد ملك اشبيلية .  
وكان أشدهم شكيمة وأوسعهم رُقعة ملك . فأخذ يرتاد امور اشبيلية ويتعرف بإمكان  
الرحلة اليها بمكاتبة عظمائها وامتداح ملكها . ولما وجد الفرصة مواتية رحل اليها . وبالغ  
الاعتناء في الاحتفاء به . فالتحقه وزيراً وسميراً وسفيراً على شدة بطشه وجبريته وفتكه بكل  
عظيم يرتاب فيه من عظماء دولته حتى ولده الاكبر وولي عهده . ففتجب الناس من ابن زيدون  
كيف اهتدى الى مداراة هذا الجبار واستدامة مودته . وكيف عجز عن استصلاح حاله مع  
ابن جمهور على صلاحه وعدله . وكأنهم غفلوا عن ان الدهر نعم المؤدب .  
ولم يزل عند المعتضد اثيراً المنزلة . موفوراً الغبطة . مقبول المشورة في الخير والشر .  
فأكثر عنده من الكيد لمنافسيه في الدولة والوقية بهم ليخلو له وجهه . ويخلص له وده .  
وفتك المعتضد بتدبير ابن زيدون بكثير من أعيان الدولة . وبقي مخشي الجانب حتى مات  
المعتضد وخلفه ابنه المعتمد فرعى فيه ثقة ابيه وأخلص له ابن زيدون نيته ونصيحته . وما زال  
يعر به بملك قرطبة ويراسل أعيانها يستميل جانبهم الى المعتمد حتى نجح سعيه . وصاق  
المعتمد جيشه الى قرطبة . فانتزعها من آل جمهور وضمها للمعتمد الى مملكته وولى عليها  
ابنه سراج الدولة اسماعيل ففاجأه ثأريها بدعى ابن عكاشة فقتله . ففكر المعتمد  
عليها واستعادها .

وعاش ابن زيدون في دولة المعتمد محفوراً برضاه منظوراً بعين ثقته . وكاد له بقية  
خصومه ومنافسيه عند المعتمد مراراً فلم يسمع لقولهم وأمن في تحقيرهم وهجوم . ويقال ان  
إلحافهم في الوشاية وقع بأخرة من نفس المعتمد . ولكن منية ابن زيدون عاجلته باشبيلية  
سنة ٤٦٣ هـ . وخلفه ابنه ابوبكر في وزارته للمعتمد كما ذكرنا من قبل . ومن الغريب ان  
الصفدي وهو مؤرخ كبير بعد ان ذكر ان وفاته كانت سنة ٤٦٣ هـ وانه دفن باشبيلية ناقلاً  
ذلك عن شيخه الذهبي العلامة المؤرخ الثقة عاد ونقل خطأ عن ابن بشكوال انه مات سنة ٤٠٥ هـ

في مدينة البيرة ونقل الى قرطبة ودفن بها ومولده سنة ٣٥٤ هـ . ثم لم يكتف بهذا الخطأ حتى عقب عليه بقوله « قلت ولعل الذي قاله ابن بشكوال الصواب على ان ابن إسام قال في الذخيرة توفي سنة ٤٦٣ وكان يخضب بالسواد » . مع انه لوراجع نفسه قليلاً لوجود انه في سنة ٤٠٥ لم تكن دولة بني أمية ولا دولة بني حمود قد زالتا من الوجود . فكيف كانت توجد دولة بني جمهور وزراء العامر بين ودولة بني عباد وزراء الحموديين وهما الدولتان اللتان خدماهما ابن زيدون . وأغرب من هذا ان بعض من كتب في حياة ابن زيدون من العصر بين جعل هذا خلافاً في موته ومكان دفنه مع انه نفسه نقل في اول ترجمة ابن زيدون ان الذي مات سنة ٤٠٥ بالبيرة ونقل الى قرطبة ودفن فيها هو والد ابن زيدون . والذي جر الى هذا الخلط بين كليهما ان ابن خلدكان بعد ان ذكر وفاة ابن زيدون على صحيفها قال : « وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة اياه وأثنى عليه وقال : كان يكنى ابا بكر وتوفي بالبيرة سنة خمس واربعمئة ونقل الى قرطبة فدفن بها . وكانت ولادته سنة اربع وخمسين وثلاثمئة وكان يخضب بالسواد » .

فيظهر ان الصفدي صحف فقرأ لفظ ( اياه ) بالوحدة ( اياه ) بالثناة ولم يفتن لوفائق التاريخ وجاراه معاصرنا فنقل هذا الخلاف الموهوم والله في خلقه شؤون .

اخلاق ابن زيدون — شب ابن زيدون على سعة علمه وغزارة ادبه وكرم محنته مولعاً بالطرب مشغوفاً بمبادرة اللذات ومعاورة الشراب ومخادعة القيان ومؤانسة الحسان كبير الأثرة بالنفرد من ذلك بكل مرغوب . فجز ذلك عليه حب ولادة ومنافسة دهاة الادباء في الاختصاص بها وعرض نفسه للهلاك مراراً من جرائها .

والكثرة ثقته بنفسه لما يفتن لكيد خصومه عند ابن جمهور حتى وقع في شرك نكبته . لمخرج من السجن نافعاً على النظراء والمنافسين متحيزاً الفرصة لتعجيل النكاية بهم قبل ان يعاجلوه . وكانت نكبة جمهور درساً بليغ الاثر في نفسه استفاد منه بقية حياته فعملته حسن الإدارة وتلقى الرئيس فنجاً من يد ذلك السفاح عباد المعتضد بل جعله سيفاً ماضياً يقطع به أعناق خصومه . وكان ابن زيدون مع نزقه واستهتاره في شبابه وغدره باصحابه



عالي الهمة . لا يقتنع من دولة ملك الا باقتراع منصب وزارته . والاخذ بنصحية منادته  
ومشاورته .

علمه وأدبه وبديهيته — نشأ ابن زيدون في عصر اختل فيه نظام ملك بني أمية  
بجأة بشورة البربر المشؤومة . وقامت هذه الثورة وآثارها الخسارة في كل شيء من علم وادب  
وفنون ضاربة يجرانها سيف قرطبة . فكانت غاصة بالعلماء والفقههاء واللغويين والشعرا  
والمحنين في كل صناعة ممن نبتوا في عصر المنصور المهني . فصادف ابن زيدون من نهل  
من علمهم وكرع من أدبهم . وكان أبوه وعشيرته من اهل الفقه والادب فلم يكن اقباله على  
ما اخذ به أهلوهم بدعا من نفسه . وانما جرى في مضمارهم فيذهب علما وادبا . وبعد  
صبت وعلو همة . « للبحث صلة »

مصر (القاهرة) : احمد الاسكندري  
عضو المجمع العلمي العربي

## كتب الادب القديمة والحديثة

— «X» —

خزانة اللغة العربية مكتظة بكتب الادب القديمة حتى يجبل الى المنقب والباحث انها ليست في نوع من العلوم أغنى منها في هذا النوع لان المتقدمين كتبوا كثيراً في هذا الفن وافتنوا فيه افئساناً يدل على جلالة هذا العلم عندهم وشدة اهتمامهم به ورسوخهم فيه . ولكن أسلوبهم في هذا التراث العظيم الذي خلفوه لآعقابهم بالامس غير ما يتطلبه آعقابهم اليوم من حل (تحليل) لنفسية الاديب كاتباً كان ام شاعراً ام خطيباً . ودرس لآسلوبه واستنباط لخصائصه المختلفة من بيئة ووراثه وسجية وتخصيس لاغراضه وأخيلته وبيان ما جرد فيه وما لم يجرد الى غير ذلك مما أودعه آثاره التي تركها ذخيرة لمن بعده . ان طالب الأرب على هذا النمط الحديث اذا حاول درس شيء ما تقدم وأراد الرجوع الى كتاب من كتب الأرب القديمة لينقب فيه عن ضالته التي بنشدها اعترضه في طريقه ما لم يكن في حاسبه من العقبات التي تجعل غايته بعيدة المنال .

فهو اما ان يرى أمامه بجرأ يعب عابه . من سرد الروايات واختلاف طرقها وتعدد وجوهها وتخصيصها فلا يكاد يصل الى افئصاص ما يحاوله الا بشق الأتس فاهيك ما يربيه في طريقه من اسباب فيما لا علاقة له بالموضوع الذي يبتغيه . وربما نسي ما يعنيه اثناء اجتيازه ما لا يعنيه .

واما ان يسقط به الجرد على كتاب سلك سبيلاً من الايجاز لا يتمكن معه من الاإلام بشيء مما يلتمسه الا كحسوة الطائر .

واما ان يصطدم بعقبات صعبة المرئى من الكلمات الغريبة والعبائر الموبهة بحيث لا يقطع واحدة منهم حتى يستقبل اوعر منها سبيلاً واصعب مسلكاً .

فلا يعم بعد قليل من الزمن ان تملك عليه الآلة صيبله او ينسخ عليه الاعياء باعبائه وتضمحل رغبته فيهم في مجمل لا يدري بخارجه من مواليه .

وهو بعد هذا كله اذا ظهر بشيء مما يبتغيه فانما يظفر به شعاعاً في مطاوي الصحائف وتضاعيف السطور كما يجد المحصل قطع الفضة في المعدن ولا يعلم الا الله ما يكابده في تنقيتها وتنقيتها ثم جمعها وسبكها ثم افراغها في القالب الذي يود افراغه فيه ثم عرضها بعد ذلك على أذواق تختلف في استحسانها واستهجانها .

وقد كنا نود ان نطيل القول في علل هذه المآخذ وما يؤخذ به ونضيف الى ذلك ما نراه من الأدوية الناجمة لها .

لولا اننا رأينا هذه الكتب على علائها خيراً مما تخرجه لنا قرائح الادباء في هذا العصر ونخطه أقلامهم فان الباحث الممن في الكتب القديمة يجد من تحقيق في المسائل وثبت في الرواية والنقل وروية في الحكم وتحيص في المباحث فالأدلة ووثوق باللغة وصحة في الضبط ما لا يجد معشاره في خير ما أخرجته العصر الحاضر للناس من كتب هذا الفن .

وان الباحث في الكتب الحديثة يرى من جمال الوضوح ورقة الأسلوب وصفاء الديباجة والقرب ما يتطلبه المتأدب في هذا العصر ، ما يصيب القلوب ويخلب الالباب ويروع المسامع ولكنه لا يلبث ان يجد تحت هذا الطلاء المزيف الخلاب . من التهاوت بالضبط والثبت . وقلة العناية بالتححيص والتحقيق أضعاف ما وجدته من روعة التعبير وجمال الأسلوب .

ومن انكر النكر ان ترى كتب المتقدمين يتولى طبعها ونشرها فريق من المتأخرين فيصدرها بمقدمات طالحة بتقريظ نفسه والثناء على ما استفادته من المجهود وكابده من المشاق في تنقيتها وتهذيبها وشرحها وتصحيحها ورائخ . حتى يخيل اليك ان هذا الكتاب براءة من كل شائنة وشائبة ثم لا تكاد تقرأ بضعة عشر سطراً حتى تجد من شواهد الإهمال وأدلة التهاون ، والحقوات الفاضحة والخطيئات الواضحة ، ما لا يسعك معه تصديق شيء مما شئت به تلك المقدمات الطويلة ولا الوثوق بشيء من ذلك الكتاب .

واسأل القاريء يكبر ما نقول او يعده غريباً من المبالغة والتهويل أو نوعاً من التحامل بغير حق ولكننا نورد له مثالين يتبين منهما ان التأليف والطبع اصحيا في هذا العصر

الحديث ضرباً من الاتجار وان الكتب أصبحت كالسلع يحرص فيها على اكتساب المال أكثر مما يحرص على خدمة العلم .

المثال الاول : كتاب تاريخ الادب العربي للاستاذ الكاتب المجيد الطائر الصيت السيد احمد حسن الزيات فانه والحق يقال أبدع ماخطته انا مل كاتب في هذا الفن للمؤاديين في هذا العصر .

فقد يروعك منه جمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه وحسن تألقه ولاتكاد تجد فيه مغموراً لغامض الا ان الاستاذ مؤلفه على جلاله فضله وغزارة ادبه يخسه حقه من التصحيح والنثبت في اختيار النماذج فجاءت فيه هنات كالثرة في وجه الحسناء والكلف في صفحة البدر .

المثال الثاني : كتاب زهر الآداب للعصري قام بطبعه ونشره وتنقيحه وتصحيحه وشرحه وو . . . الدكتور زكي مبارك . وهذا الكتاب تغني شهرته في عالم الأدب عن الاوطاناب في التعريف به . وقد جاء بعد الطبع والتنقيح والتصحيح غاصاً بالخطأ المشين مكتظاً بالغلط المزري به . وقلما تمر بالقاري صفحة لا يرى في خلالها خللاً أولوثة تجعل بينه وبين المعنى المراد سداً منيعاً . ورب شرح قلب المدي من حسن الى قبيح وكان كالجرح الممد في صفحة الوجه الصبيح وستأتي أدلة ذلك وشواهد .

وقد آثرنا البدء بالكلام في كتاب « تاريخ الادب » السابق ذكره وجعلنا القول فيما رأينا فيه على نوعين :

الاول في النماذج التي أرردها شعراء عصر واصحابها من رجال عصر آخر وبتدريج في هذا النوع بعض الخطأ التاريخي .

والثاني في بيان ما جاء من الكلم مضبوطاً بشكل مخالف لما عليه أئمة اللغة واعلامها وبتدرج فيه بعض الابيات التي نسبها الى شخص وهي لغيره .

النوع الاول وقد رتبنا الكلام فيه على ترتيب العصور في الكتاب ليسهل الرجوع اليه . « العصر الجاهلي »

١ - قال عند كلامه في الشعر عند العرب انه ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم . . . وكانوا كلهم يروونه وجلهم يقرضونه عفواً يديهة وفيض الخطا الخ . وذكر في الذيل ان من الشعراء من كانوا يروون وينقحون فسموهم عبيد الشعر لذلك كرهير



وعدي بن الرقاع ثم اورد بيتا لسويد بن كراع . ومن البين ان سياق القول في الشعر عند العرب الجاهلين بدليل قوله عقب ذلك حتى روى عنهم من الشعر الوجداني في قرن ونصف مالم يرو عن أمة الخ . وعدي بن الرقاع شاعر أموي كان مقدماً عند الوليد بن عبد الملك . وكان ينزل الشام وقد عد ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء انه من احسن من وصف ظبية وولدها وهو القائل بسفها :

تزجي اغن كأن ابرة روقه فلم أصاب من الدواة مدادها

وترجمته في الاغاني وشواهد المغني للسيوطي . وذكر صاحب الاغاني ان جريراً دخل على الوليد وعنده عدي بن الرقاع الى آخر القصة .

٢ — وذكر في نماذج الشعر الجاهلي من قول المرقش الاكبر :

ان تبتدر غايه يوماً لمكرمة تلقى السوابق منا والمصلينا

وقد نسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء الى نهشل بن حري وصدورها بقوله :

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ونسبها في شرح الحماسة الى بشامة بن حزن النهشلي وكذلك المبرد في الكامل وصاحب لسان العرب . وقد عد ابن سلام نهشلاً في الطبقة الرابعة من الشعراء الاسلاميين والبيت الاول يشهد انها ليست للمرقش .

٣ — وذكر في نماذج هذا العصر ايضاً ابياتاً وهي :

اطل حمل الشنأة لي وبغضي وعش ما شئت فانظر ما بضر الخ

ونسبها الى عنبرة الاخرس من طي .

وفي الاغاني انها لعبد الله بن الحشرج على الاصح وقد كانت وفاته نحو سنة ٩٠ .

٤ — وذكر في نماذج هذا العصر قصيدة للصمة بن عبد الله بن طقيل مطلعها :

حنبت الى ربنا ونفسك باعدت مزارك من ربنا وشعبا كما معا

والصمة هذا شاعر اسلامي من شعراء العصر الأموي كما ذكر ذلك صاحب الاغاني

والبغداددي في الخزانة وصاحب معاهد التنصيص .

٥ — وذكر ابياتاً وهي :

سلي البانة الفيناء بالاجر الذي به البان هل حبيت اطلال دارك الخ

- ولم يسم غائلها وهي لعبد الله بن المدينة .  
ثم أردفها بقصيدة لابن المدينة المذكور مطلعها :  
الا يا صبا نجد بقى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد الخ  
وابن المدينة شاعر اسلامي كما في شرح شواهد المغني للسيوطي وغيره .
- ٦ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً وهي :  
هو اي مع الركب البانين محمد جنيب وجثناني بمكة موثق الخ  
ونسبها الى جعفر بن حلبة الحارثي . والصواب ابن عتبة وهذا الشاعر من مخضرمي  
الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك صاحب الاغانى والسيوطي وغيرهما .
- ٧ — وذكر ايضا في نماذج العصر الجاهلي بيتين للمؤمل الحارثي اولها :  
وكم من لثيم وداني شتمه وان كان شتمني فيه صاب وعظم  
والمؤمل الحارثي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته في العباسية  
اكثر لانه كان من الجند كما ذكر ذلك صاحب الاغانى . وقال في نكت العميان ان  
المؤمل توفي في حدود التسعين والمائة وهو القاتل في مسجد الكوفة يوم توفي المهدي ( ات  
الخليفة ايها الثقلان ) فقال جماعة هذا أشعر الناس . ثم قال ( فكأنني أفطرت في رمضان ) .  
فضحك الناس به .
- ٨ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً لشبيب المري اولها :  
واني لتراك الضغينة قد بدا تراها من المولى فلا استشيرها الخ  
وشبيب هذا شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية كما صرح بذلك صاحب  
الاغانى . وقد عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين .
- ٩ — وذكر في نماذج هذا العصر بيتين عزاهما الى سالم بن وابصة الاسدي اولها :  
اذا ما انت من صاحب لك زلة فكنت انت محثلاً لزلته عذرا  
وسالم هذا من شعراء الدولة الأموية قدم دمشق وسكنها وولي الرقة مدة طويلة .  
ومات في آخر خلافة هشام كما ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه .
- « العصر الأموي »
- ١٠ — وذكر في نماذج العصر الأموي ابياتاً لعمر بن الاطنابة اولها :

أبت لي همقي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيع الخ  
وعمر بن الاطنابة جاهلي كما صرح بذلك صاحب الاغانى والسيوطي . وكانت  
ملك الحجاز .

### « العصر العباسي »

١١ — وذكر في نماذج العصر العباسي لسان الدين بن الخطيب وقد كانت ولادته  
سنة ٧١٣ والعصر العباسي ينتهي سنة ٦٥٦ فالصواب ذكره في العصر الذي يليه .  
١٢ — وفي صفحة ٢٧٥ ذكر ان ابن بابشاذ توفي سنة ٤٩٩ وقد ذكر ابن خلكان  
ان وفاته سنة ٤٦٩ .

١٣ — وذكر في ص ٣٠٦ ان البخاري خرج الى مكة سنة ٤١٠ في حين انه توفي  
سنة ٢٥٦ فالصواب انه خرج سنة ٢١٠ .

١٤ — وذكر في ص ٣٢٥ ان الفرنج ابتلموا دويلات الاندلس لقمة سائغة سنة  
٨٩٨ هـ ثم قال بعدها : ودالت دولة الفاطميين والمصر بين في مصر والشام فوقعتا في يد  
الأمويين ثم صارتا الى المماليك وظلنا تحت سلطانهم حتى دخلنا في حكم الأتراك العثمانيين  
سنة ٩٢٣ . ولعل الأمويين محرفة عن الايوبيين .  
وذكر في ص ٢٩٣ ابن مالك التجوي في فحاة العصر العباسي وقد كانت وفاته  
سنة ٦٧٢ .

وذكر في ص ٣٠٤ في الكلام على التاريخ ابا الفداء وابن الطقطقي وابن خلدون وابن  
العبري . وكلهم ممن توفي بعد انقضاء العصر العباسي فالاول توفي سنة ٧٣٦ والثاني  
سنة ٧٠٢ والثالث سنة (٠٠٠) والرابع سنة ٦٨٥ .

### النوع الثاني :

١٥ — ذكر في ص ١٨ . عذيرك من خليك من مراد . ضبط كلا من عذير  
وخليل بضم الراء واللام ومن بفتح الميم وقد ذكر هذا الشطر صاحب اللسان . وقال بعده :  
يقال عذيرك من فلان بالنصب اي هات من يعذرك فعيل بمعنى فاعل يقال عذيري من  
فلان اي من يعذرنى ونصبه على اضمماره لم معذرتك اباي .  
١٦ — وفي ص ٤٣ . قال نشأ زهير بن ابي سلمى بن ربيعة بن رباح . ضبطها بفتح

- الراء والباء الموحدة . والصواب انه بكسر الراء ثم بالياء المثناة التحتية كما ضبطه السيوطي في شرح شواهد المغني والبغدادى في الخزانة والنووي في التهذيب .
- ١٧ - وفي ص ٤٤ قال : سعى صاعياً غيض بن مرة . والصواب غيظ بن مرة كما في اللسان والاعلم الشنقري والتبريزي .
- ١٨ - وفي ص ٧٠ . قال مفصل الآيات مزدوج الكلمات . ضبط مزدوج بفتح الواو والصواب الكسر لان اسم المفعول لا يبنى من اللازم .
- ١٩ - وفي ص ٧٤ في الأمثلة التي اوردتها من القرآن الكريم . قال وان يُخَذَّلِكُم فمن ذا الذي ينصركم من بعده . ضبط يُخَذَّلِكُم بضم الياء والصواب بفتحها .
- ٢٠ - وفي ص ٧٣ اناأمرون الناس بالبر ونثشون أنفسكم . ورمم نثشون بالثاء المثناة والثناء الثالثة . والصواب ونثشون انفسكم .
- ٢١ - وفي ص ٧٤ . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجدر له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ضبط يجدر بالضم . والصواب بالجزم .
- ٢٢ - وفي الصفحة نفسها . ومن اوفى بما عاهد عليه الله . ضبط هاء عليه بالكسر وهاء الله بالضم . والصواب ضم الاولى وفتح الثانية .
- ٢٣ - وفي ص ٨٥ . قال وقطري بن النجاء . ضبط قطري بضم القاف والصواب بفتحها .
- ٢٤ - وفي ص ٩١ . وهو يعلم ان ضلعا معها . ضبطهما بكسر الضاد وفتح اللام . والصواب فتح الضاد وسكون اللام كما في اللسان .
- ٢٥ - وفي ص ٩٣ . للحارث بن كلدة ضبطها بفتح الكاف وسكون اللام والصواب بفتحهما كما في اللسان وتهذيب الاسماء للنووي . وفي المصباح الكلداء القطعة الغليظة من الارض والجمع كلد مثل قصبة وقصب وبالمفرد سمي . ومنه الحارث بن كلدة الطبيب .
- ٢٦ - وفي ص ١٠٢ . فذخرت بحور المدح والفخر بالذال والصواب فزخرت بالزاي .
- ٢٧ - وفي ص ١٠٦ . سبقوا هوي واعنقوا لهوام . ضبط هوي بكسر الواو والصواب بفتحها كما في اسان العرب بقلب الالف ياء مع ياء المتكلم كما هي لغة هذيل . يقولون هوي وعصي وقفي .



٢٨ - وفي الصفحة نفسها .

فالعين بعدم كانت حذافها كحلت بشوك فهي عوراً تدمع  
ورواية البيت : مملت بشوك فهي عوراً تدمع . قال في اللسان فاما قول ابي ذؤيب  
فالعين الخ . فعلى انه جعل كل جزء من الحذفة عور او كل قطعة منها عوراء . وهذه  
ضرورة وانما اثر ابو ذؤيب هذا لانه لو قال ( فهي عورا ) لقصر الممدود . فرأى ما عمله  
اسهل عليه وأخف . و ابو ذؤيب قائل هذا الشعر مخضرم .

٢٩ - وفي ص ١٠٧ . وقال الطرمخ بالخاء وصوابه الطرمخ بالخاء المهملة .

٣٠ - وفي ص ١٠٨ . على نضوج فر يحته ولم اجد في اللسان والقاموس والتاج والمصباح  
والمصباح كلمة النضوج وانما المذكور النضج مصدر نضج واعادها في ص ١٤١ وغيرها .

٣١ - وفي ص ١٢٢ . حتى ضج الغيوروث والزهاد . وغيور يستوي فيه المذكور  
والمؤنث كصبور وانما يجمع على غُور كما نص على ذلك اللسان والتاج والمصباح .

٣٢ - وفي ص ١٢٣ . لشعر ابن ابي ربيعة ( توطاة في القلب ) بالتاء والصواب نوطاة  
بالنون . وفي الصفحة نفسها ( وانما هو تبع نساء ) بضم النون والصواب كسرهما .

٣٣ و ٣٤ - وفي ص ١٢٤ . فيضيي واما بالعشي فيخسر والصواب فيضيي بفتح الياء  
والحاء . وفي الصفحة المذكورة واطفئت مصابيح مت للعشاء وأنور . والصواب شبت  
بالعشاء . وفيها ايضاً ( ونفست عني النوم اقبلت مشية الحباب ) ضبطها بفتح الحاء .  
والحباب بالفتح نفاخت الماء وبالضم الحية ولعله هنا اوفق . وفيها اريته لك ان هذا عليك  
بضم التاء . ونسرها في الذيل بمعنى خبرني . وهي بهذا المعنى بفتح التاء كما نص عليها  
صاحب اللسان .

٣٥ - وفي ص ١٢٧ .

بش الصحاب وبش الشرب شربهم اذا جرى فيهم المزاء والسُّكْرُ  
ضبطها بضم السين والكاف . وفي اللسان بش الصحاة . . . المزاء والسُّكْرُ بفتح  
السين والكاف وهو الخمر او النبيذ او شراب من التمر . . .

٣٦ - وفي ص ١٣٣ . لقد ولدت ام الفرزدق مقرفاً . ضبطها بفتح الراء والصواب  
بكسرهما .

٣٧ — وفي ص ١٥٤ . في خطبة داود بن علي . لا ورب هذه البنية . وأوماً بيده الى الكعبة . ضبط البنية بكسر الباء وسكون النون . والصواب البنية بفتح الباء وكسر النون وتشديد الباء كغنية وهي الكعبة .

٣٨ — وفي ص ١٨٨ . يتظنى من الكآبة أن يبدو الخ والاولى أن يبد . وفي الصفحة بتطبيق عرس . ضبطها بضم العين والصواب الكسر . وفي الصفحة غلائل برس ضبطها بفتح الباء والصواب الكسر او الضم . ٣٩ — وفي ص ١٨٩ . وقالت احدي شواعر الاندلس تصف وادي آش ثم ذكر الالبيات :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاء مضاعف الغيث العميم الخ  
وفي معجم البلدان لياقوت ووفيات الاعيان ان هذه الالبيات للوزيريابي نصر المنازي .  
٤٠ — وفي ص ١٩٢ . واذاعوا في الناس الرندقة والصواب الرندقة .  
٤١ — وفي ص ١٩٣ . في ترجمة بشار ولقبه المرعث لانه كان في أذنيه رعاث والرعة القرط والمعروف انه كان في أذنه رعة . لا في أذنيه رعاث جمع رعة .  
٤٢ — وفي ص ٢٠٠ . عنك من سالي والصواب سال .  
٤٣ — وفي ص ٢٠١ . شغوقاً بالاشعار . ولم اجد شغوقاً .  
٤٤ — وفي ص ٢٠٦ . أعقب المهرجان والصواب المهرجان .  
٤٥ — وفي ص ٢٠٨ . يدحو الرفاقة والصواب الرفاقة .  
٤٦ — وفي ص ٢١٢ . وقضت غياً مرة ورشد . ولا يستقيم وزن البيت . ولعل اصله وقضيت .

٤٧ — وفي ص ٢١٣ . انكروا شكوا مما أحبه والصواب شكواي .  
٤٨ — وفيها محمد بن الحسن الموسوي والصواب ابن الحسين .  
٤٩ — وفي ص ٢١٥ . ابو اسماعيل ابن الحسين والصواب الحسين . باسقاط كلمة ابن .  
٥٠ — وفي ص ٢١٨ . وستنصر والصواب وستنصر .  
٥١ — وفي ص ٢٢٧ . ذهاباً بنفسه إعجاباً بشعره والصواب وإعجاباً .

- ٥٢ — وفي ص ٢٢٨ . لو لم يكن منك الوري الذ منك هو . وصواب البيت . ( لو لم تكن من ذا الوري الذ منك هو ) .
- ٥٣ — وفي ص ٢٣٠ . هو ابو الحارث والصواب الحارث .
- ٥٤ — وفي ص ٢٣١ . او يزيل مصون شعره والصواب او يذيل .
- ٥٥ — وفي ص ٢٣٤ . بغليط القطن والصواب بغليظ .
- ٥٦ — وفي ص ٢٣٥ . في الكلام على ابي العلا المعري . وقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر والمشهور ثمانون شاعراً .
- ٥٧ — وفيها في الذيل . فبينما يقول شلا . ولا معنى للشل ولعلها شكا .
- ٥٨ — وفيها في الذيل . ويهود حادت والصواب حارت .
- ٥٩ — وفي ص ٢٢٦ . حتى نكول كتاباً والصواب حتى تكون .
- ٦٠ — وفي ص ٢٣٧ . فما الذور نوار والصواب فما الذور بضم النون .
- ٦١ — وفي ص ٢٤٠ . ولكي تمام الشيء والصواب ولكن تمام الشيء .
- ٦٢ — وفي ص ٢٤٥ . بصيري من والصواب منها .
- ٦٣ — وفي ص ٢٥٦ . شلو ظعينهم والصواب طعينهم .
- ٦٤ — وفيها هضب ضبطها بضم الهاء والصواب فتحها .
- ٦٥ — وفي ص ٢٦٩ . يمشي الهوبنا . والصواب الهوبني . وهي نصغير هولي مؤنث أهول .
- ٦٦ — وفي ص ٢٧٢ . لم بدع في معجني الاذما ضبطها بكسر الدال . وكذلك ضبط الدماء في ص ٣٢٧ والصواب فتح الدال .
- ٦٧ — وفي ص ٢٧٩ . سحر عينيه جآزره بالزاي والصواب جآذره بالدال .
- ٦٨ — وفي ص ٢٨٠ . بعنبر طيبه والصواب طينه لان حرف الروي النون .
- ٦٩ — وفي ص ٢٨٢ . بيت والصواب أبيات .
- ٧٠ — وفي ص ٢٩٥ . برنبويه ضبطها بكسر الواو وقد ضبطها ابن خلكان بفتحها .
- ٧١ — وفي ص ٢٩٧ . آمالي في النحو والصواب امالي بغير مد .

- ٧٢ = وفي ص ٣٣٩ . ذكر . لفظ . سوريا بالالف بعد الياء وقد ذكرها غير مرة وقد ضبطها في القاموس بالياء المخففة والياء .
- ٧٣ = وفي ص ٣٥٥ . سواد اللمة . ضبط اللمة بضم اللام والصواب كسرهما .
- ٧٤ = وفي ص ٣٦٠ . وان تقصى حاجاتهم اذا سألوا والصواب تقضي .
- ٧٥ = وفي ص ٣٦٤ . فالقت اليه بصرة فيها المال ضبط صرة بفتح الصاد . والصواب ضمها كما في المصباح والقاموس .
- ٧٦ = وفي ص ٣٦٥ . وكان بعيد الخور . والصواب بعيد الحور يقال رجل بعيد الحور اي عاقل والحور العمق .
- ٧٧ = وفي ص ٣٧٤ : من المبتدیان الى التجهيزية . ولا يظهر صحة هذا اللفظ .
- ٧٨ = وفي ص ٣٧٢ .
- لا تحيني روجي الفداء لما جيبك غداً من صحيفة المقدور  
والوزن والمعنى بقضيان ان يكون الصواب . لما حيك .

سليم الجندي  
عضو المجمع العلمي



## قاعدة توهم الاصاله

— أو —

### انجذاب الطبع

كتبْتُ تحت هذا العنوان مقالين احدهما في ( المجلد ٥ ص ٢٠٥ ) والثاني في ( المجلد ١٠ ص ١٢٩ ) فجاءني من الاستاذ سليمان ضاهر عضو مجعنا العلمي كتاب اثنى فيه على المقالين وعد موضوعهما من الموضوعات المبتكرة فرجوت منه ان يساعدني في نقصي اشياء تلك الكلمات التي جمعتها فيكون لنا منها رسالة مستقلة في موضوع الكلمات الشاذة الصيغة بناء على التوهم .

ولاحاجة الى تلخيص ماقلته في المقالين وانما انا اذكر القاري الكريم بهما بذكر مثال منهما : ( ريح ) اصل بائها واو ولذا تجمع على ( ارواح ) لكن اهل اللسان توهموا ان الياء في ريح اصلية لا منقلبة عن واو ولذا جمعوها على ( ارباح ) ايضا . وقد سردت في المقالين اشباهاً ونظائر لكلمة ( ريح ) بلغت ( ٤٤ ) كلمة خولف فيها القياس بناء على التوهم . وقد اُنبئت في المقالين على ذكر كلمات غير قاموسية مما استعمله اليوم وعدة بعضهم من ( عثرات الأقلام ) الواجب تجنبها لكنني انا بنيت تجويز استعمالها على ( قاعدة توهم الحرف الزائد اصلياً ) وذلك كقولهم ( اُدثر على الكتاب يؤثر تأشيراً ) فقلت ان هذا جائز بناء على توهم ان همزة (إشارة) أصلية لازائدة .

ومازلت من يومئذ أدأب في جمع أمثال تلك الكلمات فعثرت على طائفة أخرى منها أحببت ان أودعها مقالي هذا زيادة في خدمة هذا البحث وإيضاح موضوعه .

( رقم ٤٥ ) : فعل ( يتسَنّه ) في قوله تعالى ( فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه )

مرّ معنا في المقالين ( مجلد ٥ ص ٢١٠ ) و ( مجلد ١٠ ص ١٣١ ) ان كلمة ( حنة ) بمعنى العام

أصلها سنو حذفت الواو وعوض عنها (تاء) فهذه التاء تارة توهموا أصلتها فاشتقوا من (سنة) بناءً على هذا التوهم فعل (أسنت) القوم بمعنى قخطوا - وتارة كانوا يتوهمون تلك التاء (هاء) ومن ثم جمعوها على (سنيها) واشتقوا منها فعل فقالوا (سانهه) هذا ملخص ماقلناه هناك وهناك . اما ما نقوله هنا فهو في تحقيق فعل (يتسنه) بالنون المشددة والهاء الساكنة . فترى في أول ما ذكره المفسر الكبير (الطبري) ثم نذكر ما عن لنا في امر تطبيقه على (قاعدة التوهم) :

وجميع الطبري في تفسيره (جزء ٣ صفحة ٢٥) ان هاء (يتسنه) أصلية وليست بزائدة للوقوف وان ماضيه (تسنه) (من الفعل) اي أنت عليه السنون فتغير كما يقال ايضاً (أسنّه) فلان عندنا اذا أقام سنة .

إذن المادة الأصلية التي اشتق منها كل من فعل (تسنه) و (أسنّه) - هي كلمة (سنة) بمعنى العام باعتبار ان أصلها (سنة) بالهاء لا (سنو) بالواو . وهو قول لبعضهم ولم يرض الطبري ان يكون اصل (يتسنه) = (يتسنن) وان تكون هاؤه للوقوف كما في آية (فبهدهم اقتده) . وقال ان هاء (اقتده) لا وجه لها الا ان تكون للوقوف . بخلاف هاء (يتسنه) فلا يحسن ان نجعلها زائدة للوقوف مادام يمكننا جعلها أصلية من مادة (سنة) بمعنى العام . وجعلها أصلية لازائدة هو اللائق بكتاب الله . قال واذا جعلنا هاء (يتسنه) زائدة للوقوف كان أصله (يتسنن) بثلاث نونات (على وزن يتكلم) فقلبت الثالثة ألفاً كما قلبت في فعل (يتظن) و (ينقض البازي) فقيل (يتظني) و (ينقضني) وفعل (يتسنن) قيل فيه (يتسني) ثم دخله الجازم في الآية فقيل (لم يتسن) ودخلته هاء الوقف فقيل (لم يتسنه) ففعل (تسنن) لاعلاقة له بالسنة بمعنى العام وانما علاقته بمادة (سن) مشددة النون . ومعناه يتغير وينتن . ومنه قوله تعالى (من حمى مسنون) اي منتن متغير .

هذا محصل ما قاله الطبري . بقي علينا ان نبحث في ما اذا كانت مادة (سن) تفيد معنى الاثنان والتغير . هذا القاموس وشرحه ومستدركه سردوا عدة معاني للسن ولم يذكروا معنى التغير والنثن فيها . اللهم الا الشارح (الناج) فقد قال : « قال : ابو الهيثم سن الماء فهو مسنون اي تغير » وقول الطبري في تفسير قوله تعالى (حمى مسنون) (جزء ١ صفحة ٢٠) مانعه « وكان بعض أهل الكوفة يقول (المسنون) هو المتغير قال :

كأنه أخذ من سنت الحجر على الحجر وذلك ان يحك احدهما بالآخر ويقال للذي يخرج من بينهما سنين ؟ ويكون ذلك منتناً اهـ .

فمادة (سن) إذن تدل على معنى التغير والتن كما فهم من قول (ابي الهيثم) و (بعض اهل الكوفة) وعلى أساس قوليهما بنى بعض المفسرين واللغويين حكمه في اب الهاء في (يتسنه) زائدة للوقف وان اصل (يتسنى) (يتسنن) كما ان اصل (يتظني) (يتظنن) . ومن هنا ننقل الى قاعدة (توهم الأصل) وتطبيقها على (تسنن) بمعنى تغير وأثن : ان المفسرين واللغويين الذين يفسرون (التسنن) بالانسان والتغير يقولون هكذا : ( يتسنن يتغير لمرو السنين عليه ) فكلمة (السنين) مأخوذة في تعريف كلمة (التسنن) وداخلة في مفهومها وملاحظة في تحليل معناها . والسنون جمع (سنة) و (سنة) ليس في مادتها الا نون واحدة . أما جمعها ( سنون وسنين ) ففيها نونان إحداهما أصلية والاخرى زائدة لإفادة الجمع . والكلمات تذكران كلما أريد وصف الشيء بالقدم فيقال ( قديم مرت عليه السنون ) ( قديم لم تغيره السنون ) ( قديم مر عليه كذا من السنين ) فن ثم علق بالطبع وتوهمت النفس ان نون الجمع أصلية في (سنين وسنون) لازائدة وان توهم أصلتها هذا جذب طبع العرب الى ان يشتقوا من سنين مشتقات مضاعفات النون فاشتقوا (حماً سنون) اي مرت عليه سنون ويلزم من مرور السنين عليه تغيره وتننه فالتغير والتنن لازم لمعنى (السن) وليس هو المعنى نفسه . واشتقوا ايضاً من مادة (سنين) فعل (يتسنن) من باب (يتكلم) بمعنى مرت عليه سنون طويلة حتي تغير وأثن . ومنه قوله تعالى ( لم يتسنه ) اي لم يتغير ولم يفسد مرور السنين عليه .

هذا ما رأيت في تحليل كلمتي (مسنون) و (يتسنه) وتطبيقهما على قاعدة توهم أصالة الحرف الزائد وهو نون الجمع في سنين . والذي جعلني أذهب الى هذا فلة ما رأيت أرباب المعاجم يفسرون مادة (سن) بمعنى التغير والتنن . اللهم الا ما روي عن (ابي الهيثم) و (بعض اهل الكوفة ؟ ) وقد رأيت قولها غامضاً ولم يؤيدهما فيه احد بل ربما كان تفسيرهما السن بالتغير من باب التفسير باللازم كما صرت الإشارة اليه آنفاً .

(٤٦) : ( ميثاق - ميثاق وميثاق ) يقال في هذا الجمع . اقلناه في ( مياهم جمع ميسم ) وقد مر في (مجلد ١٠ صفحة ١٣١) فان (ميثاق) بمعنى العهد مشتق من (وثق) الواري

واصله (موثاق) فاذا أريد جمعه قيل (موثائق) وهو القياس . لكنهم لما رأوا الياء وسمعوها تكرر في (ميثاق) المفرد (واخذ الله ميثاق النبيين) توهموها أصلية فجمعوها ايضاً على (ميثائق) بناءً قبل القاف وانما أثبتوا هذه الياء لوجود الألف في المفرد أعني (ميثاق) وجاء فيه (ميثائق) من دون ياء أنشد الفراء :

(رحي لا يُحَلِّ الدهر الا باذننا ولا نسأل الأقبام عقد الميثائق)

وحذف (الياء) من (ميثائق) وأمثاله ضرورة اوقياس ؟ خلاف . وقدمشى الزبيدي في التاج على انه قياس بدليل قوله (واما ابن جني فقد لزم البذل في ميثائق كما لزم في عيد وأعياد) . وقوله (البذل) اي ابدال الواو ياء . فيقال (ميثائق) لا (موثائق) كما قالوا (أعياد) لا (أعواد) راجع ما قلناه في (عيد أعياد) (مجلد ٥ صفحة ٢٠٦) .

نقول : لما ذالم يجعلوا (ميثائق) من دون ياء قبل القاف جمعاً لموثق كما هو القياس لا لميثاق ؟

والجواب انهم انما لم يجعلوها جمعاً لموثق لعدم إمكان تطبيق (قاعدة التوهم) عليها . وذلك ان (موثق) فيها واو فتجمع على (موثائق) بالواو ولا يقال في موثق (ميثق) بالياء حتى يجمعوها على (ميثائق) بالياء وتراهم قد صرحوا ان (ميثائق) مفردتها (ميثاق) التي فيها ياء . وهذا يؤيد قاعدتنا التي أصطلناها في التوهم .

(٤٧) : (شيء أصابته الريح : فهو مروح وسريح) : مما جاء على قاعدة توهم اصاله الحرف قولهم (شيء سريح) اذا أصابته الريح وهو اسم مفعول من (الريح) و ياء الريح أصلها وار لكنها قلبت ياء لانكسار ما قبلها وقد مر هذا في تحليل جمع (ارباح) (مجلد ٥ ص ٢٠٥) وانه كان الواجب ان يقال (ارواح) .

واذ كانت (الريح) مشتقة من (الروح) الواوي كان الأصل ان يقال في اسم مفعوله (مروح) بالواو كما قالوا (مقول) من القول و (مصوغ) من الصوغ لكنهم قالوا ايضاً (سريح) بالياء كأنما هو يأتي الاصل على حد (مكيل) المشتق من الكيل . ولما ذا فعلوا ذلك ؟

لانهم رأوا الياء في (ريح) لازمة فتوهموها أصلية لانقلابة وانجذب طبعهم الى جعل اسم مفعولها (سريح) مثل (مروح) القياسي . او نقول ان قولهم (سريح) بناءً على توهمهم



أصالة الياه في فعل ( ربح الغدير ) ونحوه اذا أصابته الريح هكذا يفهم من ( التاج ) اي ان لزوم الياه في ( صريح ) ناتج عن نوح أصالة ياء ( ربح ) اعني الفعل المجهول لا ياء ( الربح ) التي هي اسم .

قال ابو حية النخري :

( آعيناك يوم البين أسرع وأكفا من الفتن الممطور وهو مروح )  
والفتن هو الغصن و ( الممطور ) هو الذي أصابه المطر و ( المروح ) الذي أصابته الريح  
هذا شاهد ( مروح ) الذي هو القياس اما شاهد ( مريح ) الشاذ فقد ذكره ابو زيد الانصاري في نوادره ( صفحة ٣٦ ) من ارجوزة في صفة دروس الدار وهو قوله :

( ودرست غير رماد مكفور مكثب اللون مريح ممطور )  
اي ان الدار اندرس اثرها ولم يبق فيها غير رماد قد كُفِر اي ستر وأصابتها الريح والامطار . وروى صاحب التاج هذا الرجز لمنظور بن مرثد الاسدي واوله :  
( هل تعرف الدار باعلى ذي القور ) و ( القور ) جمع قارة وهي الجبيلة . على ان ( التاج ) روى في الرجز المذكور ( مروح ) مكان ( مريح ) ثم عاد فقال : ( ومريح ايضا ) بالياه : مثل ( مشوب ) و ( مشيب ) بُني على ( شيب ) . وغصن مريح ومروح أصابته الريح وقال يصف الدمع :

( كأنه غصن مريح ممطور )

وكذلك مكان مروح ومريح وشجرة مروحة ومريحة صفتها الريح فألقت وزقها اه .  
( ٤٨ ) : ( لبن مشوب ومشيب ) مر في الكلام على ( مريح ) الاشارة الى ان صاحب التاج مثل لم يرح بكلمة ( مشيب ) من حيث مخالفة كل منهما للقياس وان ( مريح ) بالياه ان كانت بليت على ( ربح الغدير ) فان ( مشيب ) امنم مفعول بمعنى ( مشوب ) بنيت على ( شيب ) وعبارة التاج موجزة جداً . لكنه عاد فأوضحها في مادة ( شوب ) فقال :  
( والشوب ما شيبته من ماء او لبن فهو مشوب ومشيب ) ثم زادها ايضاحاً بقوله « وقول السليك ابن السلكة :

( سيكفيك صرب القوم لم مغرض ) وماه قدور في القصاع مشيب )  
انما بناء على ( شيب ) الذي لم يسم فاعله « ثم فتر البيت فقال و ( الصرب ) الابن

الحامض ؛ ( اللحم المفترض ) الغريص الطري . وقوله ماء قدور مشيب اي مخلوط بالتوابل  
فصح لنا من قول التاج شاهد على قاعدتنا في توهم اصاله الحرف وهو كلمة ( مشيب ) فان  
قياسها ( مشوب ) لكن العرب من كثرة ما استعملوا فعل « شيب الماء » و « شيب الخمر »  
و « شيب اللبن » .

( تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادوا بعدوا ابوالا )

— توهموا ان الياء في فعل ( شيب ) اصلية فبنوا صيغة اسم مفعوله على صيغته فقالوا  
( مشيب ) استناداً الى هذا التوهم . اما كلمة ( مشيب ) بمعنى الشيب فصيغتها وإعلالها الصري في  
جاريان على نمط آخر .

( هَنَءٌ — هَنِيْءٌ هَنِيْءَةٌ ) : ( الهِنَوُ ) بكسر هائه معناه الوقت يقال : ( مضي  
هنو من الليل ) واذا فتحت هاءه كان معناه الشيء . لكنهم اذ ذاك لا يبقونه على حاله  
بل يتصرفون فيه على ضروب : فاذا حذفوا واوه ولم يعوضوا عنها حرفاً مكانها وقالوا  
( هن ) كان كتابة عن السواة وكل مستقيم .

واذا عوضوا عن الواو تاءً مربوطة فقالوا ( هنة ) كما قالوا في ( سنو ) ( سنة ) —  
كنوا بها عن الشيء القليل او الحقير واذا قالوا ( فلان صاحب هنات ) أرادوا بها خصال  
الشر .

واذا عوضوا عن واو ( هنو ) تاءً مبسوطة وقالوا ( هنت ) كنوا بها عن المرأة  
ويشترط حينئذ استعمالها في النداء فيقولون ( يا هنتاء ) لكنه نداء لا يشرف صاحبه اذ  
ان فيه معنى التحقير او التجهيل ولذا فسر بعضهم ( يا هنتاء ) في حديث الافك يا بلهاء .  
ومنه قول ( دُعَاة ) لضررتها ( يا هنتاء هل يغفر الجاه رفاه ) مع ان ( دُعَاة ) هي الجديرة  
بالتهم والتجهيل . راجع حكايتها في شرح قول العرب في المثل ( أحرق من دُعَاة ) .

نرجع الى ( هنة ) بالتاء المربوطة ويكنى بها عن الشيء القليل .

( هنة ) هذه تصغر فيقال فيها ( هنيئة ) وأصلها ( هنيوه ) بالواو في آخرها لان التصغير  
يرد الاشياء الى اصولها ويريدون ( بهنيئة ) المصغرة ما أرادوه ( بهنة ) المكبرة أعني انها  
تشمّل كتابة عن الشيء اليسير او الحقير .

لكننا أحياناً كثيرة نسميهم بقولون في تصغير (هنة) (هنيهة) بالهاء بعد ياء التصغير ويريدون بها الحصة القليلة من الزمان .

فمن أين جاءت هذه الهاء مع ان (هنيهة) تصغير (هنة) واصل (هنة) (هنو) ؟ جاءت من توهمهم في تاء (هنة) المربوطة انها هاء أصلية لكثرة ما يقفون على تاء (هنة) بالهاء فيقولون (هنة هنة) . وهذا كما مر في سنة ( مجلد ٥ صفحة ٢١٠ ) اذ هم جمعوها على (سنوات) كما هو الاصل — و (سنهات) بناءً على توهمهم اصاله الهاء في (سنه) .

(٤٩) : (اختار من القوم زبداً — واختار القوم زبداً) ويمكن ان نعد من (قاعدة التوهم) قولهم في فصيح الكلام اختار القوم زبداً بنصب (القوم) بمعنى اختار من القوم زبداً ومنه الآية الكريمة ( واختار موسى قومه سبعين رجلاً ) اي (من قومه) لان فعل (اختار) ينصب مفعولاً واحداً ويتعدى الى مفعوله الثاني بحرف الجر (من) وقد تحذف (من) من مفعوله كما في الآية وغيرها من فصيح كلام العرب .

فلما ذا حذفت من ؟

علماء النحو يقتصرون الجواب للطالب ويقولون انها حذفت بناءً على نزاع الخافض فتقدير الآية ( واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ) . ولكن علماء اللغة سلكوا في تحليل الحذف طريقاً آخر : فقال ابرو الهباس (ثعلب) انما جاز حذف من لأن فعل (اختار) يدل على التبويض ولذلك حذفت (من) . يعني الاستغناء عنها وعدم إطالة الكلام بوجودها . اما صاحب التاج فعمل حذف (من) بعد فعل (اختار) بقوله « انه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فلما جازت الاضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا ان يقولوا اخترتكم رجلاً واخترت منكم رجلاً اهـ . ألبس في عبارته هذه ما يشعر بمراعاة قاعدة التوهم ؟ فكلية (خير) أصلها (أخير) أفعل تفضيل وهي تارة تذكر بعدها من التفضيلة فيقال زيد خير من القوم وتارة بل كثيراً ما تحذف (من) ويقال ( زيد خير القوم ) ( زيد خير الرجال ) ( زيد خير بني أبيه ) الخ . وان حذف (من) بعد (خير) جعل العرب بتوهمهم لزوم حذفها حتى بعد الفعل الذي اشتق من (خير) وهو (اختار) فجعلوا يقولون اخترت زبداً الرجال ومن الرجال اخترت قومي رجلين ومن قومي رجلين وجعل الفرزدق يقول : ( ومننا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع )

اي ( من الرجال ) . فحذف ( من ) يقع في فصيح الكلام . ولا أدل على فصاحته من طبع الآية القرآنية على غرارها .

( ٥٠ ) : ( سيّد . سيّد . سيّد . أسياد ) الكلمات السابقة صرح اللغويون او أشاروا الى انها خالفت القياس بناء على قاعدة التوهم . ولدي كلمة أريد ان أعرضها على القراء ثم أطبقها على قاعدتي في التوهم . وهي كلمة جارية في لغة مخاطبنا كثيراً أعني كلمة ( أسياد ) جمع ( سيّد ) وانما المعروف والمشهور ان ( سيّد ) بتشديد الياء يجمع على مادة وسادات وسيابد أما ( أسياد ) فقد أنكرها العلامة اليازجي ولم يذكرها الا صاحب أقرب الموارد . وقد اشتهروا بهذا الجمع واكثره من التساؤل عن صحته حتى عدوه من ( عثرات الاعلام ) بل من عثرات ( أقرب الموارد ) وانا أرى جوازه بناء على توهم أصلية الحرف . وبما انه ان الوصف من ساد يسود ( سيّد ) بتشديد الياء وأصله ( سيود ) على وزن ( فيل ) بزيادة ياء قبل عين الفعل ثم أعل . فهو كميت المشددة ولا يخفى انه يقال سيف ( ميت ) ( ميت ) بالتخفيف فكذلك يقال في ( سيّد ) المشددة ( سيّد ) بالتخفيف . جاء في المزهري ( جزء ٢ صفحة ١٧٣ ) نقلاً عن الصحاح يقال في سيّد سيّد بالتخفيف كما يقال في دين دين واين لين وميت ميت الخ . وهنا يقال : أية اليائين التي حذف من ( سيّد ) ؟ الياء الاولى الزائدة اما الياء الثانية المنقلبة عن الواو التي هي من بنية الكلمة ؟ والجواب ان المحذوف هو الياء الزائدة لأن الحذف بها أبقى وذبخي الس يكون الياء أسبق : بدليل انهم جمعوا ( ميت ) الخفف على ( أموات ) بالواو والجمع يرد الاشياء الى اصولها فهو هنا ردة الياء الى واو لأنها عين الكلمة فليل ( أموات ) لا ( أميات ) . .

حسن !! ولكن لماذا لم يجمعوا ( سيّد ) الخففة على أسود بالواو كما جمعوا ميت على أموات وكلاهما واوي العين . والجواب ان كلمة ( سيّد ) الخففة كثر استعمالها ونداوها على افواهنا حتى اضطررنا ان نخففها تخفيفاً ثانياً بكسر سينها فنقول ( سيدي ) ( سيدي ) لا سيما اخواننا المغاربة الذين يكثرون من قول سيدي عبد الكبير سيدي بن زروق سيدي جنون الخ الخ — كل هذا جعلنا نتوهم ان الياء في ( سيّد ) أصلية لا منقلبة عن واو ومن ثم قلنا في جمعها ( اسياد ) لا ( اسواد ) وهذا كما مر في لفظ ( قَبِل ) الذي يطلق على أمراء اليمن وأصله ( قبول ) بالواو فجمعوه على ( أقبال ) بالياء توهماً ان ياء ( قبيل ) — المستعملة



كثيراً - أصلية . راجع ماقلناه عن (اقبال) في (مجلد ١٠ صفحة ١٣٣) والحاصل ان المهاجم وان لم نصرح باز (سيّد) تجمع على أسياد لكن اربابها صرحوا بانها تخفّف . وهذا التخفيف يحملها (كميت) المخففة . و (ميت) المخففة تجمع على أموات فكان الظاهر ان تجمع (سيّد) المخففة على (اسواد) مثلها . لكننا نحن المتأخرين من ابناء الضاد انجذبنا بنايل من طبعنا الى جمعها على (اصياد) بالياء بناءً على نوم اصلتها في (سيد) المفرد .

(نقطة) نشر القسّ عبد المسيح زهر في مجلة المشرق (سنة ٢٦ صفحة ٦٧٢) مقالاً ضمنه كلمات لم تذكرها المهاجم مع انها وردت في فصح كلام العرب من ذلك كلمة اسياد جمع سيّد فقال القس انها وردت في شعر النمر بن تولب :

( ابقى الحوادث والايام من نمر اسياد سيف كريم أثره بادي )

وعندي ان كلمة (ا سياد) في هذا البيت محرفة لان قوله ( من نمر ) يريد نفسه فهو يقول ان حوادث الدهر لم تبق منه سوى ( اسياد سيف كريم ) فما معنى اسياد سيف اي أشرف سيف ؟ واري انها محرفة عن (اصباد) بالياء الموحدة بمعنى بقايا : فان (السبد) ككف البقية من الكلاء وبارض بني فلان (اصباد) اي بقايا من النبت . ونقل اصباد من معنى بقايا النبت الى بقايا السيف له نظائر في كلامهم . او ان (اصباد) محرفة عن (اسيار) جمع (سير) بالراء وهو القدة من جلد و يكون اراد بالاسيار حمائل السيف . ومهما يكن فبيت نمر ليس بالشاهد القطعي للدلالة فيما أظن .

« المغربي »

## تحقيق الجاحظ<sup>(١)</sup>

— ٤ —

« الاستعانة بالعقل »

تجربة وعيار وسماع : هذه اصول الجاحظ في تحقيق الأخبار ، وأريد بالأخبار في هذا المقام أخبار العلم وخاصة علم الحيوان فقد استكمل الجاحظ كثيراً من صفات العالم : جرب وعين وسمع ولهذا الاصول شأن عظيم في علوم الطبيعة وبلغ من هذا الشأن أنهم عابوا بعض علماء الطبيعة بزهدهم في التجربة والعيان فمابوا مثلاً العالم (بوفون) ببعض كتبه في نشوء الارض وفي أدوار الطبيعة فقالوا فيه : وصف كثيراً وعين قليلاً<sup>(٢)</sup> .

فالجاحظ لم يفته فضل العيان والتجربة وإن فاته في بعض الأحوال روح الترتيب في الذي عاينه أو جرب عليه ، أو فاته خيال العالم ، وأعني بهذا الخيال قدرة العالم على التعميم وعلى الحزر والحدس لاستنباط القوانين العامة ، أو فاته التمكن من انشاء المقاييس العلمية فقد نجد كثيراً من معارفه مبعثرة لا يجمعها نظام واحد .

وكما جرب وعين فقد سمع وكان في معرفة السماع شديد الثبوت والتوثق . ولقد ضم إلى هذه المذاهب كلها ، إلى التجربة والعيان والسماع مذهباً آخر وهو العقل ، فقد جعل العقل دليلاً في مجامع أموره ، فما كان يصدق إلا ما أثبتته الأدلة ويحققه الامتحان فالعقل في نظره إنما هو الحججة في حكم الأمور .

فلننظر في مجلسنا هذا في طائفة من خصائص عقله قد نهتدي إليها في أبواب كثيرة

(١) سلسلة محاضرات الأستاذ السيد شفيق جبري أحد أعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في الكلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) ادب القرن الثامن عشر (لميل فاكه ص ٤٣١) .

من أبواب الحيوان كالكلاب على بعض عجائب الحيوانات أو على طول عمر البغل وأعمار ذكورة العصافير أو على ابتلاع السمكة للطعم أو على وضع النمر ولدها وهو متطوق باثني أو على القاح الثور أو على الضفادع أو على الخلق المركب أو على الأفاعي أو على ولد الكركدن أو على خلق السنابير والخنازير أو على تعاوت الذر أو على غير ذلك من الأمور التي قد يطول استقصاؤها .

فإذا أردنا أن نعرف خصائص هذا العقل في التحقيق لزمنا أن ننظر إلى بعض مواطن من المواطن التي يظهر فيها تصرف العقل ومقدار نفاذه ، وأظن أننا إذا بحثنا عن أشياء يسيرة من طبيعة نقده العلمي أو من طبيعة شكه في بعض أمور العلم أو من طبيعة تنقيبه عن علة هذه الأمور استطعنا أن نحيط بتأحية من نواحي عقله .

أما طبيعة نقد الجاحظ في أبواب العلم فالذي يعيننا من أمرها إنما هو الوقوف على الأمور التي وطأن نفسه على إبطالها وردّها أو الوقوف على الأمور التي كان يعيب بها عالماً من العلماء ، فهل كان يقرع الحجّة بأشباهها أم كان يرد قولاً من الأقوال مقتصرّاً على مجرد الرد وهل كان يجسر على نقد العلماء دون التقيّد بشيء ومن هم العلماء الذين تقدم . وأما طبيعة الشك فالذي يعيننا من شأنها أن نعرف أيّ ميل الجاحظ إلى الشك ، أيّ شك في الأمور وصولاً إلى اليقين أم يشك فيها للشك وحده ، وإذا شك في أمر فهل يبين الأسباب التي من أجلها يبطل هذا الأمر في نظره ، أم أنه يشك في هذا الأمر دون بيان شيء من هذه الأسباب .

وأما طبيعة تنقيبه عن علة من العمل فالذي يشغلنا منها إنما هو مقدار تصرف عقله في هذا التنقيب ومبلغ نفاذ هذا العقل .

فلنفرض قبل كل شيء للكلام على نقده العلمي ، ما الذي كان يشغل بال الجاحظ في هذا النقد ، هل كان يجسر على التكذيب في كل حين ، من هم العلماء الذين تقدم . ثم الجاحظ الأبعد عرض الأمور على التصحيح والتميز فقد كان مولعاً بالتنبيه على الخرافات سواء أكانت هذه الخرافات في أبواب العلم أم كانت في أبواب الدين فهو كثير التنديد بغث الأمور وممنعها فإذا أصاب فرصة في التحذير من توليد الكذابين ومن غرائب الأخبار حذر بقدر ما أوتيته من حكمة وبيان ، فإني لا يصدق إلا ما ثبتت الأدلة وبهجة

العيان والتجربة والسمع قد يصعب عليه ان يجعل بحال الخرافات ذا سمعة فمن قوله في هذا المعنى <sup>(١)</sup> :

« وقد ابتلينا بضربين من الناس ودعواهما كبيرة ، احدهما يبلغ من حبه للغريب ان يجعل سمعه هدفاً لتوليد الكذابين وقلبه قراراً لغرائب الزور ولكلفه بالغريب وشغفه بالطرف لا يقف على التصحيح والتميز فهو يدخل الغث في السمين والممكن في الممنوع ويتعلق بادنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع ، والصنف الآخر وهو ان بعضهم يرى ان ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم الا من خاف النقذر من الكذب . . . »

فالجاحظ كما يتبين لكم من هذا الكلام يكره غرائب الاخبار مما لا يحققه العقل . ومن هذه الغرائب التي تجرد لردنا والتحذير منها كلامهم على بعض الخلق المركب فقد قال <sup>(٢)</sup> :

« وقالوا في الخلق المركب خسروياً من الحق والباطل ومن الصدق والكذب . . . . وزعم حريث انه كان بأندج فاذا صحابة ضحياء تكاد تمس الارض وتكاد تمس قم رؤوسهم وانهم سمعوا فيها كأصوات المجانيق وكهدير الفحول في الأشوال ثم انهم دفعت باشد مطر رؤي او سمع به حتى استسلموا للفرق ثم اندفعت بالصفادع العظام ثم اندفعت بالشبابيط السمان الخزال فطيحوا واشتموا وملحوا وادخروا » . وقال في مقام آخر شبه هذا الكلام <sup>(٣)</sup> :

« وفيها عجوبة أخرى وذلك اننا نجد من كبارها وصغارها الذي لا يحصى في غب المطر اذا كان المطر ديمة ولم نجد لها في المواضع التي ليس بقربها بحر ولا نهر ولا حوض ولا غدير ولا واد ولا بئر ونجدها في الضحاضح الآمالس وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكلفين ومن اهل الجسارة ومن لا يخفى بسوء الحال عند العلماء ولا يكترث للشك انها كانت في السحاب ولذلك طمع اكثر الكذابين ممن يكره اسمه فذكر ان اهل

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الرابع ص ٥٨ ) .

(٢) « « « ( الاول ص ٦٨ ) .

(٣) « « « ( الخامس ص ١٥٣ ) .



أندج مطروا اكبرتبايط في الارض وأسمها وأعظمها وإنما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان وتلك المطرة وتلك الارض وذلك الهواء والضفادع من الخلق الذي لا عظام له ويزعم اصحاب الغرائب ان العلاجم منها المذكورة السود ويقال أرشح من ضفدع وتزعم الاعراب ان الضفدع كان ذا ذنب وان الضب سلبه إياه وذلك في خرافة من خرافات الأعراب ولا يكون ذلك حتى يجمع بين الاروى والنعام وحتى يجمع بين الماء والنار وحتى يشيب الغراب وحتى تقع السماء على الارض .

يستخرج مما تقدم ان الذي يشغل بال الجاحظ انما هو التنبيه على الكذابين وعلى غرائب الأخبار الا انه قد لا يكف نفسه في بعض هذا التنبيه المحي بالبرهان وكأنما رأى ان تكذيب هذه الأعاجيب انما هو معلوم في بدائه العقول فلا يحتاج الى شيء من البراهين . وقد يظهر لنا ان حرية المقدكات ضيقة المذاهب في بعض الاحاين فكان الجاحظ يشير الى الأجناس العجيبة من الأقول دون ان يجسر في كتبه على تكذيب العلماء ودراس الكذب او على تسميتهم من هذا النحو قوله (١) :

« والموام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركن وتزعم انه ربما نطح الفيل قرفعه بقرنه الواحد الذي في وسط جبهته فلا يشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على الأيام وهذا القول بالخرافة أشبه ، وأعجب من القول في ولد الكركن ما يخبرنا به ناس من اهل النظر والأدب وقراءة الكتب وذلك انهم يزعمون ان الثمرة لاتضع ولدها ابداً الا وهو متطوق بافعى وانها تعيش وتنهش الا انها لا تقتل ولو كنت اجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودراس الكتب لبدأت بصاحب هذا الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الأفعى تلد وتبيض لأن تأو بل الأفعى ينفصل بيضها فاذا طرقت بالبيض تلون فخطمته سيف جوفها ثم ترمي بتلك الفشور والحراشي اولاً فأولاً ولا بد لكل ذات حمل ان تلقي مشيمتها . او قوله في موطن آخر في خرافة من الخرافات وهو لم يدع صاحب هذه الخرافة (٢) : « وما لا اكتبه لك من الأجناس العجيبة التي لا يجسر عليها الا كل وقاح أخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب بقرأها و يدارس اهل البصرة ويحفظها زعموا ان

(١) كتاب الحيوان ( الجزء السابع ص ٤٢ ) .

(٢) \* \* \* \* \* ص ٤٩ .

الضبع يكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى وسميت هذا من جماعة منهم من لا استجيز تسميته ، قال الفضل بن اسحق : انا رأيت العفص والبلوط في غصن واحد ، قال : ومن العفص ما يكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الانثى ذكراً والذكر أنثى وقد ذكرت العرب في اشعارها الضباع والذئباب والسبع والعسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس وهم اخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ما هو اعجب واظرف وقد ذكرت العلماء الضباع في مواضع من الفتيان لم تر احداً ذكر ذلك واولئك باعيانهم هم الذين يزعمون ان النمر تضع في مشيمة واحدة جرواً وفي عنقه افعى قد تطوقت به واذا لم بأننا في تحقيق الاخبار شمر شائع او خبر مستفيض لم نلثت اليه .

على انه قد تعرض لجماعة فسامم وجسر على تكذيبهم فقد قال <sup>(١)</sup> :

« ورووا عن ابى وائلة انه زعم ان من الدليل على ان الشبوط كاليفل ان الناس لم يجدوا في طول ما كملوا من الشبايط بعضاً قط فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بشقوب الفراسة ودقة الفطنة صحيحاً فما اعظم المصيبة علينا فيه ، وما اخلق الخبر ان يكون صحيحاً وذلك اني سمعت له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان واحسام الاجناس يدل على ان الرجل حين احسن في اشياء رتبه العجب بنفسه انه لا يروم شيئاً فيمنع عليه وغرّه من نفسه الذي غر الخليل بن احمد حين احسن في الفخ والعروض فظن انه يحسن الكلام وتأليف اللحن فكذب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يدل عليهما الا المرأة المخترقة ولا يؤدي الى مثل ذلك الا خذلان من الله تعالى فان الله عز وجل لا يعجزه شيء » .

الا ان الذي تعرض له كثيراً في كتابه انما هو ارسطاطاليس فقد عاب عليه اموراً كثيرة منها انه لم يبين في تحقيقه على الاصول التي بنى عليها الجاحظ نفسه ، اي لم يثبت اموره بالعيان او بمعرفة السماع ، من هذا الفخ قوله <sup>(٢)</sup> :

« وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان فيما سلف من الدهر ان ثوراً سفد والقح من ساعته بعد ان خصي .

فاذا افراط المادح في المدح وخرج من المقدار وافراط المتعجب في التعجب وخرج من

(١) كتاب الحيوان ( الجزء الاول صفحة ٦٨ ) .

(٢) = = = الخامس = ٧٠ .

المقدار احتاج صاحبه الى ان يثبتته بالعيان او بالخبر الذي لم يكذب مثله والا فقد تعرض  
للتكذيب ولو جعلوا جرحتهم خيراً وحكاية ونبروا عن عينه ما ضرهم ذلك فكان ذلك  
أصون لأقدارهم وانتم لروايت كتبهم .  
او قوله في موطن آخر<sup>(١)</sup> :

« وفي المثل : أغل من تيس بني حمان وحمان تزعم انه فقط سبعين عنراً وقد فريت  
أوداجه فهذا من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة .

وقد ذكر صاحب المنطق انه قد ابصر ثوراً وثب بمد ان خصي فتزا على بقرة فأحبها  
ولم ينجذ هذا من معاينة ، والصدور تضيق بالرد على اصحاب النظر وتضيق بتعديقي هذا  
الشكل .  
او قوله<sup>(٢)</sup> :

« واما قول صاحب المنطق في ان الضفادع لا تلتق حتى تدخل فكما الاسفل في  
الماء لان الصوت لا ينجسها حتى يكون في فيها ماء فقد قال ذلك ووافقه عليه ناس من العلماء  
وادعوا في ذلك العيان وانما زعمه بان السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعم الا ببعض الماء فأبي  
عيان دل على هذا وهذا غير .  
او قوله<sup>(٣)</sup> :

« وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل وما يليق بمثله ان يناد على نفسه في  
الكتب شهادات لا يثبتها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء وما عندنا في معرفة  
ما ادعى الى هذا القول .

ولم يقتصر الجاحظ على واطخذة ارسطاطاليس بانه لم يعتمد في تحقيقه على العيان  
والسمع والامتحان وانما غاب عليه في بعض الأحوال انه اذا تكلم على حيوان فانه لا يستوفي  
عجائب هذا الحيوان ، من هذا كلامه على الفيل<sup>(٤)</sup> :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٧٤ .

(٢) = = = = ١٥٦ .

(٣) = = = = الاول = ٨٧ .

(٤) = = = = السابع = ٧٠ .

« وما أعجب ما قرأت لصاحب الحيوان في كتاب المنطق وجدته وقد ذكر قصصاً عنه ولم يذكر انقلاب لسانه وذلك أعجب ما فيه ولم ينظر في كم يضع ولا مقدار مدة حمله وكيف يخرج من بطن أمه ثابت الاسنان » .  
وأحياناً كانت بتعرض له فيقف في تعرضه موقفاً وسطاً دون دفع الخبر أو قبوله كقوله (١) :

« وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير الذي يسمى باليونانية (اعتبوليس) يحكم عشه وبقوته ويجعله مستديراً مداخله كأنه كرة ورووا أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه فيفرش له عشه ولا يعيش إلا في أعالي الشجر المرتفعة الموضع ، قال وربما عمد الناس إلى سهام فيشدون بها رصاصاً ثم يرمون بها أعششها فيسقط عليهم الدارصيني فيلتهقونه وبأخذونه ... »

ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن خبر صاحب الدارصيني وإن كنت لا أعرف الوجه في أن طائراً ينهض من وكرة في الجبال أو بفارس أو باليمن فيؤم ويمد نحو بلاد الدارصيني وهو لم يجاوز موضعه ولا قرب منه ، وليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابد وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصححان الأملس ويطون الأودية وأهصاب الجبال بالتدويم في الأجواء وبالمضي على السميت لطلب ما لم يره ولم يذقه ، وأخرى فانه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه ما يضر فراشه ومهاداً إلا بالاختلاف الطويل وليس بالوطئ الوثيز ولا هو بطعام فأتا وإن كنت لا أعرف العلة فليست أنكر الأمور من هذه الجهة » .

وقد نعتت لغير أرسطاطاليس فتعرض لابي زيد النحوي وحشره في جملة علماء السوء فعايهم بأنهم لم يكتفوا في تحقيقهم من حقائق المتكلمين كقوله (٢) :

« وأما الذين ذكروا في أشعارهم السبع والعسبار فليس في ظاهير كلامهم دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فأدينوا الذي قالوا وامسكنا عن الشهادة إذ لم نجد عليها برهاناً » .

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث الصفحة ١٦٣ .

(٢) = = = الأول = ٨٥ .



وللناس في هذا الضرب خسروب من الدعوى وعلماء السوء بظهوروت تجوزها وتحقية، كالذي يدعون من اولاد السعالى من الناس كما ذكروا عن عمرو بن يربوع وكما يروي ابو زيد النخوي عن السعلاة التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأته يرفأ يلطم من شق بلاد السعالى حنت وطارث اليهم فقال شاعرهم :

رأى يرفا فأوضع فوق بكره فلا ياماً اسأل وما انما

وأشدني أن الجن طرفوا بعضهم فقال :

أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم : فخذ الانس الطعاما

ولم أعب الرواية وانما عبت الالباب بها والتوكيد لمعانيها فما أكثر من يزوي هذا الضرب على التعجب منه وعلى ان يجعل الرواية سبباً لتعريف الناس حق ذلك من باطله وابو زيد واشباهه مأمونون على الناس الا ان كل من لم يكن متكاملاً حاذقاً وكان عند العلماء قدوة واماماً فما اقرب إفساده لم من إفساد المتعمد لإفسادهم .

وكان في بعض نقده يعيب طائفة من الناس بوضعهم الموجب من الامور موضع المقرب منها ، وياتزال الدليل منزلة شبه الدليل كقوله <sup>(١)</sup> :

« والذين زعموا ان ذكورتها لا تعيش الا سنة يحتاجون الى ان يعرفوا الناس ذلك وكيف يستطيعون تعريفهم ذلك وقد تكون القوى بقرب المزارع والميازب مملوءة عصفير ومملوءة من بيضها وفراخها وهم مع ذلك لم يروا عصفوراً قط ميتاً » .

والذين زعموا ان البغل انما طال عمره لقلة السفاد والعصفور انما قصر عمره لكثرة السفاد وغلمته لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يلطم احد من العلماء والامور المقربة غير الامور الموجبة فينبغي ان يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب وفرق ما بين الدليل ومشبه الدليل ولعل طول عمر البغل يكون للذي قالوا ولشيء آخر وليس ينبغي ان نجزم على هذه العلة فقط » .

هذه جملة القول في نقده والذي يستخلص من هذا النقد ان الجاحظ لجأ اليه للتنبيه على مواطن الزور في ابواب العلم مما لا يحققه العقل فكأن الجاحظ يقول :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ٧١ .

لا اصدق من الامور الا ما كانت واضحة وهذه خطية ( ديكارت ) نفسه كما علمت ذلك .

ولم ينقد الجاحظ للنقد وجده ، انه أجل من ذلك وانما نقد وصولاً الى الحقائق فكان مرة يدل على الخرافات ويحذر منها ومرة يشير الى مزالات أقدام بعض العلماء كما أشار الى أعراض ارسطاطاليس عن استعمال التجربة والعيان والسمع في بعض مباحثه العلمية و كما عاب ابازيد التتويجي بانه لم يكن من حذاق المتكلمين .

وقد كان في بعض نقده يستغني عن الاوتيان بالبرهان لان من الامور التي نبه على بطلانها ما يقبله العقل دون برهان .

فغاية الجاحظ في نقده العلمي الوصول الى الحقيقة والحقيقة ضالة العالم .

## تحقيق الجاحظ

— ٥ —

« الاستماعة بالعقل »

—«»—

ومن المواطن التي يظهر فيها مقدار دقة فطنته وثقوب عقله موطن الشك فما ننسج  
قوله في صدر كلامنا على تحقيقه :

« ولا يعجبني الاقرار بهذا الخبر وكذلك لا يعجبني الانكار له ولكن ليكن قلبك الى  
انكاره أميل وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع  
اليقين والحالات الموجبة له » .

وهذا الشك قريب من شك (ديكارت) الذي كنت اشرت اليه فقد كنت ذكرت  
لكم ان (ديكارت) يشك في كل شيء وقد تكون الحياة في نظره حلاً من الاحتمالات  
شكك هذه لا يشبه شك غيره من الفلاسفة فهو يشك في كل شيء ، فقد يفرض ان العالم  
لا حقيقة له على أمل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان فالشك في مذهبه سبيل الى  
اليقين .

فاذا قابلنا بين هذين الرأيين : بين رأي الجاحظ وبين رأي (ديكارت) وجدنا  
فيهما بعض التقارب فالجاحظ يقول : اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها  
مواضع اليقين والحالات الموجبة له : معنى هذا كله : اعرف الشك لتعرف به اليقين  
فالشك في نظره سبيل الى اليقين فهو لا يشك في الامور من اجل الشك وحده وانما يشك  
فيها حتى يصل الى يقين قاهر وكذلك (ديكارت) فانه لا يشك في الامور من اجل الشك  
وحده وانما يشك فيها على أمل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان .

وكيف يلجأ الجاحظ الى مجرد الشك وهو الذي يقول <sup>(١)</sup> :

« واعلم ان من عود قلبه التشكك اعتراء الضعف » .

فلنتنظر بعد هذا في أنماط من أقارب له التي ظهرت عليها آثار الشك كالكلام على رؤس الحيات او كالكلام على لعاب الافاعي او كالكلام على سلامة الفراريج على الافاعي او كالكلام على خلق الفار او كالكلام على اخراج الولد رأسه من بطن أمه .

فمرة كان يشك في الامر وينفيه لان العالم لا يحققه . ومرة كان يشك فيه ويبين السبب الذي من اجله استفاض هذا الامر . وحينئذ كان يشك فيه من دون ان يحاول نفيه بالحجة او يوضع علة من علل شبيهة . وحينئذ كان يشك فيه فيجاري في امره حيرة قد لا يجد لنفسه مخرجاً منها ثم يجد هذا المخرج فيرد الامر لانه لم يثبتته ظاهراً العيان او متظاهراً الاخير .

فمن المواضع التي ظهر شكك فيها قوله <sup>(٢)</sup> :

وزعم بعض المفسرين ان السور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان اصحاب التفسير يزعمون ان اهل سفينة نوح لما نأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره ان يأمر الاسد فيعطس فلما عطس خرج من مخزبه زوج سنابير من ذكر وأنثى خرج الذكور من المخزلاتين والانثى من المخزلاتيسر فكفاهم مؤنة الجرذان ، ولما نأذوا برائحة نجسهم شكوا ذلك الى نوح فشكى الى الله تبارك وتعالى فأمر ان يأمر الفيل فيسلح فسلح خنازير فكفاهم مؤنة رائحة ذلك النجس .

... وهذا الحديث نافي عند العوام وعند بعض القصاص وقد انكرنا ان يكون الفار تخلق الا في ارحام أنثاه من اصلااب ذكورها » .

فالجاحظ ينكر خلق الفار الا في ارحام أنثاه من اصلااب ذكورها ويشك في ضد هذا الامر لان العلم لا يؤيده .

وبين هذه المواضع التي ظهرت فيها آثار الشك قوله <sup>(٣)</sup> :

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد ( الجزء الثاني الصفحة ٨٤ ) .

(٢) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٠٦ .

(٣) = = = الرابع = ٥٢ .



« وقد زعم صاحب المنطق انه قد ظهرت حية لها رأسان فسألت أعرابياً عن ذلك فزعم ان ذلك حق فقلت له : فمن اين جهة الرأسين تسمى ومن ايها تأكل وتعض فقال : فأما السعي فلا تسمى ولكنها تسمى الى حاجتها بالقلب كي ينقلب الصيوان على الرمل وأما الاكل فانها تمشي بهم وتغدي بهم وأما العض فانها تمض برأسها معاً فاذا به اكذب البرية .

وهذه الاحاديث كلها مما يزيد في الرعب منها وفي تهويل امرها . . . »  
 فبعد ان شك الجاحظ في ان يكون للحية رأسان أخذ بقلب النثار في استفاضة هذا الخبر فوجد ان العلة في ذلك الرعب والتهويل .  
 وبين هذه المواضع قوله <sup>(١)</sup> :

« وزعم احمد بن غالب قال : باعني حواء ثلاثين افعى بدينار بن واهدي الي خمسة اصطادها من قبالة القلب في تلك الصحاري على شاطيء دجلة قال : واردتها للثرياق فقال لي حين جاء في بها : قل لي من بعالجها ، فقلت فلان الصيدلاني ، فقال : ليس عن هذا سألتك قل لي : من يذبحها ويسلخها قال : قلت هذا الصيدلاني بعينه ، قال : اخاف ان يكون مغروراً من نفسه ، انه والله ان اخطأ موضع المفصل من قفاها وحركته اسرع من البرق فان كان لا يحسن ولا يدري كيف يتغفله فيقره نقرة لم يفلج بعدها ابداً ولكني سأطوع لك بان اعمل ذلك بين يديه قال فبعثت اليه وكان رأسه الحونة فيغفل الواحدة فيقبض على قفاها باسرع من الطرف ثم يذبحها فاذا ذبحها سال من افواها لعاب ابيض فيقول : هذا هو السم الذي يقتل ، قال : فجالت بده جولة وقطرت من ذلك اللعاب قطرة من طرف قميص الصيدلاني قال : فينقش ذلك القاطر حتى صار في قدر الدرهم العظيم ثم ان الحواء امتحن ذلك الموضع فتهاوت في بده وبقيت الافاعي مذبوحة في الطست بكسده بعضها بعضاً حتى ايسيناً قال : وبكرت على ابي رجاء الى باب الجسر أحدثه بالحديث فقال لي : وددت اني رأيت موضع القطرة في قميص الصيدلاني ، قال : فوالله ما رمت حتى مررت بي الى الصيدلاني فأريته موضعه . واصحابنا يزعمون ان لعاب

الأفاعي لا يعمل في الدم إلا اب أحمد بن المثنى زعم أن من الأفاعي جنساً لا يفسر  
الفراريج من بين الأشياء . .

ولا أدري أي الخبرين أبعد ، أخبر ابن غالب في تفسيح الثوب أو خبر ابن المثنى في  
سلامة الفروج على الأفعى .

فهنا يتبين لكم أن الجاحظ اكتفى بإنكار الخبر دون أن يبين سبباً من الأسباب .  
ومنها قوله (١) :

« وقد زعم صاحب المطلق أن ولد النبل يخرج من بطن أمه ثابت الأسنان لطول  
مكثه في بطنها وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لأن جماعة نساء معروفة الآباء  
والأبناء قد ولدن أولادهن ولهن أسنان ثابتة كالذي روي في شأن مالك بن انس وعبد  
ابن عجلان وغيرهما وقد زعم ناس من أهل البصرة أن خافان بن عبد الله بن الأعمش استوفى  
في بطن أمه ثلاثة عشر شهراً وقد مدح بذلك وهجى وليس ذلك بالمستنكر وإن كنت لم  
أر قط قابلة تقر بشيء من هذا الباب وكذلك الأطباء وقد روي كما علمت .

ولكن العجب كل العجب ما ذكرنا من إخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه ثم ادخلها  
بعد الشبع والبطننة ولا بد أكرمك الله لما أكل من نجو فان كان بقي الولد يأكل ولا يروث  
فهذا عجب وإن كان يروث في جوفها فهذا أعجب وإنما جعلناه يروث حيث سموه حمراً وهذا  
مما ينبغي لناس أن تذكره في خصال الحمار إذا بلغ ذلك الباب ولا أقر أن الولد يخرج رأسه  
من بطن أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه وليست آراء محالاً ولا ممنوعة في القدرة  
ولا في الطبيعة وأرى جوازه مرهوباً غير مستحيل إلا أن قلبي ليس بقبلة وليس في كونه  
ظلم ولا عيب ولا خطأ ولا نقصير في شيء من الصفات المحدودة ولم نجد القرآن ينكره  
والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه وليست ابت بآنكاره وإن كان قلبي شديد  
الميل إلى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف إلا بالعيان الباهر والخبر  
المتظاهر » .

فالجاحظ في مثل هذا المقام يعمد إلى رد الخبر لأن العيان الباهر لم يثبت . هذا ما يتعلق  
ببعض خصائص شكك فلنلجأ إلى النظر في الملل التي يجدها لأمر من الأمور .

(١) كتاب الحيوان الجزء السابع الصفحة ٤٠ .

ففي هذا النوع يتبين لنا مقدار تغافل عقله في الأمرار ومبلغ توفيقه في الإحاطة بهذه الأسرار فلتنتخب موضعاً أو موضعين من المواضع التي نستدل بها على نفوذ عقله .  
 مرة يشهد الأمر فيدركه كما يدرك عالم الطبيعة حادثة من حوادثها ثم يستنبط من هذا الأمر قانوناً عاماً يلجأ إليه كلما جرت الكلام على الأمر الذي دوتته على نحو استنباط علماء الطبيعة القوانين العامة من الأمور الصغيرة التي يجربونها وبعينونها واليك مثلاً لذلك<sup>(١)</sup> :  
 « وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد فتسقط من يده الواحدة أو صدر الواحدة وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذرة عهد في ذلك المنزل فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة فترومها وتحاول قلبها ونقلها وجرها فإذا أعجزتها بعد أن بلغت عذراً مضت إلى جمعها راجعة فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود حتى يتعاون عليها فيحملنها فأول ذلك صدق الشك لما لا يشك الإنسان الجائع ثم بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة وأكثر من مائة مرة وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعفه مراراً غيرها وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف إلا بعد انقطاع الانقاس .

فإن قلت وماعلم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعبزت هي التي أخبرت صويجباتها من الذر وأنها كانت على مقدمتهن ، قلنا : لطول التجربة ولا نألم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعبزت عنها ثم رأيناها راجعة الأرباباً معها مثل ذلك وإن كنا لا نفصل بين الأمين بينها وبين أخواتها فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جمعها فارغة فتلقاها ذرة الأرباباً ساعة وخبرتها بشيء فدل ذلك على أنها في رجوعها عن الجرادة إنما كانت لأشبابها كالرائد لا يكذب أهله .

ذرة تأخذ عينها جرادة فتحاول نقلها فإذا عبزت عنها ذهبت إلى أخواتها فاستمعنا منهن على جملتها . هذا هو الأمر الصغير الذي عاينه الجاحظ ، من هذا الأمر الذي عاينه استخرج قانوناً عاماً وهذا هو القانون : كل ذرة حاولت نقل جرادة أو غيرها فعبزت عنها استدعت صويجباتها فتعاون على نقل هذه الجرادة .

وقد كنت بينت لكم أن الجاحظ لم يستنبط من تجربته وعيانه وسماعه قوانين عامة ولكنه

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة ٣ .



ومرةً يمين في الكشف عن غرائز الحيوان فلا يماين حركة من حر كانه كالانقياد  
او كالعصيان مثلاً الاً وضّح اسرار هذه الحركة مصيباً في توضيحه شاكاة الصواب .  
فمن كلامه على سلاح اصناف الحيوان <sup>(١)</sup> :

فما انتقادت الشاة للسبع او للذئب ومارمت الدجاجة بنفسها الى ابن آوى الا للبعين  
فالجاحظ يظهر لنا في هذا المقام في صورة العالم الواقف على غرائز الحيوان .  
او قوله (٢) :

• • • • • (۲)



« وليس شيء من صنف الحيوان اردى حيلة عند معاينة العدو من الغنم لانها في الاصل موصولة بكفهايات الناس فأسندت اليهم في كل امر يصيبها ولولا ذلك لأخرجت لها الحاجة ضرورياً من الابواب التي تعينها ... »

\*\*\*

هذا ما عن لنا من الكلام على ناحية جليلة من نواحي الجاحظ واعني بها ناحية العلم وقد احببت قبل ان انتقل الى الكلام على نواحي دينه او تيهكه او ادبه ان اجمل القول في مذاهب تحقيقه حتى تبقى صورته من هذه الجهة ماثلة لا ذهائنا قائمة في صدورنا . ارادت طائفة ان لا تجد في الجاحظ الا ناحية واحدة وهي ناحية الفن فمارأت في بعض كتبه وخاصة في كتاب الحيوان الاخصائص فنية وهذا الرأي ناشيء عن امرين : اما عن جهل بمذاهب التحقيق في العلم واما عن تهاون بدراسة الجاحظ من كل اطرافه فليس من المعدلة في شيء ان ننظر الى الجاحظ من ناحية واحدة وان نهمل ناحية اجل وهي ناحية العلم .

ان ما حاضرتكم به حتى اليوم من بعد التمهيد والتوطئة مما لا بد منه قد صور لكم الجاحظ في صورة العالم على مصطلح هذا العصر .

ثم العالم التنقيب عن الحقيقة وقد بذهب في هذا التنقيب مذاهب مختلفة على حسب العلم الذي ينصرف اليه وقد اخرج الجاحظ مكنونه في التنقيب عن هذه الحقيقة وأظن ان تجريبه على اصناف من الحيوان كالحيات والافاعي والخنافس والعقارب والجردان لم يكن لجزء اللهب والعبث واي لمو في عيان العقارب ام اي عبث في مشاهدة الافاعي فاذا قطع الجاحظ طائفة من اعضاء الحيوانات او التي عليه ضرباً من السم او ذبحه وقذش جوفه وقانصته او دفنه في بعض النباتات او ذاقه او يتج بطنه او جمع أضداؤه في اناء من قوارير او التي عليه مادة من مواد الكيمياء فما كان يفعل هذا واشباهه عبثاً وانما كان يرمي الى غايات بعيدة ، انه كان يرمي الى إدراك الحقيقة من ارشد مسالكها .

فمرة كان يستعين بجواسمه على الوصول الى هذه الحقيقة فيستعين باللس او بالذوق او بالرؤية او بالشم او بسؤال اهل المعرفة والعلم متوثقاً في كل خبر يسمعه مثبتاً في كل كلام يبلغ اليه حتى يكون على هدى من امره وحتى يعرض هذه الحقيقة في اوضح معارضها

فلا يخامرهم شك فيها ، واي شك بعد العيان القاهر او الخبر المتظاهر .  
 ومرة كان يستعين عليها بآلة اكمل من كل آلة وهي آلة العقل .  
 ولقد أحكم استعمال عقله فرامى دون حياض الحقيقة حتى لا يفسدها شيء من توأيد  
 كذاب او من غرائب زور .  
 فحينئذ كان يقف بالمرصاد لكل رجل يتحدث نفسه بخرافة من الخرافات وحينئذ كان  
 يحذر الناس من الأباطيل فيدلهم على عيوبها مقتصداً في دلالاته لاشتم ولا بد من شأن العالم  
 الجليل او يشككهم فيها ثم يخرجهم من ظلمة الشك الى ضياء اليقين .  
 وكان في بعض الأحوال يلجأ الى توضيح العلل في ابواب العلم فلا يخطئ مواطن  
 الحق .  
 وفي كل مذهب من هذه المذاهب في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتوضيحه  
 كان الجاحظ يطعم علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة .

## الغلاظة في اللغة

— ୨ —

« الغليظ »

وهو غلبظ وغلاظ وغالظ ج غلظة . وعُلابط وعلابيط وأعم وعاندي وهلكد  
وعانكيد وعلمكد وعلاكد وخليذ (على الابدال) وعبنجر وعبت وعبتي  
وعبرايض وقشبر وحدر وأزعب وهي زعاء ، ومسفوح ومساءف وشثن يقال  
هو كشثل الاصابم وكشثها ومنه قول الراجز :

اوعدي بالسجن والادام رجل فرجلى شثنة المناسم

وَيُقَالُ اسْدُشْنُ الْبَرَاثِ . وَحُبَايَجِرُ وَحَبِيَجِرُ وَحَبِيَجِرُ وَدُخْشَمُ وَدُخْشَمُ  
وَدُخْشَنُ ( كَأَنَّهُ مَوْخُودٌ مِنَ الدَّخْشِ وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ مِنَ اللَّحْمِ ) وَشُنَابُثٌ وَشَرْهَادَةٌ .  
وَدُكْمَزُ وَدُحَامِسُ ( غَلِيظٌ مَمِينٌ ) وَدُمَايَحْسُ وَطَبْطَارُ وَهَدُوفٌ وَرَكِيحٌ ( لِلذِّكْرِ وَالْمَوَاتِ )  
وَيُقَالُ اسْنَانٌ رَكِيحٌ أَيْ غَلَاظٌ وَنَقُولُ رَكِيحٌ أَيْ خَشَنٌ غَلِيظٌ كَمَا يُقَالُ يَوْمٌ يَوْمٌ  
وَمَعْدُ ، وَدَشَبُ ( وَهُوَ مَا خُودٌ مِنَ فَوَلِ الْعَرَبِ تَمْرَةٌ وَشَبَّةٌ أَيْ غَلِيظَةٌ لَلْحَاءِ ) وَجَرْعَبُ  
وَجَرْعَبِيلُ وَجَشِيمٌ وَجَشَنُ وَجَشِيمٌ وَشَامِسِي ( الْجَامِسِيُّ الْغَلِيظُ ) وَجَنْعِيظُ وَجَنْعَاظُ  
( الْغَلِيظُ الْجَانِي ) وَجَنْعِيظُ ( غَلِيظٌ أَثْمٌ ) وَجَانٍ يُقَالُ قَلَمٌ جَانٍ إِذَا كَانَ غَلِيظَ الْقَطْعِ  
وَرَجُلٌ جَانِي الْخَلْقَةِ وَجَانِي الْخَلْقِ أَيْ كَرَّ غَلِيظَ الْعَشْرَةِ خَرِقَ فِيهِ الْمَعَامِلَةُ مُتَحَامِلٌ عِنْدَ  
الْغَضَبِ وَالسُّورَةِ عَلَى الْجَلِيسِ جُفَاءً ، وَعُدْلُ وَأَنْبَعُ وَجَرْعَبُ وَأَعْقَفُ نَقُولُ جَاءَنِي  
أَعْرَابِي أَعْقَفُ .

وجأب: يقال كاهل جأب وخالق جأب ، وجبيل نقول فلان جبيل الرأس والوجه إذا كان غليظهما قليل الحلاوة ، وجبيل « هذا شي » جبيل اي غليظ جاف ، وصمكوك

ويجبل وحمل كل وأخشب وزبيري وشربند وجعنش ومهومرد .  
 والعنجه : الجاني من الرجال ومثله القباقيب والقح والعنول والعذاب  
 والإزب . ورجل غضاب ، غليظ الجلد . واعرابي محرم ، جاف فصيح لم يخاط  
 الحضر . وغلام غندرو غندري سمين غليظ . ورجل ذو رجلة اي غليظ . ومعتز  
 غليظ كثير اللحم . ورصيمهم ورصيمهم ، غليظ شديد ضخيم . وخزخز وخزخز ، غليظ  
 العضل . وقندود وقماد وقمادي وقند وقند وقند وقنداني ، غليظ .  
 ونشرب ، غليظ عبل . وانه رجل ذو بضم اي غليظ ومثله الرجل البكباك وذو جراز ،  
 غليظ صلب . وجههم الوجه ، غليظه . والجهم الوجه الغليظ المجتمع السميح . والفيلز ،  
 الرجل الغليظ الشديد . والفمراك الغليظ الشديد عصب الخلق . والضياط ، الغليظ .  
 والعرباض والعرباض ، الشديد الغليظ . والعريثة ، الجاني الكز . وقال ابو عمرو وهو  
 الذي يخدم البيوت . والبلاءث ، الرجل الغليظ الجسم المسترخي . والأمان ، الهي  
 الجاني الجاني القليل الكلام ومثله الأمي . والجبنمل ، الجاني . والجنادف ، الجاني  
 الجسم . والوطب ، الجاني . والعفشليل ، الجاني الثقيل . والعنجهي ، الخشن  
 الجاني . والجيز ، الغليظ الكز . والقنابل والقنابل ، الغليظ الشديد ومثله الكدومة .  
 والبلاز ، الغلام الغليظ . والجوشوش ، الرجل الغليظ .

وقالوا مكان صلب ، غليظ حجر ومثله ارض صلبة . وانف ممرانزم ، غليظ  
 مجتمع . وحمار كدم ، غليظ شديد . والبلاءص ، الغليظ الكثير اللحم . والحزاق ،  
 السوار الغليظ . والخوشب ، الضائط الجاني . والذفررة ، الحمار الغليظ . والعنداس  
 الغليظ الضخم . والعاب ، المكان الغليظ الذي لو طرد دهرأ لم يذرت . والجباس ،  
 الغليظ القدم . والجبيل ، الغليظ جلدة الرأس والعظام ج جبيل . والجشيل ، ما غلظ  
 وقصر من الشجر — ومن الشعر ، اشد سواداً واغلظ . والجشيب ، الغليظ من الطعام  
 ومثله الجشيب والجشيب والجشوب . والجشيب ايضاً الثوب الغليظ . والسقاء الغليظ  
 الخلاق . والمجعة من الحبس ، الغليظ .

والردومات ، الشديد الجاني ومثله العنبر والعنبر والعنبر والعنبر  
 والعرباض والعرباض والعنبر ج أعفار وعفار . والشخزب والشخزب



—(X)—

## آراء وافكار

تعرف اخبار الناس

« وحب الاطلاع عليها »

جاء في كتاب (التراتب الادارية) ان النبي صلى الله عليه وسلم « كان يسأل الناس عما في الناس » وليس هذا من التجسس المنهي عنه في الشرع ، وانما الغرض منه معرفة الخير والاحسان فيزداد منهما ومعرفة الشر والاساءة فيجتريز منها ويحيط لها . وكان بعض الصحابة يخبر النبي (ص) بلز المنافقين فيقول : رحم الله موسى لقد اُذِي باكثر من هذا فصبر . ولاريد انه يجوز بناء على هذا اخبار الامام بما يقال عنه . وهكذا كانت لعمر عيون على الناس يتقلون اليه اخبارهم كما كان يفعل حذيفة بن اليمان في نقله أسرار المنافقين الى رسول الله (ص) . ومن اللطائف ماروي من ان (ابن غازي) احد علماء المغرب قد عين بعض أصحابه ان يكتب له كل ماجرى له في البلد وما قال وقيل من خميس الى خميس فيطالع ذلك . ويكون ذلك يوم الخميس الذي فيه ثورخ من التدريس . ورووا ان الحافظ ابا العباس المقرئ اتخذ — وهو مقيم في مصر — رجلاً بنفقته وكسوته وما يحتاج اليه على ان يذهب كل يوم صباحاً فيخترق البلد أسواقاً ومباجد ورحاباً وأزقة ، وكما رأى امرأ او سمع خبراً قصه على ابي العباس في الليل . وروى بعض تلاميذ ابي العباس (الدرعي) ان شيخه المذكور كان كثير السؤال والفحص عن أحوال الناس ورفائهم في الأقطار والمدائن قال وكان يسألني عن ذلك كثيراً . فقلت في نفسي مرة : ما الشيخ ولاخبار ؟ لو اشتغل بصلاته وصيامه وسبحته كان أحسن له . قال فلقيني بعد ذلك بقريب وقال لي : المؤمن يسأل عن إخوانه وعن أحوالهم فمن كان منهم في خير دعا له بالزيادة والهناء ومن كان في شر وفقر دعا له بغير ورحمة . ويقال ان الشيخ الشعراfi كان في تعرف أحوال الناس على قدم الشيخ الدرعي

وفي طبقات ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن ( يعني يوم الجمعة ) وهو يحدث الناس يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار . ومن طريق آخر انه يجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن قوتهم وعن مرضاهم ثم يقوم فيخطب . اهـ

هذا وفي نشوار المحاضرة ( جزئه الثاني ) الذي مازال مخطوطاً خبر عن بعض رجال الدولة العباسية يدل على مبلغ عنايتهم بالأخبار ونقصي أحوال الناس وسيرهم قال : حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من أهل خامية ؟ من أعمال النهر وان قد أقام ببغداد سنين وكان مشهوراً بصحبة ابي عبد الله ابن ابي عوف قال : كنت ألزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودة . لا أسأله حاجة : لانها لم تكن تعرض لي وكنت أتحفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . وكان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العمة وقد صلى ودخل منزله . فحين يراني يمدّ رجله في حجري فاغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت أسأل عنها وأطلبها من كل موضع واجيئه بها وأخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يُرَجَف به الناس وأخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينفس فاذا نفس قبض رجله فقامت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل . وجرى الامر على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سقطي<sup>(١)</sup> كان يعاملني فقال قد دُفعت الى شيء ان تم علي افنقرت . فقلت ماهو ؟ فقال رجل كنت أعامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقد جوهري قوّم بالف دينار لي ان يفتكّه بعد شهر او أبعد . وأذن

(١) بائع السقط وهو الردي من متاع البيت نحو الابرة والفأس والقدر :

وما للمرء خير في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

اولعل صوابه السفطي (بالفاء) نسبة الى السقط وهو ما يعثي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . ويكون المراد هنا بائع الطيوب وسائر الحاجات النسائية وهو المسمى في عصرنا بالفرنسية ( nouveauté ) وانما رجعنا ان يكون هذا هو المراد لان السفطي المذكور في هذا الخبر تجتمع له مع بعض عملاته الف دينار . والمتاجر بحاجات النساء وأدواتهن ووسائل تطريتهن — خليق بان يملك الألوف من الدنانير على العكس من بائع الابرة والفأس .

لي في ذلك فلما كان أمس وجه ( مؤنس الفحل صاحب الشرطة ) من كِبَسٍ دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني أخاطب ( ابا عبد الله بن ابي عوف ) فيلزمه رتبه صاغراً . قال وانا مدلّ بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد ( الخليفة ) . فلما كان تلك الليلة جئته فمدّ رجله في حجري على الرسم . وحادثته وعرفته بالأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع مؤنس ( رئيس الشرطة ) ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس حقاً عليّ ولا بد والله من نفضلك باسيدي واعنائك في امره وإلزام مؤنس ( رئيس الشرطة ) رد العقد .

قال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرات ان نعرّضني لمثل هذا وتسالني فيه ؟ وكأني بك وقد قلت ابن ابي عوف صديقي ألزمه رد هذا . ولم تشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي . ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ من هذا أعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا رجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على اني ما سألته قط حاجة ولا احتجت اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال بلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا ؟ ! شهد الله لا دخلت له داراً بعدما ابدأ . وامسكت وجلت لأنكلم . ثم قلت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً مغموماً . فلما كان من الغد بكرت<sup>(١)</sup> لثلاثي يجيئني الرجل ( السقطي ) بسبب حاجته فأفترض عنده . ولم أدخل بيتي الى وقت المغرب . ثم جئت فصليت وطرحت نفسي على سرير راعنقدت أنني لا أمضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ بقرأ عليك السلام ويقول لم تأخرت الليلة ؟ ان كنت معافي فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت أمضي الليلة ثم أقطع . فحين دخلت اليه ورأني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش<sup>(٢)</sup> عندك من الأخبار ؟ فأقبل أحدثه بخديث غث منكأف منصم . فلم يزل يصبر على

(١) بكرت اي نزلت من داري باكراً .

(٢) ايش منخوثة من اي شيء وهي من كلمات عامتنا اليوم لكنها مع هذا كثيرة الاستعمال في كلام النصحاء الاقدمين .



ذلك ساعة ثم قبض رجله فقامت فقال : يا بابكر<sup>(١)</sup> انظر ايش تحت المصلى<sup>(٢)</sup> واذا برنعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها : « يا مؤنس جمرت على قصد دكان رجل »  
« تاجر يعرف بفلان وفنت صندوقه واخذت منه عقد جوهريته الف دينار وانا في الدنيا ؟ »  
« والله لولا انها اول غلطة غلطتها ماجري في ذلك ناظرة<sup>(٣)</sup> . اركب بنفسك الى دكان »  
« الرجل ( السقطي ) حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » .

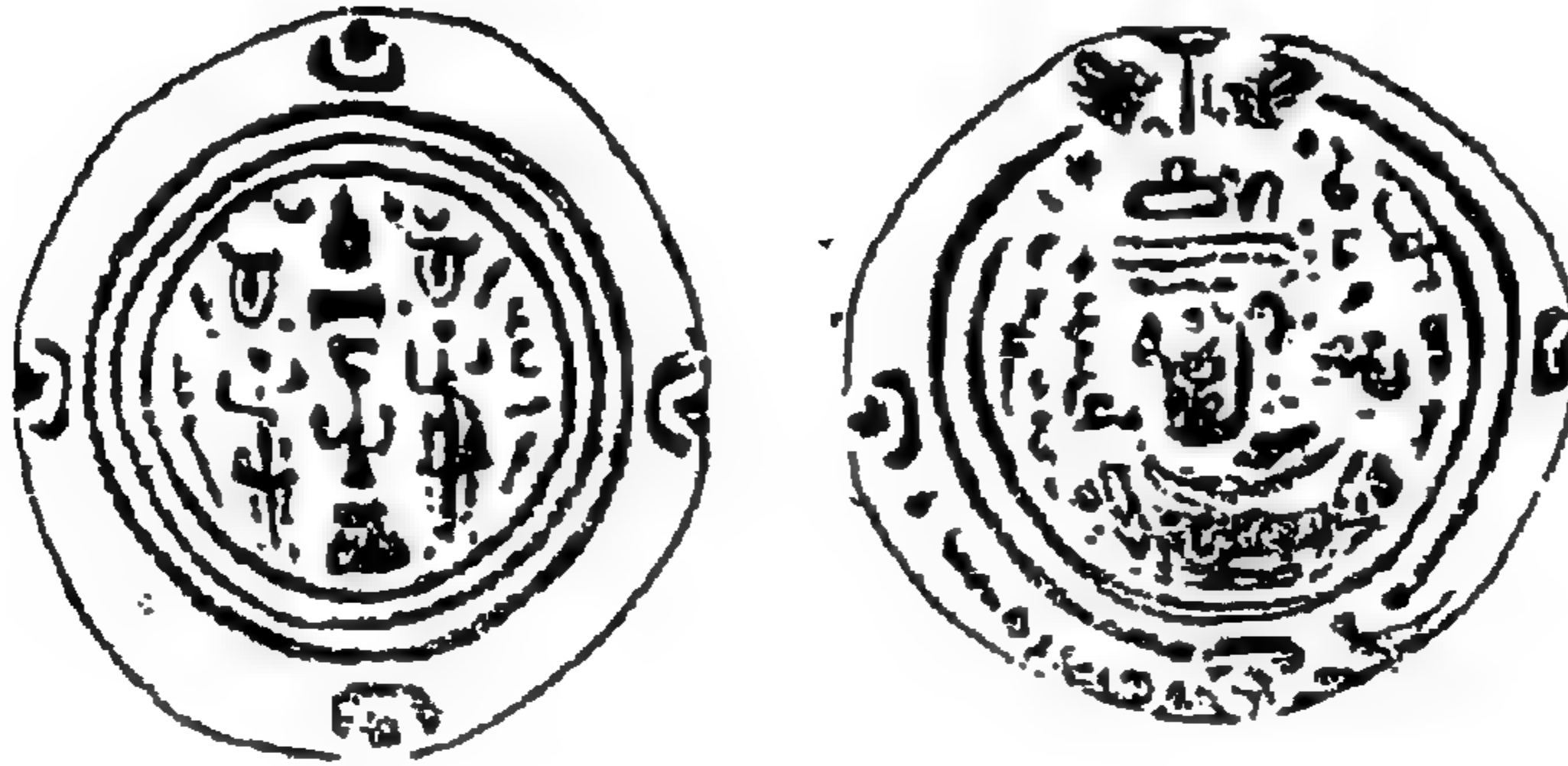
فقلت لابي عبد الله ايش هذا ياسيدي ؟ فقال خط الممتصد ( الخليفة ) الى مؤنس ( رئيس الشرطة ) بما أردته : مثلت بين وجدك وعبتك مع وزن بقاء الحال مع مؤنس رئيس الشرطة - كما هي - وبين رضاك وقضاء حقك واجحاش مؤنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير المؤمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما أمره به . فقالت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا أعقل . وجئت الى السقطي واخذت بيده ومضينا الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه .

فحين قرأه أسود وجهه وارتمد حتى سقطت الرنعة من يده . ثم قال « يا هذا : الله بيني وبينك . هذا شي ما علمت به وتموء علي فالأ تظلمت الي فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بأفتم الأمر الى امير المؤمنين من أول وملة II » قال وانتشطت<sup>(٤)</sup> فقلت « بملك جري والعقد معك » قال : فأحضر العقد قال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل ( السقطي ) بطلان ما ادعاه . فقلت لا تفعل . فقال خذوا الف وخمسمائة دينار . فقلت والله لو أعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او نركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا . او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان ( السقطي ) ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع الالف دينار وارجمه . « المغربي »

- (١) قوله يا بابكر باسقاط همزة ( أب ) وكانوا قديماً يصنعون كذلك في همزة ( اب ) المنادى في لغتهم الدارجة وكذا اليوم في لغتنا . (٢) « المصلى » سجادة الصلاة حيث كان يصلي . (٣) ماجري في ذلك مناظرة اي محاورة ومراجعة بل كنت أوقعت بك .  
(٤) قوله فانتشطت ( من الانشوطه ) اي كأنني كنت موثقاً في انشوطه حبل ثم حلت عني واجترأت على الجواب .

## زياد بن أبي سفيان

جاءنا من الأستاذ (إيران) وصف درهم ساساني إسلامي تاريخه سنة ٥٢٤ هـ . فرغب  
ان بطلع عليه قراء مجلة المجمع العلمي العربي خدمة للتاريخ .  
وهذا وصف الدرهم المذكور :



شكل (٢)

شكل (١)

- (وجهه) شكل ١ سماوة كسرى (أي رسم كسرى النصفى الأعلى) .
- على جهة اليمين كتابة فهلوية : ( كدافزود ) .
- على جهة اليسار كتابة فهلوية : ( زياد بن أبي سفيان ) .
- على حاشية الدرهم بخط كوفي : ( بسم الله )
- (ظهره) شكل ٢ شخصان بينهما مشعل

• على جهة اليسار التاريخ بخط فهلوي : ( ١٣ ) الموافق لسنة ٥٢٤ هـ .

• على جهة اليمين محل الضرب بخط فهلوي : ( ثايران او شُبرقان ) .

قال البلخي في تاريخه ( كتاب البدء والتاريخ جلد ٦ ص ٢ ) : « قالوا ان معاوية  
اول من ادعى الى غير ابنه فادعى زياداً اخاً له لما رأى من جلده ونفاذه . وزياد هو ابن  
عبد من ثقيف وأمه سمية » .

يظهر ان هذه العبارة غير مستقاة من مصدر تاريخي وانها غير صحيحة وعبارة  
الدرهم المذكور هي فصل الخطاب لانها تثبت ان معاوية وزياداً هما حقيقة أخوان  
لأب واحد .

فان صح ان سنة (١٣) هي التاريخ اليزدجدي الموافق لسنة ٢٤ هـ . فيكون زياد قد سبق له الانتساب الى ابي سفيان قبل سبعة عشر سنة من خلافة معاوية . ويتضح من هذه الوثيقة المعاصرة لذلك العهد ان زياداً كان يسمى زياد بن ابي سفيان قبل تولية معاوية اي في زمن خلافة عثمان .

وقال ابن الطقطقي في كتابه الفخري ص : ١٠٠ « فكتب (اي معاوية) اليه (اي زياد) كتاباً يتهمدده ويعرض له بولادة ابي سفيان ويقول له انت اخي » . وذكر (هويار) في الجزء الاول من تاريخ العرب ص ٢٦ ما ترجمته :

« لم يتردد معاوية بالاعتراف بزياد انه ابن ابيه ابي سفيان والحقه بنسبه » .  
فقول الطقطقي وهويار المتقدم ذكرهما هو الصواب واصح مما نقله البلخي . فعبارة الدرهم هي وثيقة تاريخية تثبت قولهما بان زياداً هو ابن ابي سفيان واخو معاوية .

إبّان

## مطبوعات حديثة

—\*—

### الاعلان بالتوبيخ « لمن ذم التاريخ »

طبع بمطبعة الترقى بدمشق ص ١٢٠

الحافظ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب ( المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ) من اشهر رجال العلم والتصنيف في القرن التاسع . وهو صاحب التاريخ المسي ( الضوء اللامع في رجال القرن التاسع ) الذي مازال مخطوطاً في خمسة أجلاد . ولعمري ان طبع هذا الكتاب هو أعظم عمل يخدم به التاريخ الاسلامي والتعريف برجاله الذين عاشوا في عصوره الوسطى . و يظهر ان العلامة السخاوي كان شديد العناية بفن التاريخ إذ أن معظم مصنفاته تجوم حول هذا الفن . وكأن أفاً من معاصره لمزوه او لمزوا فن التاريخ وزعموا انه دون غيره من العلوم . فقام المؤلف ووضع كتابه هذا ( الاعلان بالتوبيخ ) وضمنه فضل التاريخ وفوائده والمصنفين فيه والمقارنة بين مصنفاتهم وتقديرها وكل ما له علاقة بفن التاريخ . فصح فيه ما قاله الاستاذ احمد باشا تيمور ( رحمه الله ) : ان كتاب ( الاعلان بالتوبيخ ) هو تاريخ للتاريخ في الاسلام .

عمد الى طبع هذا الكتاب الأديب ( السيد حسام الدين القدسي ) وقد استخرج نسخته من نسختين ظفر بها في خزانة كتب العلامة احمد باشا تيمور . وقد قدم لها مقدمة ضمنها ترجمة مؤلفها السخاوي . ولا يستغني عن مطالعة هذا الكتاب مؤرخ ولا محدث ولا كاتب في تاريخ الاسلام . وان المنصف له يجد فيه فوائد قلما يظفر بها في غيره . وما



لوحظ فيه ان المؤلف استعمل كلمة (اختيار) بمعنى المتقدم في السن (ص ٩) وكذا نحسب ان هذه الكلمة بهذا المعنى انما جاء لنا من الاتراك العثمانيين المتأخرين . وكأنهم يريدون بها ان هذا المسن الحرم أصبح مختاراً لرحمة الله وسكني جنته . والشيخ المؤلف كان يعيش في مصر في زمن لم يكن الأتراك العثمانيون استولوا عليها بعد . فالكلمة اقدم مما نظن . وفي صفحة (٣٤) ذكر السبب في وفاة ابن مالك صاحب الألفية نزيل دمشق فقال انه كان خطيباً في بعض قري دمشق فدارضه بعض جهلتها وانتزع الخطابة منه فشق عليه الامر . ثم انه صلى الجمعة في المسجد وبعد ان نزل ذلك الخطيب عن المنبر سأله ابن مالك عن مخرج الألف يعني مخرجها من الفم وهو سؤال سفي علم التجويد لا يحسن ان يجمله امام ولا خطيب . فتخير الخطيب وظن انه يكلمه بالأعجمية . فما كان منه الا ان شرع يسرده حروف الهجاء : ألف باء ثاء حاء حتى استوفى ما كلمه فصاح أنصار الخطيب من العامة مروراً قائلين : ها هو قد سئل عن مسألة فأجاب بنسع وعشرين . فالتفت ابن مالك بمنته ويسرة فلم يجد له قاصراً فمات بعد ايام يسيرة .

« المغربي »

### النواة في حقول الحياة

هذا الكتاب لمؤلفه الاستاذ السيد محمد حبيب العبيدي الموصل في نيف ومائتي صفحة تصممت زبدة ما ينبغي ان يقال في الأخلاق الفاضلة من حيث انها دعامة للاجتماع الاسلامي خاصة والانساني عامة . وقد أراد بتسمية كتابه بالنواة في حقول الحياة ان مضامينه اذا قرأها الناشئون كانت نواة طيبة تثمر لهم من سعادة الحياة ما يفيدهم أفراداً ومجتمعات . واذ كانت الاخلاق الفاضلة لا بد ان تقوم على الاعتقاد بالله قدّم المؤلف بحث الاعتقاد والنظر في الكائنات على الأبحاث الاربعة التي بنى عليها كتابه ثم قفى على ذلك يبحث الأخلاق ونتاجها . ولا يخفى ان الأخلاق انما تكون او تستمد من البيئة التي يتقلب فيها الانسان فلم يدع المؤلف عاملاً من عوامل البيئة ونواتجها الا ذكره من مثل (العائلة) و (المدرسة) و (المعاشرين) و (المصنفات) و (الصحف) و (المجلات) وغير ذلك . واكبر عوامل البيئة (الدين) و (الحكومة) ولذلك عقد المؤلف بحثين لها . ولم يبحث

في البيئة بحثاً نظرياً محضاً بل بحث فيها من حيث شؤونها التجريبية التي ينبغي ان يعمل بها أبناء الأوطان ليكونوا وطنيين حقيقيين . وفي ذيل الصفحات تعليلات وإضافات معظمها وقائع جرت للأدب فكان الاستشهاد بها عاملاً على زيادة الإيضاح لمباحث الكتاب والأشاعير بفوائده فالتشكر الجزيل للمؤلف الفاضل . « له »

### الآداب العربية وتاريخها

« تأليف جرجس كنعان طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٣١ »  
« في ٦٢٠ صفحة »

مؤلف الكتاب هو أستاذ للآداب العربية في ( كلية الشرق في طرطوس ) من بلاد ( العلويين ) فهو اذا كتب انما يكتب عن علم يمدّه عمل ، وعمل يغذيه علم ، ولذا كان لكتابه قيمة وفائدة في نفوس الأدباء وقد رتبته مطابقاً لمنهاج البكالوريا الذي تقرر السير عليه في الجمهورية اللبنانية والدولة السورية . فقسم عصور الشعر والنثر والأدب عامة الى العصر الجاهلي فالأموي فالعباسي وقسم العباسي الى أدوار حتى بلغ العصر الأخير ودعاه ( عصر الانبعاث ) وقد تتبع رجال كل عصر من هذه العصور فترجم لهم — من الشفري في الأقدمين — الى نجيب حبيقة في المعاصرين . والكتاب جمع بين غزارة المادة وحسن الترويض وخلص النية في خدمة الوطن العربي ، ومن آثار ذلك قوله في مقدمة الكتاب « ولا يعرف التاريخ أدباً عالمياً قوياً شديداً التأثير كالأدب العربي ففيه صهر الأدب الآري مع الأدب السامي وأصبح عنوان رقي العالم مدة عشرة قرون الخ » .  
وهناك مواضع للانتقاد ليست بذات بال وهي مغفورة في جنب الانقاذ والعناية الملموسة في شكل جانب من جوانب الكتاب فنلفت اليه طلاب الآداب العربية عامة والبكالوريا خاصة فان فيه شفاءً وبلاغاً . « له »

## ابن زيدون

- ٢ -

### كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها — كانت طريقة كتابة الاندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال الصاحب بن عباد والبديع والحوارزمي والصائبي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصفهاني . وكان الكاتب الاندلسي الذي ينسج على منوالها وان حل المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يغلب ذلك على قوله فنفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزام السجع غالباً .

وابن زيدون راعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فاما مراعاة في كتابته منها فهو :

- ١ — حل المنظوم من مشهور الايات .
  - ٢ — الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الايات مستعملاً لها استعمال الأمثال فلا ينسبها الى قائلها .
  - ٣ — الاقتباس من القرآن الكريم او الحديث بلفظها او تغيير بعض نظمها .
  - ٤ — تضمين الحكم والأمثال بلفظ اصحابها او بتغيير في نظمها .
- واما ماخالف فيه فهو :
- ١ — عدم التزام السجع .
  - ٢ — الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يعد قوله الخالص بجانبه ضائعاً وبخاصة الغريب من هذه الامثال .

- ٣ — الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
- ٤ — الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
- ٥ — الاستكثار من الجمل المترادفة المنسوجة على مثل واحد في المعنى الواحد حتى يتكون منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة بحيث لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى الواحد لنزلت الرسالة الى خمسها او سدسها .
- وهذه الطريقة غلبت على كتابته وهي على رسالتيه الجديدة والمزلية أغلب ولا سيما المزلية .
- (ب) منزله فيها — اشتهر ابن زيدون عند المغاربة والمشاركة بانه من بلغاء الكتاب والشعراء ، فاما الشعر فلا جدال في استحقاقه فيه ، منزلة عاليا ، واما الكتابة فلا استحقاقه ذلك الصيت الذائع فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حد بلاغة الكتابة في ذاتها الى امور خارجة عن جوهر الاجادة وذلك ان كتابته اشتهرت بين الناس لامرين :
- اولاً — انها ليست على منوال كتابة الاندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور . وصدر العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لاف بذهانه للانظار ، باهر للنفوس ، فكيف به لو صدر عن ذي شأن نبيه بمنصب رفيع وندب عريق وجاء عريض وصيت ذائع في السياسة والادب والشعر وحسن المحاضرة والمناجاة .
- وثانياً — انها باهرة لانعنائها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع واسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدر ، ويشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، اذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بآثار الافعال ، موعظة بكثير من حوادث التاريخ واسماء الابطال ، بحيث اذا حفظنا شيئا من أدب رسالته منها أودعت صدره زبدة اطلع كثير ويبحث طويل ، فكان شهرته آتية من طريق التثقيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمن من متون العلم كثير المسائل والأحكام وجيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المختوبة على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كقصيدة ابن دريد ورائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الافطس ونونية الرندي ولامية ابن الوردي ونونية البستي ونحوها وكلها عظيمة الاثر في التعليم والتأديب



ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعيها ، وتقبل على قائلها . ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجدية التي استعطف بها جهوراً لم تؤد ما وضعت له .  
ولانني بكلامنا هذا ان الرجل كان قليل الخاطر ، اضعيف الارتجال ، فكل من تعرض لذكر اخباره يصفه بقوة العارضة وسرعة البديهة والارتجال ، وانه كان في مجلس ولادة يرتجل المقطعات الشعرية البليغة ويحاضر بالنكت النادرة والاجوبة المسكتة .  
ودفن بعض حرمه فوق للناس بعزونه على اختلاف طبقاتهم فما أجاب احداً بما أجاب به غيره ، وتلك غاية لا تدرك .  
وانما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً واضطرته الوزارة الى التوسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر اشبه منها بالنثر . واكثر المغاربة لا يتحدثون الا في شعره على عكس المشاركة .

\*\*\*

### رسائله الجدية

هذه الرسالة أشهر رسائله وابلغها ، واكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها للنوع فصولها وتعمد الاغراض التي رمت اليها ، والمعاني التي لوتحت بها ، على ما قالته من أمل كانيها ، وما حُرمت من روعة التأثير في النفس .  
وهذه الرسالة بعث بها من السجن الى جهور يستعطفه بها ولكنه مزج الاستعطاف بكثير من الزهو والامتنان ، واستفطاع العقاب على ذنب متوهم على طريقته الكتابية التي وصفناها آنفاً .

واذا حللنا هذه الرسالة الى عناصر الاغراض التي تألفت منها وجدنا انها لا تعدو عشرة اغراض اؤدي في عشرة أسطر الا ان كثرة الجمل المترادفة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولاً .

وذلك انه ناداه بالفاظ السيادة اولاً ، ثم اعتذر له عن نكته اياه بعدما احس الجهاد ببله الانسان بصدق خدمته له وثنائه عليه ، بان عمل الخير قد يعود على صاحبه بالشر ، واول هذه المقابلة بانها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم اخذ يستريث العفو ،

و يستنظم هذا العقاب الذي كان بعضه كافياً لردع الأبالسة ، و كبار الفتناسك و الخارجين  
على الأنبياء و الأئمة و الدين ، مع ان المسألة لا تخرج عن وشاية حساد سمع جوهر لم  
فتكى وليه الذي نوته بذكره . ثم اخذه الزهو فذكر انه كان في مكنته ان يستبدل بخدمته  
خدمة من يرحب به من الملوك ، غير انه عنز عليه مفارقة وطنه و مولاه القديم ، ثم عوذ  
نفسه من يكون معه كالمتجبر من الرضاء بالنار ، و ناشده العتي حتى توقع الفكاك . ثم  
استلمع نثر هذه الرسالة و رأى ان يستلحقها بقصيدة فكانت هذه في رأينا آتق لفظاً  
واعذب . مورداً و اطبع اتساقاً .  
وماك الرسالة :

### الرسالة الجديدة لابن زيدون

« كتبها لابن جمهور »

يا ولاي و سيدي الذي ودادي له ، و اعتمادي عليه ، و اعندادي به ، و من ابقاه  
الله تعالى ماخي حد العزم ، و اري زند الامل ، ثابت عهد النعمة ، ان سلبتني اعزك الله  
لباس انعامك ، و عطلتني من حلي ابناسك ، و اظلمتني الى برود اسعافك ، و تقضت بي  
كف حياطتك ، و غضضت عني طرف حمايتك ، بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك .  
و سمع الاصم ثنائي عليك ، و احس الجماد باسنادي اليك . فلاغرو قد يغص بالماء شار به  
و يقتل الدواء المستشفي به ، و بوئي الحذر من مأمنه ، و تكون منية التمني في أمنيته .  
والحين قد يسبق جهد الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفقى و تهوون غير شماتة الحساد  
واني لا تجلد ، و أري الشامتين اني لرب الدهر لا أنضعض « فأقول » هل أنا ألا يد  
أدماها سوارها . و جبين عض به الكيلة . و مشرفي الصقه بالارض صافله . و سميري  
عرضه على النار مثقفه . و عبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا و منك حازماً فليقس احياناً على من يرحم  
هذا العتب محمود عواقبه . و هذه النبوة غمرة ثم تنجلي . و هذه النكبة تمجاة صيف  
عن قليل تقشع . ولن يرييني من سيدي ان ابطأ سبيه . او تأخر غير ضنين غناؤه . فأبطأ

الدلاء فيضاً املوها . واثقل السحاب مشياً أحفلها . وانفع الحيا ما صادف جدباً . والذ  
الشراب ما أصاب غليلاً . ومع اليوم غد ، ولكل اجل كتاب ، له الحمد على اهتباله .  
ولا عتب عليه في اغفاله :

فان يكن الفعل الذي ساء واحداً فافعله اللاتي سررت الوف  
« واعدود فأقول » ما هذا الذنب الذي لم يسهه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من  
ورائه حملك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتخامل الذي لم يف به احتمالك ،  
ولا أخلو من ان اكون بريئاً فأين العدل ، او مبيتاً فأين الفضل .

الا يكن ذنب فمدلك واسع او كان لي ذنب ففضلك اوسع  
حنانيك قد بلغ السيل الزبى . ونالني ما حسي به وكفى . وما أراني الا لو أمرت  
بالسجود لآدم فابيت واستكبرت . وقال لي نوح اركب معنا فقلت سأوي الى جبل يعصمني  
من الماء ، وأمرت ببناء الصرح لعلي اطلع الى آله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت  
في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت ، وقدت  
الفيل لابرهة ، وعاهدت فر يشاً على ماني الصحيفة ، وتأولت في بعة العقبة ، ونفرت الى  
المير بيدر ، وانجذلت بثلاث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ،  
وجئت بالافك على عائشة الصديقة ، وأنفت من إمارة أسامة ، وزعمت ان بعة ابي بكر  
كانت فلتة ، ورويت ربحي من كتيبة خالد ، ومنقت الاديم الذي باركت بدالله عليه ،  
وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به ، وبذلت لقطام :

ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وخرب علي بالحسام المسم  
وكنيت الى عمرو بن سعد ان جميع بالحسين ، وتمثلت عندما بلغني من وقعة  
الحره :

ليت أشياخي بيدر علموا . جزع الخورج من وقع الاسل  
ورجعت الكعبة ، وصلبت العائد على النية — اكان فيما جري علي ما يحتمل ان يسمى  
نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقابا :

وحسبك من حادث بامري ترى حاسديه له راحينا  
فكيف ولا ذنب الا نعمة أهداها كاشع ، ونبا جاء به فاسق ، وهم الهازون المشاؤون

بنعيم ، والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا ، والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً  
والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم :  
حلفت فلم اترك لنفسك ربة ، وابس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد  
التشيع فيك ، ولا أزمعت بأماً منك مع ضمام تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه  
حسن الظن عليك ، فقيم عبث الجفاء بأذمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع  
من وسائلي ، ولم ضاقت مذاهبي ، واكدت مطالبي ، وعلاماً رضيت من المركب بالتعليق  
بل من الغنمة بالاياب ، واني غلبني المغلب ، ونخر علي العاجز الضعيف ، وطمئني غير ذات  
سوار ، ومالك لم تمنع مني قبل ان أفترس ، وتدر كني ولما أمزق ، ام كيف لا تنصرم  
جوانح الاكفاء حسداً لي على الخصوص بك ، ولتقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة  
عليك وقد زانني رسم خدمتك ، وزهاني رسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سباطك  
وقت المقام المحمود على بساطك :

ألسن الموالي فيك غر قصاد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما  
ثناء يظل الزوض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منما  
وهل لبس الصباح الا يرداً طرزته بفضائلك ، وثقلت الجوزاء الا عقداً فصلته  
بأثرك ، واستملى الربيع الا ثناء ملاه بهجاسنك ، وبث المسك الا حديثاً اذعته في  
محامدك ، ما يوم حليلة بسر ، وان كنت لم اكسك سلباً ، ولا حللتك عطلاً ، ولا سميتك  
غفلاً ، بل وجدت أجراً وجصاً فبنيت ، ومكان القول ذا سمعة فقلت ، حاش لك ان  
أعد من العاملة الناصبة ، واكون كالذبالة المنصوبة تضي للناس وتحترق . فلك المثل  
الاعلى ، وهو بك وببي فيك اولى . وعمري ان صريح الرأي ان التحول اذ بلغتني الشمس  
ونباي المنزل واصفح عن المطامع التي تقطم اعناق الرجال ، فلا استوطن العجز ، ولا  
اطمان الى الفرور . ومن الأمثال المضروبة ، خاسري ام عامر ، واني مع المعرفة ان  
الجلاء سباء والنقلة مثلة :

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرأ ومسحبا  
وتدنن منه الصالحات وان يسي يكن مأسأ كالنار في رأس كبكبا



عارف ان الادب الوطنى لا ينجنى فراقه . والخليط لا يتوقع زياله . والنسب لا ينجى . والجمال لا ينجى . ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرا . ولا اسنى خطرا . من اقتران غنى النفس به . وانتظامها نسقا معه . فان الجائز لها . الضارب بسهم فيها . وقليل مالم اينما توجه ورد منهل بر ، وحط في جناب قبول . وضوحك قبل انزال رحلة وأعطي حكم الصبي على اهله :

وقيل له اهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا بيت صالح ومقبل  
غير ان الوطن محبوب . والمنشأ مألوف . واللييب يحن الى وطنه . حنين النجيب الى  
عطنه . والكريم لا يحنو ارضاً فيها قوابله . ولا ينسى بلداً فيها مراضعه . قال الاول :  
احب بلاد الله ما بين منعج الى وسلمى ان بصوب صحايبها  
بلاد بها عى الشباب تماثي واول ارض مس جلدي ترايبها  
هذا الى مغالاتي بعقد جوارك . ومنافستي بلحظة من قربك . واعتقادي ان الطمع  
في غيرك طبع . والغنى من سواك عنا . والبذل منك اعور . والعرض لنا :  
واذا نظرت الى اميرزادني ضنا به نظري الى الامراء  
وكل الصيد في جوف الفرا ، وفي كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار ، فما هذه  
البراءة ممن يتولاك ، والميل عمن لا يميل عنك ، وهلا كان هواك فيمن هواه فيك .  
ورضاك لمن رضاء لك :

يا من يعز علينا انت تفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم  
أعينك ونفسي من ان اشير خطباً ، واستمطر سجهاماً ، واكدم غير مكدم ، واشكوشكوى  
الجريح الى العقبان والرخم ، فما ابست لك الالندر ، وما حركت لك الحوار الا لحن ،  
وما نهنتك الا لانام ، وما سربت اليك الا لاحمد السري لديك ، وانك ان شئت عقد  
امر تبسر ، ومضى اعذرت في فك امري لم يتعذر . وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة ،  
والشفاعة زكاة المروءة . وفضل الجاء يعود به صدقة .

واذا امرؤ اهدى اليك صفيعة من جاهه فكأنها من ماله  
لعل ان التي العصا بذراك ، ويستقر بي النوى في ظلك ، واستأنف التأدب بادبك  
والاحتمال على مذهبك ، فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ، ولا ادع للقاصح مساعف لفظه ،

والله مبشرك من أطلابي بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها  
مكان المصنع ، وتستودعها احفظ مستودع ، حسبما انت خليق له ، وانا منك حري به ،  
وذلك بيده وهين عليه ، ولما اتوات غرر هذا النثر واتسقت درره ، فمز عطف غلوائه ،  
وجر ذيل خيلائه ، عارضه بالنظم مباهاياً ، بل كايده مدايحاً ، حين اشفق ان يستعطفك  
استعطافه وتميل بنفسك الطافه : فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له ، فما زال  
يستكد الدهن العليل ، والخطر الكليل ، حتى زف اليك عروساً مجلوة في اثوابها ،  
منصوصة بجلينها وملابها وهي :

الهوى في طلوع نلك النجوم	والمني في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي	لو بدوم السرور المستديم
وطر ما انقضى الى ان تقضى	زمن ما ذمامه بالديم
اذ ختام الرضا المسوغ مسك	ومزاج الوصال من تسليم
وغربض الدلال غص جنى الصب	سوة نشوان من سلاف النعيم
طالما نافر الهوى منه غر	لم يطل عهد جيله بالتميم
زار مستغنياً وهيئات ان يخر	في سنا البدر في الظلام الهميم
فوشي الحلي اذ مشي وهذا الطير	ب الى حسن كاشع بالنسيم
ايها المؤذني بظلم الليالي	ليس يومى بواجد من ظلوم
قمر الافق اذ تأملت والشم	س هما يكسفان دوت النجوم
وهو الدهر ليس بنفسك ينحو	بالمصاب العظيم نحو العظيم
بوا الله جهوراً شرف السو	دد في السر واللباب الصميم
واحد سلم الجميع له الاء	رفكان الخصوص وفق العموم
قلد العمر ذا التجارب فيه	واكتفى جاهل بعلم العليم
خطر يقضي الكمال بنوعي	خائق بارع وخلق وسيم
اسوة الروض من بطبك يحظي	نظري ما اعتمدته وشيمى
أيهذا الوزير ما انا اشكو	والعصا بدء قرعها للعلم
ما عنسنا ان يأنف السابق المر	بط في العتق منه والتطهير

وثواء الحسام في الجفن يثني منه بعد المضاء والتصميم  
أفصهر مئين خمس من الايا م فاهيك من عذاب ألم  
ومعنى من الضني بهناة نكأت بالكوم قرح الكوم  
سقم لا أعاد منه وفي العا ئد انس بني ببرد السقيم  
نار بني سعى الى جنة الام ن لظاما فاصبحت كالصريم  
ياي انت انت تشأنك برداً وسلاماً ككنار ابراهيم  
للسقيم الشاء والحمد في صو ب الحيا للرياح لا للغيوم  
وزعيم بالث يذل لي الصه ب مثابي الى الهام الزعيم  
وثناء ارسلته سلوة الظا عن عن شوقه وطو المقيم  
ورداد يغير الدهر ماشا ء ويبقى بقاء عهد الكريم  
فهو ريحانة الجليس ولا ن في وفيه مزاج كاس النديم  
لم يزل مغضياً على هفوة الجا في مصيئاً الى اعتذار المليم  
ومنى تبدأ النصيحة يولع لك تمام الخصال بالشميم

هاكها اعزك الله بيسطها الامل ويقبضها النجل ، لها ذنب التقصير وحرمة  
الاخلاص ، فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ، لتأتي الاحسان من جهاته وتسلك  
الفضل من طرقانه .

\*\*\*

### محاسن هذه الرسالة ومعاييرها

لا ريب ان مكان هذه الرسالة من الادب العربي مكان المشهور المأثور المحفوظ في  
الصدور الخلد في السطور وذلك لامور :  
الاول - انها جراب ادب حار لجملة نماذج مختلفة من عيون مواد الادب بما ضمنت  
من اقتباس القرآت والحديث والامثال والحكم والابيات المشهورة وحل نظم الكثير  
منها والاشارة الى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالاديب معرفتها  
والاستشهاد بها .

الثاني - حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وجودة وصفها وجمع شئاتها في موضوع واحد مما يسر على غير الخذاق التوفيق بين متباينه ، ويجعل نعطها غريباً ونسجها وحيداً .  
الثالث - حصافة عبارتها وجزالة لفظها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء .

ولكننا اذا نظرنا اليها بعين الناقد وانعمنا بالبحث في بلاغتها اي مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا انها تقصر دون بلوغه لجملة امور :

الاول - كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامثنان على مولاه بطول ثنائيه عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما بعده الرئيس عادة تعبيراً ونجيباً .

الثاني - تهديد مولاه بانه لولا حب الوطن لكان له ارفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون الى الترحيب به ، ويتنافسون في استخدام امثاله . .

الثالث - ان وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بالنجاح الغرض الذي وضعت له ( وهو تحريك عاطفة الرحمة والعفو ) بانصرف نفس قارئها عن ان يتأثر ببلاغتها ويشغلها بتذكر الحوادث والقصص التي انت عليها ، واسماء الناس ، ومضرب الامثال . فلا يفرغ القاري من تعريف اسم رجل حق يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من نفهم شاهد حتى ينتقم في اوعر منه ، فينقسم فهمه ، ويتشتت تأثره ، وانما يأتي التأثر من انصباب غمرة من الانخداعات المنكورة ، بتكرار العبارات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمجموعها اثراً كلياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للعفو . وبمثل ذلك كان الانشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلاغته ، لشغله الذهن عن التأثر ، وصرفه الى نفهم النكت البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى ان رسالة ابن زيدون ليست مثلاً يحتذى للانشاء البليغ المؤثر في النفس .

الرابع - وقوع بعض حقوات له ذكرها الصقدي كاحتياج فقارها الى ذكر فقار بعد نتم معناها وتلثم بها مع ما بعدها ( وهذه نصرب صمحا عن ذكرها ) وكبعض اخطاء



في المعنى والوقائع ( وهذه تشير الى بعضها ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بشرح الصفدي ) .  
فن هذه قوله ( وتأولت في بيعة العقبة ) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر  
أسماء أناس منكرات ببراءة هو ان يكون مثلهم — ولم ينقل احد من اهل الاثر ان احداً ممن  
بايع فيها تأولها او نَدَّحَها .

ومنها قوله « وتخلفت عن الصلاة سيف بني فريظة » ولم يعلم ان رسول الله انكر على  
من تخلف عن صلاة العصر في بني فريظة وصلاها في الطريق بل اقرّ الجميع على عملها وعد  
ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت ان بيعة ابي بكر كانت فلتة » مع ان قائل هذه الكلمة عمر بن  
الخطاب ولم يقلها عن ارادة سوء فلا ينبغي ان يتمثل به في اعمال الجناة .  
ومنها قوله « وكتب الى عمر بن سعد ان يجمع بالحسين » مع ان المكتوب اليه الحر  
ابن يزيد التيمي لا عمر بن سعد .

وقد اتى الصفدي على عيوب آتية من تصحيف او سوء تأويل منه هو ، اعرضنا  
عنها خوف التطويل .

\*\*\*

### رسالته الهزلية

كان الوزير ابو عامر بن عبدوس بنافس ابن زبدون في حب ولادة ، فاتفق ان  
حدثت نبوة بينهما ، فأرسل ابن عبدوس اليها امرأة من صواحبائه تستميلها اليه ،  
وتذكرها بفضله وادبه ، فردت ولادة المرأة بالخبية . وكتب ابن زبدون الى ابن عبدوس  
عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه ويتهم ويهجو ويتوعده .  
وفي ظننا ان ابن زبدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن عبدوس لا عن رأي ولادة  
ورضاها عما الخش فيها واقدح .

والرسالة كسابقتها في قلة اغراضها وتكرار اساليب فصولها . وذلك انه بدأها  
بوصف ابن عبدوس باوصاف الحمقى والجهلاء منكراً منه ارسال خليلته الى ولادة ،  
مثنية عليه ومرغبة فيه ، واصفة له باوصاف اعيان الزمان من العلماء والادباء والاطباء

والفلاسفة والشعيمان من فلان وفلان ، وان ولادة طردتها اشنع طردة . ثم اخذ بهجوه  
بإوصاف في الخلق والخلق ، وان ولادة لو ارادت الرجال لكان لها من الاكفاء من قومها  
واعيان زمانها من يفضلها سناً وشرقاً وجمالاً الخ .

### وهذا نص الرسالة

اما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في  
ذيل اغتراره ، الاعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط اللذباب على الشراب ، المتهاافت  
تهافت الفراش في الشهاب ، فان العجب اكذب ، ومعرفة المرء نفسه اصوب ، وانك راسلتي  
مستهدياً من صلتي ماصفرت منه ابدية امثالك ، متصدياً من خلقي لما قرعت دونه انوف  
اشكالك ، مرسلأ خيلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوادية ، كاذباً نفسك انك سننزل  
عنها الي ، وتخاف بعدها علي :

ولست باول ذي مهمة دعته لما ليس بالنائل

ولا شك انهما قلنك اذ لم تضن بك ، وملتك اذ لم تغر عليك ، فانها اعذرت في  
السفارة لك ، وماقصرت في النيابة عنك ، زاعمة ان المروءة لفظ انت معناه ، والانسانية  
اسم انت جسمه وهيولاه ، قاطعة انك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت  
في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خيلت ان يوسف (عليه السلام)  
حاسنك فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض  
ما كئزت ، والنطف عثر على فضل ماركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وفيهر رعى ماشيتك  
والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، واردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك  
والضحاك استدعى مسامتك ، وجذيمة الابرش تمنى منادمتك ، وشيرين قد فافست بوران  
فيك ، وبلقيس غايرت الزباه عليك ، وان مالك بن نويرة انما اردف لك ، وعروة بن  
جعفر انما رحل اليك ، وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك ، وجساساً انما قتله بانفتك  
ومهللاً انما طلب ثأره بهمتك ، والسموول انما وفي عن عهدك ، والاحنف انما احتبي في  
بردتك . وحاتم انما جاد بوفرك ، ولقي الاضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل انما ركب  
بفديك ، والسليك بن السليكة انما عدا على رجليك . وعامر بن مالك انما لاعب الأُسنة

بهدبك . وقيس بن زهير انما استعان بدهائك . واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح  
ذكائك . وسحبان انما تكلم بلسانك . وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك . وان الصلح  
بين بكر وتغلب تم برسالتك . والحملات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك . وان  
احتياي هرم لعلمة وعامر حتى رضيا كان ذاك عن اشارتك . وجوابه لعمر وقد سأله  
عن ابهما كان ينفر وقع عن ارادتك . وان الحجاج ثقله ولاية العراق بجذك . وقتيبة  
فتح ما وراء النهر بسعدك . والمهلب أوهن شوكة الازارقة بهذك . وفرق ذات بينهم  
بكيدك . وان هرمس اعطى بليئوس ما اخذ منك . وافلاطون اورد على ارسطاطاليس  
ما نقل عنك . وبطليموس سوى الاضطراب بتدبيرك . وصور الكرة على تقديرك .  
وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك . وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة  
حدسك . وكلاهما فلذك في العلاج . وسألك عن المزاج . واستوصفك تركيب الاعضاء  
واستشارك في الداء والدواء . وانك نهجت لابي معشر طريق القضاء . واظهرت جابر بن  
حيان على سر الكيمياء . واعطيت النظام اصلاً ادرك به الحقائق . وجعلت للكندي  
رسماً استخراج به الدقائق . وان صناعة الالحان اختراعك . وتأليف الاوتار والانتقار  
توليدك وابتداعك . وان عبد الحميد بن يحيى باري اقلامك . وسهل بن هارون مدون  
كلامك . وعمر بن بحر مستمليك . ومالك بن انس مستفتيك . وانك الذي اقام البراهين  
ووضع القوانين . وناظر في الجوهر والعرض . وميز الصحة من المرض . وفك المعمي وفصل  
بين الاسم والمسمى . وصرف وقسم . وعدل وقوم . وصنف الاسماء ولافعال . وبوب  
الظرف والحال . وبني واعرب . ونقى وتعجب . ووصل وقطع . وثنى وجمع . واظهر واخمر  
واستفهم واخبر . واهمل وقيد . وارسل واسند . ويحث ونظر . وتصفح الادبيات .  
ورجع بين مذهبي ماني وغيلان . واثار بذبح الجعد . وقتل بشار بن برد . وانك لو شئت  
خرقت العادات . وخالفت المهودات . فأحلت اليجار عذبة . واعدت السلام رطبة .  
ونقلت غداً فصار امسا . وزدت في العناصر فكانت خمسا . وانك المقول فيه وكل الصيد  
في جوف الفرا .

وليس على الله بمستنكر

ان يجمع العالم في واحد

والمعني بقول ابي تمام :

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع  
والمراد بقول ابي الطيب :

ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من ابيائها  
فكدمت في غير مكدم . واستسمنت ذا ورم . ونفخت في غير خرم . ولم تجد لريح  
مهزا . ولا لشجرة محزا . بل رضيت من الغنمة بالاياب . وتميت الرجوع بخني حنين .  
لاني قلت : ( لقد هان من بالث عليه الثعالب ) وانشدت :

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب  
وفخرت وبسرت . وعبت فكفرت . وابدأت واعدت . وابوقت وارعدت .  
ومهمت ولم افعل وكنت وليتني . ولولا ان للجوار ذمة . وللضيافة حرمة . لكان الجواب  
في قذال الدمسقي . والنمل حاضرة ان عادت العقرب . والعقوبة ممكنة ان اصر المذنب .  
وهيها لم تلاحظك بعين كيلة عن عيوبك . ملؤها حبيبها . حسن فيها من تود . وكانت  
انما حانتك بهلاك . ووسمتك بسياك . ولم تعرك شهادة . ولا تكلفت لك زيادة . بل  
صدقت سن بكرها . فيما ذكرته عنك . ووضعت الهناء مواضع النقب . بما نسبته اليك .  
ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عليك . فالعبيدي تسمع به خير من ان ثراه . هجين القذال .  
ارعن السبال . طويل العنق والعلاوة . مفرط الحق والغباوة . جافي الطبع . سيئ الجابة  
والسمع . بغيفض الهيئة . سخييف الذهب والجيئة . ظاهر الوسواس . منتن الانفاس .  
كثير المعاييب . مشهور المثالب . كلامك قتمة . وحديثك غمغمة . وبسالك فهمة .  
وضحكك قهقهة . ومشيك هرولة . وغناك مسألة . ودينك زندقة . وعلمك مخرفة .

مسار لو قسمن على الغواني . لما أمهرت الا بالطلاق

حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك . وهبنقة مستوجب لامم العقل اذا  
أخيف اليك . وطويس مأثور عنه بمن الطائر اذا قيس عليك . فجودك عدم . والاعتباط  
بك زدم . والخبية منك ظفر . والجنة معك مقر .

كيف رأيت لوئلك لكرمي كفاء . وضعتك لشرفي وقاء . واني جهلت ان الاشياء انما  
تنجذب الى اشكالها . والطير انما تقع على آلافها . وهالا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان .  
وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان . وقلت اخليث والطيب لا يستويان . وتمثلت :



ايها المنكح الثريا سهيلا      عمرك الله كيف يلتقيان  
 وذكرت اني علق لا يساع ممن زاد . وطائر لا يصيده من اراد . وضرض لا يربيه  
 الا من اجاد . ما احسبك الا كنت قد نهيت للتهنئة . وترشمت للترفيه . ولولا ان  
 جرح العجاء جبار . للقيت من الكواعب ما لاقى يسار . فقام الا ببعض ما به هممت .  
 ولا تعرض الا لايسر ماله تعرضت .  
 اين ادعاؤك رواية الاشعار . وتعاطيك حفظ السير والاخبار . اما ثاب اليك قول  
 الشاعر :

بنو دارم اكفاؤم آل مسمع      ولنكح سبى اكفائها الحبطات  
 وهلا عشت ولم تغتر . وما اشك انك تكون واقف البراجم او ترجع بصحيفة المتكلمس .  
 او افعل بك ما فعله عقيل بن علفة بالجهمي . اذ جاءه خاطبا فدهن استه يزيت وادناه من  
 قرية النمل . ومق كثر تلاقينا . واتصل ترائينا . فيدعوني اليك مادعا ابنة الخس الى  
 عبدها من طول السواد . وقرب الوساد . وهلا فقدت الاراقم فانكح في جنب . او عضلي  
 همام بن مرة فأقول ( زوج من عود خير من قعود ) . ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت  
 عن هذه الحطة . ولا رضيت بهذه الخطة . فالنار . ولا العار . والمنية . ولا الدنية . والحرة  
 تجوع ولا تأكل بشديها .

فكيف وفي ابناء قومي منكح      وفتيان هزان الطوال الغرائقة  
 ما كنت لا تخطى المسك الى الرماد . ولا امتطي الثور بعد الجواد . فانما يئيم من لم  
 يجد ماء . ويرعى المشيم . من عدم الجيم . ويركب الصعب من لا ذلول له . ولعلك انما  
 غرك من علمت صبوتي اليه . وشهدت مساعفتي له . من أقمار العصر . وريحان مصر .  
 الذين هم الكواكب علوهم . والرياض طيب شيم .

من تلقى منهم نقال لافيت سيدهم      مثل النجوم التي يسري بها الساري  
 حن قدح ليس منها . ما انت وهم . واني تقع منهم . وهل انت الا وار عمرو فيهم .  
 وكالوشيفة في المعظم بينهم . وان كنت انما بلغت قعر تابوتك . وتجاقت عن بعض قوتك .  
 وعطرت اردانك . وجورت هيمانك . واختلت في مشيتك . وحذفت فضول حيتك .  
 واصلحت شاربك . ومططت حاجبك ورققت خط عذارك . واستأنقت عقد ازارك .

رجاء الاكتنان فيهم . وطمعاً في الاعتداد منهم . فظننت عجزاً . واخطأت استنك الحفرة .  
والله لو كساك محرق البردين . وحلتك ماربة بالقرطين . وقلدك عمرو العصامة .  
وحملك الحارث على النعامة . ماشكتك فيك ولا سبرت اباك . ولا كنت الاذاك . وهبك  
ساميتهم في ذروة المجد والحسب . وجاريتهم في غابة الظرف والادب . الست تأوي الى  
بيت فعيده لكاع . اذ كلهم عزب خالي الذراع . وابن من انقرد به ممن لا اغلب الا على  
الافل الاخس منه . وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة . والنفس  
المصروفة الي . واللذة الموقوفة علي . وبين آخر قد نصب غديره . ونزحت بيده . وذهب  
نشاطه . ولم يبق الا . . . وهل يجتمع لي فيك الا الحشف وسوء الكيلة . ويقترن علي  
بك الا الغدة والموت في بيت سلوية .

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال  
ما كان اخلقك بان تقدر بذراعك . وترجم بذلك على ظلمك . ولا تكن يراقش الدالة  
على اهلها . وعنز السوء المستثيرة لحنفها . فما أراك الا سقط بك العشاء على مسرحان . وبك  
لابظي اعفر . اعذرت ان اغنيت شيا . وامسمت لوقاديت حيا .

ان العصا قرعت لذي الحلم والشئ تحقره وقد ينفي  
وان بادرت بالندامة . ورجعت على نفسك بالملامة . قد اشتريت العافية لك .  
بالعافية منك . وان قلت جمجمة ولا طعن . ورب صلف تحت الرعدة وانشدت :  
لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

فعدت لما نهيت عنه . وراجعت ما استعفيت منه . بعثت من يزعمك الى الخضراء  
دفعاً . ويستحيك فحوها وكراً وصفها . فاذا صرت اليها عبت اكاروها بك . ونسلط  
نواطيرها عليك . فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك . ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت . . .  
ذلك بما قدمت يداك . لتذوق وبال امرك . وترى ميزان قدرك .

فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

« للبحث بقية »

احمد الاسكندري

## بين العامي والفصيح

أضع بين أيدي القراء طائفة من الالفاظ الفصيحة افعالاً واسماء لمان مختلفة بعد ذكر المعنى المقصود وكيف تعبر عنه العامة او بعض العامة في ناحيتي هذه من سوربة اي اللاذنية وما يليها . ولم ار من الضروري ترتيب هذه الالفاظ حسب تلاؤمها في المعنى او حسب أوائل حروفها الهجائية فان من ينوي استيعابها يمكنه اختيار احد الترتيبين او ترتيباً آخر يعتمد عليه اذا شاء ذلك ووجهه امهد سبيلاً :

« المعنى المقصود وكيف تعبر عنه العامة »	« اللفظ الفصيح »
« او بعضها »	
شاب الزرع ( اذا نضج وابتض )	اقطار اي نهياً للبيس ثم نضوح ثم هاجت الارض هياجاً
كندور . وهو البطيخ الصغير قبل نضجه	حَدَجٌ فاذا زاد نموه فهو قَعْدَرٌ ثم خَضَفَ
النسبة . وهي الغرسة الصغيرة قبل ان تثمر	النسيلة والوديئة للنخلة الصغيرة . ويمكن ان تستمار لغيرها من الغراس
الكر او يا . المركوش . ( من النبات والزهر )	كَرَّوْبًا . مرزنجوش
الضمان . بيم الثمر مقدماً	العَرِيَّة . ان تعطي الرجل نخلة فيكون له الثمر دون الاصل . وننقل اللفظة الى غير النخل من الشجر .
عزّل الجب ( نظفه من الوحل والأقذار )	نبت البئر اذا استخرج ترابها . واسد ببط البئر اذا استخرج ماءها .
قش الزفرة ( اي انزع ماظهر بالغليان على سطح القدر من فضلات المادة المطبوخة )	اطفح القدر . خذ طفاحتها وهي زبداء ماءها منها

حبس البول كما نقول العامة وصر به	حبس البول
كرز بن	البلمطة ( فأس عظيمة يقطع بها الشجر )
الجُمال	النزلة ( الخرفة التي تنزل بها القدر )
الجبأوة . الخرفة التي توضع فيها القدر اذا أنزلت .	بيت القدر
اللفظة العامية محرفة عن ( مُهْتَر ) بفتح الميم شذوذاً والاصل كسرهما لانها مشتقة من أهر الرجل اذا خف عقله وتكلم بغير الصواب .	رجل أهر ( قليل العقل )
العيلم البئر الكبيرة وكذلك القلزم . واما بحر القلزم فهو البحر الاحمر سمي باسم بلدة تجاوره وهي قلزم واقعة بين مصر ومكة .	جب الباعورة ( ويكوت ممتازاً بانساعه وغزارة مائه )
الجُرْموز الحوض الصغير	البزكة الصغيرة
الجابية الحوض الكبير	البزكة الكبيرة
اللاحب الطريق الموطأ	طريق شومس ( اي ممهدة صالحة لسير المركبات عليها )
الغينة . والحفرة في وسط الشفة العليا خترة وفي وسط الدقن نوتة .	الغفازة . حفرة تظهر في الخد عند الضحك
اللفظة فصيحة وهي ايضاً الحانة والماخور	الختارة .
المشوار . المكان الذي تُشَوَّر فيه الدواب اي تعرض	بازار الدواب ( سوقها )
الفمزر الحجر قد يكسره الجوز وما اشبهه ويسحق به المسك وما شاكله . ويمكن ان يسمى كذلك ما قام مقامه ولو صنع من حديد او معدن آخر .	الشاكوش ( اداة للكسر تشبه القدوس )



المسحوق	النشفة الحجر الذي تدلك به الاقدام . ويمكن ان يسمى كذلك ما صنع من قماش للغرض نفسه
الهاون والمدقة	المددق والمرضاض
الحديدة المركوزة لازالة وحل الاقدام	النبلة . الحجر لازالة الاقدار
الصابورة ( الحجر الذي يثقل به الزورق او المركب )	الهدوَجَل وهو ايضا الانجر
العلامات المنصوبة في الارض	الاورام واحدها اِرَمِيَّة وارَم
تعايقه الثياب	مشجوب
مدقة الجرف	النبلة الخشبة التي يدق بها في المهراس
الدرباس	الآرز الخشبة يترس بها الباب
زنجير الخبل ( لاجل الاستقاء )	الدرك
تطويلة ( مما تشد به الدابة فيمسك به صاحبها ويرسلها تروى )	طوَل
مرطبان او قلعة او نخومها	مركن
الجاط او الشخثور	المشكلة من اوعية الطعام تشبع الرجلين والثلاثة
شننة كتب . بوليحة كتب	قطر
شننة الصائم يضع فيها ادواته	كنف
جراب الراعي	صفن وهو ايضا وعاء من جلد يستقى به
الجزدان الكبير للمرأة	الشوة وعاء تضع فيه المرأة طهيها وغير ذلك
الوعاء الزجاجي لخردوات التاجر	البؤنة
جاغ ( المعدل الكبير )	غمرارة وهي الجوالق الكبير
نصف جاغ او عدل	عكم الجوالق الصغير
ترويجة ( القليل من الطعام قبل تجهيز اطعمة المائدة )	سافنة او اهننة او عجمالة

كحك بسمن او كليجة	وليقة . طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن
اقراص بسبوه	ربكة
تخذ بالفرن	لحم حنيد . اذا شوي على حجارة محماة
تعصير اللحم المشوي بالخبز	الاجتمال . وهو اذا شويت اللحمًا فكلما وكفت
	وامالته اي دسمه استوصفته على خبز فاذا
	فعلت ذلك بالشحم فهو الاستيداف .
فطيرة مسمن	مرولة . لان الترويل هو ذلك الخبز بالسمن
العرق ( او العرقى وهو الشراب المسكر	الطلاء . من الخمر ما قد طبخ حتى ذهب ثلثاه .
المعروف )	انتوان
مكيّف ( لمن كان في اول سكره )	الايعصار . او الريح اللولبة . هي التي تهب
الثنين ( نوع من الريح )	من الارض الى السماء كالعمود .
	الصيف . فاذا هطل في اواسط او اواخر
مطر الصيف	الصيف فهو الحميم .
	رشاش . طش . رذاذ . غيرة . جفشة .
رشة مطر	ماء شريب . اذا كان فيه شيء من العذوبة
ماء عتيبي ( ما كان قليل العذوبة )	وقد يشربه الناس .
	ماء شروب .
ماء بيس ( هو دون الماء العتيبي جودة )	ثوب مفلس : اذا كانت فيه أحتم كالفلوس .
ثوب منمنم	البتلة : الثوب يبتذله الرجل في منزله .
ثوب البيت	إنب . او قرقر . او قرقل . وكذلك
منديان . ثوب يشبه المشدرة	الصردار والجبول والثوذر . كلها قمصان
	منفاوتة في القمص والطفافة وعدم الاكام
	تلبسها النساء تحت دروعهن اي قمصانهن
	وربما اقتصرن عليها في اوقات الخلوة .

زربية والجمع زرايب	بساط ملوث
الكلمة الستر الرقيق . والقزم الستر	الناموسية
وكذلك السجف	
المصدغة . والمخدة للرأس	مخدة الفرشة
المذبذبة . هي التي تذبذب اي تطرح للزائر	مخدة يدية المقعد
وغيره	
الذمومة . هي التي تصف . والميسند الوسادة	مخدة المقعد
التي يستند اليها	
يشتمل . سيف قصير يشتمل عليه الرجل	سكين بطقان ( نوع من السكاكين الكبيرة )
فيغطيه بثوبه	
عكاز او محجن واطول منها هراوة . فاذا	المكازاة ( العصا المعقوفة اعلاها )
غلظت فهي تحزنة ومرزبة ( وقيل هي	
حينئذ من حديد ) .	
عذرة اذا زادت على الهراوة وفيها زنج .	شيش ( عصا مجوفة داخلها نصل )
فاذا طالت شينا وفيها سناب رقيق فهي	
نيزك ومطررد .	
المسطح . خشبة الخباز	سهم الفراء
تعبير صحيح ويقال ايضا آجلاه بالجلمين اي	قص الشعر
المقص او المقرض .	
صحيح وكذلك نجله بالنجل	حصد الزرع
وكذلك جأد الابل	قص وبر الابل
الشرشرة : والخربة	القطيع شقفا ( قطعاً )
جدت الشاة . وشعت الناقة .	نشف در الدابة
فيدام وجمعه فبدم . واليتداد بكسر السين	سدة الايريق ونحوه

عامٌ لكل ما يسد به . والسَّداد بفتح يرادف  
الصواب فيقال سداد الرأي .  
كُدادة . وكُدامة  
العُشانة . والقُشانة  
شجَّ الرأس . وفلاخه  
تَزَاثمت اليد . وتكَاثمت الرجل .  
فقصّ البيض . ونقف الفرخ البيضة اذا  
كسرها ليخرج منها . وعلى هذا القياس يقال  
أُقِفَ البيض على المجهول اي نقص .

منصحة

شفيرة

ثوب شرفٌ ثم سربٌ ارق منه . ثم سابري  
ثم لَهْلَاهُ ونهنه .

خلق المعزى

العَنَقى ان يباعد الفرس بين خطاه ويتوسم  
في جريه

المحلبة ان يقارب الفرس بين خطاه مع  
الامراع . ولعل «رهونة» محرفة عن رهو  
او هرولة .

قريب من الخَبَب فهو ان يستقيم الفرس في  
جريه ويرواح بين يديه وبقبض رجله .  
وقرب منه الطَّبَر فهو ان يثب فتقم رجلاه  
مجموعتين . والتقريب ان يرفع يديه ويضعهما معاً  
سَلَقَه

القحاطة ( ما يبقى في اسفل القدر )

عفارة الكرم ( بقيته بعد قطفه )

فدغ الرأس

قشبت اليد ( من تأثير البرد والهواء )

فَقَسَ البيض

ابرة ملحفة ( هي الغليظة قليلاً )

قَبْثُوقَة او مَسَلَة ( نوع ابر مناهية غلظاً

لخياطة العدول ونحوها )

الثوب الرقيق كقماش الكاز ونحوه

قص وير المعزى

مشية اشكين واسع

رَهْوَنَة ( من سير الخيل )

مشي البَرْف ( من سير الخيل )

اوقعه سطح ( على قفاه )



او قمه بطخ ( على صدره )	بطحه
حذفه بالمصا ونحوها	حذفه
الشوشرة او الوشوشة	المحس او الجرس .
المغممة ( صوت الكلام الذي لا يبين )	المغممة . والجمجمة .
النصم مهن ( شدة الاصوات واختلاطها )	القطعة . حكاية صوت الختان اذا قالوا
عند الضحك )	عند الغلبة . عيط . عيط
الكركرة ( صوت الآنية اذا استخراج منها الشراب )	القرقرة . والبقبة للماء ايضا والعامة تعرفها
طققة الاصابع	التفقيع والفرقة صوت الاصابع عند غمز
	المفاصل .
لحمة من الناس ( اي جماعة )	لحمة بضم اللام .
البقر المماتل ( المستعمل لفلاحة الارض )	العوامل . ويغلب استعمالها على الثيران .
رجل أزعر	رجل زعر وعزور اي مبي الخلق
رجل مجذوع . فجمان ( شره دلي متطفل )	رجل مستجيع . شجذان . كنه - م
امراة فاجرة ( يريدون بها شرسة حادة اللسان )	امراة سليطة . فاذا زادت سلاطتها فهي
	سلفانة وعزقانة . واما الفاجرة في الفصح
	فمعناها ذات الفجور اي الفسق والزنا .
غبت من الماء ( اخذ منه الكثير بفيه )	لعله مأخوذ من غبت الطائر اذا شرب
احمرت عين فلان ( كناية عن التغيظ ونية الشر )	احمرته ش . ازبأر .
لفلان خرطة في وجهه ( هيئة غضب وعبوس )	اخرنطم فلان فقوله خرطة محرف عن اخرنظام
شقرق وجه فلان ( محرف عن اشرق وجهه )	ابرشقي للحديث اذا ارتاح اليه واعتز له
مخمضة ( الفم بالماء ونحوه )	مخمضة . وخرغرة . وبعض العامة تقول رغرغة
تهدي لولدها ( تغني له مع هن مده )	المدهدة تحريك الام ولدها لكي ينام

من المكيال	الدغرة تحريك المكيال وغيره فيزداد اتساعاً لما يجعل فيه
مأقط	المسنة ر هو الذي تحرك به النار
التكتيف	الاعتضاد اذا جعل كفيه على عضديه . فاذا جعلها على المعصمين فهو الاعتصام .
السفة	السفة اذا جعل المرء ابهامه في اصول أصابعه من باطن .
الذبر كل في المشي ( اذا هن المائي اليته ومنكبيه )	الذبر تكاف .
رجل اكشر ( شفتاه قاصرتان عن الانفخام )	رجل أجلع .
نقلش الأذن ( استرخاؤهما واقبالهما على الوجه )	النف . وهو في الكلاب الغطف والخطل .
بطة الرجل	سحناه
صابونة الرجل ( عظمة الركبة )	داغصة
التيبات ( صفار القمل )	الصواب . ببض القمل .
رنخ العجين ( اذا استرخي وكثر ماؤه )	رنخ العجين
انفخ الغرس	نقد الضر من او حفر اذا أثكل وتكسر .
ريح السدد ( من امراض البطن )	القولنج اعتقال الطبيعة لانسداد المني المسحي قولون بالرومية .
حب الحرارة	الحصف بشور نشور من كثرة العرق .
اكزما	السفة في الرأس والوجه قروح ربما كانت قحلة يابسة وربما كانت رطبة يسيل منها صديد .
بلغم	السامة زيادة تحدث في الجسد فقد تكون من مقدار حمصة الى بطنية .
سخونة مع دور ( الدور عندهم هو قشعريرة برد الحمى )	النافض ( بتقدير الحمى النافض ) . البرداء .

سَخُونَةٌ مَثَلَةٌ ( اي مَثَلَةٌ )	حَمَى الرَّيْزُ
بَنَتْ الدَّابَّةُ اوْغَيْرَهَا ( اَكْتَسَبَتْ قَلِيلاً مِنْ )	اَنْقَت الدَّابَّةُ فاذا زاد سَمْنُهَا قَبِلَ مَلَّحَتْ ثُمَّ
الرَّيْزُ	دَرَمَ عَظْمُهَا . ثُمَّ هِيَ مُكْدَنَةٌ ثُمَّ مَتَوْرَعَةٌ وَنَهْيَةٌ .
نَفَضَ فُلَانٌ مِنَ الْمَالِ ( فَرَّغَ مِنْهُ )	اَنْفَضَ اوْ اَنْزَفَ .
الدَّوْءُ ( اللَّيْنُ الْمَنْزُوعُ سَمْنُهُ )	لَيْنٌ جَهِيْرٌ اوْ مَخْبِضٌ . واما الدَّوْءُ فَهُوَ الْفَلَاةُ
كِتَابَةٌ بَسِيْطَةٌ . غَيْرُ مُشْكَلَةٍ . ( خَالِيَةٌ مِنْ )	وَالْقَفْرِ .
الْحَرَكَاتِ وَالضَّوَابِطِ ) .	خَطٌ غُفْلٌ .
رَجُلٌ اعْرَبَ ( غَيْرُ مَتَزَجٍ )	رَجُلٌ عَرَبٌ اوْ مُكْتَمٌ .
الْكِبَابَةُ	الْكُوبُ كَوْزٌ لَا عَصَوَةٌ لَهُ ( اي لَا مَقْبِضَ ) .
الْمَجْرَايَةُ ( مَحْرُفَةٌ عَنْ مَجْرَى )	الْمَدَجُّ مَابَيْنَ الْبُئْرِ وَالْحَوْضِ .
اِبْيَضٌ كَالْحِ	رَجُلٌ اَمْهَقَ اَيِ اِبْيَضٌ غَيْرِيَّةٌ رُكْلُونَ الْجِصِّ .
الشَّحْوَارُ . ( سَوَادُ الدِّخَانِ اللَّاصِقِ بِالْقَدُورِ )	سُخَامٌ .
الْفَرَّةُ . ( خَصْلَةٌ شَعْرٌ فِي مَقْدَمِ الرَّأْسِ )	الطَّرَّةُ . واما الْفَرَّةُ فَهِيَ بَيَاضٌ فِي الْجَبْهَةِ
شَقْلُهُ بَعِيْنُهُ . ( حَدَقَ فِيْهِ تَحْدِيقُ احْتِقَارِ )	وَيَغْلِبُ اسْتِعْمَالُهَا عَلَى الْخَيْلِ فَيَقُولُونَ فَرَسٌ اَغْرُثٌ .
الْخُدَيْدِيَّةُ	شَفَنَةٌ شَفَنَةٌ شَفَنًا وَشَفُونًا . وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ
الْكِرَازُ . ( نَوْعٌ مِنَ الْاِبَارِيقِ )	قَوْلُهُ الْمَشْهُورُ نَظَرَ اِلَيْهِ شَرَرًا . اَيِ بِمُؤْخَرِ عَيْنِهِ .
الْبَكْنُ	الْحُسْبَانَةُ . الْوَسَادَةُ الصَّغِيرَةُ .
مَنْدِيلُ الْوَجْهِ	الشَّكْوَةُ الْقَرِيبَةُ الصَّغِيرَةُ .
الْكَيْلُ لِلْمَاءِ وَنَحْوِهِ	الْكَيْفَتُ . الْقَيْدَرُ الصَّغِيرَةُ .
الْقَبَائِلُ	الْوَصَوَاصُ . الْبَرْقَعُ الصَّغِيرُ .
الْجَاطُ اوْ الشَّخْتُورُ	الْجَبْنُ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ
	الشَّاهِنُ الْمِيزَانُ الْكَبِيرُ
	الْمِقْرِي . الْاَنَاءُ الْعَظِيمُ . وَقَدْ مَرَّ مَعْنَا اَنْ
	الْجَاطُ وَالشَّخْتُورُ عِنْدَنَا يَقَارَبَانِ اَيْضًا مَا يَسْمَعُهُ

العرب • مشكلة فانها تشبع الرجلين والثلاثة •	الضَّرَف ( محرف ظرف يريدون به جلد جدي او تيس يخاط ويجمع وعاء للسوائل )
السَّجَل • القرية العظيمة •	الدبلز ( نوع من جرار يسع زنة ٢٠٠ الى ٣٠٠ درهم )
الغَرْب • الدلو العظيمة •	طنجرة القوزي ( القوزي الحروف بالتركية )
الوَيْة • القدر العظيمة •	الكرافة ( اللفظ افرنجى الاصل • والمراد به نوع من الابريق الزجاجية )
الرَفْد • القدح الضخم •	المقانيق • والبعض يقولون نقانيق او سيجق
الوشيق • اللحم اليابس •	لبن مُوَرَّوَر ( اي شديد الحموضة )
لبن طخف •	

اللاذنية : ادوار مرقص



## المعتزلة (١)

— الجاحظية —

انقل فجأة من الكلام على تحقيق الجاحظ في أبواب العلم الى الكلام على دينه ، ولعل هذا الانتقال لا يخلو من معنى من المعاني ، فقد نبين لكم ان للعقل في مذهبه في التحقيق عملاً كبيراً ، فيكاد لا يؤمن الا بما تراه العين ، أو تسمعه الأذن ، أو بذوقه اللسان ، ويشمه الأنف أو لمس اليد ، هذا من جهة الحكم الظاهر للامور . واما من جهة الحكم الباطن لهذه الامور فانه لا يقرر الا بما يقبله العقل ولا يردّه ، ومن كان هذا مذهبه في آفاق العلم ، اي من كان مذهبه التصحيح والتميز دون ان يجعل سمه هدفاً لكل توليد وقلبه قراراً لكل زور فأخلق به ان يسير هذه السيرة في كل عمل من اعماله ، فهل غلب العقل على الجاحظ في أبواب الدين غلبته عليه في أبواب العلم ، هل توثق الجاحظ في دينه توثقه في علمه ، فلم يخرج في شيء من التفسير والتأويل عما يميله عليه عقله وان يكن في هذه الأُمالي شذوذ عن بعض أهل التفسير والتأويل ، هذا ما نجهد في إدراك حقائقه في الكلام على دين الجاحظ .

لما قال الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان : ان هذا الكتاب أشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة بسط لنا مذهبه في اصل الدين على نحو ما بسط لنا مذهبه في العلم لما قال في المقدمة نفسها : وجمع — أي كتاب الحيوان — معرفة السماع وعلم التجربة ، فالجاحظ لا يريد ان يخرج في تفسير الآيات وتأويل الأحاديث عن عمل الحواس وعمل العقل ، فهو يريد ان يدرك هذه الآيات وهذه الأحاديث من طريقين : من طريق الحواس ومن طريق العقل ، فهو من المعتزلة .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

ويسمى المعتزلة فریق من الافرنجة<sup>(١)</sup> : المفكرين الاحرار والصحيح ان حرية التفكير من خصائص الاعتزال . فالمعتزلة في نظرهم انما هم فلاسفة يخوضون في مسائل الدين على حسب ما يريدون دون ان يجعلوا السلطة من السلطات دخلاً في حل هذه المسائل ، فهم رجال العقل في الدين .

واذا أردنا ان ننبسط في بيان معتقدات المعتزلة ونوازن بينها وبين بعض المذاهب الفلسفية في عصرنا الاخير تراخى أمد الكلام ، وربما أدركنا أواخر السنة قبل امثيافاً ، هذا الكلام فأرى إذن ان اکتفي بذكر بعض امور عن المعتزلة حتى يكون لنا رأي مجمل في الاعتزال .

فلننظر في مجلسنا هذا في اصل كلمة الاعتزال ، وفي الاحتجاج للاعتزال ، وفي القواعد التي أجمع عليها المعتزلة ، وفي طوائف المعتزلة ، وفي بعض طبقات المعتزلة ، وفي الطائفة التي تعيننا امرها وهي الجاحظية ، وفي رأي الجاحظ نفسه في المعتزلة .

فلنشرع في ذكر المصدر الذي من صدرت عنه كلمة الاعتزال<sup>(٢)</sup> :

« دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن انلة وهم وعبيدة الخوارج وجماعة برجثون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم لا تنصر مع الايمان بل العمل على مذهبيهم ليس ركناً من الايمان ولا ينصر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ فنفكر الحسن في ذلك ، وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو واصحابه معتزلة .

(١) مفكرو الاسلام Baron Garra de vaux الجزء الاول ص ٢٩٤

(٢) الملل والنحل للشهرستاني على هامش الملل والأهواء والنحل لابن حزم (الجزء الاول

ووجه تقريره انه قال : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمناً ، وليس هو بكافر مطلق ايضاً لان الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانتكارها ، لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالداً فيها اذ ليس في الآخرة الا فريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فرق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقاً له في القدر وانتكار الصفات .

فمن هنا يدين لنا انهم سمووا بالمعتزلة منذ اعزل واصل بن عطاء الحسن ، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد .

وقال المرتضى في سبب تسميتهم (١) :

« وقيل ( أي وسموهم بالمعتزلة ) لقول قتادة وكانت من أصحاب الحسن : ما نصنع المعتزلة ، فكان يسميهم بهذا الاسم ، روي عن عثمان الطويل قال : لقيت قتادة فقال : ما حبستك عنا ، لعل هؤلاء المعتزلة حبستك عنا ، قلت نعم حديث رويته انت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هو ، قال : رويت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستفترق أمتي على فرق خيرا وأبرها المعتزلة . وقيل : سموا بذلك لرجوع عمرو بن عبيد الى قول واصل في الفاسق وخالف الحسن ، ذلك انه لما خالف واصل أقوال أهل زمانه في الفاسق واعتزلها كلها واقتصر على المجمع عليه وهو تسميته فاسقاً ورجع عمرو بن عبيد الى قوله بعد مناظرة وقعت بينهما سمي وأصحابه معتزلة لا اعتزالهم كل الأقوال المحدثه ، والمجبرة تزعم ان المعتزلة لما خالفوا الاجماع سمي ذلك سموا معتزلة ، قلت : لم يخالفوا الاجماع بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة » .

ويسمون العدلية لقولهم بعدل الله وحكمته والموحدة لقولهم : لا قديم مع الله (٢) .

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية (٣) .

اما احتجاج المعتزلة للاعزال فقد ذكره المرتضى فقال (٤) :

(١) ذكر المعتزلة ص ٤ . (٢) ذكر المعتزلة للمرتضى ص ٢ . (٣) الملل والنحل

للشهرستاني ( على الهامش ص ٥٤ ) . (٤) ذكر المعتزلة ص ٣ .

« ويحتجون للاعتراف أي لفضله بقوله تعالى : وأَعَزَّكُمْ ونحوها وهو قوله تعالى :  
 وإِجْرُكُمْ هَجْرًا جَبِلًا ، وليس إلا بالاعتراف عنهم .  
 واحتجوا من السنة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من اعترل من الشر سقط في  
 الخير . »

واحتجوا أيضاً بالخبر الذي رواه سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن  
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من فترق أمتي على بضع  
 وسبعين فرقة ، أبرها وانفقاها الفئة المعزلة وهو تمام الخبر ، ثم قال سفيان لأصحابه تسموا بهذا  
 الاسم لأنكم اعترلتم الظلمة ، فقالوا : سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه ، فكان سفيان  
 بعد ذلك يروي واحدة ناجية . »

واليكم القواعد التي أجمع عليها المعزلة على نحو ما بينها الشهرستاني لما قال (١) :  
 « فالذي يعم طائفة المعزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص  
 وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته  
 لا يعلم وقدره وحياة ، هي صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم  
 الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلَهية . »

وانفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كُتِبَ أمثاله في  
 المصاحف حكايات عنه ، فانما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال .  
 وانفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته ، لكن اختلفوا في  
 وجوده وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي .

وانفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ، ونفي التشبيه عنه من كل وجه :  
 جهةً ومكاناً وصورةً وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً .  
 وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وصحوا هذا النمط : توحيداً .

وانفقوا على أن العبد قادر ، خالق لأفعاله خيراً وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً  
 وعقاباً في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر  
 ومعضية لانه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً .



وانفقوا على ابن الحكيم لا يفعل الا الصلاح واخبر ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، واما الاصلح والالطف فني وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلاً .  
وانفقوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والنفصل معنى آخر وراء الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبتها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط : وعداً ووعيداً .

وانفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبیح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب ، كذلك ورود التكليف الطاف للباري تعالى أرسلنا الى العباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

واختلفوا في الامامة والقول فيها نصاً واختياراً .

وأشار المرتضى الى هذه القواعد فأوجز فقال<sup>(١)</sup> :

« واما ما أجمعوا عليه فقد أجمعت المعتزلة على ان للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا ايمان ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر عيناً واحداً لا يدرك بحاسة عدلاً حكماً لا يفعل القبيح ولا يبرئ بده ، كلف نعر بضا للثواب ، وممكن من الفعل وأزاح العلة ولا بد من الجزاء وعلى وجوب البعثة حيث حسنت ولا بد للرسول صلى الله عليه وآله من شرع جديد او احياء مندرس او فائدة لم تحصل من غيره وان آخر الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن معجزة له وان الايمان قول ومعرفة وعمل ، وان المؤمن من اهل الجنة وعلى المنزلة بين المنزلتين وهو ان الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً الا من يقول بالارجاء فانه يخالف في تفسير الايمان وفي المنزلة فيقول الفاسق يسمى مؤمناً ، وأجمعوا على ان فعل العبد غير مخلوق فيه وأجمعوا على تولي الصحابة واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها فأكثرهم نولاً وتأويل له كما مر وكما سيأتي وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص وأجمعوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تعداد علمائهم مصنفات عدة كالمصابيح لابن يزداد وغيره » .

فالذي يستنتج من ذكر بعض معتقدات المعتزلة ان هذه المعتقدات تلتحق بعلم ما وراء الطبيعة و بالفلسفة نفسها ، فان البحث عن قدرة العبد وعن خلقه لأفعاله خيرها وشرها ، وعن الجواهر والعرض وماشابه هذه الامور من خصائص الفلسفة ومن خصائص علم ما وراء الطبيعة فلا نستطيع ان نفهم أقوال الجاحظية وسائر طوائف المعتزلة الا اذا كنا واقفين على العلوم التي تدخل فيها هذه الأقوال .

والمعتزلة طوائف شتى كالواصلية أصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء الغزال تليد الحسن البصري ، وكالهدبية أصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، وكالانظامية أصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام ، وكالحنظلية أصحاب احمد بن حنبل ، وكالحدثية أصحاب فضل بن الحذثي ، وكالبشرية أصحاب بشر بن المعتمر ، وكالعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمي ، وكالزردارية أصحاب عيسى بن صبيح المكني بابي موسى الملقب بالزردار رابع المعتزلة ، وكالشمالية أصحاب ثمامة بن أشرس النخعي ، وكالشمالية أصحاب هشام بن عمرو الفوطي ، وكالجاحظية وكالحنظلية أصحاب ابي الحسين ابن ابي عمرو الخياط أسناده ابي القاسم ابن محمد الكبي ، وكالجبائية والبهشية أصحاب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه ابي هاشم عبد السلام .

ولكل طائفة من هذه الطوائف اعتزال بدور على قواعد معينة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل .

ومن طبقات المعتزلة :

محمد بن الحنفية وعنه اخذ واصل بن عطاء علم الكلام وأبو الاسود الدؤلي وعلقمة والاسود وشريح والحسن البصري صاحب الرسائل في القضاء والقدر الى عبد الملك والي الحجاج وله مع الحجاج مناظرات وكان لا يرد عليه احد كما يرد عليه الحسن وغيلان ابن مسلم الدمشقي الذي كان يعيب هشام بن عبد الملك ويعيب آباءه فلما ولي هشام خرج غيلان وصاحبه الى ارمينية فأرسل هشام سيفي طلبهما فجيا بهما فحبسهما اياماً ثم أخرجهما وقطع ايديهما وأرجلها فمات صالح وصلى عليه غيلان ثم اندفع في ذكر بني أمية بالسوء فقتل هشام : قطعت يدي غيلان ورجليه واطلقت لسانه ، انه قد بكى الناس ونههم على ما كانوا عنه غافلين فأرسل اليه من قطع لسانه فمات .

ومنهم واصل بن عطاء الذي كان يلزم صديقه ابا عبد الله الغزالي ليعرف المنعفات من النساء فيجمل صدقته لمن .

كان واصل ألثغ في الرأء قبيح اللثغة فيها فكان يتملص كلامه من الرأء ولا يفطن لذلك لافتداده وسهولة الفاظه وقد كان صديقاً لبشار مدحه بشار وذكر خطبته التي التي منها الرأء فقال :

تكلف القول والاقوام قد حفلوا      وحبّروا خطباً ناهيك من خطب  
وقال مرتجلاً تغلي بداهته      كمرجل القين لما 'حفت' باللهب  
وجانب الرأء لم يشعر به احد      قبل التصفح والاغراق في الطلب  
فلما قال بشار بالرجعة وتكفير جميع الامة تبرا منه واصل فهجاء بشار وعابه بطول عنقه فقال :

مالي اشاييم غزاً لا له عنق      كنعنق الدور ان ولّي وان مثلاً  
عنق الزرافة ما بالي وبالكم      تكفرون رجلاً كفّروا رجلاً  
أنفذ واصل بن عطاء أصحابه الى الآفاق وبث دعائه في البلاد ، فبعث عبدالله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير وبعث حفص بن سالم الى خراسان وبعث القاسم الى اليمن وبعث ابوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وبعث عثمان الطويل الى أرمينية . وكان عثمان أستاذ ابي الهذيل العلّاف .

ومنهم عمرو بن عبيد وكان المنصور العباسي يبالغ فيه تعظيمه .

ومنهم صالح الدمشقي صاحب غيلان الدمشقي .

ومنهم ابو الهذيل العلّاف : اناه رجل فقال له : أشكل عليّ أشياء من القرآن فقصت هذا البلد فلم أجد عند احد ممن سألته شفاءً لما أردته فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل : ان بغيثك عند هذا الرجل ، فائق الله وأفندي ، فقال ابو الهذيل ، فما ذا أشكل عليك ؟ قال : آيات من القرآن توهمني انها متنافضة وآيات توهمني انها ملحونة ، قال : فماذا أحب اليك ، أجيبك بالجملة او تسألني عن آية آية ؟ قال : بل تجيبني بالجملة ، قال ابو الهذيل : هل تعلم ان محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لفته وانه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعوناً عليه فقال : اللهم نعم ، قال ابو الهذيل : فهل

نعلم ان العرب كانوا اهل جدل ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل اجتهدوا في تكذيبه ؟ قال :  
 اللهم نعم . قال : فهل تعلم انهم عابوا عليه بالمنافضة او باللحن ؟ قال : اللهم لا . قال ابو الهذيل :  
 فتدع قولهم مع علمهم باللغة وتأخذ بقول رجل من الأوساط ، قال : فأشهد ان لا إله الا  
 الله وان محمداً رسول الله ، قد كفاني هذا وانصرف وثفقه في الدين .

وفي ابي الهذيل يقول المؤمنون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال النعام على الانعام .  
 ومنهم ابواسحاق ابراهيم بن سيار النظام أستاذ الجاحظ ، وقد قال الجاحظ : الا دائل  
 يقولون في كل الف سنة رجل لا نظيره ، فان كان ذلك صحيحاً فهو ابواسحاق النظام .  
 وقال فيه ايضاً : مارأيت احداً أعلم بالكلام والفقه من النظام .

ومنهم بشر بن المعتز الهلالي رئيس معتزلة بغداد . ومنهم معمر بن عباد السلمي  
 أستاذ بشر .

ومنهم ابو الحسين القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والصاحب الكافي .  
 والجوهري صاحب الصحاح وابوبكر الرازي وغيرهم من الذين اتى على ذكرهم المرتضي  
 في كتابه ذكر المعتزلة .

والذي يشغلنا من طوائف المعتزلة ومن طبقاتها في مثل هذا المقام الجاحظية وحدها  
 فالجاحظ وافق اصحابه المعتزلة على امور وانفرد عنهم بمسائل تابعة عليها فريق من المعتزلية  
 فسموا بالجاحظية ، وهذه هي المسائل التي انفرد بها <sup>(١)</sup> :

« منها : قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك من أفعال العباد  
 وليس للعباد كسب سوى الارادة ويحصل أفعاله منه طباعاً كما قال ثمامة ونقل عنه ايضاً انه  
 أنكر أصل الارادة وكونها جنساً من الأعراض فقال اذا انتهي السهو عن الفاعل وكان  
 عالماً بما يفعله فهو المريد على التحقيق ، واما الارادة المتعلقة بفعل الخير فهو ميل النفس اليه  
 وزاد على ذلك باثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها أفعالاً  
 مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالأعراض بتبدل والجواهر لا يجوز ان يفتني .

ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون الى طبيعة النار وكان  
 يقول النار تجذب أهلها الى نفسها دون أن يدخل احد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٤ .



نفي الصفات وفي إثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة .

وحكى الكبي عنه في نفي الصفات انه قال : يوصف البارئ تعالى بانه مرید بمعنى انه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر وقال : ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالفهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محتجون بعرفتهم ، ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد ، جاهل به فالجمال معذور والعالم محتجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالابصار وهو عدل لا يجوز ولا يربد المعاصي وبعد الاعتقاد والنيبين أفر بذلك كله ثم جحدته وانكره 'و دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقاً وان لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد ان الله ربه وان محمداً رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك .

وحكى ابن الراوندي عنه ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة رجالاً ومرة حيواناً وهذا مثل ما يحكى عن ابي بكر الأصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر الأعراض أصلاً وانكر صفات البارئ تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب البلاسفة الا ان الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الآلهيين » .

وقد تعرض ابن الراوندي للمعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ فرداً عليه الخياط في كتابه : الانتصار ، فقال في دفاعه عن الجاحظ <sup>(١)</sup> :

ثم قال : اي ابن الروندي ، قد زعم الجاحظ مع ما حكيت عنه من إحالة فناء الاجسام وعدمها ان الله لا يتخلد كافرأ في النار ولا يدخله فيها وان النار تدخل الكافر نفسها وتخلده فيها ، ثم قال : هرباً بزعمه من مسائل الملحدين في التخليد : قال : نقلت لبعض اصحابه وكيف صارت النار هي التي تتخلد الكفار في عذابها وتصبرهم اليها . قال ، فقال : من قبل انهم عملوا أعمالاً فصارت اجسادهم لا تمتلئ النار اذا حاذتها في القيامة من اجتذابيها اليها بطباعها ثم وصف كلاماً زعم دار بينه وبين هذا الرجل في هذا الباب ، وهذا كذب وزور وهذا كتب الجاحظ في أعمال الطبيائع فانظر فيها فان وجدت فيها حرفاً واحداً مما حكاه عنه هذا الماجن فهو صادق والا فاعلم انه كاذب نيات كذب عليه في الحسابة عنه انه يحيل فناء الاجسام ثم أردفه بكذب آخر والله المستعان .

(١) كتاب الانتصار للخياط المعتزلي ص ٩١ .

وللمعتزلة في نظر الجاحظ مقام رفيع فقد أشار إليهم في بعض مواطن ، منها قوله <sup>(١)</sup> :  
 « لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الامم ، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام  
 من جميع النحل ، فان لم أقل : ولولا اصحاب ابراهيم وابراهيم لهلكت العوام من المعتزلة  
 فاني أقول انه قد أنعم لهم سبلاً وثق لهم اموراً واخنصر لهم ابواباً ظهرت فيها المنفعة  
 وشملتهم بها النعمة . »

ومنها قوله بعد كلام له على الجهمية ومن أنكر ايجاد الطبائع وعلى ناس اتبعوا ظاهر  
 الحديث وظاهر الأشعار <sup>(٢)</sup> :

« وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث واي ضرب منها يكون مردوداً ، واي  
 ضرب منها يكون متأولاً ، واي ضرب منها يقال - ذلك انما هو حكاية عن بعض  
 القبائل ولذلك أقول : لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختلطت واسترقت ولولا المعتزلة  
 لهلك المتكلمون » .  
 دمشق : في ٢٥ نيسان سنة ١٩٣١



(١) الحيوان ( الجزء الرابع ص ٦٩ ) .

(٢) ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

## شعور الجاحظ الديني

—«X»—

ان مذهباً نبني اصوله على العقل و يستفيض في عصر استغاضت فيه الخرافات و غرائب الزور فينفرغ رجاله للنبيه على الأخلايل والتحذير من الإكاذيب ، ان مذهباً هذا شأنه لا يخلو في صدر أمره من تعرض المتعرضين ومعاودة المعاندين ، وقد نجد المعارضين في كل زمن من الأزمان ثلاث فرق : فرقة من أصحاب الارتجاع قد جمدت أذهانهم وبلدت طبائعهم ، لا يريدون ان يفهموا ان الدنيا أزمان وان لكل زمان أطواراً ، وان الانتقال من طور الى طور من دلائل الحياة ، فرضوا بمسور حالم دون ان يخطوا في كل فن من فنونهم خطوة ، فهم يصيحون في وجه كل مصلح ، ثم لا تلبث صيحاتهم ان تلتاشي كإيتلاشي الدخان في أجواز الفضاء .

وفرقة قد أفلت الحسد بهم ونقص عليهم لذة الحياة ، فهم يؤلمهم ان ينبغ في ظلال ديارهم نابغ او يبرع بارع ، فيخرجون مكنونهم في إطفاء كل نور يتلأل وتسكين كل حركة لتقلب .

وفرقة قد جهلت قلوبهم وانحطت مداركهم فهم ضعاف يقاؤون ، قصار يطاولون على امل ان يكون لهم في نظر الناس شيء من القوة او شيء من الطول .  
ان كل مذهب سواء أكان في الدين أم في الأدب أم في الاجتماع أم في السياسة ، طبيعته إصلاح الفاسد او تجديد العتيق لا بدء له من ان تفرش به في مقدمة أمره فرقة من هذه الفرق الثلاث : فرقة الارتجاع او فرقة الحسد او فرقة الجهل يبدأ المصلح الواثق بنفسه ، المعتمد على عزمه ، المتدفع في سبيله بمضي لطيته دون ان يلوي على شيء لانه يعلم ان للباطل جولة ثم يضمحل .

والجاحظ لم يخل في حياته وبعد مماته من تعرض المتعرضين ، اما الذين نقدوه نقداً خالصاً فليس لنا كلام عليهم فسواء أذهبوا مذهبهم في الاعتزال أو في الفلسفة أو في العلم أم خالفوا هذا المذهب ، انهم احرار ، فلكل رأيه ومعتقد ، ولكن بعض المعترضين لم يقفوا عند حد النقد ، فلم يخل الجاحظ في حياته من حسد الحساد ، انكم لتذكرون كيف كانوا يتعقبونه في أواخر أيامه أي في فالجه ، ملتمسين في كلامه لفظاً مضطرباً أو تأليفاً سبياً أو نظاماً مقطوعاً ، ومغضين على كل محمود من هذا الكلام ، وليس هذا من النقد في شيء وإنما اصل الامر في النقد ان ننظر الى جهتي الحاسن والمساوي فنبدل على هذه المحاسن حتى يزداد شعورنا بها ، وننبه على هذه المساوي حتى نصالح أذواقنا فالاعتصار على ذكر المذموم من كلام المؤلف دون التفرغ لبيان المحمود من هذا الكلام لا يخلو من شيء نسببه الحسد ، والجاحظ كاتب محسوداً في حياته وقد أشار الى هذا الامر في مقدمة كتابه « الحاسن والاضداد » .

والحسد مستحكم في البشر سواء فيه العالم والجاهل ولا يقمن في خلد احد ان العالم يهون من خطبه ، قال الأستاذ ( ريشه ) في تصويره اخلاق العلماء <sup>(١)</sup> :  
« العلماء حساد لانهم بشر فهم لا يستطيعون ان ينظروا بعين الرضا الى نكريم يكرمه زميل من زملائهم او الى لقب يحصل عليه او الى حظوة يحظى بها او الى غير ذلك من رتب التنافس عليه تساقط الواهب وكما كان العلم الذي ينصرف اليه هذا الزميل قريناً من علمهم كلما اشتد الحسد ، فالفلكي لا يحزنه الشرف الذي يتناهي الى النباقي ولكنه قد يجد ان الشرف الذي يحصل عليه فلان آخر قد لا يستحقه » .

قلت : لم يقف المتعرضون للجاحظ عند حد النقد وإنما أحبوا ان يثلموا من شعوره الديني فلم تجد طائفة منهم في كلامه الاجهالات والاضلالات ولقد ذهبوا في ذلك مذهباً أبعد فاستكثروا تسميته انساناً وعدوا هذه التسمية ذنباً لا يغفر والتمسوا له شبيهاً من أصناف الحيوان فلم يجدوا أصلياً من الخنزير .

فقد تعرض له ابو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق فرد عليه في بعض آرائه في الفلسفة والتوحيد ثم نسبته الى الشعوبية والى السرقة مما لا نجد حاجة الى ذكره .



في مثل هذا المقام وإنما تشير إلى هذه العبارة <sup>(١)</sup> :

« ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه انساناً ، فضلاً عن أن ينسبوا إليه احساناً » .  
أو إلى العبارة الآتية <sup>(٢)</sup> :

« ومن افتخر بالجاحظ سئلناه إليه ، قول أهل السنة في الجاحظ كقول الشاعر فيه :  
لو يمسح الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلا دون فحج الجاحظ  
رجل ينوب عن الجميع بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ  
أن مثل هذا الكلام يمر به من الكرام ، فإذا لم يكن الجاحظ انساناً فمن الانسان ،  
والصحيح أن الجاحظ جاوز أفق البشرية وحاق في جو قد لا يصل إليه كل واحد من  
الناس » .

وكما تعرض له البغدادي فقد تعرض له ابن قتيبة فثلمه في ديبه فقال <sup>(٣)</sup> :  
« ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فإذا صار إلى الرد عليهم تجاوز في  
التهمة كأنه أراد تنبيههم على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين وتجده يقصد في  
كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ ويستعزى من  
الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان وذكر الحجر  
الأسود وأنه كان أبض فسوده المشتركون وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين اسلموا  
وبذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة واشياء  
من احاديث أهل الكتاب في ننادم الديك والغراب ودفن المدهد أمه في رأسه وتسييح  
الضفدع وطوق الحماة واشياء هذا مما سنده فيما بعد أن شاء الله » .

وهو مع هذا من اكذب الامة وأدفعهم لحديث وأنصرهم لباطل » .  
والغريب أن ابن قتيبة عاب الجاحظ بقصده للمضاحيك والعبث وهو نفسه من الذين  
قصدها لهذه المضاحيك ولهذا العبث حتى قال في مقدمة كتابه: عيون الاخبار :

(١) الفرق بين الفرق (ص ١٦٠) .

(٢) (ص ١٦٢) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٧٢) .

« ولم اخله ( اي لم يخل كتابه ) من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة أخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض اخذ فيها القائلون .  
ولأروح بذلك من القاري من كد الجلد واتهاب الحق فان الاذن بحاجة وللنفس حمضة .  
وقال في مقام آخر من هذه المقدمة :

« واذا مرت بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة او فرج او وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع او التواضع على ان تصغر خدك وتعرض بوجهك فان اسماء الاعضاء لا تؤثم وانما المأثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب واكل لحوم الناس بالغيب » .

هذا ما قاله ابن قتيبة نفسه وايد قوله باحاديث الرسول وبكلام بعض الخلفاء الراشدين فلم يسلّم هذا المسلك وعاب الجاحظ بسلوكة اياه واذا كانت المأثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب واكل لحوم الناس بالغيب فالجاحظ قد عرضت عليكم انماطاً من نقده العلمي فأظن انه ما شتم عرض ارسطاطاليس لما تعرض له ، واظن انه كان يثقذر من قول الزور والكذب وقد رأيت كيف كانت يدل على توليد الكذابين وعلى غرائب الزور من دون ان يأكل لحومهم بالغيب .

\*\*\*

وكان ابن ابي دواد يقول في الجاحظ (١) :

« انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه » .

وكلام ابن ابي دواد سفي مثل هذا المقام فيه بعض النظر فان الجاحظ كان منحرفاً عنه ملازماً لعدوه ابن الزيات .

ومثل هذا قول ابن ابي دواد له لما جيء به مقيداً :

« فيحك الله ما علمتك الا كثير تزويق الكلام وقد جعلت ثيابك أمام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر » .

وقال ابن ابي الدنيا المحدث (٢) :

« حضرت وليمة حضرها الجاحظ وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما صلى الجاحظ

(١) طبقات الادباء للابنباري ( ص ٢٥٨ ) .

(٢) تاريخ ابن عساكر .

وحضرت صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ لصاحب المنزل : اني صليت لمذهب او لسبب أخبرك به ، فقال له : ( او قيل له ) ما أظن ان لك مذهباً في الصلاة الا تركها .

ثلثوا الجاحظ في دينه وجرته من الشعور الديني ، فلنجهت في مجاسنا هذا في التنقيب عن بعض مواضع من كلام الجاحظ ظهر فيها هذا الشعور الذي سلخوه منه الظهور كله واقد ظهر في مقام علمي لا متعلق للدين به ، ولو كتبه الجاحظ لما كان عليه مطعن من المطاعن فانه في باب علم لا في باب دين ولكن هذا الشعور أبي الا ان يفيض على جنبات كلامه ، واذا كان المرء مأخوذاً بظواهر عقيدته لا يباطنها فليس في ظاهر عقيدة الجاحظ مغمز من المغامر أما الباطن فما نحاول مكاشفته فلنا ظاهر الجاحظ والله باطنه .

قال زياد لاهل العراق لما قدم والياً عليهم<sup>(١)</sup> :

اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي صفحته لي ا

وليس من المستسهل ان نعرف عقيدة الرجل على حقيقتها فقد يكتم المرء غير ما يظهر وقد يظهر غير ما يكتم .

مرة ينظر الى الحمام كيف يمد الذكر والانثى العش لولدهما وكيف ينقلان القصب ويشققان الخوص وينسجانه نسجاً مداخلًا وكيف يتخذان موضعاً للولد ويصطنعانه بقدر جثمان الحماة وكيف يحفظان البيض ويمنعانه من التدحرج ، وكيف يتعاوران الاخوصة وينفیان عنها طبيعتها الاولى ويحدثان لها طبيعة أخرى على مقدار من البرد والسخانة والرخاوة والصلابة وكيف تضع الانثى البيض في هذه الاخوصة وكيف يتعاقب الذكر والانثى الحضن ويتعاورانه ، وكيف ينصدع البيض عن الفرخ فيعلمان الفرخ الغذاء ويعينانه عليه وكيف يزقانه بالاعاب ثم بالحلب والماء على مقدار قوته وكيف يمنعانه بعض المنع بعد أن يطبق اللقط وكيف يطمأنه فطماً مقطوعاً مجذوذاً بعد ان يعلم ان اسبابه قد اجتمعت وكيف ينفيانه اذا بلغ نفسه منتهي حاجته وسألها الكفاية وكيف ينزعان منها تلك الرحمة له وينسيان ذلك العطف عليه ، فلا يروحان اليه ولا يندوان عليه .

(١) العقد الفريد ( الجزء الاول ص ٥ ) .

ينظر الى مجامع هذه الحكمة فلا يسهه الا التسبيح لمن أودع المعرفة هذا الذكر والاثني وألقى اليها الاطباء وبسط عليهم ما ظل الهباء وجعلها ضياءً للاستضيء وراشداً للمسترشد فيقول (١) :

« فسيحان من عرفتهما وألمهما وهنأتهما وجعلهما دلالة لمن استدل ومخبراً صادقاً لمن استخبر ذلكم الله رب العالمين » .

وسرة ينظر الى أصناف الحيوان فيتدبر كيف تبيض في صدع الصخر وأعالى الهضاب وكيف تبيض في الأشجعة وكيف تلد ولا تبيض ولا ترضع ولا تلثم وكيف تبيض وترضع وكيف تبيض في أوكارها في عرض مقاطع الجبال وكيف تبيض في الهوت في اصول أجذاع السقف وكيف لا تبيض من الجبال الا في الوحشي منها والا في استحقها وأبعدها عن مواضع اعدائها وكيف تختبئ هوتها في عرض شطوط الانهار والسواقي وكيف لا تنجم على بياضها وكيف لا تزق ولا تلثم ولا تحضن ولا ترضع وكيف تزق وتحضن وتحتاج الى ما تغذو به ولدها .

ينظر الى هذا كله فيستدل به على حسن صنع الله واحكامه وتدابيره (٢) .  
وحيثما ينظر الى الخنافس كيف يسقط الى المقاييس انها تجلب الرزق والس دنوها دابل على رزق حاضر من صلة او جائزة او ربح اوهدية او حظ وكيف تدخل في قمص الناس فتنفذ الى سراويلاتهم فلا يقولون لها قليلاً ولا كثيراً وكيف يدفعونها ببعض الرفق . وينظر الى الذباب الكبير الشديد البطش الجهمير الصوت وكيف كانوا يحتالون في صرفه وطرده اذا اكرههم بكثرة طنينه وزجه وهماهم ، وكيف صاروا يعتقدون انه مبشر بمقدم غائب وبرء سقيم فصاروا اذا دخل منازلهم وأوسعهم شراً لم يهجه احد منهم .  
ينظر الى هذا فيرى في أضعافه قدرة خالق يمد في الآجال مرة ويقصر في الاعمار مرة ويهيئ لكل واحدة منها سبباً فلا يسهه الى الاعتراف بهذه القدرة فيقول :  
« واذا أراد الله عز وجل ان ينسي في اجل شيء من الحيوان هياً لذلك سبباً كما انه اذا أراد ان يقصر عمره هياً له سبباً فتعالى الله علواً كبيراً » .

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث ص ٤٧ .

(٢) = = = السابع ص ١٩ .



ولقد ظهر هذا الشعور في قوله <sup>(١)</sup> :

« اعلم رحمك الله تعالى ان الله عز وجل قد أضاف ست سور من كتابه الى اشكال من أجناس الحيوان الثلاثة منها مما يستعملها بأمم البهيمة وهي سورة البقرة وسورة الانعام وسورة الفيل وثلاثة مما يعدون اثنين منها من المصحح وواحدة من الحشرات فلو كان موقع ذكر هذه البهائم وهذه الحشرات والمصحح من الحكمة والتدبير موقعها في قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الامور ولا يفهمون الأقدار لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة الشريفة الجليلة الى هذه الامور المحقرة السخيفة والمغمورة المقهورة ولا مرما وضعها في هذا المكان ونوه باسمائها هذا التنويه وانا ذا كر من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلي وهو قليل في جنب ما عند علمائنا ، والذي عند علمائنا لا يحسن في جنب ما عند الله تبارك وتعالى » .

وظهر شعوره الديني في غير هذه المواطن . فاذا أطنب في ذكر العظيم الجثة من الحيوان فلا يطنب في شيء من ذلك لعظم جثته وانما يلتبس ما كان أكثر أعجوبة وأبلغ في الحكمة وأدل عند العامة على حكمة الرب <sup>(٢)</sup> .

وبلغ من حرصه على الدين انه رأى ان الخطأ في الدين أضر من الخطأ في كل علم من العلوم فقال في كلامه على الترجمة في عصره وعلى شروط هذه الترجمة وعلى خطأ المترجم <sup>(٣)</sup> :

« والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المباشرة التي يعيش بها بنو آدم » .

وهو يجد كتب الله تعالى أنفع وأشرف من كتب الاوائل وما اشتملت عليه من عجيب حكمة ومن سيرة ، قال <sup>(٤)</sup> :

« واكثر من كتبهم نفعا وأشرف منها خطراً وأحسن موقعاً كتب الله تعالى التي فيها

(١) كتاب الحيوان (الجزء الخامس ص ١٥٢) .

(٢) = = = = ٤٩

(٣) = = الاول = ٣٩

(٤) = = = = ٤٣

الهدى والرحمة والاخبار عن كل حكمة وتعريف كل سيئة وحسنة .  
وقد علم ان الزندقة كانت مستفيضة في عصر الجاحظ ومرت بكم ان من الذين اتهموا  
بهذه الزندقة حماد الراوية وقد عرض به حماد ابن الزيرقان بأبيات ذكرت في محملها  
منها :

وحبوت من زعم السماء تكونت والارض خالقها لها لم يهد  
وقد قال الجاحظ بعد هذا الشعر : فليس يقول احد ان الفلك بما فيه من التدبير  
تكون بنفسه ومن نفسه .

وعرض الجاحظ لجماعة من الذين اتهموا بالزندقة واستنكر استفاضتها على نحو ما تبين  
لكم ذلك في كلامنا على عصره اذ قال :

« وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتمسك عند  
الحكومة جانباً وأعرضوا عنه صفحاً فليس الا : لا أو نعم ، الا ان قولهم : لا ، موصول  
منهم بالغضب وقولهم : نعم ، موصول منهم بالرضى وقد عزل الحق جانباً ومات ذكر الحلال  
والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن » .

ان هذا كله يدلنا دلالة واضحة على ان الجاحظ لم يضعف شعوره الديني فان نسبته  
الى الجهالات والضلالات وان الشك في دينه واتهامه بالكفر والنفاق كل هذا لا يخلو  
من تحامل ظاهر وأظن أنهم ما طعنوا فيه هذا المظهر الا لمخالفته ايام في اصل الدين  
فان الرجل يستند في تفسير الآيات وتأويل الاحاديث الى عقله .

في ٢ أيار سنة ١٩٣١

# حروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها

هذا نص المقدمة التي وضعتها وزارة المعارف المصرية للنشرة التي أذيعت على مدارسها بشأن حروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها لتعميمها بين الطلبة وهو :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

الخط العربي أثر من آثار الحضارة الإسلامية ، انتقل في عصر الفتح الإسلامي من بلاد العرب مع اللغة والدين إلى الممالك المجاورة : الروم ، والفرس ، وارض المغرب ودخل مصر وحل فيها محل الخط القبطي وجماله واختصاره تغلغلت محبته في نفوس الامم حتى ان الممالك التي دخلها وشاء لها القدر ان تسترد لغتها القديمة كالفرس — وجدت من الخط العربي عوناً . فاستبقته في حضارتها الجديدة .

ومن أحسن العصور الفايرو التي ازدهت فيها مصر وتألقت فيها بهاء الخط العربي عصر المماليك ففيه أنشئت المدارس وأقيمت العمارات . وكان جل اعتماد القوم حينئذ في النقش على الخط العربي . وهذه المساجد المنبثة في نواحي مصر وما حفر وكتب على جدرانها من مختلف أنواع الخط دليل على ما كان له في نفوسهم من الرعاية . ولما انتقلت الخلافة إلى الأتراك أخذوا نصيبهم من العناية بالخط العربي وأنقنوه

وافتنوا فيه وخرتجوا فيه أساتذة رفعا فيه سمعة الاستانة حتى عدت مركز الرئاسة في الخط العربي ثم دار الدهر دورته وحدث الانقلاب العام في المملكة العثمانية واستعاض الترك الحروف اللاتينية عن الخط العربي . عند ذلك أقل نجمه عندهم واخذت آثاره في العفاء . تناول الناس بيزيد الدهشة حديث هذا الانقلاب ورأوا مع ذلك ان روح هذا العصر تدعو الى التجديد فتولدت فيهم حركة ترمي الى إدخال التعديل في الكتابة العربية واخذ المفكرون يجهلون عن وسيلة للتجديد في الخط فاجتهدوا وكان منهم المسرف وغير المسرف غير انه لم يغيب عن ادراكهم انهم اذا استباحوا لانفسهم إدخال التغيير والتبديل كما فعلت تركيا استهدف الخط العربي الجميل لخطر جسيم وقطعت الصلة بين قديم الادب وحديثه وهذا امر يظهر ضرره في جلاء لابناء الاجيال المستقبلية .

ومن حسن الحظ ان وجه صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول الثفانه السامي الى الخط العربي فأعاد اليه شبابه ورد اليه ما فقد من مكانته . ولا غرو فان جلالة يجلس على عرش أمة هي قبلة الناطقين بالضاد وقدة الامم العربية .

عزى على جلالاته ان يرى هذا النوع العربي في الفن الجميل يصارعه الفناء وتكاد تدرس اصوله . فأمر بانشاء معاهد لتعليم الخط في مختلف أنواعه . واخذ يرعاها ويشجع طلابها بالجوائز حتى خرتجت رجال فنانين خدموا الامة ورفعوا راية النهضة الحديثة ، ونشروا آثار هذا الفن الجميل حتى أصبحنا بحق نقول : .

ان الخط العربي اذا عفا اثره من كل مكان فلن يموت في مصر . واذا شئت فقل : ان مصر ذات الارض الخصبة . والعقول المفكرة . والآثار البديعة . جادة في رفع منزلته وفي تكميله بحيث يماشي الحضارة الجديدة .

فلئن تخلت الاستانة عن مركز الرياسة لهذا الفن الجميل فقد نهضت مصر حاملة لواء الزعامة بفضل المحمود الصادق الذي يجود به صاحب الجلالة الملك .

وقد رأى جلالاته عملاً بسنة التجديد ان يزيد من حسناته لرفع مستوى الكتابة والخط . فعملت ارادته السامية بامر من خطيرين : (١) ان توضع قواعد للترقيم توحيداً للعمل به . (٢) ان تبكر صور للحروف العجائية . غير بعيدة الشبه بالحروف العادية . تؤدي ماثوديه الحروف الكبيرة في اللغات الأجنبية .



وعما لا جدال فيه ان طريقة الكتابة العربية في مجموعها مضطربة وقد أراد كثير من كتابنا معالجة هذا النقص بمحاكاة اللغات الأجنبية فاستعاروا منها علامات الترقيم . وأسرفوا في استعمالها اسرافاً يعيب على القاريّ مقصده او قل : انهم يثرون علامات الترقيم في ثنايا الكتابة لتكون حاية وزخرفاً بدلاً من ان تكون وسيلة لا لبساح المعنى ونذليل مصاعب القراءة . اذن فما أحوج الكتابة العربية الى نظام واحد يلم شملها ويرفع ذكرها . وقد فوض النظر في ذلك الى لجنة الفيتا ووزارة المعارف وقد فرغت من عملها . اما ابتكار صور للحروف العجائية فمن منازاة توجيه اللغات القساري الى اوائل الكلام وتمييز الاعلام من غيرها .

ولما أذيعت هذه الرغبة الملكية على الجمهور ملكت مشاعره لصدورها من ملك امتاز بالعطف الكبير على العلوم والآداب والفنون . وامتاز بالسر على ان يحمل مصر في مكانها الارفع . من اجل ذلك استحث ( حفظه الله ) هم العاملين . باسداء الجوائز للفائزين في مضمار المسابقة .

فانبرت الافكار ودخل المسابقة أناس من القطر المصري ومن غيره من الأقطار الدانية والنائية وتقدموا باقتراحاتهم . وقد وفق بعض المستبقين الى ابتكار صور للحروف لها مميزات لم يغير من شكلها تغييراً جوهرياً .

فتولت لجنة تحكيم امر الفصل فيما قدم لها من المقترحات ومنحت الجوائز مستحقها . ثم بدا لهذه اللجنة ان تسترشد بهذه الاقتراحات لوضع طريقة لكتابة الحروف الكبيرة مراعية في اختيارها اموراً : قرب شبهها بالحروف المعتادة . وسهولة كتابتها بالقلم المعتاد . والتخامها اذا انصلت بغيرها .

وارتأت تسمية هذه الحروف الجديدة حروف التاج . لان صاحب التاج هو صاحب هذه الفكرة . والمنفضل بجوائزها .

ثم آل الامر في شأن هذه الحروف الجديدة الى لجنة تنفيذية بوزارة المعارف العمومية . فكان منها ان عدلت بعض الشيء في صورة هذه الحروف . فجاء تعديلها خاتمة البحث في هذا الموضوع . ورفع الى السدة الملكية فحظي بالرضا والقبول . وصدر قرار الوزارة باذاعته على الجمهور . والسير على مقتضاه في التعليم بالمطارس .

# حُرُوفُ التَّاجِ

## خَطُّ التَّنْخِ

أحرف مضبوطة بميزان النقط

أ ب ج د هـ و ز ح ط ث ك

ل م ن س ع ف ص ض ط

ظ ح ط ك

أحرف في شكلها المعتاد

أ ب ج د هـ و ز ح ط ث ك

ل م ن س ع ف ص ض ط

ظ ح ط ك

## لَمِثْلُهُ لَا سِتَعَمُ الْحُرُوفُ

### لِحُكْمِهَا ثَوْرَةٌ

لِلْإِنْسَانِ صَنِيعَةُ الْإِحْسَانِ . لَتَتَّبِعَنَّ الْعَثَرَاتِ يُضْعِفُ الْمَوَدَّاتِ .  
 لَحَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . لَوَاءُ الدَّهْرِ الصَّبْرُ عَلَيْهِ . لَوَبَّ سَاعٍ لِقَاءِ عَدِيٍّ .  
 لِحُكْمِكَ أَسِيرُكَ . لِكَيْمَادَاتِ الْفِعَالِ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَاتِ الرِّجَالِ .  
 لِحَقِّ الْحَدِيثِ حَلِيَّةٌ . لِهَوْلِ التَّجَارِبِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ . لِهَقْدِ  
 الْحَبَّةِ يَقْنَضِي النَّصْحَ . لِهَصَاةِ اللِّسَانِ حَلِيَّةُ الْإِنْسَانِ .  
 لِكُلِّ مَمْنُوعٍ مَتَّبِعٌ . لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ . لِهَيْمِ الْمُؤَدِّبِ اللَّهْرِ .  
 لِهَذَبِ جَلِيلِكَ بِحُسْنِ خُلُقِكَ . لِعَدَالِ كَرِيمِ دِينٍ .  
 لِهَيْلِ بَذْرِ جَمَاهِرٍ : "لَهَا الْعَقْلُ ، وَمَا الْحِلْمُ ؟" فَقَالَ "لَهُكَ  
 مَا لَا يَسْنِي ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمُقَدَّرَةِ"

## حُطُّ الرِّقَّةِ

### هكَمْ ثَأْتُورَة

أَلَوْنَاءُ صَنِيعَةِ الْإِيمَانِ . شَيْخِ الْمَنَازِلِ بِضَمِّ الْمَوَارِدِ . هَبْذُ الْأَمْرِ أَوْ سَلْمًا .  
 ذَوَاءُ الرَّهْرِ الْعَبْدِ عَلَى . رَبِّ سَاعِ الْقَاعِ . شَرَكِ أَسِيرِكِ . شَهَارَاتِ الْفَعَالِ  
 خَبْرُ شَهَارَاتِ الرِّجَالِ . خَصْرُ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ . كَمُولِ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَفْلِ .  
 عَقْدُ الْمُحِبَّةِ يَقْضِي السَّعْيَ . قَصَاغُ الْإِنْسَانِ حَلِيَّةُ الْإِنْسَانِ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَنُوعٍ .  
 لَكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ . ثُمَّ الْمُؤَرَّبُ بِالرَّهْرِ . لَقَدْ بَجَلِيكَ بِحَسْبِ خَلْقِكَ . دَعَا  
 الْكَرِيمِ رَبِّهِ . سَلِّ بِرَبِّهِمْ : " مَا الْعَفْلُ ، وَمَا الْهَلْمُ ؟ " ثَقَالُ :  
 " شَرَكُ مَا لَا يَبْنِي ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ " .



## الغلاظة في اللغة

- ٣ -

( العنق ) — العنكذ ، الغليظ الشديد العنق والظهر من الابل . والأجوق ، الغليظ العنق . ومسفوح العنق ، الغليظ الطويلة . والأققد ، الغليظ . والألود ، العنق الغليظ ج الواد . وقد غلب الرجل — غلباً ، غلظ عنقه فهو أغلب وهي غلباء . وعنق عنقاً ، طال عنقه وغلظ .

( القدم ) — وقدم شملة ، متراكبة اللحم غليظته . ورجل شمر داح القدم ، غليظها عريضها . وخفأق القدم ، صدر قدمه عريض . وابكاع القدم ، سمها وغلظها واشتدادها . وقدم موقوعة ، غليظة شديدة .

( الوجه ) — ووجه مرغف ، غليظ ومثله الوجه المكثز . والبعوم والجهوم ، الوجه الغليظ المجتمع السمج . ووجه ككثر ، غليظ .

( الكف ) — والشرايث والشرايث ، الغليظ الكفين والرجلين والقدمين الخشنهما .

( الشفة ) — والشفة ملح ، الرجل الواسع المنخرين العظيم الشفتين المسترخيها ويقال شفة شفاحة أي غليظة . والمثد لوغ ، الغليظ الشفة . والأبلم ، الغليظ الشفتين ومثله المعبر كل والشارم ( للرجل ) والجحة فل والشارم . والحرمة ، غلظ الشفتين . والوذرة ، المرأة الغليظة الشفة . وشفة كاثمة باثمة أي ممتلئة غليظة . والأفم الذي في شدقه غلظ . وقد عكب الرجل عكباً إذا غلظت شفتاه ولحياه .

( الساق ) — وساق بجنادة ، غليظة ممتلئة . وامرأة خذل ، غليظة الساق

مستديرتها .

(الاذن) - والقنفاء من آذان المعزى ، الغليظة كأنها نعل مخصوفة . والاقذاف الصغير الاذنين الغليظهما .

(شيء) - وناقه ضيناك ، غليظة المؤخر . ورجل مكذبل ، غليظ الجسم يقال هو رجل مكذبل الخلق . والعكفاء ، الناقه الغليظة الاخلاف . والمكذَّب والمكذَّب ، الحافر الذي غلظ من العمل . والتألب ، الغليظ الخلق المجتمع من الناس ومن حمر الوحش وهي تألبة . والجنادف ، الغليظ الخلقه القصير المبرز القصير الرقبة . والجروض ، الغليظ الكبير البطن .

(الاسنان) - والاطاط ، الغليظ الاسنان . والاذياب ، الغليظ الذباب . والاضخم ، الغليظ الشبايا .

(الصلب) - والهكوك ، المكان الصلب الغليظ . والعريزب والعريزب ، الصلب الشديد الغليظ . والصاب ، المكان الغليظ الحجر وقد شمس المكان اذا غلظ وصلب واشتد . ومجن الشيء - مجنوناً ، غلظ وصلب . والخابي الغليظ الصاب .

(الطويل او القصير) - والغملوج ، الغليظ الجسم الطويل<sup>(١)</sup> . والكنادر ، الغليظ القصير مع شدة ويوصف به الغليظ من حمر الوحش . والجذميظ ، الاكول القصير الرجلين الغليظ الاشم . والاورز ، الغليظ اللحم في غير طول . والخشاب القصير مع غلظ فيه . والوهن ، الرجل القصير الغليظ ومثله الكسكاس والجذظار . والحزابي من الرجال والحمر ، الغليظ الى القصير يقال رجل حزاب اذا كان غليظاً قصيراً ومثله الحزابة والجذزاب . والجذبر ، القصير القامة الغليظ القصب - والقاب الغليظ القصير الجذبر ، الذي لم يمحكم فحنه ومثله الجمبري . والمجذبر ، القصير الغليظ الشثن الاطراف كالجندر وهي مجذرة . والجشم ، القصير الغليظ مع شدة . ورجل وقوم زوازية ، قصار غلاظ . والجورم ، القصير الشديد الغليظ السمين . والكلاكل والكلاكل ، القصير الغليظ الشديد . والكأولل والمكولل ، القصير اومع غلظ اومع فحج ويقال اكوال الرجل اي كان كأوللاً . والحبتلي ، القصير الغليظ . ورجل

(١) ومثله الغمليج والجذشاب .

ظُرْبٌ ، غليظ قصير ومثله الرصم . ورجل زوّاز ، غليظ الى القصر . والمكثب .  
الغليظ الشديد القصير .

(الحبل) - والجُمالة ، الحبل الغليظ سمي به لانه قوًى كثيرة جمعت فأجملت جملة  
وقال مجاهد في حبال الجسور ومثله الكرّ والأندري .

(الشجر) - والعَضاض ، ما غلظ من الشجر . وشجرة بجأس وشهد جلس ، غليظ .  
والجلس ايضاً الغليظ من الارض . وقد أعرد الشجر اذا غلظ وكبر . وليفتت الفسيلة ،  
غلظت وكثر ليفها . وقشّر الشجر - قشّراً ، غلظ قشره . والجَزَن والجَزَل ،  
الخشب الغلاظ .

(الطريق) - والذِقاب الطريق في الغلظ ومثله الثَجَن والثَجَن ، والمثقب ، طريق  
في حرة وغلظ . والضَلوع ، الطريق من الحرة . وطريق اعروري ، غليظ . وطريق  
ظليف ، غليظ لا يؤدي اثرأ ومثله ارض ظليفة .

(الصوت) - والأَجَش ، الغليظ الصوت من الانسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره  
وفي الحديث انه سمع تكبير رجل أجش الصوت « وفرس أجش الصوت ، في صهيله  
جشش قال ابن دريد : هو مما يحمّد في الخيل . الخُشارم ، الصوت الغليظ . والجُشّة  
والجَشش ، صوت غليظ فيه بحة يخرج من الخياشيم . والجُشّة ، خشونة في الصدر  
وغلظ في الصوت وسعال . والعُذّة ، ما يعتري الغلام عند بلوغه اذا غلظ صوته . والهدّ  
والهدد الصوت الغليظ . وصوت نافع ، غليظ جاف . والأُبح ، العود الغليظ الصوت  
- والهم لغلظ صوته - والدينار الأبح في صوته قال الجعدي يصف الدينار :

وأبح جندية وثاقبة . - بُكت كثافة من الحجر

وقد شجع الغراب اي غلظ صوته . ونج الهدد نباحاً اذا أسنّ فغلظ صوته .

(الفرس) - وفرس جَديد ، غليظ قصير ج جعاد . والجَحَرش ، الفرس الغليظ .  
المجتمع الخلق . والبُوب ، الفرس القصير الغليظ اللحم القسيح الخطو البعيد القدر .  
وفرس بُجّة ثن الخلق ، غليظ شبه باصل الشجرة في كدنه وغلظه .

(البعير) - والجُذري ، البعير الشديد الغليظ . والدَّاءك ، الناقة الغليظة  
المسبرخية . والعَرة نسي ، البعير الغليظ العنق . والمكنا ، الناقة الغليظة الاخلاف .

والعَنْتَرِيس ، الناقة الغليظة الوثيقة . والمعكاء ، الابل الغلاظ السمان . والوشْن ،  
البعير الغليظ يقال بعير وشن . والعَرَبَاض ، البعير الغليظ ايضاً . وناقاة مملحة ، مدارة  
غليظة كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والكِنْدَاوُ ، الجمل الغليظ .

(الارض) — والجَدَش ، الارض الغليظة ج أجداش . والجَبُوب ، الغليظة  
من الصخر لا من الطين . والجَرَجُ ، الغليظة ذات الحجارة . والجِرْلَاء ، الغليظة وكذا  
الجَمَاس والجَعْد والجَمْلَاء والجَعْسَاد وتوصف به فيقال ارض جهاد والصمحاء والصحمر  
والصميرة والصحاء والبكر شدة والكرفانة والكأمة والكلام والقيقاء والقيقاء  
والكيدة ( لانها تكد الماشي فيها ) والكبدب والشصاء والجَرَن والكرفشة والزلفة  
والعَنْب والخُف ، والعَزَن ما غلظ من الارض في ارتفاع .

« للبحث صلة »

(النبك) : سالم خليل رزق



# آراء وأفكار

— « » —

الترجمان المغرب عن دول

« المشرق والمغرب »

كتاب مازال مخطوطاً مؤلفه أبو القاسم الزياني أحد كتاب دولة العلويين في المغرب الأفعى . ومنصب الكتابة في هذه الدولة من أعلام المناصب وربما استغني عن الوزير بالكتاب بل ان الزياني هذا فوق مناصبي الكتابة والوزارة كان سفيراً ايضاً فقد أرسله مولاي محمد بن عبدالله سلطان المغرب سنة ١٢٠٠ هـ سفيراً الى الاسنانة لدى السلطان عبدالحميد الاول . وكان الزياني من رجال العلم والدين والتقوى ولم يكن من رجال الادارة والسياسة المبتنية على الحيلة والدهاء . ويعوزها حزم وزكاء . ولم يكن في الزياني شيء من ذلك وانما فيه بساطة واخلاص وصدق وأمانة . وكان سلاطين المغرب يضطرونه الى خدمة دولتهم اضطراراً . وقد جرت ذلك عليه بلاء ومحن . فكان يكثرت التبرم من اشتغاله بالسياسة ويتمنى على الله ان ينقذه من شرورها . وقد وصفه السلطان العثماني وصفاً صادقاً كما ذكر ذلك الزياني في مخطوطته التي نحن في صدد وصفها فقد قال ما خلاصته :

وجهني السلطان بهدية الى السلطان العثماني فأقامت ثمة ثمة يوم وقضيت الغرض ورجعت . فوجه معي السلطان أحد خدامه بهدية الى سلطانك وكتب اليه كتاباً مدحني فيه فقال : « وصلنا من مقامك الأسنى عشرون سفيراً وأحسنهم عقلاً ونبلاً وسياسة (؟) وأدباً فلان ( يعني الزياني ) فانه أدى لنا رسالتك وعديتك بادب وانفصل عنا بادب فمثله من يكون سفيراً بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيهه سفير من أطرافك فليكن هو فان باطنه وظاهره سواء » . وبهذا المعنى كتب الوزير (العثماني) يوسف باشا كتاباً الى

السلطان ( المراكشي ) فلما قرأ السلطان ذلك مر مروراً عظيماً ولما خرج للشور ؟ أمر بقراءة المكاتب في الملاء وقال « هكذا نحب أصحابي فجزاك الله خيراً فإني لا أوجه الهدايا للمجانبيين الا معك » .

اما مخطوطته فقد كنت أبحث عن نسخة منها حتى ظفرت بها عند صديقي السيد حمزة الرقيق في مدينة ( وهران ) واذا هي في ٥٨٤ صفحة مكتوبة بخط مغربي غير واضح وفيها تحريف بعسر تصحيحه وقد ألفها مؤلفها سنة ١٢٢٦ هـ وكتبها كاتبها سنة ١٢٨٦ هـ اي بعد تأليفها بستين سنة .

وقال المؤلف في سبب تأليفها انه كان يوماً في مجلس مولاي سليمان ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله فجرى ذكر الامم الخالية والدول الماضية . فكفه مولاي سليمان ان يضع تأليفاً جامعاً للدول ولأنساب قبائل المغرب فاعتذر فألح عليه . وفي اثناء ذلك مات السلطان محمد خلفه ( السلطان الجديد امير المؤمنين اليزيد ) فنكبه هذا السلطان وسجنه وبقي مسجوناً حتى مات السلطان فخرج من السجن وأزمع الرحلة عن بلاد المغرب فمنعه منها السلطان الجديد صديقه مولاي سليمان بن محمد وقلده ولاية ( وجدة ) فذهب اليها فنهيه الأعراب في الطريق فانقطع في مدينة ( تلمسان ) وأقام فيه معتزلاً والى هذا الكتاب . ورتبه هكذا :

( المقدمة ) لنضمن ما يجب على السلطان وله

( الباب الاول ) آدم والطوفان

( الثاني ) تفرق اولاد نوح

( الثالث ) دولة الفرس

( الرابع ) ملوك اليمن

( الخامس ) الفراعنة

( السادس ) بنو اسرائيل

( السابع ) البابليون

( الثامن ) اليونان

( التاسع ) الروم

- ( العاشر ) الاسلام وظهور النبي عليه السلام  
 ( الحادي عشر ) بنو أمية وفتح الاندلس  
 ( الثاني عشر ) بنو العباس الى ظهور بني عثمان  
 ( الثالث عشر ) الفاطميون الى ظهور الايوبيين عليهم  
 ( الرابع عشر ) بنو عثمان  
 ( الخامس عشر ) الادارسة وملوكهم الى زمن المؤلف  
 وبعد هذه الأبواب :  
 ( جامعه )

( خاتمة ) ضمنها رحلته الى المشرق والاستانة والحجاز  
 ( فصول )

وذكر في الجامعة وصفاً لملك آل عثمان لا يقره عليه التاريخ الصحيح : من مثل ان  
 العثمانيين كانت سلطتهم ممتدة الى بلاد فارس وخراسان وجرجان وطبرستان وبخارى  
 وسمرقند وخوارزم الخ الخ ثم ذكر بجملاً من تاريخ آل عثمان بعد ضعفهم وقوة دول  
 الاقربج حواليتهم حتى تبدد ذلك الملك التاسع ولم تبقى منه سوى بقية كانت سلطة  
 العثمانيين عليها بالاسم ايضاً ولم تكن لهم سلطة فعلية الا في ما جاور الاستانة من الولايات  
 وأشار الى قيام الوهابيين في جزيرة العرب و ( آل رسول ) في اليمن حتى غلبهم الزيدية  
 قال : « ولم يزل امر هذه الدولة العثمانية يضعف وهي في مرض من الايام وهم يعالجون  
 مرضهم بالسياسة والتدبير الى ان يتم امر الله في شأنها عند هزمها » وأشار ايضاً الى ان  
 العثمانيين كانوا يجارون رعاياهم فلا يردون لهم طلباً مهما كان ، خشية اغتنام دول اوربا  
 الفرص وهجومها عليهم . وما أنقله هنا من هذا الكتاب هو الذي يستحق النقل وما سواء  
 لافائدة فيه . اللهم الا رحلته الى المشرق فانها على صغر ما صورة للعالم الاسلامي منذ مئة  
 وثلاثين سنة . وقد عازمت على نشرها في كتاب على حدة .

( تلسان ) : محمد سعيد الزاهري



## مطبوعات حديثة

—\*—

### جزيرة رودس

« تأليف حبيب غزالة بك عضو الجمعية الجغرافية المصرية طبع في مطبعة »  
« الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٩ م في ٨٧ صفحة »

كتب المؤلف عن هذه الجزيرة وجغرافيتها وتاريخها وآثارها كتابة موجزة لكنها  
منقنة في تحقيقها وحسن تلخيص أخبارها منذ أول عهدا إلى نزول الدولة العثمانية عنها  
إلى دولة إيطاليا في معاهدة لوزان . ومما زاد هذا الكتاب حسنا ونقرا بـ فائدة أنه قد أجيد  
طبعه وورقه وزين برسوم أنقش تصويرها وتمثيلها من ذلك رسم صنم رودس الشهير  
الذي هو إحدى العجائب السبع عند الأقدمين وحصار العثمانيين لرودرس ورئيس  
الفرسان الشيفالية ( دي ليل آدم ) أمام فسطاط السلطان سليمان . ومنظر عام لمدينة  
رودس في العصور الوسطى وجامع الرئيس مراد وتمثال فينوس . عدا رسوم الخرائط والنقود  
وغيرها . فالكتاب على صغر حجمه غايه في الفائدة والإمتاع لمحبي التاريخ . فالتشكر  
لمؤلفه الفاضل .

« المغربي »

==﴿﴿﴿﴿﴾﴾﴾﴾==

### اصلاح الوعظ الديني

« تأليف محمد عبد العزيز الحلبي أستاذ الشريعة الإسلامية بمدرسة دارالعلوم »

« المصرية طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٢٩ م في ٢٥٥ صفحة »

موضوع هذا الكتاب من خيرة الموضوعات التي يلزم تخصيص القول فيها لقوة علاقه  
بدهماء الأمة الإسلامية وشدة حاجتهم إلى الاستفادة منها: فإن من يسمع الخطب الجمعية



كل جمعة والدروس الوعظية من وقت الى آخر في المساجد ولا سيما شهر رمضان — عرفان هذه الدروس وتلك الخطب لا تؤدي الى نتيجة حسنة في الدين ولا في الاخلاق بل ان الأثر على العكس تزيد الدهماء تمكناً من الجهل وإمعاناً في الخرافات لهذا وجب الترحيب بهذا الكتاب الجديد الذي ألفه الأستاذ الخولي وقد ضمنه أبحاثاً في الإرشاد عامة وطريقة الإرشاد النبوي وما ينبغي ان تكون عليه الخطب المنبرية والدروس الوعظية وذكر فيه نماذج من عصرية من دروس وخطب مما يناسب روح هذا الوقت و يتفق مع عقول أهله الى غير ذلك من الفوائد والنصائح المتعلقة بهذا الموضوع الجليل فتلفت اليه الانظار . ونشكر المؤلف والطابع على هذه الخدمة الدينية التي قاما بها نحو أمتهما .

« له »

### المفكرة الزراعية

« وهي تذكرة لأسس الفنون الزراعية جاءت في ٤٥٠ ص من القطع الصغير »

« تأليف السيد وصفي زكريا »

من العجيب ان طلاب العلم في بلادنا اذا ما انتهوا من تلقي الدروس في المدارس العليا حسبوا انهم بلغوا في العلم سدة المنهى فأحرقوا الكتب او القوها الى الخزائن طعماً للعث شبيهاً . وبندر ان تجد بينهم أناساً أدركوا ان الدرس يجب ان يكون بعد المدرسة خاصة وان المدارس مهما كانت درجاتها ليست سوى مفتاح للمعلوم او دليل يريهم الطريق التي يجب ان يسلكوها حتى يصلوا الى بنايع العلوم المتدفقة فيرشقوا من معينها بعض القطرات ثم لنطفي شعله حياتهم القصيرة قبل ان يرتقوا .

ومن الأفراد القلائل الذين داوموا على الدرس بعد ان تخرجوا في المدارس الزراعية صاحب هذه التذكرة المفيدة حيث يجد القاري خلاصة في أهم الفنون الزراعية كالزراعة العامة والخاصة والاشجار المثمرة والبقول والدواب الدواجن والطيور الدواجن والنحل ودود الحرير والآلات الزراعية والحشرات وامراض الزروع والجغرافيا الزراعية والموازين والمكاييل والاعمال الزراعية التي توثق في كل شهر من شهور السنة الخ . .

ولقد أجاد المؤلف من حيث الفن ولم يجد من حيث اللغة . ولوانه عني بلغة كتابه  
عنايته بمضمون أبحاثه لازدادت فوائده .  
مصطفى الشهابي



### اسرار المراهقة في الفتى

« تأليف الدكتور شخاشيري »

كتب وضعه الفاضل الدكتور شخاشيري وضمنه أحاديث دارت بين أب طبيب وابنه المراهق في شؤون دور البلوغ ووظائف أعضاء الرجل التناسلية وما يرافق هذا الدور من تغيرات نفسية وجسمية وما يحدق به من الأخطار الاجتماعية وما يتطلبه من عناية ورعاية صحية وأخلاقية وفي فضائل الزواج الشرعي في سن الرشد ومساوي الدعارة والعادة السرية وغشيان دور الفحش وما ينشأ عنها من الأمراض البهيمية والآفات العضالة كالزهري مما لا ينحصر ضرره في صاحبه بل يمتداه الى بنيته وأسرته وأمة وذلك بأسلوب حسن وعبارة سهلة يخامرها قليل من الخطأ النشائي في الغالب عن السهو من ذلك جعل الهزمة المكسورة فوق الألف كأنسان ، وأنشباع وأنماء الخ والصواب وضعها تحتها أو تشكيلها . ومنه قوله ص ٤١ س ٩ « اتجها ناحية » والأولى الى ناحية . وقوله ص ٤٣ س ٣ « ولا يبعد ان تصاب الام — ما أصاب غيرها » والصواب ان يصيب الام ما أصاب . أو ان تصاب الام بما أصيب به غيرها . وقوله ص ٤٥ س ٦ « وجاءت اولادها مصابين » والصواب باولادها أو وجاء اولادها . وفي ص ٤٨ س ١٠ « وما تلك الحجرة الا مكان آخر للفسق والدعارة أو مكانان اجتماعاً (بالثنوين) فيهما من كل فاكهة زوجان . » فعبارة مكانان اجتماعاً غير واضحة . وغير فصيحة . الى غير ذلك من الخطأ الذي لاصلة له بجوهر الموضوع ولا يخفى هذا الكتاب فائده الكبرى في إصلاح الأخلاق ومكافحة الأمراض الاجتماعية التي تهدد كيان الأمة والأمة .  
اسعد الحكيم



## اسرار المراهقة في الفتاة

« تأليف الدكتور شخاشيري »

رسالة وضعها الدكتور شخاشيري بصورة حوار بين والدته وابنتها ثم بين الابنة ووالدها في موضوع تشرح الجسم البشري والمحيض والخطبة . وقد استغرق قسم التشرح زهاء نصف الرسالة وجله يتعلق باسماء العظام التي يتألف منها الهيكل العظمي مما يجعل هذا البحث جافاً مملاً . لاسيما وهو بعيد عن موضوع الكتاب . ولم يأت في هذا البحث التشرحي ذكر لاعضاء المرأة التناسلية الباطنة التي هي ركن الموضوع . ثم تنطرق المؤلف الى مواعيد المرأة وكيفية حصولها والتدابير الصحية التي يجب عملها خلالها . وختم الكتاب بحث خطير في نتائج العلاقات غير المشروعة وعواقبها الوخيمة وفي آداب المعاشرة والسلوك التي يطلب الى المرأة مراعاتها ولا سيما مع الخطيب مدة الخطبة . . . . والرسالة خاصة بالمرأة المسيحية دون المسلمة لان ما يتعلق فيها بالمعاشرة والخطبة لا يتلاءم مع التقاليد الاسلامية ولأت امور الحيض نعلمها المرأة المسلمة قبل البلوغ مع دروسها الدينية لانها مرتبطة بمبطلات الصلاة .

اسعد الحكيم

## الانتدابات في العراق وسورية

« بقلم السيد محمد جميل بيهم »

هو كتاب يبحث في القطرين العربيين العراق والشام من الوجهة السياسية والعمرانية والاقتصادية ، يستوعب مئة وسبعة وثلاثين صفحة ، وهو مطبوع في مطبعة العرفان بصيدا ومصدره بتقديمه الى الامير شبيب أرسلان .

اما الأبحاث السياسية والمقارنة بين أساليب الانكليز ومناهج الافرنسيين في ادارة البلاد التي عهدت جمعية الامم الى كل منها الانتداب عليها وما هي السياسة التي تتوخاها الدول المنتدبة والنهج الذي يقتضي ان يتبعه سكان البلاد تجاه هذا الانتداب الاوربي عليهم — فهي موضوعات لا شأن لنا بابداء الرأي فيها لخروجها عن دائرة موضوعات المجمع . واما من حيث أبحاثه العمرانية والاقتصادية في هذين القطرين العربيين فلا

تخرج عن حد التبسط في شيء من التاريخ القديم ونزر من التاريخ الحديث في عهد الدولة العثمانية ، وفي شرح الطرق والمواصلات ومظاهر الحياة والزراعة والتجارة وتعريف النهضة العلمية في الشباب ونهضة المرأة الى غير ذلك من التجديدات التي أدخلها التمدن المصري على جميع البلاد الشرقية ومن جملتها — بل من افلها اقتباساً بالنسبة الى مصر والهند — العراق والشام . وان كل بحث من هذه الأبحاث يدور ويتحول في هذا الكتاب حتى ينصب في البركة التي بغرف منها المؤلف مادة واحدة وهي الطموح الى الاستقلال .

مثل هذه الموضوعات بتعدد كتابتها بلغة لا تكون بسيطة على ان لغة هذا الكتاب وان كانت بسيطة الا انها معربة وسلسة وخالية من التراكيب الركيكة ومن الاوضاع التي عليها مسحة العجاجة مما جرت عادة محوري الصحف باستعماله ، واذا ما اضطر المؤلف الى استعمال كلمة انكليزية او افرنسية درجت الالسن عليها وضع معربها بجانبها بين قوسين . وكثيراً ما استشهد بابيات من الشعر لدعم الحجة التي يدلي بها .

عبد الله رعد

### حياة بوذا

#### « والمذهب البوذي »

السيدة ماري غالو واضعة هذا الكتاب باللغة الافرنسية قضت ردها من حياتها متنقلة في الهند والصين منقبة عن الديانة البوذية وعاداتها وكتبها . ويظهر انها كتبت في هذه الديانة العريقة في القدم كتباً متعددة منها هذا الذي نحن بصددده وهو يأتي في مئتين وعشرين صفحة وبين صفحاته ثمانون رسماً تمثل المعبود بوذا بهيئات مختلفة ومعابد وكنائس بوذية الى غير ذلك من النقوش القديمة الهندية والصينية .

لغة هذا الكتاب بسيطة ويستحيل على مؤلفته وعلى اي كان من المؤلفين ان يكتب في موضوع غريب كهذا محشو الفاظاً أعجمية بلغة غير اللغة البسيطة . الا ان نبوءه يشهد للمؤلفة بطول الاناة والصبر وكثرة المطالعة . اما مطالعته فلا تنهم الا المؤلفين بالقراءات والمطالعات عن الغرائب .

عبد الله رعد



## · المخطوطات ·

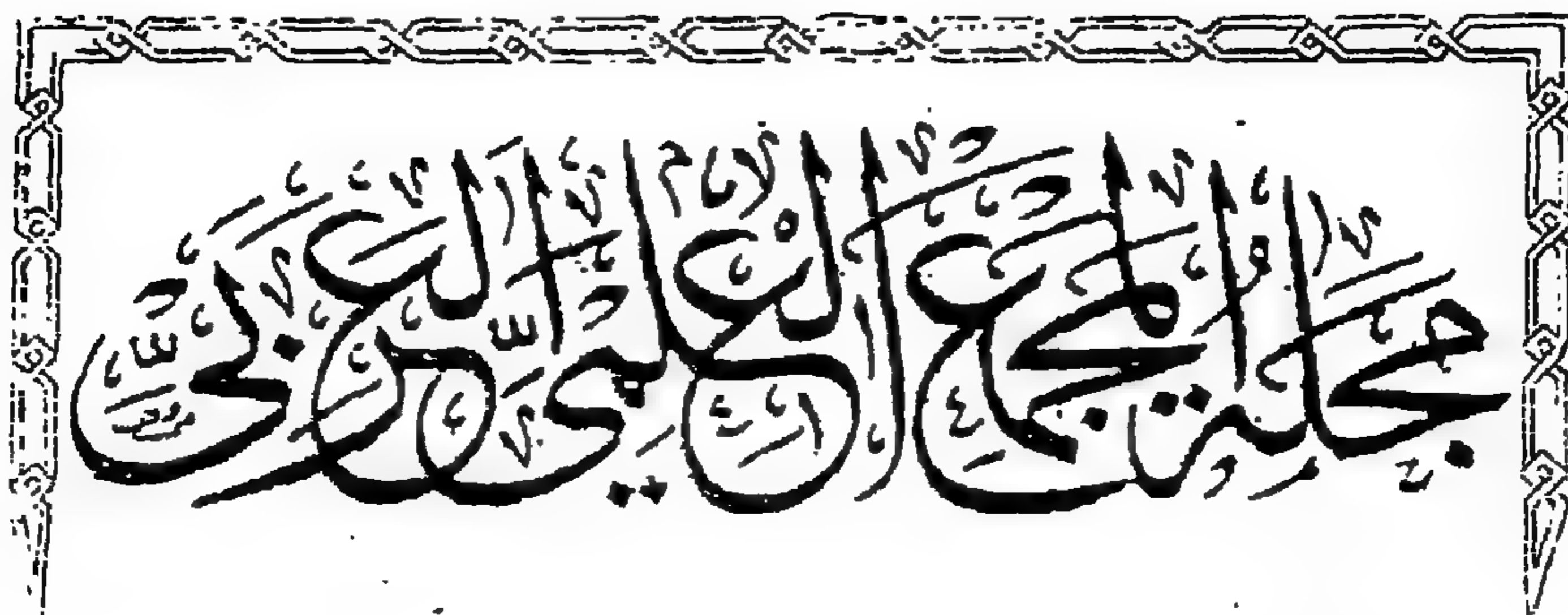
التي اقتناها المجمع العلمي في هذه السنة

(١) كتاب الفروسية والبيطرة في علامات الخيل تصنيف أبي حزام بن يعقوب الحنبلي  
أوله ( الحمد لله ولي الحمد · أهله ومستخلصه لنفسه · أحمدته حمد من خضع لعظمته وخشم  
لوحدايته الخ · وهو جزآن في نحو ٢٥٠ صفحة بالقطع المتوسط · وقد كتبه ( الفقير حمزة )  
سنة ست بعد الألف · وفي الكتاب صورنا فرسين أحدهما باللون الأحمر والأخرى  
باللون الأسود · وقد كتب بجانب أعضاء كل فرس أسماءها في اللغة العربية ولكن  
الصورة الثانية مشوهة وغير كاملة التخطيط ·

(٢) « كتاب تواريج ملوك الروم من تملك قسطنطين الكبير الى تملك قسطنطين  
الآخر وهو باقي من دون اعراب على استخراجها الاصل من اليوناني الى العربي » · هكذا  
كتب على ظهر الكتاب · وقوله وهو باقي من دون اعراب الخ كأنه اعتذار عن ركاكة  
ترجمته · وأوله هكذا « بسم الله الواحد بالذات · والمثلث بالصفات ( · ولما بلغ المؤلف الى  
قسطنطين الاخير الذي انتهت به ملوك الروم في القسطنطينية استأنف الكلام على ملوك  
الأتراك العثمانيين فذكر من أحوالهم مع ملوك الروم ثم فتح القسطنطينية · وذكر سلاطينها  
واحداً إثر واحد حتى انتهى بقوله « وتلك السلطان مراد ابن السلطان احمد في سنة ١٦٢٤ م  
هذا كان رجلاً عادلاً شجاعاً شهماً وكان يحب جنس المسيحيين كثيراً وكان عالي الهمة في  
الحروب » اه · والكتاب مجلد كبير القطع متين الورق واضح الخط مشرق الحرف في  
نحو ٣٨٠ صفحة وجلده أسود رهباني متين ·

ثم قال كاتب النسخة « نسأل الكريم النجاة من كيد الاكليروس وجملة الرهبان الغير  
حافظي الزمام الراغبين الفخمة وكبر المقام » وهكذا كتب عظة مختصرة في ضرر الكبر





العدد ١٣٣٩ : سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تتشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني - كانون الاول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
«	٣٠٠	الخامسة الى العاشرة « «
في الخارج	٦٠٠	الاولى الى الرابعة « «
«	٣٥٠	الخامسة الى العاشرة « «





## كتاب الرموز<sup>(١)</sup>

« تأليف ابن أبي السرح<sup>(٢)</sup> »

بمحقق الدكتور س. م. حسين ، أم - أبي ، دي - فل (أكسن)  
أستاذ الآداب العربية والعلوم الإسلامية بجامعة دهاكه في الهند  
ان لكل أمة<sup>(٣)</sup> اموراً تستعملها<sup>(٤)</sup> عن رموز النفس كنيرنجات الرأس ووجه الهند  
وعقد الروم . وهذه الامور تسميها فلاسفة اليونانيين (الجانيةومات) ورموز النفس في  
هذا الموضع تنقسم الى ثلاثة اقسام : قسم منها رمز فوق الطبيعة كالرقي والوهم وهو الذي  
يقول فيه انبذقليس الفيلسوف ان النفس كلمات روحانية من نحو ذاتها ، وقسم منها  
رمز نحو ( الطبيعة<sup>(٥)</sup> ) كتعليق الخرز<sup>(٦)</sup> وما يشبه ذلك . وقسم منها رمز فوق الطبيعة

- (١) عن مجموعة محفوظات في مكتبة راغب باشا بقسطنطينية عدد رقمها ١٤٦٣  
ض ١٠٠-١٠٦ (٢) كذا في كتاب الفهرست ص ١٢٨ «ابن أبي السرح» وبالأصل  
«ابن أبي سرح» وهو ابو العباس احمد بن أبي السرح الكاتب ، ذكر ابن النديم : ان له من  
الكتب كتاب العلوم وما جاء فيه وله رسائل ، فمنها كتاب الرموز هذا وجاء فيه ذكر  
كتابين آخرين كتاب في أخبار الكلب الكلاب وكتاب الاوعتيان - راجع ص ١٣ .  
(٣) كلمة «أمة» محذوفة في الاصل ضبطناها بمقتضى الكلام ، لعلها سقطت عن يد  
الكاتب . (٤) في الاصل «امور استعملها» محرفاً عن «اموراً تستعملها» .  
(٥) (المجمع) لعله تحت الطبيعة . (٦) «المجمع» هكذا ضبطها المصحح اي بفهم اوله  
والصواب فتحها والخرز بفثحتين معروف اما بضم ففتح فجمع خرزة وهي الثقبه فيها الخيط وتسميها  
عامتها «طعنة» وهذا المعنى لا يناسب هنا . ولعل صوابه (الخرز) يزاهين وضم الخاء  
ومعناه ذكر الأثران وقد سقطت كلمة (كعب) والأصل (تعليق كعب الخرز) وتعليق  
كعبه خرافة معروفة منذ الجاهلية وسيأتي ذكر ذلك والاستشهاد عليه في كلام المؤلف .

وايضاً نحو الطبيعة ممّا كالرقي<sup>(١)</sup> والتأثيل واستعمالها في حال واحدة . والمعرفة بان للنفس رموزاً وان هذه الاقسام من رموزها انما تجب بعد اتفاق القول (لعله القوي) ولواحقها وهذه من صناعة الفلاسفة ليرى من الغرض الذي تريد قصده فشكك في القول فيه بالبراهين الموضحة عن حقيقته . وللعرب أفعال عن رموز النفس حسب ما لساثر الامم ولم أر احداً من مؤلفي الكتب عني يجمع ذلك . وانما هي منشورة متفرقة بين الاخبار<sup>(٢)</sup> فجمعت من ذلك ما اعرف في كتاب لا كني ملتصقة مؤونة الطلب وبالله أستعين وعليه أتوكل .

قال ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكوفي : كانت العرب اذا أمكت السماء عنهم<sup>(٣)</sup> فطرّما وأرادوا ان يستمطروا عمدوا الى السامع والعُشّار فعدّوهمما في أذنان البقر واخبروا فيهما<sup>(٤)</sup> النار واصعدوها في جبل وعمر وتبعوها بدعون الله ويستسقونه . قال أمية بن ابي الصلت التقي في ذلك :

سنة ازمة تخيل<sup>(٥)</sup> بالناس من ترى للعضاء فيها صريرا  
لا على كوكب نوء<sup>(٦)</sup> ولا رب مع جنوب ولا ترى طُحوراً  
و يسوفوت باقر السهل للطور<sup>(٧)</sup> د هازبل خشية ان تبورا  
عاقدين النيران<sup>(٨)</sup> في اطلق<sup>(٩)</sup> الاذنان منها لكي تهيج البعورا

(١) بالاصل « معاد الرقي » كذا محرفاً عن « ممّا كالرقي » .

(٢) أوردتها الأتومي في كتابه بلوغ الارب في أحوال العرب ج ٢ ص ٣٠١-٣٢٠ وج ٣ ص ١-٢٠ وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٤٣٠-٤٥١ ، وذكر بعضها النويري في كتاب نهاية الارب في فنون العرب ص ٣ ص ١١٦-١٢٦ والقلقشندي في كتاب صبح الاعشى ج ١ ص ٣٩٨-٤١٠ والشيخ شهاب الدين احمد الأبهشي في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ص ٨٩-٩٣ .

(٣) بالاصل عنها (?) . (٤) في الاصل نية . (٥) في بلوغ الارب ٢+٣٠١ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٢ « تبرج » . (٦) في الاصل « بنوء » كذا مضبوط (٧) (٧) بالاصل « للطور » (?) . (٨) بالاصل « الثيران » . (٩) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة فيما مضى « تكن » وفي نهاية الارب ٢+١١٠ « بكر » .

سَلَمَ ما ومثله عشر ما عائل<sup>(١)</sup> ما وعالت البيقورا  
وغلط في هذا البيت عيسى بن عمر فقال لا أدري مامعني قوله «عل ما» وصحف  
الأصمعي في بيت من الأبيات فقال «وعالت<sup>(٢)</sup> البيقورا» قال ابن السكيت ومعني قوله  
«وعالت البيقورا» أي ان السنة الجذبة أثقلت البقر بما حملتها<sup>(٣)</sup> من السلع والمشر .  
وأنشد الجاحظ في هذا المعنى للورك الطائي :

لأدرَ درُ رجالٍ<sup>(٤)</sup> خابَ معهمُ يستمطرون لدى الأُزمان<sup>(٥)</sup> بالهـُشَرِ  
أَجاءلُ انتَ بيقوراً مسلعةً ذريعة<sup>(٦)</sup> لك بين الله والمطر  
قال أبو المنذر : وكانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحو المغرب من بين الجهات قصداً  
الى العين يعني عين المطر .

قال الشرقي بن القطامي : كانت العرب اذا أوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء  
واما لان لا عطش بها ضربوا الثور لان تقتحم البقر الماء<sup>(٧)</sup> وكانوا يقولون ان الجن تركب  
ظهور الثيران فتصد البقر ( عن الماء ) لذلك قال الاعشى :

لكالثور والجنّي يركبُ ظهره<sup>(٨)</sup> وما ذنبه انت عافت الماء مشرباً  
وما ذنبه انت عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتشرباً<sup>(٩)</sup>  
وأنشد ليحيى بن منصور الدهلي :

- (١) في الاصل (عائك) وفي شرح نهج البلاغة (عامل) لعله تحريف .
- (٢) ويمكن ان يحمل تفسير الأصمعي على حمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهملت يقال غاله  
واغتاله أي أهلكه وغالتهم غول يعني المنية ومنه (الغضب غول الحلم) — ابن أبي الحديد
- (٣) بالاصل (حملت) (?) (٤) في بلوغ الأرب ٣٠٢+٣ (أناس) .
- (٥) في شرح نهج البلاغة ٤٣٤+١٩ وبلوغ الأرب فيما مضى «الاعسار» .
- (المجمع) ويروى الأزمات جمع أزمة بمعنى القحط .
- (٦) في صبح الاعشى ٤٠٩+١ (وسيلة) . (٧) ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم  
البقر بعده — شرح نهج البلاغة . (٨) روي في بلوغ الأرب ٣٠٤+٢ وشرح نهج  
البلاغة ٤٣٥+١٩ «يضرب وجهه» . (٩) في نهاية الأرب ١٢٣+١ وشرح نهج  
البلاغة فيما مضى آنفاً «ليضرباً» .

لكالثور والجني يركب ظهره وماذنبه ان كانت الجن ظالما (?)

وقال نهشل بن حرمي :

أترك عامر<sup>(١)</sup> وبنو علي<sup>(٢)</sup> وتغرم دارم<sup>(٣)</sup> وبنو يراة (?)

كذلك الثور يضرب بالهراوي اذا ما عافت البقر الظباء

وقال عوف بن الخزرج :

هجوئي ان هجوت خيال سلمي كضرب الثور للبقر الظباء

وقال أنس بن مدرك :

إني وقتلي سليكا<sup>(١)</sup> ثم<sup>(٢)</sup> اعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

وقال الليثاني : كانت العرب اذا سافر الرجل منهم عمدا الى خيط فعقده في غصن

شجرة او ساقها فاذا رجع نظر الى ذلك الخيط فان وجده على ما عقده قضى بان اهله لم

تخنه وان رآه حُلَّ حكم بانها قد خائنه واسم ذلك الخيط (الرتم) وقال ابو زيد : وهو ايضا

اسم للخيط الذي بعقده الرجل في اصبعه ليدكر به<sup>(٣)</sup> حاجته وأنشد :

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

وانشد :

خائنه لما رأت شيئا يفرقه وغره حلفها والعقد للرتم

وانشد :

به من الهوى لم وغره عقد الرتم

وقال ابو المنذر : تقول العرب من ولد في القمر<sup>(٤)</sup> رجعت فلفت<sup>(٥)</sup> فكان

كالختون قال ودخل امرؤ القيس مع قيصر الحمام فراه اقلف فقال :

إني حلفت يمينًا غير كاذبة انك<sup>(٦)</sup> اقلف الا ماجني القمر

اذا طمنت به مالت عمامته كما يجتمع تحت الفلكة النور

(١) بالاصل (سليطا) . (٢) ويروى في شرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٤ (قتل سليك

حين) بدل (قتلي سليكا ثم) . (٣) بالاصل (بها) . (٤) في الاصل (القمر) .

(٥) في رواية شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٣) وبلوغ الارب (٢+٣٣١) (نقلت

غرلته) . (٦) ويروى في شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٤) (لانت) وهو الاولى .



قال ابن حبيب : وهذان البيتان ينحلان للأقيسر ( صوابه الأقيسر ) .  
قال ابن السكيت : نقول العرب ان المرأة المقلاة ( صوابه المقلات ) ( وهي التي )  
لا يبقى لها ولد - اذا وطئت فتبلاً شريفاً بقي اولادها . قال الحنفي انما يفعل ذلك اذا قتل  
غدرأ او قودأ قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

نظّل مقاليتُ النساء بطأنه يقطن ألا يُلقي على المرء مئزر

وقال . وتظال المرزآت المقاليت يت يظلمن القعود بعد القيام<sup>(٢)</sup>

وقال ابن الاعرابي : يقول العرب ان من علق على نفسه كعب أرنب لم نصبه عين  
ولا سحر لان الجن تهرب منها لان الأرنب ليس من مطايا الجن لانها تجيئ . قال ابن  
الاعرابي قلت لزبد<sup>(٣)</sup> بن كثوة أنقولون ان من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جذآن  
الحى ولا عمار الدار<sup>(٤)</sup> فقال إي والله ولا شبطات الخماطة<sup>(٥)</sup> ولا جار<sup>(٦)</sup> العُشيرة<sup>(٧)</sup>  
ولا غول القفر وكل الخواص في إي والله وأظنأ عين نيران العالي وتبوخ . وقال امرؤ  
القيس في ذلك :

أيا هند لا تنكحي بوهة<sup>(٨)</sup> عليه عقيقته أحبا

مرصمة بين أزناقه<sup>(٩)</sup> به عسم بيتقي أرنبا

ليجعل في يده<sup>(١٠)</sup> كعبها حذار المية ان يعطبا

وقال ابو عبيدة : كانت العرب تقول اب الرجل اذا دخل قرية يخاف وباءها

(١) بشر بن ابي حازم . (٢) يروى في بلوغ الارب ٢٢٤+٢ وشرح نهج البلاغة

٤٣٧÷١٩ :

وتظيل المرزآت المقاليت اليه القعود بعد القيام

(٣) كذا في بلوغ الارب ٢٢٤÷٢ وشرح نهج البلاغة ٤٤١+١٩ (لزبد) وبالأصل

(لزبد) . (٤) في رواية بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة ( جذآن الدار ولا عمار الحى ) .

(٥) الخماطة شجرة . (المجمع) صوابه الخماطة بالحاء المعجمة اما بالمججمة فذاك الخط .

(٦) في الاصل (حان) كذا بالحاء المعجمة لعله تحريف (جار) : (المجمع) والصحيح جان

بالنون المشددة . (٧) العُشيرة تصغير العُشيرة وهي شجرة . (٨) في الاصل (فوهة) .

(٩) (المجمع) أو صوابه (مرصمة بين أرساغه) (١٠) وروى (رجله) .

فوقف على باب القرية قبل ان يدخلها فعشّر كما ينحني (صوابه ينهق) الحمار — صُرف عنه وباؤها وأنشد في ذلك :

ولا ينفعُ التعشيرُ ابْنُ حَمٍّ واقعٌ ولادعِدْ<sup>(١)</sup> يعني ولا كعب أرنب  
وقال الهيثم بن عدي : خرج عروة بن الورد وأصحاب له الى خيبر ليمناروا فلما قرّبوا  
منها خافوا وباءوا فعشّروا وأبى عروة ان يفعل ذلك وقال :

لعمري لئن عشّرتُ من خشية الردى نهاقُ الحمير إني لجزوع  
فلا وألت تلك النفوس ولا أنت على روضة الأجداد وهي جميع<sup>(٢)</sup>  
فدخلوها وامناروا وانصرفوا بنحو بلادهم فما بلغوا روضة الأجداد الا وقد هلك  
عامتهم الا عروة .

ونقول العرب ان السليم يعلق عليه الحلي والجلال وما أشبهها فيُنطق السليم بذلك .  
وقال الحنفي انما يعلق عليه حلي الذهب لا غيره ولا يقربه الفضة وان علق عليه الرصاص  
هلك .

وقال ابن السكيت قال الصقيل الاعرابي<sup>(٣)</sup> اذا أُسم الانسان عندنا علقوا<sup>(٤)</sup> عليه  
سوارين وطوقاً وما وجدوا من الحلي والتمائم<sup>(٥)</sup> وتركوه عليه سبعة ايام ينفّرون  
عنه الحمة فاذا بلغ سبعا رأوا أنه قد أفرق فتزعوه عنه . قال النضر بن شميل : وقلت  
للسقيل بلغنا انه يعلق عليه لثلا ينام فقال كيف تمنعه الحلي من النوم (?) أليس انما هي حلي  
النساء التي يتحلين بها ويمن فيها (?) انما يسمّد بالجلوس معه . وأنشد الجاحظ لرجل من بني  
مُذرة في ذلك :

كأنني سليم ناله كلُّ حبة ترى حوله حلي النساء مرصّما

(١) في بلوغ الأرب وشرح نهج البلاغة (زعزع) وفي صبح الاعشى ٤٠٦+١ (ودع)  
(٢) وروي في بلوغ الأرب وشرح نهج البلاغة هكذا :

فلا وألت تلك النفوس ولا أنوا قفولاً الى الادطمان وهي جميع  
وبعده وقالوا الا انهم لا تفرك خيبر وذلك من فعل اليهود ولوع  
(٣) في الاصل (اعرابي) . (٤) بالاصل علق .

(٥) في الاصل (الزعات) لعله تحريف . (المجمع) لعله تحريف الودعات .

ويروي مَوْضَعًا - وقال زيد الخيل :

اِثْمُ تَكُونُ الْعَقْلُ مِنْهُ صَحِيفَةً كَمَا عَاقَتْ فَوْقَ السَّلِيمِ الْجَلَّاجِلُ

وانشد <sup>(١)</sup> : وَغَرَّوْا كَمَا غَرَّ السَّلِيمُ الْجَلَّاجِلُ

وأطباء الهند يعالجون الخمرور اذا صار كالما لوس بان يُملَأَ عَلَيْهِ حَلِيّ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ  
الرائع فيفتيق من مُنْهَارِهِ .

وقال ابو صدقة الاعرابي : اذا خفنا على الرجل الجنون وولوع الجن نجسناه بتعليق  
الأفذار عليه : منها خرقة العارك وعظام الموتى وانفع ذلك ان تعلقه عليه طامث ثم  
لا يراها . وانشد <sup>(٢)</sup> :

ولو كان جارتان وراق وعلق أنجاساً على المتنجس <sup>(٣)</sup>

وقال ابن كشوة : ان الاجناس تنفّر عنه كلّ الخوافي ليس نافس (?) المشق فان  
المشق لا ينفعه ذلك . وقالت المحاربة انفع التنجيس ما فعله نجيس او من قد نجس تارة .  
وقال الحنفي : اذا ظهرت بشفة الغلام بشور اخذ منخلًا على رأسه ومرت بين البيوت  
ونادى الحلاً الحلاً الطعام الطعام <sup>(٤)</sup> وبلقي فيه من هاهنا تمرة ومن هاهنا كسرة وبضعة  
لحم فاذا اجتمع ثمره بين الكلاب فيذهب عنه البثر وذلك البثر يسمى الحلاً فاذا اكل منه  
صبي اصبح وقد بثر شفته .

وقال الحنفي : اذا عشي الرجل قطعنا له مناماً وكبدًا فألقيناهما في المقلاة وقليناهما  
جميعاً وأأكله الأعرشي وكما اكل لقمة مسح جفنه الأعلى بسبابته وقال

(١) في بلوغ الارب ٢+٣٠٥ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٠ جاء صدره

وقد عللوا بالباطل في كل موضع

(٢) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة روي للمزنيّ العبدى هكذا

فلو ان عندي جارتين وراقيا وعلق أنجاساً على المعلق

(٣) في الاصل (الجنس) . (٤) في الاصل (المطام) موضع (الطعام الطعام)

لعله تحريف .

يا سنامُ وكَرِدُ لِيذهب اليُدَيْدُ<sup>(١)</sup>  
وَأُنشد ابن السكيت: ليس شفاء اليُدَيْدُ إلا سنامُ وكَرِدُ  
ويسمى العشاء اليُدَيْدُ .

وقال الحنقي: إذا طُرف الرجل عين صاحبه فهاجت مسح الطارف عين المطروف  
بسببته سبع مرات يقول في كل مرة: باحدى جاءت من المدينة . باثنين جاءت من المدينة  
بثلاث جئن من المدينة . الى سبع فتمسك عينه . قال التحياني: وأما بدو تميم فنقول في هذا  
يمسح الطارف عين المطروف ويقول: واحدة من سبع . اثنتان من سبع . ثلاث من سبع .  
أربع من سبع . خمس من سبع . ست من سبع . سبع من سبع .

وقال ابن كثوم: كان الغلام من العرب إذا سقطت له سنٌ أخذها بين السبابة  
والإبهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف<sup>(٢)</sup> سنّه في عينها وقال أبليني بشيء  
أحسن منها ولتجر في ظمها أياك وربما قال أياك وقال بعض الرواة كنا في ديار ابن  
أمية فدخل علينا الشعبي فتذاكرنا فقال الشعبي ما معنى قول طرفة .

بدءَ كذا الشمس من منبته يراد أبيض مصقول الأشر

قلنا لا ندري . فقال كان الغلام من العرب إذا سقطت سنّه رمى بها في عين الشمس  
وقال أبليني بها أحسن منها . وقال المهري ما فعله عربيٌ قط فخرجت أسنانه عرجاً  
ولا ثعلماً وأنشد<sup>(٣)</sup>

سقته أياة الشمس الالئانه أصرِفْ ولم تكدم عليه بأثر يد

وقال أبو دواد الأبادي: التي عليه أياة الشمس أوراها

وقال الخليل بن أحمد: الهقعة دائرة تكون بالفرس<sup>(٤)</sup> فنقول العرب إن صاحب الفرس  
المقوق إذا ركبه فغرق الفرس تحته اغتلت حليته وطلبت الرجال . وقال بعض العرب  
لصاحب مقوق

(١) روي في بلوغ الأرب ٣٢٨+٢ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٣

فيا سناماً وكبد ألا اذهبها الهدبد

(٢) في الأصل (حذف) محرفاً عن (قذف) (?) (٣) لطرفة راجع معلقته .

(٤) وربما كانت على الكتف في الأكثر وهي مستقيمة عندهم .



إذا عسِرَ المهقوعُ بالمرءِ أنمطت حليلته وازداد حراً رِجائهما  
فأجابته :

وقد يُركب المهقوع من لست مثله وقد يركب المهقوع زوج حسان  
وقال أبو محلم : إذا خافت العرب على الصبي نظرةً وخطفةً عاقوا عليه سن ثعلب  
ومن مرّةٍ واشباه ذلك . قال أبو ملجم أرادت جنيّةٌ صبيّ قومه فلم تقدر عليه فلما رجعت  
إلى صويحباتها قلن لها في ذلك فقالت <sup>(١)</sup>

كانت عليه نُقْرَةٌ ثعلبٍ وهرّره والحبيضُ حبيضُ السحرة  
قال الحنفي حبيض السحرة شيء لا يسيل من السحرة في حرة دم الغزال فإذا ببس  
كان أسود . فإذا دبف بالماء عاد أحمر . ما يزال صبياننا حين تلد المرأة يُخَطُّ به وجه الصبي  
ورأسه وبنقطة به وجه أمه . يسميه نقطة النساء . واسم هذا الخط <sup>(٢)</sup> الديدم . وقال ابن  
الكثير إنما هو الدودم .

وقال أبو زيد عمر بن شبّة : تقول العرب إن من خرج في سفر فالتفت وراءه لم يتم  
سفره . فينطيطون من ذلك خلا العاشق فانه ينشأ إلى ذلك ليرجع إلى من خاف .  
وقال الشاعر :

لوى ابنُ أبي الدقاق عينيه بعدما دنا من أعالي إيلياء فقورا  
وقال آخر :

عبل صبري بالثعلبية لما طالب ليلى ومأني قرنائي  
كما سارت المطايا بنا ميلاً لا تنفست والتفت ورائي <sup>(٣)</sup>

قال وإنما التفت وراءه لانهم كانوا عشاقاً فنشأوا الالتفات كي يرجعوا إلى من خلفوا  
قال وكانت العرب توقد خلف المسافر الذي يخضونه والزائر الذي لا يحبون رجوعه ناراً .

(١) تعتذر اليهن . (٢) في الأصل (الحبط) كذا . (٣) هذان البيتان ذكرهما  
الخالم في هذا الباب وعندني انه لا دلالة فيهما على ما أراد لان التفت في اشعارهم كثير  
ومرادهم به الاوبانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على الفراق . قال بعضهم :

دع التفت يا مسعود وارم بها  
وجه المهاجر تأمن رجعة البلد

فقال ابو محمّد : يقولون ابعده الله واسحقه واوقد ناراً اثيراً<sup>(١)</sup>  
وانشد :

ووحمة اقوام حملت ولم تكن لتوقد ناراً اثيرهم<sup>(٢)</sup> للشندم  
وانشد :

صحوت واوقدت للجهل ناراً وردّ عليك الصبي<sup>(٣)</sup> ما استعارا  
اي ابغضت الصبي<sup>(٤)</sup> فلما مضى اوقدت ناراً في اثيره . وفيه قول آخر : تقول نصبت  
له حرباً فأوقدت ناراً كما كانت العرب اذا ارادت الحرب اوقدت ناراً لتعلم اصحابها . قال  
الله عز وجل<sup>(٥)</sup> كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله . وقال عمرو بن كلثوم<sup>(٦)</sup>

ونحن غداة اوقد في خزازي رفدنا فوق رفد الرافديننا

وقال الخنفي : اذا سافرنا اوقدنا النار بيننا وبين المنزل الذي نؤمه ولم نوقدها بيننا  
وبين اهلنا فان اخطأ احدنا فأوقدنا وراءنا قالوا له لا تجعل بيننا وبين اهلنا ناراً واذا  
انصرفنا راجعين اوقدناها من ورائنا لا يكون بيننا وبين اهلنا وقود .

وقال المنذر كانت العرب اذا اصاب ابلهم العرق كودوا السلم ليذهب العرق من السقيم .  
قال الجاحظ : فاستقموا الصحيح من غير ان يبرؤا السقيم . وقال النابغة :

(١) ومن مذاهبهم كانوا اذا رحل الضيف او غيره عنهم واحبوا ان لا يعود كسروا  
من الاواني وراءه وهذا مما يعمله الناس اليوم ايضاً . قال بعضهم

كسرنا القدر بعد ابي سواح فعاد وقدرنا ذهب ضياعا

وقال آخر

ولا تكسر الكيزان في اثير ضيفنا ولا تكسنا نفقيه زاداً ليرجعا

(المجمع) قوله (نفقيه) لم نجد له ولعل صوابه (نقفوه) بتقديم الفاء مقلوب (نقفوه)

بتقديم القاف ومعناه تتبعه بالزاد بينا غيرنا بتبعه بكسر الكيزان .

وقال آخر اما والله ان بني نفيل لخلالون بالشرف البفاع

اناس ليس تكسر خلف ضيف اوانبيهم ولا شعب القماص

(٢) بالاصل (ارثهم) . (٣) في الاصل (الصبي) كذا مضبوطاً .

(٤) في القرآن الكريم (س ٦٤ آ ٦) . (٥) راجع معلقته .

وحملتني ذئب اسرى و تركته كذي العر يگوی غيره وهو رانع  
وقال ابو عبدة كانوا اذا بلغت الابل العا فقأوا عين الفحل فان زادت على الف فقأوا  
العين الأخرى . فذلك المفقأ والمعنى . وكانوا يقولون انت ذلك بطرد عنها العين  
والسواف والغارة . وقال الشاعر في ذلك

فقأت لها عين الفحل تعيداً . وفيهين رعلاء الماسع والهام  
وقال : لقد غار عينا " ابن عمرو وضيغه من الجوع منجوع . ومولود مسلم  
وقال آخر يشكر ربه على ما ودب له

وهبها وانت ذو "مثنان" يفقأ فيها عين البعران

وقال بعض من اسلم من العرب يذكر افعاله في الجاهلية  
وكان شكر القوم عند المن كى الصحيجات ونقأ الاعين  
وقال الفرزدق : غلبتك بالمعنى والمعنى . وبيت الخنبي والمافقات (?)  
والاحتجاج ببيت الفرزدق سه من ابن ابي السرح لان الفرزدق اراد بالمعنى وما شبهه أبيات الشعر  
والبيت " : ( غلبتك بالمعنى والمعنى ) وبيت الخنبي والخانقات

(١) في الاصل عيتين . (٢) وقد ضن قوم ان بيت الفرزدق من هذا الباب وليس  
الامر على ذلك وانما اراد بالمعنى قوله لجرير  
( ولست ولو فقأت عينيك واجداً )  
واراد بالمعنى قوله لجرير ايضاً  
( وانك اذ اسمي لتدرك دارما ) لانت المعنى باجرير المكثف  
واراد بقوله بيت الخنبي قوله

( بيت زرارة مختب بفنائيه ومجاشع وابوالفوارس نهشل )  
( المجمع ) قوله الخنبي " مختب باخاء المعجمة صوابها المختب ومختب بالحاء المعجمة .  
وبيت الخانقات قوله ( ومصعب بالنواج يخفق فوقه ) خرق الملوك له خميس جهميل  
( المجمع ) قوله ( ومصعب ) صوابه بمصعب وقوله في المتن ( والاحتجاج ببيت  
الفرزدق الخ ) اعلم اها مشأ دخلها النساخ في المتن وهو الان ( ابن ابي السرح ) هو مؤلف الكتاب .  
(٣) بالاصل المعنى .

وقال ابو المنذر كانت العرب تقول ايما<sup>(١)</sup> امرأة احبت رجلاً او احبها فلم يشق عليها  
يرقمها ولم تشق في رداءه فقد حبها فاذا فعلاه دام حبهما وامرهما . قال عبد بن  
الحساس<sup>(٢)</sup> في ذلك

فكم قد شققتنا من رداء محب<sup>(٣)</sup> ومن يرقم عن طفلة غير عانس  
اذا شق<sup>(٤)</sup> يرد شق بالبرد يرقم . ودالك حتى كنا غير لابس  
ولندكر خرز العرب واحجارها في هذا المعنى .

قال المهري : ان لنساء مهرة احجاراً يجتلبن بها اليهن ويدفعن بها عنهن وقال  
الحياتي قالت العامرية « ان لنا الحجراً يؤخذ به الرجال عن النساء » .

وقال ابو عبيدة : من خرز العرب الهزجة<sup>(٥)</sup> والفطمة<sup>(٦)</sup> والدرديس<sup>(٧)</sup> والعفلة  
والعظيمة<sup>(٨)</sup> والكحلة<sup>(٩)</sup> والهيرة والقيلة<sup>(١٠)</sup> ويقال القيلة والقلب والينجالب<sup>(١١)</sup>  
والعسفة والصعبة وكرار مثل قطار بالملوانة والهزجة ويقال الهزجة<sup>(١٢)</sup> .

(١) في الاصل ابتها . (٢) صحيح . (٣) في الاصل (محب) .

(٤) تجتلب بها الرجال ويعطف بها قلوبهم ورفقتها : اخذته ( بالعنة ) بالليل زوج  
وبالنهار أمة — شرح نهج البلاغة . (٥) بالاصل (الفطة) كذا . الفطة خوزة  
يرض بها العدو ويقتل . (٦) خوزة سوداء يثجب بها النساء الى بعولتهن توجد في القبور  
العادية واصل الدرديس الداهية وتقل الى هذه لقوة تأثيرها . (٧) في الاصل (العظمة) .  
(٨) خوزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . (٩) القيلة والفطة  
والدرديس كلها لاجتلاب قلوب الرجال . (١٠) في الاصل التجلب .

(١١) ومن خرزاتهم القرزحة انشد ابن الاعرابي

لا تنفع القرزحة العجائز اذا قطعن دونها المفاوزا

وهي من خرز الضرائر اذا لبستها المرأة مال اليها بملها دون ضررتها .

ومنها خوزة العقرة تشدها المرأة على حقوبها فتتمح الحبل ذكر ذلك ابن السكيت في  
اصلاح المنطق .

ومنها الخصة خوزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم او في  
زر القمص او في حمائل السيف قال بعضهم :



وقال ابن حبيب أكثر أحجارهم وخرزهم إنما يستعملونها في الحب والبغض وقال  
الحياتي القيلة حجر أبيض يجعل في عنق الفرس لثلا نصيبه العين .

وقال أبو عبيدة : من رُقام في التجلب<sup>(١)</sup> أخذته بالتجلب ، فلا يرم ولا يغرب ،  
ولا عند الطُّب (?) وقال الحمزة<sup>(٢)</sup> : ياهمزة إهمزيه من استمر بماله وبنيه<sup>(٣)</sup> .

قال أبو المنذر من رُقام في كرار : يا كرار كرزيه ، ان أقبل فسرّيه ، وان أدير  
ففسرّيه<sup>(٤)</sup> .

قال الحنفي رُقام سيف الدردبيس ، أخذته بالدردبيس ، أندر العرق البيس ،  
وتذر الجديد كالليس .

وقال أعرابي أخذته بالقطعة ، بالثوباء والعطسة ، فلا يزال في نعه ، من امره  
ولبسه ، حتى يزور رومه .

وقال في الحمزة ، أخذته بالهمزة ، ولقطات الهذرة ، ونقش كيد السحرة ، لبرزه  
وتذكره . وانشد ابن الأعرابي

مجمع من قُبُلٍ لهن وقطعة<sup>(٥)</sup> والدردبيس مقابلاً في المنظر

فانقاد<sup>(٦)</sup> كل مشذب سلس القوي لجاهل وكل جلد شيطم

وقال آخر

قطعت القيد والخرزات عني لمن أئس<sup>(٧)</sup> من علاج الدردبيس

وقال ابن الأعرابي السلمان خروزة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وانشد

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجد يد العيش يامي ما سلوا

بعلق غيري خصمة في لقائهم ومالي عليكم خصمة غير منطقي

ومنها الوجيه وهي كالخصمة حمراء كالعقيق . (١) في الاصل (التجلب) .

(٢) (المجمع) لعل صوابه : وقالوا في الحمزة : الخ . (٣) روي في شرح نهج البلاغة

باهمزة إهمزيه ، من إسته الى فيه ، والله وبنيه . (٤) وزاد عليه ابن أبي الحديد ، من

فرجه الى فيه . (٥) في الاصل فسطه . (٦) بالاصل (قالقار) محرفاً عن (فانقاد) .

(٧) في الاصل (لمن) محرفاً عن (ائس) .

وقال آخر

نخاض<sup>(١)</sup> شراباً يارداني زجاجة      وقرَّب مني سلوة وأدى ليا

وهذه رُقام المجرودة من ذكر الخرز .

قال اللحياني من رُقي العرب أُرقيك من تشرق عثر ، أو نظرة ناظر ، وحفيف

ضائر ، بنجم طالع ، وبرق لامع ، ودبك سافع .

قال ومن رُقام للعيون . من عاك عينه رحيق ، فيها ترب سحيق ، ودمه دقيق ،

ولحمه مشيق .

وقال أبوالمندر من رُقام أن تؤخذ قرعة ، تملأ منه ، وفي أسفلها ثقب بالابرة

ويسيل منه كالسعة ويعلق . ورقيته : اخذته بدباء ، مملوء من الماء ، معلق بين سماء ،

فلا يزال يمشي ، وعينه تبكي .

وقال الحنفي من رُقام في الحب ، هوى به وهوى به ، البرق والسحابة ، فلان

ابن فلانة ، فسقط المقابه . جلبته بمركن ، نجبه تمكّن ، جلبته بايره ، فلم ينم من عبده ،

جلبته بأشني ، فقلبه لايشني ، جلبته بمسرد ، فقلبه لا يبرد .

قال ابن المنذر من رُقام إذا سافر من يعضونه وتعمله الفاركة<sup>(٢)</sup> إذا سافر بعلمها

بافول<sup>(٣)</sup> التمر ، وظل الشجر ، شمال شماله ، دبور نديره ، بنكباء نكبه ، شيك فلا انتقش

ثم ترمي أثره بحصاة ونواة وروثة وبكرة وتقول حصاة حصت<sup>(٤)</sup> أثره ، نواة نأت داره

روثة ليرت خبره ، لفته<sup>(٥)</sup> يبعره .

وقال ابن البرقي من رُقام في العطف . الريح والبرق ، في الصباح والطروق ،

فلان إذا قبل فنهسار آيس ، وان أدبر فشوك ظلم يابس ، وجبل حابس ، وليل

دامس .

فأما فعلهم أبقاك الله في عضّة الكلب الكلب فقد ذكرناه في كتابنا في اخبار الكلب

الكلب وذكرنا في ذلك قول اطباء الهند والروم وأقوال سائر الامم . وأما القول في

(١) (المجمع) قوله نخاض شراباً أي خلطه . (٢) بالاصل (الفاركة) .

(٣) بالاصل (يافول) كذا . (٤) في الاصل (حص) . (٥) بالاصل (لفته) .

العيافة والقيافة والزجر والفأل والخير ثلاث وأسرار الكف والخط والطرق وقرص  
 الفأرة وتلطي النار وضرب الشعير والجزر على طنين الفرس فليس من هذا المعنى فنذكره .  
 وأما الاعتيان فقد ذكرنا مائتيه (?) . وقول العرب والفلاسفة والحفد والفرس والاطباء  
 واختجين فيه . وحكايات سائر الأمم في كتابنا الموسوم بكتاب الاعتيان وهو هناك  
 مستقصى .

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين . حمد الشاكرين . وصلى الله  
 على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين . وهذا الكتاب ألفه  
 ابن أبي السرح في سنة أربع وسبعين ومائتين<sup>(١)</sup>

—————

(١) وكتبه صدقة بن الحنين في ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين وخمسمائة  
 كذا ذكر في آخر نسخة أصلنا في مكتبة راغب باشا بالامانة .

## ابن زيدون

- ٣٣ -

محاسن هذه الرسالة ومعاييرها

لا تقل هذه الرسالة عن سابقتها في محاسنها حتى يمكن ان تثبت كل ما ذكرناه من محاسن تلك في هذه .

ولم يتعرض شارحها ابن نباتة لشيء من معاييرها كما فعل الصفدي في شرح الجدية غير انها لا تخلو من بعض وجوه النقد .  
فما يؤخذ عليه فيها :

١ - سرد فقراتها على أسلوب واحد في كل فصل من فصولها فيقول مثلاً :  
ان فلان المشهور انما فعل فعله العظيم بسببك ومن اجلك بحيث لا يتعلم منها الناشئ المتأدب تنويع أساليب .  
٢ - ومنها الاسفاف في العبارة حتى تكون أشبه بعبارة الفقهاء ومؤلفي القواعد منها بعبارة الادباء في الترسل . وما حمله على ذلك النعسف الا قصد إدماج قصة في فقرة او مجمعة مثل قوله ( وان احتيال هرم الخ ) .

٣ - ومنها إعادة ذكر الرجال المضروب بهم المثل :  
٤ - ومنها خلط علماء فن بعلماء فن آخر من غير ضرورة .  
٥ - ومنها المماجزة في امور واقعة من كثيرين بحيث لا يمكن تعيين واحد منهم للمماجزة به كقوله « وانك الذي ... ناظر في الجوهر والعرض الى آخر هذا الفصل - وكلامه فيه كله تهافت ولغو خرج به عن الغاية التي قصد اليها وهي المماجزة برجال مشهورين . وهذا الفصل اضعف فصوله في الرسالة .



٦ — وقوله « ورجع بين مذهبي ماني وغيلان » — ولا موازنة بين المذهبين لان الاول ثنوي بنحوي والثاني قدرى يتأول في الاسلام .  
٧ — سرر الأمثال بدون ربط والجمع بينها لادنى ملايسة كقوله « فكدمت في غير . كدم الخ » .

٨ — سوء تعبيره في قوله « ونخرت و بمرت وعينت فكفرت » على لسان ادبية متظرفة مع فظاعة كلمة « نخرت » و بشاعة لفظ « كفرت » .

٩ — اقذاء فيها بذكر العورات والفحش وما لا يليق ان يصدر عن وزير الى وزير او عن عذراء ادبية الى وزير كبير .  
هذا الى هفوات أخرى اعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة .

### اسلوب الرسالتين اتباع لا ابتداع

يظن كثير من متأديي زماننا ومن قبلهم ان أسلوب ابن زيدون في الرسالتين السالفتين غير مسبوق اليه وهو غير صحيح في جلته . ونعم اننا لم نقف على رسالة مطولة كلها مضرب امثال برجال او اقوال او مشهورات افعال ولكننا نجد فصولاً كثيرة من رسائل المتقدمين صبت على هذا القالب من الكلام . والظاهر ان الاصل في هذه الغاية رسالة التبريع والتدوير التي وضعها الجاحظ في صفة احمد بن عبد الوهاب والتهمك به ثم نسج على منواله كثيرون في فصول من رسائلهم . ومنهم ابوبكر الخوارزمي وابو حيان التوحيدي والبديع فان ابن زيدون انتفى جانبهم في المعاجزة والموازنة بشعوري الرجال في رسالتيه وبخاصة الهزلية ، فاما حله لمشهور الشعر ، واقتباسه من مأثور النثر ، فهي طريقة اهل زمانه في المغرب والمشرق : طريقة ابن العميد وحلبته التي انتقلت الى الاندلس ، واولع اهلها بها ، غير انه كان يخالفها في عدم التزام السجع ، وفي الاستكثار من الامثال وحوادث التاريخ في رسالتيه ، وان كان في الهزلية اسجع .

وهاك أمثلة من فصول من ذكرنا من المتقدمين في رسائلهم :

فمن رسالة الجاحظ الآتفة فصل بمساجز به احمد بن عبد الوهاب و يتهمك به بمقايسته برجال اعلام قال :

« وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول ابا جعفر وتخاصنه ، وثناؤه وتراهنه ، ثم لا تفعل ذلك الا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار الحكام ، ثم تستغرب ضحكاً من طمعه فيك ، وتعيب الناس من عجاراته لك ، واشهد انك بتخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتعاقله ، ثم تظارفه وتطاوله ، وتفتي مع مخارق ، وتكر فضل زلزل ، وتستجمل النظام ، وتستبرد الأصمعي ، وتستغني فيس بن زهير ، وتثيف الأحنف بن قيس ، وتيسارز ابا الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه » .

وفصل منها ايضاً بصفه بقدم العمر قال :

« فيما عقيد الفلك كيف امسيت ، وياقوة الحيولى كيف اصبحت ، ويا نسر لقمان كيف ظهرت ، ويا اقدم من دوس ، ويا اسن من لبد . . . .  
حدثني كيف رأيت الطوفان ، ومتى كان سيل العرم ، ولما مات عوج ، ومعنى تبليلت اللسن ، وما حبس غراب نوح ، وكما لبثتم في السفينة اثنى الخ » .  
ومن فصل له فيها :

« وكيف وقد اصبحت وما على ظهرها خود الا وهي تعبر باسمك ، ولا قينة الا وهي تغني بمدحك ، ولا فتاة الا وهي تشكو تباريح حبك ، ولا محبوبة الا وهي تنقب الخروق لمرك ، ولا عجز الا وهي تدعو لك ، ولا غيور الا وقد شقي بك . . . ولوادركت ابن الخطاب لصنم بك اعظم مما صنع بنصر بن حجاج ، ولو كبتك باعظم مما ركب به جمدة السلي ، بل لدعاء الشغل بك الى ترك التشاغل بهما ، والغيظ عليك الى الرحمة لهما الخ » .

ومن فصول ابي بكر الخوارزمي « ووفاته سابقة لوفاة ابن زيدون بنحو ثمانين سنة » .

فصل يستعجز نفسه عن امكان عتاب صديق له قال :

« واني لا آخذ القلم لا كتب به عتابك فيتشغل علي ، ويسقط من يدي ، وكيف تساعدني بناني ، على ما يخالفني فيه جنائي ، وكيف يطيعني بعصي فيما بعصاني فيه كلي ، ولو كنت احمد بن يوسف في البلاغة ، وعبد الحميد في اتساع الكتابة ، وجعفر بن يحيى في الاختصار ، وابا الربيع في التوسع والاكثر ، وابا العيناء في العارضة ، وابا المتاهية في البديهة ، وابن المعتز في التشبيهات ، وابانواس في الخمرات والطرديات ، والعتابي في المعانيات ، والناطقة في الاعتذارات ، وصرير الغواني في الاستعارات ، والفردق في

الفخریات ، وجريراً في المهاجاة . وغلبت في الخطابة صمصمة بن صوحان ، وقامت في  
 الفصاحة خالد بن صفوان ، ونطقت بتيمة ابن المقفع مرتجلاً ، وأتيت بمجوز آل ربيعة  
 مبتدعاً ، وبمذراء آل خارجة مقتضباً ، وضرب بي المثل في المقامات لابن سحبان وائل ،  
 وبوهي به في التي عندي لا يباقل ، وحفظت حفظ الشعبي ، وحاضرت محاضرة ابن القزعة  
 النخري ، وابدعت إبداع أبي تمام الطائي ، ووعظت عظة الحسن البصري ، وجادلت  
 جدل النظام في الكلام ، وصنفت تصنيف الجاحظ في الجدل والهزل ، واربعت على أبياس  
 ابن معاذ في الذهن والعقل ، وبهرجت الأصمعي رواية ، وزينت أباعبيدة حفظاً ودراية  
 وعملت أمير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ، ولقنت شريحا القضاء والاحكام ،  
 وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم ، ووفقت توفيق سليمان في الحكم ، واخذت  
 مني بطليموس علم الهيئة ، وأرسطاطاليس علم الفلسفة ، وبلنيساس باب الطلسم والحيلة ،  
 وقرأ على سيوبه نحو البصريين ، والفراء نحو الكوفيين ، واختلفت إلى الهند في تعليم  
 الحساب ، ودرس عليّ أبو عثمان المازني علم التصريف والاعراب ، واقتبس مني الخليل  
 عروض الشعر ، وكان هاروت وماروت تليذي في السحر ، وضرب على قالب خطي خط  
 ابن مقلة ، وتوارث الكتابة أهل بيتي كما توارثها بنو ثوبة ، وأملت على ابن الكلابي شجرة  
 النسب ، وعلى أبي عمرو بن العلاء إيام العرب ، وأدريت الحكمة وفصل الخطاب ، وكنت  
 الذي عنده علم من الكتاب ، وعددت في الراسخين في العلم عدا . وقال لي موسى هل أتبعك  
 على أن تعلمني مما علمت رشداً ، ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضي بي في عتاب الإخوان  
 لساني . أو يجري فيه بنائي . لقصر عن ذلك عنائي . ولارتبك فيه عقلي وباني .  
 ولعبيت والحق معي وانقطعت والحجة لي الخ . وللبديع قريع الخوارزمي فصل يشبه هذا .  
 ولأبي حيان التوحيدي « وهو من أهل عصر الخوارزمي والبديع » فصل من كتابه  
 في ثلث الوزراء بن العميد والصاحب بن عباد ينكر فيه على ابن عباد تكلفه نسخ أجزاء  
 مطولة من رسائله فاعتذر وقال له أن في إمكانه أن يجمع غيرها فحقدما عليه الصاحب  
 ونكر له — وهذا الفصل حاكاه ابن زيدون في الجديدة . قال أبو حيان :

« فقال ( أي ابن عباد ) : طعن في رسائلها وعابها ، ورغب عن نسخها وازرى بها ،  
 والله لينكرن مني ما عرف ، وليعرفن حظه إذا انصرف — حتى كأنني طعنت في القرآن ،

او رميت . . . بخرق الحبض ، او عقرت نافه صالح ، او . . . بكى بئر زمزم ، او قلت  
كان النظام مأبونا ، او مات ابو هاشم في بيت خمار ، او كان عباد معلم صبيان ، وما ذنبي  
يا قوم اذا لم استطع ان أنسخ ثلاثين مجلدة الخ .

ولا يظن القاري لهذا الكلام انه مما يزي باين زيدون ! فقليل من الناس من ينظر  
الجيد فيحكمه ، ويستتم القول فيتبع أحسن ما فيه ، ولو كانت العبارة ممكنة اكمل احد لقل  
الجهل ، وارفع الخطأ من القول . ولولا ان يفيد الآخر علماً من الاول ، وبولد الحدث  
معنى من انخصرم ، لقد بطلت الصناعات ، وما شهدنا هذه الحضارة الباهرة .

\*\*\*

### تأثير الرسالتين في الادب والمتأدين

لم يخل عصر من العصور التي تلت عصر ابن زيدون حتى عصرنا هذا من حفظة كثيرين  
لحائتين الرسالتين لاشتغالها على كثير من مادة الكاتب الاديب ، فوق جزالة لفظها وجمافة  
عبارتها ، فها معدودتان من اقرب الذرائع التي يخرج بها المتأدين والكاتب ، ولا أدل  
على ما قلنا من عناية اعلام الادباء بشرحها ومعارضتها واحتذاء حذوهما .

فمن الشراح صلاح الدين الصفدي شرح الرسالة الجديدة أبدع شرح ، لم يقتصر فيه  
على حل المعنى وشرح الغريب وسوق الملح المناسبة للمقام ، وتراجم الاعيان الذين اشارت  
اليهم الرسالة حتى تعدى ذلك الى النقد الطريف . وذكر بعض ما عورضت به من  
الرسائل . وقد اقتبس شرحه من هذا الشرح الشيخ حمزة فتح الله في المواهب . ومنهم  
الشاعر الكاتب ابن نباتة المصري شرح الرسالة الهزلية بما لا يقل كثيراً عن شرح الصفدي  
للجديدة وطبع الشرح الاول ببغداد والثاني مراراً بالقاهرة .

ومن عارض الجديدة مضاهياً بعض فصول الهزلية شيخ الانشاء بالديار المصرية ويعسوب  
الحلبة الفاضلية محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر عارضها برسالة أطول منها كتب بها الى  
الامير ناصر الدين بن شاور الكشاني المعروف بابن النقيب سنة ٦٥٣ في معنى شخص تنقصه  
عنده بسبب التواضع وهو ينسب الى رفض قال في مفتتها .

« بلغني أعزك الله ، ولا يرحت رقيب فناء الفخر ، قشيب ملبس العمر ، يانع ثمرة



الشكر ، منعم حياض البر ، ان فلاناً غص مني كل غص الجنى ، وانه عبث بي عبث الالبام بالمنى . . . الى ان قال :

« والذي أقول له مخاطباً ، وواحيه اليه مجاوباً ، انت كان استمرالك أيها العايش عبثاً فما كل الافاعي تعبث بها الا فامل ، ولا كل المراعي ينصب بها الخبائل ، ولا كل زخار يخاض ، ولا كل جناح يهاض ، ولا كل جانح يراض ، ولا كل سابعة تفاض الى ان قال :

« وعندي اني لا استحل ان آكل لقمة لك ولا بعد ثلاث ، وبمجبني ان تحفر لي بئراً تقع فيها ولا بمجبني ان أقم فيك ، متى كانت الاسود مثل الثعالب ، وأعود الى محافقة فتعود الى اظهار اللبس ، فأقول : هل انت بافلان الامتخرص يزور ، وآيس من الخير كما بشس الكفار من أصحاب القبور . وآمن من المواقب والله عاقبة الامور . وما مبالاتي بك الامبالاة لديك بالبط ، والشعمة بالقط ، ورماح الخط باقلام الخط . . . وما مبالاتي الا مبالاة آدم بعدم سجنود ابليس ، ولا تضرري منه الا تضرر الصرح الممرد بوطء بلبس أم هل أبالي بك الا مبالاة البازي بالحمام ، والليث بالذئاف الخيس . ومتى كانت ممدان تفخر على كليب ، او تحذر منها الكيد . ام متى خاف الاسد من ابي زيد . . . » ولم يزل يمارض فصلاً منها بفصل حتى اثنى على القصيدة الميمية المختومة بها رسالة ابن زيدون فعارضها بمثلها في الروى والبحر والاسلوب قال في ابتدائها :

العلا في ارتشاف در العلوم . والحلى في اتشاح در الحلوم

والتناهي في فعل كل حيد . والتباهي بكل خل حميم

ومن حاكى ابن زيدون في رسالتيه الصلاح الصفدي في ترجمته امام النخاة في عصره ابا حيان الاندلسي الجياني في كتاب أعيان العصر وأعوان النصر قال بعد ثناء كثير :  
« فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضاً غير محجب ، او عيسى بن عمر لا صبح من نقصيره وهو محدب ، او الخليل لكان بعينه فذاة ، او سيبيويه لما تردى من مسألته الزنبورية برداء ، او الكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد وأتاه ، او الفراء لفر منه ولم يقتسم ولد المأمون تقديم مداسه ، او اليزيدي لما ظهر نقصه من مكانه ، او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه ، او ابو هبيرة لما تركه ينصب لشعب الشعوبية ، او ابو عمرو اشغله بتحقيق اسمه دون التعلق

بعربية ، او السكري لما راق كلامه في المعاني ولاحلا ، او المازني لما زانه قوله ، ان مصابكم رجلا ، او قطرب لما دب في العربية ولا درج ، او ثعلب لاستكن بمكروه في ذكره ولما خرج الخ » . وجري على هذا النحو حتى اكل الترجمة .

الى هنا قد عرفت خاصة كتابته في الرمالتين ومن اي معين استساغ نهلها ، واستطاب علمها ، وكتابته في غيرهما لا تخرج عن هذه الخاصة في الجملة من حيث عدم التزام السجع والتمثيل بالامثال ، ولكنها اقرب الى الطبع وابعد من التكلف .  
وماك نموذجاً منها :

كتب الى بعض اصحابه وهو الاديب ابو بكر بن مسلم لما اخفى بقرطبة بعد فراره رسالة يعتذر فيها عن فراره فمنها .

أبدأ أولاً بشرح الضرورة الحافزة الى ما صنعت اذ بلغني انك احد اللائمين لي ، ومن أمثالهم « هان على الاملس مالا في الدبر » وأعاتبك على انفصالك عني وبراءتك امد المحنة مني ، عسى ان تتلافى عوداً ما أضمت بدءاً ، وان كنت في ذلك « كدابة وقد حلم الاديم » فمنفعة الفوت قبل العطب ، وفي علمك اني سجننت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى . وقد نهى عنه تعالى فقال تعالى « ولا تتبع الهوى الآية » وشهد عليّ فلان الناصر لا ذنب طمعا ، ليا كل يده جشما ، وقال فكان القول ما قالت حذام ، وليتني مع قبول ما لا تحل شهادته عليّ ، يعتذر فيه اليّ ، ولم يقرن الحشف بسوء الكيلة . وكنت اول حبيبي بموضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيات منهم فيه ، وفي الشر خيار ، وبعضه أهون من بعض ، ثم تقلت بعد حيث الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون ، ومنع مني عوادتي ، فشكوت الى الحاكم الحابس لي فصم عني ، ولو ذات سوار لظممتي .

وانك لم تفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يقبلك مثل مغلب

ولم أستطع صبراً ، وعلمت ان العاجز من لا يستبد ، فالمرء يهجز لا محالة ولم أستخر ان اكون ثالث الأذلين العير والوند ، وذكرت ان الفرار من الظلم والحرب بمن لا يطاق ، من تشريع المرسلين . وقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام « ففررت منكم لما خفتكم » فنظرت في مفارقة الوطن اذ قدماً ضاع الفاضل في بطنه ، وكسد العلى<sup>(١)</sup> العبيط في معدنه .

(١) كذا في الاصل ولعله اليماني النفيس في معدنه .

كما قال :

أضيق في معشري وكم بلد يعود عود الكباء من خطبه  
فاستخرت الله في انفاذ العزم . وانا الآن يبحث أمنت بعض الامن الا ان السعي لم  
يرتفع . ومادة البغي لم تنقطع .

وفي صدد هذه الرسالة يقول ايضا :

ولقد كان من محاسن الشيم ، وشروط المروءة والكرم ، ان يهب لي ما انكر لما عرف ،  
وينفر ما سخط لما رضى ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويؤثر الذي هو أجمل وأرق ، وينوقف  
عندما نص له من سعاية ، وزف اليه من وشاية ، فان كان باطلا ألقاه ، وفضح مخبر  
المتقرب به وأقصاه ، وان كان حقا صبر صبرا حلما ، وأغضى اغضاء الكريم ، وقبل انابة  
المعتب ، واقتصد في مؤاخذه المذنب ، فقدم التوقيف ، قبل التثقيب ، والتأنيب قبل  
التأديب ، فان الرفق بالجاني عتاب ، والحر بلحي والمعصاة للعبد .

ومنها : وقد هجرت الارض التي هي ظفري ، والدار التي كانت مهادي ، وغبت عن  
أم انا واحدها ، تمدأ ناسها شوقاً الي ، وتغض أجفانها حزناً علي ، والله يرى بكاءها ،  
ويسمع لي علي من كلني نداءها ، فالاستجابة مضمونة للمخلص والمظلوم ، وقد حملت السميتين ،  
واستوجبت الصفتين ، ولنكن بغيثك التي تدخرها عليها كمة تأمين ، وإشارة الى تأنيب  
وتذكير ، تراجعني بها . فأظهر يبحث انا آمننا ، وأتي العصا مطمئنا ، فان وجدت محزاً  
لشجرة ، فالعوان لا تعلم الخمرة ، وان اشبهت الليلة البارحة أعلمني بذلك فطلبت الأمن  
في مظانه ونقريت السلامة في مواطنها ، وصبرت حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

### شعره

منزله في الشعر — ان أدباء الاندلس وان غلب عليهم قرض الشعر لم يبلغوا فيه  
غاية فحول المشرق ، وان نوابغهم يبحثون دائماً مصلين لاجلين ، اذا علمت هذا ففهمت ان  
قول من يقول من أدبائهم ومؤرخيهم بان ابن زيدون ليس معناه انه يراجع البحتري في  
ميزان البراءة ، الا اذا انقلب التشبيه فكان المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به ،  
وانما يعد بالاضافة الى شعراء الاندلس في طوابع الرعب الاول ، وانه يجري على طلقه

في انتقال الصقيل من اللفظ ، والتسليم من الأسلوب ، وفي ترفيق الغزل ، وبث حديث النفس وشكوى الغرام ، لا شيء كثير من فنون الشعر التي أبدع فيها المجتري أي ابداع كالوصف والمدح ، فكان أشبه به من غيره من الاندلسيين ، وكان بذلك بينهم سباق غايات وطلاع انجد .

اما نحن فمع حسن تقديرنا لمقال أدباثهم فيه وبعد قراءة ثلث ديوانه المحفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة نجعله في درجة ابن عبد ربّه وابن دراج وابن عمار وابن خفاجة أي في الطبقة التي تلي طبقة ابن مانيّ الاندلسي ، واذا قلنا ذلك فقد قلنا انه من شعراء الطبقة الاولى الاندلسيين اذ كان ابن مانيّ في منزلة مقطوع القرين .

ونبه ابن زبدون هذه المكانة في الشعر لا يستوجب له نظيرها في الشعر ، فان امتلاك ناصية الصناعتين غاية لا تدرك .

من أجل ذلك لم يعرفه الاندلسيون كاتباً بقدر ما عرفوه شاعراً فلم ينض منجموه منهم في اثره كالذي خاضوا في شعره ، وانما الذي جعل شهرته بالثر عند المشاركة لنسخ شهرته بالشعر عند المغاربة ، انه راقهم منه سعة اطلاعه وقوة استحضاره بالاثور الكلام والاستشهاد به ، لا قوة بلاغة اثره في ذاتها ، فان احد المعجبين به من شارحي رسائله وهو ابن نباتة المصري يقول في ترجمته له : « ونظمه أمكن عند القاد وأجود من ثره » الى ان قال : « فأما ثره فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وجل اشعار المتقدمين والمتأخرين الى ان قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز » واطلاعه هذا واستحضاره هما اللذان خولا وضع رسائله الجدية والمزلية بصورة تجعل كلاهما وفرة أدب وجمعة أخبار ، لتعجل التحصيل من نشأ المتأدين ، فاستظهروهما فيما يستظهرون ولولاهما ما اعتبره المشاركة الا في عدد الشعراء لا الكتاب .

صفة شعره — قل غرض من اغراض الشعر وفنونه لم يضرب فيه ابن زبدون بسهم . ولكن المنفق عليه عند اهل الادب وتقاد الشعر ان أجود شعره ما قاله في الغزل وشكوى الفراق . فقد سارت له في هذا الباب قصائد ومقطعات استعذ بها المغاربة



والمشاركة فحفظوها وتغنوا بها . فمنها قطعة يقولها خيف وداع ولادة بعد انصرافها من  
زيارة قال :

ودع الصبر محب ودعك      ذائم من سره ما استودعك  
يقرع السن على ان لم يكن      زاد في تلك الخطي اذ شيعك  
يا أخا البدر مناء وصا      حفظ الله زماناً أطلعك  
ان بطل بعدك ليلى فلكم      بت اشكو قصر الليل معك

وهذه الايات عكس نسبتها المقرري صاحب نفع الطيب فجعلها لولادة في ابن زيدون  
فقال في اثنائه ذكره أخبار ولادة « ركتبت اليه لما أولع بها بعد طول تنعم .

ترقب اذا جن الظلام زيارتي      فاني رأيت الليل اكتم للسمر  
وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح      وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت . ولما أرادت الانصراف . دعت به هذه الايات . ودع الصبر الخ  
والعجب انه وافق كل من روى قصة هذه الزيارة من ان الزائرة ولادة والمزور ابن  
زيدون بدليل قوله « ولما أراد : الانصراف » ولم يفتن لما رواه في القطعة .  
يقرع السن على ان لم يكن      زاد في تلك الخطا اذ شيعك

فالذي يشيع هذا المزور المقصود لا الزائر المنصرف .

وان سلمنا جدلاً صحة روايته - وهو لم يذكر مصدرها - اضطررنا لتأويل أن  
الزيارة لم تكن في دار احدهما بل كانت في فضاء بعيد عن منازلها بحيث يتأتى ان تساير  
ولادة ابن زيدون الى ناحية داره بما يحتمل ان يسمى تشيعاً ولكن كان على رواية القصة  
ان يسموها تلافياً على موعده . على انه بأبي هذا الفرض ان الزيارة كانت ليلاً فكيف تشيع  
فتاة عذراء من بنات الملوك بعد دل وامتناع في آخر الليل وفي ضاحية من المدينة رجلاً  
محباً لم تزره الا بعد ان أعياء الجهد في استزارتها ؟ ولئن كان ما فرض واقعاً كانت ابن  
زيدون أنذل عاشق علمنا .

ولعل الذي صدق على المقرري ظنه ورود ذكر المقولة فيه الايات بلفظ المذكر غير  
ان المقرري وهو المطلع العظيم قرأ لابن زيدون شعراً كثيراً كني فيه عن ولادة احياناً

بلفظ المذكر الواحد والجماعة تسمية للوشاة والرقباء كما صرح بذلك مراراً في شعره .  
ومن غزلياته قوله :

يا قرأ مطلعك المغرب      قد ضاق بي في حبك المذهب  
الزمتني الذنب الذي جثته      صدقت فاصفح أيها المذنب  
وانت من أغرب ما مر بي      انت عذابي فيك مستعذب

وقوله وهو من أرق ما سمع في هذا الباب :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه      أنتك دنياك عبداً انت دنياه  
العتك عنه فكاهات تلذ بها      فليس يجري ببال منك ذكراه  
عل البالي تبقيني الى أمل      الدهر يعلم والايام معناه

وقوله في ذكرى ولادة والشوق اليها وتضمن وصفاً بديعاً :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً      والافق طلق ووجه الارض قد رافا  
وللنسيم اعتلال في أصائله      كأنما رق لي فاعتل اشفاقا  
والروض عن مائه الفضي مبتسم      كما حلت عن اللبات أطواقا  
يوم كأبام لذات لنا انصرفت      بتنا لها حين نام الدهر مراقا  
نلهو بما يستميل العين من زهر      جال الندى فيه حتى مال أعناقا  
كأن أعينه اذ عابت أرقى      بكت لما بي فجال الدمع رقراقا  
ورد تألق في ضاحي منابته      فازداد منه الضحى في العين اشراقا  
سرى بناجفة نيلوفر عبق      وسمات به منه الصبح احداقا  
كل يعرج لنا ذكرى تشوقنا      اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا  
لو كانت وفي المنى في جمعنا بكم      لكاتب من اكرم الايام اخلاقا  
لا سكن الله قلباً عند ذكركم      فلم يطر بمجنح الشرق خفاقا  
لوشاة حلي نسيم الريح حين هفا      وافاكم بفتي أضواء مالاقي  
كان التجازي بمحض الود مذ من      ميدان انس جرينا فيه اطلاقا  
فالآت احمد ما كنا لهدكم      سلوتم وبقينا نحن عشاقا

ومن أشهر غزلياته وأسيرها شرقاً وغرباً قصيدته الدونية التي تعتبر مثلاً جليلاً  
للشعر الاندلسي وقل أديب لم يحفظها أو شيئاً منها . وهي مذكورة في كثير من كتب  
الأدب ومجموعات الشعر . قال ابن نباتة فيها « وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ما كانت  
غنية عنه » . وأولها :

أضحي الثنائي بدلاً من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوافحننا	شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
بكد حين اتاجبكم ضمائرنا	يقضي علينا الامي لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيماننا فعدت	سوداً وكانت بكم يفضاً لبايننا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا	ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هممرنا غصون الانس دانية	قطوفها فجنيننا منه ماشينا
ليسقى عهدكم عهد السرور فما	كنتم لارواحنا الا رياحيننا
من مبلغ الملبسين بانتزاحهم	حزناً مع الدهر لا يلى وبيلينا
ان الزمان الذي مازال يفتحكنا	أننا بقربكم قد عاد يفتحكنا
وقد نكوت وما يخشى تفرقنا	فاليوم نحن وما يرجي تلافينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم	رأياً ولم نثقله غيره دينا
لا تحبوا نا بكم عنا بغيرنا	ان طالما غير النأي المحينا
والله ما طلبت احوالنا بدلاً	منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياماري البرق غاد القصر فاسق به	من كان صرف الهوى والود يسقيننا
ويا نسيم الصبا بلغ تحييتنا	من لو على البعد حيا كان يحيينا
ياروضة طالما أجنحت لواحظنا	ورداً جللاه الصبي غصاً ونسرينا
لسنا نسيمك اجلالاً ونكزرة	وقدرك المعني عن ذلك يغنيننا

وهي طويلة ختمها بقوله :

عليك مني سلام الله ما بقيت صباية منك تخنينا فتحنينا

قال الصفي في صدد ذكر هذه القصيدة « وعارض بها المجتري في قوله :

بكاد عاذلنا في الحب بغربنا      فما لجأك في عزل المحبينا  
نلجى على الوجد من ظلم فديدنا      وجد نعانیه اوجلاح يعيننا»

وقد عارض هذه القصيدة كثير من متأخري المشاركة في غرضها وفي غير غرضها  
وبلغ ولع صفي الدين الحلي بها ان خمسها كلها . وأعرب ما في هذا التخميس ان صرفها  
به من الغزل الى الرثاء فرثى به السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة وقد حضر  
موته سنة ٧٣٢ وهاك تسيط البيتين الاولين فيها :

كان الزمان بلفيا كم يمنينا      وحادث الدهر بالنفريق بشيننا  
فعندما صدقت فيكم أمائنا      أضحى الثنائي بدبلا من تدانينا  
وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
خلنا الزمان بلفيا كم بساحنا      لكي تزانب بذكراكم مدائحنا  
فعندما سمحت فيكم قرائننا      بنتم وبننا فما ابتلت جوائحنا  
شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

ومما قاله في الشكوى صدر قصيدة بعث بها في رسالة الى ابي حفص بن برد  
من سجند .

ما على ظني باس      يجرح الدهر وياسو  
ربما أشرف بالمرء      على الآمال ياس  
ولقد ينجيك أغفا      ل ويؤذيك احتراس  
ولكم أجدى قعود      ولكم اكدي التماس  
وكذا الحسك اذا ما      عز ناس ذل ناس  
-- وبنو الایام أخيا      ف مرأة وخساس  
تلبس الدنيا ولكن      متعة ذاك اللباس

وله مدح بليغ في آل جهور وآل عباد ولكنه في آل عباد أبلغ لمكان السن  
والجربة فليراجع في ديوانه .

فأنت ترى بما أوردناه عليك من شعره ان معانيه مسبوقة بحيث يصعب على الباحث



أن يرى فيها اختراعاً ولكنه كماها ثوباً أنيقاً من اللفظ الرشيق وخاصة الغزل والشكوى  
والعتاب . وقد تجدد في مدحه ورثاء مسحة من الفخامة والجزالة يقارب بها ابن هاني  
الاندلسي بقتضيهما المقام .

وقد كنا عزمنا على ان نذهب القول سبباً في نقد بعض شعره وبإثبات بعض محاسنه  
والموازنة بينه وبين غيره الا اننا الى هنا مللنا التطويل : وظننا ان نلم بذلك في فرصة  
أخرى .

على اننا معشر المشارقة انما نترجم له كاتباً لا شاعراً لمكان رسالتيه عند أدبائنا  
وعنايتهم بشرحها .

احمد الاسكندري

(القاهرة) :

## مذهب الجاحظ<sup>(١)</sup>

### في التفسير والتأويل

— «X» —

تبين لنا ان الجاحظ يعتمد في تحقيق العلم على العقل وقد وضعنا مذاهبه في هذا الباب ولم يقتصر في أعماله العقل على العلم او على الفلسفة وانما أعمل هذا العقل في الدين وخاصة في تفسير الآيات وتأويل الأحاديث وشأننا في مجلسنا هذا ان ننتخب نماذج من تفسيره وتأويله ظهرت عليها آثار العقل ، وغابتنا في انتخابنا تبين الصفة الغالبة من صفات الجاحظ وهي صفة المفكر ، فلسنا نرمي الى التخطئة والتصويب في هذه السبيل فلكل رأي في التفسير والتأويل ومالنا في هذا الرأي الا الحيدة التامة .

قد كنت ذكرت لكم في كلامي على ثقافة الجاحظ ، وعلى أسانيذه قول النظام في المفسرين : لا تترصلوا الى كثير من المفسرين . وان نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة الى آخر هذا القول ، وبدت لكم ان الجاحظ يشارك النظام في هذا الرأي فمن قول الجاحظ في هذا الباب<sup>(٢)</sup> :

«وَلَيْسَ يُوَقَى الْقَوْمَ إِلَّا مِنَ الطَّمَعِ وَمِنْ شِدَّةِ إِعْجَابِهِمْ بِالْغَرِيبِ مِنَ التَّأْوِيلِ» .  
فمذهب الجاحظ في التفسير والتأويل اجتناب الغريب منهما ، فقد تكرر به احاديث يحتج بها طائفة من القوم فيردها دون شيء من التصديق ، وقد يختلف هذا الرد ، فمرة

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ١٦٩ .

يردّها ردّاً مجرداً دون الافاضة في بيان العلة ، من هذا الشكل قوله <sup>(١)</sup> :  
 « هشام بن عروة قال : أخبرني أبي ان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تقتل  
 الأوزاغ . —

يحيى بن ابي انيسة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول للوزغ : فويستق ، قالت : ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 امر بقتله . —

عبد الرحمن بن زياد قال : وأخبرني هشام عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويستق . —

ابوبكر الهذلي عن معاذ عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ،  
 وفي يدي عكاز فيه زُجْ فقال : يا عائشة ما تصنعين بهذا ؟ قلت : أقتل به الوزغ في  
 بيتي . قال : ان تفعل فان الدواب كلها حين التي ابراهيم صلى الله عليه في النار كانت  
 تطفئ عنه ، وان هذا كان ينفخ عليه فصمّ وبرص . —

ومذه الاحاديث كلها يحث بها اصحاب الجهالات ومن زعم ان الاشياء كانت كلها  
 ناطقة وانها أم مجراها مجرى الناس .

ومرة يردها لان رُدايتها يزودنها دون توضيح شيء من عللها وبرهاناتها مقتصرين فيها  
 على ظاهر الفاظها ، فالجاسط لا يصدّقها . فلنضرب مثلاً لذلك <sup>(٢)</sup> :

بحث الجاحظ عن الكلام المتروك والأسماء التي زالت مع زوال معانيها كالغلامه  
 بمعنى الجارية وكالمرباع والنشيطه وعن الاسماء التي حدثت في الاسلام ولم تكن في  
 الجاهلية وانما اشتقت من اسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم ان ادرك الجاهلية والاسلام :  
 مخضرم ، ومثل قولهم : المنافق والمشرک والكافر والتيمم .

وبحث عن بعض كلام كرهوه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :  
 لا يقوان احدكم خبثت نفسي ، ولكن لبقل اقمست نفسي ، كأنه كره ان يضيف المؤمن  
 الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه .

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع ص ٩٦ .

(٢) ١ ٢ ٣ الاول ص ١٦٦ .

وبعد أن أفاض بعض الافاضة في أشباه هذه المباحث قال :  
 « وقد كرهوا أشياء مما جاءت في الروايات لا تعرف وجوهها ، فرأى أصحابنا  
 لا يكرهونها ولا يستطيع الرد عليهم ، ولم نسمع لهم في ذلك أكثر من الكراهة ، ولو كانوا  
 يروون الأمور مع عللها وبرهاناتها خفت المؤنة ولكن أكثر الروايات مجردة وقد اقتصروا  
 على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الإخبار عن البرهان وان كانوا قد شاهدوا  
 النوعين مشاهدة واحدة ، قال ابن مسعود وابو هريرة لا تسخروا العنب الكرم ، فإن الكرم  
 هو الرجل المسلم ، وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما قوله لا تسبوا الدهر  
 فإن الدهر هو الله ، فما أحسن ما فسر ذلك عبد الرحمن بن مهدي قال وجه هذا عندنا  
 أن القوم قالوا زما يهلكنا إلا الدهر ، فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم  
 ذلك الله ، يعني أن الذي أهلك القرون هو الله عز وجل ، فتوهم منه المشوهم أنه إنما أوقع  
 الكلام على الدهر » .

وحينما يرد الأحدث ويجادل في ردها ، من هذا القبيل قوله <sup>(١)</sup>  
 وقالوا في الحديث أنه من اقثنى كتباً ليس بكتب زرع ولا ضرع ولا قص فهو  
 آثم ، .....

وبعد ، فلعل النبي صلى الله عليه وسلم ، قال هذا القول على الحكاية لا قاريل قوم  
 ولعل ذلك كان على معنى كان يومئذ معلوماً فترك الناس العادة وردوا الخبر سالماً من  
 العمل ، مجرداً غير مميز ، ولعل من سمع هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد أوله ،  
 ولعله عليه الصلاة والسلام قصد بهذا الكلام إلى ناس من أصحابه قد كانت دار بينهم  
 وبينه شيء فيه ، وكل ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدفوع .

هذا مذهبه في رد الأحاديث التي يشك في روايتها ، ولقد ذهب هذا المذهب في  
 تفسير الآيات ، فكما كره الغريب من تأويل الأحاديث فقد كره الغريب من تفسير  
 الآيات ، ولم يخل من تنهك على بعض المفسرين ، وقد يظهر تنهكه من مجرد ذكره لتفسيرهم  
 من هذا النوع قوله ، وقد سمعتموه من قبل <sup>(٢)</sup>

(١) كتاب الحيوان الجزء الأول ص ١٤٧ .

(٢) ع ع ع ع ع ص ٦٧ .



« وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ان اهل سفينة نوح كانوا نأذوا بالفار فمطر الأسد عطسة فرمى من مخزيه، يزوج سنابير فلذلك السنور أشبه شيء بالأسد وسلم الفيل زوج خنازير ، فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .  
قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنابير ، وتلك السنورة حواءها وضحك القوم » .

نعم ، يكره الجاحظ الغريب من التفسير ، ومن تفرغه لتأويل قول رفع الى ابي موسى بتبين لكم مقدار إحاطته بمواطن الامور ، فهو لا يقتصر على ظواهرها وإنما يتولى الكشف عن أسرارها ، وهذا تأويله الذي أشرت اليه <sup>(١)</sup> :

وعن فتادة ابي موسى قال : لا تأخذوا الدجاج في الدور فتكونوا اهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في اهل القرى : أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، وهذا عندي من ابي موسى لبس على ما يظنه الناس لان تأويله هذا لبس على وجهه ، ولكنه كره للفرسان ورجال الحرب اتخاذ ما يتخذ الملاح واصحاب التمش ، مع حاجته يومئذ الى تفرغهم لحروب العجم ، واخذهم في تأهب الفرسان ، وفي دربة رجال الحرب ، فان كان ذهب الى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويل مرغوب عنه .

وقبل أن أتعرض لذكر طائفة من أنماط تفسيره لأرى بأساً برواية بعض كلام له يدل على مقدار كراهيته للغريب من تأويل اي شيء كان حتى قال ولم يهلك الناس شيء كالنأويل ، وهذا هو كلامه <sup>(٢)</sup> :

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار أجابوه وأطاعوه ، ففهم عبد الله بن هلال الحميري الذي كان يقال له صديق إبليس ، ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي وقد كان عبيد يقول ان العاصري حريص على إجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكلًا لم يستطع دخوله ، والحيلة في ذلك ان يتغير بالأبواب الذكر ويراعي سير المشتري ويقتل بالماء القراح وبدع الجماع واكل الزهومات ويتوحش في النياتي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصير فيه

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ١٤٣ .

(٢) = = = السادس ص ٦٠ .

مشابه من الجن فان عزه عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه  
هيكلاً لها ومتى عاد ضبطه فربما جن وربما مات ، قال : فلو كنت ممن يصلح ان يكون  
هيكلاً لكنت فوق عبد الله بن ملال ، قال الاعراب وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خبائاً  
وقبائاً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلاً  
من الزط فقال هو لأشبه من رأيت من الجن ليلة الجن ، قل وقد روي عنه خلاف ذلك  
وتأولوا قوله تعالى وانه كان رجل من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رجماً  
ولم يهلك الناس شيئاً كالنار يلى وما يدل على ما قلنا قول ابي النجم حيث يقول .  
بحيث تستن مع الجن الغول .

فأخرج الجن من الغول الذي بات به الجن وهذا عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة  
بعد ان دخل الشيء في الجملة فيظهر لأمر خاص وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في  
الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشعر حتى  
احترق عامة نخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليستن  
بها الاعراب من العوام وما اشك انه كان للسنة حيل والطف لمكان التكسب .  
من هذا يتبين لنا انه يرد الامور الى حقائقها و يبين في كل فتنة جواهر عليها ، فليس  
في أجواف الأوثان شيء من الهمهمة وانما هي حيل والطف يلجأ اليها السنة على سبيل  
التكسب .

فلنعجل بعد هذا كله ، فنبين مواطن من ثمة يره ظهرت عليها آثار عقله .  
مرة يحمل اللفظ على ظاهره فالشيطان في اللغة معروف امره ولكن من المفسرين  
من فسّر رؤوس الشياطين في الآية الوارد ذكرها تفسيراً عدّه الجاحظ غريباً ، ونفرغ  
لردّ التفسير الى حقيقته ، مبيّناً السبب الذي من اجله قد نستقيج الشيء ولم نر صورته ، فمن  
كلام الجاحظ في خلال تفسير بعض الآيات قوله في تأويل هذه الآية (١) :

« انها شجرة تخرج في اصل الجحيم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين . قال الجاحظ  
في تأويل هذه الآية : وليس ان الناس رأوا شيطاناتاً قط على صورة ولكن لما كان الله قد  
جعل لما في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستمجاها وكرامته واجرى

على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالايحاش والتنفير وبالاخافة والتقريع الى ماقد جعله الله في طباع الأولين والآخريين ، وعند جميع الامم على خلاف طبائع جميع الامم ، وهذا التأديل اشبه في قول من زعم ان رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن .  
ومرة يحمل الكلام على باطنه ، فالتين والزيتون معروف امرهما ، ولكن الجاحظ في تفسير قوله تعالى والتين والزيتون ، لم يقف عند ظاهر المعنى ، وانما نفذ بواطن الامور استنباطاً للحكم منها ، من هذا النحو قوله (١) :

وقد قال الله عز وجل والتين والزيتون ، فزعم زيد بن اسلم ان التين دمشق والزيتون فلسطين وللغالية في هذا تأويل ارغب عن التعبير عنه وذكره .....  
والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف وانما يريد النعم والاعاجيب والصلاة وما اشبه ذلك ، فان كلاماً من هذه الفنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الاداة لما برح ان تحشره المعاني وتشممه الحكم .  
وحينما يعترض المعترضون في بعض الآيات فيتجرد الجاحظ لردم الى الصواب ذاهباً في هذا مذهب لتكلمين . من هذا القبيل قوله (٢)

وسنذكر مسألة كلامية وانما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا بمن ليس له علم بالكلام ولو كان اعلم الناس باللغة لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالماً بالكلام وقد اعترض معترضون في قوله عز وجل « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فزعموا ان هذا المثل لا يجوز ان يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام لانه قال « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » فما يشبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله ولم يذكر غير ذلك بالكلب الذي ان حملت عليه نبح وولّى ذاهباً وان تركته شد عليك ونبح مع ان قوله يلهث لم يقع في موضعه وانما يلهث الكلب من عطش شديد وحر

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ٩٧ .

(٢) « « « الثاني ص ٦ .

شديد ومن تعب . واما النباح والنباح فمن شيء آخر ، قلنا له ان قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فقد يستقيم ان يكون المراد لا يسمى مكذبا ولا يقال لهم كذبوا الا وقد كن ذلك منهم مراراً فان لم يكن ذلك فليس بعيد ان يشبه الذي ادعى الآيات والاعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكذب في حرصه وطلبه فان الكلب يعطي الجهد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وشبهه رفضه وقذفه لها من يده ورده لها بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها بالكذب اذ ارجع ينبع بعد اضارادك له وواجب ان يكون رفض قبول الاشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها . والكلب اذا اتعب نفسه في شدة الباح مقبلاً اليك ومديرأ عنك لث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش . وعلى اننا ما نرمي بامسارنا الى كلابنا وهي رابضة وادعة الا وهي تلث من غير ان تكون هناك الا حرارة اجوافها والذي طبعت عليه من شأنها الا ان كلباً الكلب يختلف بالشدة واللين .

وحينما يطعن في بعض الآيات ناس من المخددين وبعض من لاعلم له بلغة العرب ويمدأخلها ويخارجها فيهدمهم الجاحظ سواء السبيل مفصلاً لهم مذاهب لغة العرب أدق تفصيل ، من هذا النوع قوله<sup>(١)</sup>

وقد طعن ناس من المخددين وبعض من لاعلم له بوجوه اللغة وتوسع العرب في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالاشارة والوحي فقالوا قد علمنا ان الشمع شيء ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبني بهوت النحل منه ثم ينقل من الاشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك الا ان مواضع الشمع وآثاره أخفى وأقل فليس العسل بقيء ولا رجيع ولا دخل للنحلة في بطن قط وفي القرآن قول الله عز وجل « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يفكرون » ولو كان انما ذهب الى انه شيء يلتقط من الاشجار كالصمغ وما يشوله من طباع الأنداد والأهواء والأشجار انما تمازجت لما كان في ذلك عجب الا بقدر ما نجد في أمور كثيرة ، قلنا فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية ان في النحل أنبياء لقوله

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس ص ١٢٨ .



عزّ وجل « وإذ أوحيت الى الحوار بين » وما خالف ان يكون في النحل أنبياء بل يجب ان تكون النحل كلها انبياء لقوله عزّ وجل على المخرج العام وادعى ربك الى النحل ولم يخص الاممات والملوك واليما سبب بل اطلق القول إطلاقاً وبعد ان كنتم مسلمين فلبس هذا قول احد من المسلمين والآت تكونوا مسلمين فإمّ تجعلوا الحجّة على نبوة النحل كلاماً هو عندكم باطل . واما قوله عزّ وجل يخرج من بطونها شراب فالعمل لبس بشراب وانما يحول بالماء شراباً او بالماء نبيذاً فسماء كما ترى شراباً اذ كان مما يجي منه الشراب وقد جاز في كلام العرب ان يقولوا جاءت السماء اليوم بامر عظيم وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فزعّموا انهم يرعون السماء وان السماء تسقط ومعنى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها ومعنى حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا الباب هو منخر العرب في لغتهم وبه قال وبأسبابه اتسعت وقد خاطب بهذا الكلام اهل نهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء اصحاب العمل والاعراب اعرف بل ضميمة سائلة وعسلة ساقطة فهل سمعتم باحد انكر هذا البيان او طمن عليه من هذه الحجّة .

والأمثال في هذا الباب كثيرة ، فاذا حاولنا الاستقصاء فيها تراخى أمد الكلام ، فالذي يستخرج من كل ما تقدم ان الجاحظ في امور الدين يذهب مذهبه في امور العلم فكما نبّه في العلم على المسائل التي خرج فيها أصحابها من العقل ، فكذلك نبّه في امور الدين على المسائل التي لا تطابق العقل ، ونبيهه كان على أساليب شتى ذكرت شيئاً منها ، ومما اختلفت هذه الأساليب فان جوهرها واحد فالجاحظ لا يريد الا العلة والا البرهان في كل مسألة من المسائل ولقد عابوه باستهزائه من بعض الأحاديث او من بعض الآيات ولو أنصفوا لعدوا له فضلاً عظيماً في التفسير والتأويل فقد تبين لكم كيف يتفرغ للرد على بعض الطاعنين في القرآن فيُهب بهم الى الصواب آخذاً عليهم مداخل الطرق ومخارجها يحمل الألفاظ مرة على ظواهرها اذا كانت الحكمة في حملها على الظواهر مرة يحملها على بواطنها اذا كانت الحكمة في حملها على البواطن حتى لا يبقى للطاعنين متنفس ينتفسون منه .

دمشق : ٩ أيار سنة ١٩٣١

## اثر خالد

في تاريخ الفكر العربي  
— كتاب الفهرست لابن النديم —

—\*—

توارد الفريج الى المشرق لغابات شتى فاحتملوا معهم هم ورجال حملة نابليون كثيراً من المخطوطات العربية . وكان بين هذه المخطوطات اثنتان لفهرست ابن النديم جي باحداهما من القاهرة الى باريس في القرن الثامن عشر وجي بالآخرى من القسطنطينية الى لندن في نفس ذلك الزمن تقريباً فتهافت علماء المشرقيات الجرمان على هاتين النسختين وعهد الى الاستاذ « جوستاف فلوجل » درهما حوالى سنة ١٨٥٠م فاستغرق درسه ثيفاً وعشرين عاماً وتوفي سنة ١٨٧١ قبل ان ينجز طبعهما فأشرف على الطبع مكانه « روديجروم وولر » وقد نجزت طبعة الكتاب في سنة ١٨٧٢م . ومع ان الكتاب جاء — كغيره من المخطوطات التي تطبع لأول مرة — مملوءاً بالاغلاط الفاحشة فقد كانت له مكانة عظيمة في الاوساط الاوربية التي تهتم بالمشرقيات لاسيما وقد بذل فلوجل جهده في ضبط اسماء الرجال من المصادر العربية التي كانت بين يديه عندئذ . بيد ان النسخة التي طبعها ظلت مبتورة . وهذا ثابت بدليلين :

اولهما — ان ياقوت يذكر في «معجم الادباء» اسماء كثير من العلماء ثم يصرح نقله عن كتاب الفهرست فاذا رجعنا الى النسخة المطبوعة لا نجد لذلك اثراً على الاطلاق<sup>(١)</sup> ومثال ذلك انه « اورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من معجمه (ص ٧٥) ونقل فيها عن كتاب الفهرست ان ابن النديم قال : ( ورأيت انا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى

(١) كتاب التاج — تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص ٤٤ .

ويكنى ابا يحيى وراق الجاحظ ) ولا توجد هذه العبارة في النسخة المطبوعة <sup>(١)</sup> .  
 ثانيها = « انت الاستاذ (هونسا) عثر على جملة تراجم عما كتبه ابن النديم وهي غير  
 واردة في النسخة المطبوعة فنشرها في المجلة المتساوية للعلوم الشرقية <sup>(٢)</sup> » .  
 وقد ساعد الحظ المستشرق (ريتر) فعثر في العام الماضي على مخطوطتي فلوجل الاصليتين  
 بعد ان فقدتا زمنا طويلا - نعتي : مخطوطة باريس وهي تضمن المقالات الست الاولى  
 من الكتاب والمخطوطة المنقولة عن مكتبة شهيد علي باشا بالقسطنطينية وليس فيها الا  
 اربع المقالات الاخيرة من الكتاب وهذه ربما كانت بخط المؤلف نفسه - واخذ بعد  
 طبعة جديدة كاملة مستندا اليهما وعلى مخطوطة يكي جامع <sup>(٣)</sup> ومخطوطتي الكوبريلي <sup>(٤)</sup>  
 بالقسطنطينية ولكن فاته ان يتصل بالنسخة الموجودة بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة  
 المنورة <sup>(٥)</sup> ولهذا فستظل نسخته ناقصة .

والذي يظن ان المؤلف جعل كتابه في جزئين مستقل احدهما عن الآخر : ضمن  
 الاول منهما وهو ما حوته مخطوطة باريس - أبحاثا اسلامية محضة ( الشرائع المنزلة  
 على مذاهب المسلمين والنحو والسير والشعر والشعراء والكلام والتكليم والفقه والفقهاء  
 والمحدثين ) . وضمن الثاني أبحاثا عن علوم عرفت قبل الاسلام ونمت في أوساط غير  
 اسلامية ( الفلسفة والعلوم القديمة والأسماء والظرفاء والعزائم والسحر والشعوذة  
 والمذاهب والاعتقادات والكيمائيين والصفويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين ) والدليل  
 على ذلك ان المؤلف يتخذ سنة ٣٧٧ هـ تاريخا لتأليفه ويذكرها في مواضع كثيرة من القسم  
 الاول من الكتاب بينما هو لا يتعرض لها ابدا في القسم الثاني منه .

على ان الكتب الاخرى التي يمكن الالتجاء اليها في ضبط الكتاب أصبحت اليوم كثيرة  
 بفضل ما طبع في مصر وادربا من كتب التاريخ والتراجم العربية فلدينا اليوم طبقات الاطباء  
 ومجموع الادباء وتاريخ ابن القفطي ونزهة الألباء وبغية السيوطي مثلاً وكلها قرينة المناوئل

(١) كتاب التاج - تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص ٤٤ .

(٢) = = = (٣) رقم ٨١٥ وعنوانها اسامي الكتب المسمي بالندكار

الجامع للآثار . (٤) رقم ١١٣٤ و ١١٣٥ وكل منهما عنوانه فهرس العلوم .

(٥) رقم ٤٤٧ بعنوان فهرست العلوم القديمة .

وحبذا لو ان الامام احمد امين الذي وقف على طبع الكتاب في العام الماضي قام بهذه المهمة الشاقة فصحح لما الكتاب وأظهره كاملاً بقدر الامكان . على ان الأمل في الحصول على نسخة تامة صحيحة في القريب العاجل كبير جداً وقد عهدت جامعة كولومبيا الى الدكتور (ضودج) رئيس الجامعة الاميركية في بيروت بان يقوم بتصحيح الكتاب وترجمته الى اللغة الانكليزية .

غير ان معرفتنا بالمؤلف نفسه مستظل كما كانت سابقاً ان لم ينجح لاحد ان يكشف مخطوطة جديدة تفصل من حياة ابن النديم ما أجملته الكتب التي لدينا اليوم والتي نعتقد بأنه لم يكن لها مصدر تقتبس منه سوى كتاب المؤلف نفسه . وعلى هذا فليست كتابة ياقوت في (إرشاد الارباب) ولا كتابة ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (في لسان الميزان الملحق بميزان الاعتدال للذهبي) إلا مصدران ثانويان عن حياة المؤلف . وكذلك لا يمكننا ان نقبل من ابن النجار قوله (في ذيل تاريخ بغداد) ان ابن النديم « مات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ هـ » وابن النديم نفسه يذكر في تراجم بعض الرجال تواريخ بعد هذه السنة اللهم الا ان ذهبنا مذهب فلوجل والامام احمد امين<sup>(١)</sup> وقلنا « ان المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ هـ وكان يترك فيها باضاً يملؤه بما يجده بعد ذلك او يضع على النسخة تعليقات في أزمنة مختلفة » وقد جرى ذلك في تراجم ابن خلكان<sup>(٢)</sup> .

ولذا نعتبر هذه التواريخ منتحلة بكاملها كما قال (ليك)<sup>(٣)</sup> فلتول وجهنا اذا شطار كتاب المؤلف لنقف — قدر المستطاع على حقائق حياته منه .

اسمه محمد بن اسحق النديم المعروف بابي الفرج ابن ابي يعقوب الوراق<sup>(٤)</sup> كتب الجزء الاول من كتابه كما يقول مراراً فيه — سنة ٣٧٧ هـ ثم أضاف اليه مقالات أخرى بين هذا التاريخ واول القرن الخامس . وأخبرنا ابن النديم في مكان آخر من كتابه في ترجمة البردعي<sup>(٥)</sup> بأنه « لقيه وكان به آنساً » وهذا ما يجعلنا نفترض تاريخاً لولادته يختلف بين سنة ٢٢٠ و سنة ٣٢٥ هـ ويكون قد بدأ كتابة مؤلفه بعد ان اجتاز العقد الخامس من عمره ونوفي في

(١) انظر مقدمة طبعة فلوجل ومقدمة طبعة مصر . (٢) أبدي لي هذا الرأي الامام السيد عمر الصالح البرغوثي سنة ١٩٣٠ . (٣) في مجلة جمعية المستشرقين . (٤) انظر ص ٢٨٠ و ٣٣١ من طبعة مصر . (٥) ص ٣٣٠ .



أول القرن الخامس شيئاً كبيراً . تعرف ذلك من قوله في ترجمة ابن نباتة انه « ابونصر ابن نباتة التميمي من شعراء سيف الدولة وتوفي بعد الاربعمئة<sup>(١)</sup> » ومن قوله في ابن جني انه توفي سنة ٣٩٢ هـ<sup>(٢)</sup> .

اما موطنه ببغداد بلاشك لانه يذكر كثيراً عن تفاصيل حياة البغداديين فيخصي لنا عدد مائة بغداد ايام حكم معز الدولة فيقول : « فأما مدينة السلام فكنت أعرف منهم ( اي المائوية ) في ايام معز الدولة نحو ثلاثمائة واما في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة انفس<sup>(٣)</sup> » .

وقد قال ابن النديم في حديثه عن مذاهب أهل الصين انه لقي راهباً من أهل نجران كان قد « أتقذه الجاثليق . . . الى بلد الصين وأتقذ معه خمسة أناسي من النصارى وعاد من الجماعة هذا الراهب وآخر » قال : « فأتقذته بدار الروم وراء البعثة » . وقد ذهب فلوجل في سنة ١٨٧١م وأيد مذهبه المستشرق (فيك) الى ان دار الروم هي القسطنطينية وأن البعثة هي كنيسة القسطنطينية الكبرى التي شادها يوستنيانوس وحولها التترك فيما بعد الى مسجد آجيا صوفيا . وعلى ذلك قالوا : ان ابن النديم زار القسطنطينية . وخالفهم في هذا الرأي جمهور المستشرقين والاساتذ احمدامين . والحقيقة ان ابن النديم — على ما نعرف — لم يصل القسطنطينية وليس في وسعنا ان نستنتج من هذه العبارة انه كان فيها ذات يوم . ويتضح ذلك بخمسة براهين :

اولها — ان التاريخ — على ما نعرف — لم يذكر ان العرب اسما القسطنطينية دار الروم بل كانوا يسمونها ( ببلد الروم ) وهكذا فعل ابن النديم نفسه في كتابه .  
ثانيها — ان مؤرخي العرب يقولون ان المدن العربية الكبرى كانت منقسمة الى محال وكل محلة من هذه كانت تعرف بدار وتنسب الى اسم معين فمن ذلك مثلاً : ان باقوت<sup>(٤)</sup> يقول :

« دار الفز محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء . . . وكل ما حولها قد خرب ولم يبق الا اربع محال متصلة » ثم يقول : « دار الفرج محلة كانت ببغداد » وان صاحب

(١) ص ٢٤٠ . (٢) ص ١٢٨ . (٣) ص ٢٧٢ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٣٢ ليبك سنة ١٨٦٧ .

النكلة<sup>(١)</sup> قال : « لما ورد سيف الدولة الى بغداد فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان » .

ثالثها - ان ابن النديم نفسه ذكر في ترجمة ابن كلاب<sup>(٢)</sup> مانعه : « قال ابو العباس البغوي دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربي فقال رحم الله عبد الله ( يعني ابن كلاب ) كان يجي فيجلس الى تلك الزاوية وأشار الى ناحية من البيعة » . وعلى هذا فكانت دار الروم محلة ببغداد والبيعة هي بيعة النصارى في دار السلام لا كنيسة آجيا صوفيا .

رابعها - انه لو كانت دار الروم القسطنطينية لكان الذي أنفذ الراهب والأناشي معه البطريك وهو أعلى سلطة دينية في البلاد لا الجاثليق الذي هو دون البطريك لان كرسي البطريك في القسطنطينية وكرسي الجاثليق في بغداد الذي هو زعيم النصارى في بلاد الاسلام .

قال البيروني في كتابه<sup>(٣)</sup> : « قاثوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكية من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريك أنطاكية فأما جاثليق النسطورية فيكون من عند امير المؤمنين على رضى من جمهورهم » . اما القلقشندي<sup>(٤)</sup> فقال ان درجات النصارى الدينية ثمانية سادسها الجاثليق ( بالتاء والتاء ) « وهو عندهم صاحب الصلاة » وذكر هبستنكر ان هذا اللقب « لم يكن معروفاً عند غير الأرمن واليعانية والنساطرة » واول جاثليق للنساطرة في بغداد كان ثيموسيس وكان صديقاً للمهدي وهارون الرشيد . وقد نشرت مجلة جمعية المستشرقين الجرمانية نسخة عهد صادر من امير المؤمنين الى جاثليق النساطرة ببغداد في القرن الثالث عشر للميلاد جاء فيها : « ولما انتهت حالك الى امير المؤمنين وأنتك أمثل اهل ملتك طريقة وأقربهم الى الصلاح مذهباً وخليفة . . . انفقوا باجتماع من آرائهم والشام من قلوبهم وأهوائهم على اختيارك لرياسة دينهم . . . فأوعز بأسعافهم فيما سألوه بالايجاب . . . وبرز الاذن الامامي الأشرف - لازالت أوامره بالتوفيق معصودة -

(١) تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ ص ٢٣٩ ، مصر . (٢) ص ٢٢٥ .

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية طبعة ساخاو سنة ١٩٢٣ ص ٢٨٩ .

(٤) صبح الاعشى ، القلقشندي ج ٥ ص ٤٧٤ المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩١٥ .

بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام ومن تضمه ديار الاسلام وزعيماً لهم ومن  
عدهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد وكل حاضر من هذه الطوائف وباد .

خامساً — انه لم يهتم بالارسلالات التبشيرية من المسيحيين في ايام ابن النديم وقبله  
بثلاثة قرون نقر بيا غير الناصرة الذين يرأسهم الجاثليق وقد قص علينا الرحلة ماركو پولو  
بانه وجد في سوقطرة<sup>(١)</sup> مسيحيين خاضعين لالابابا بل لمن دعاه خطأ « بطريك بغداد »  
بدلاً من جاثليق بغداد . ولنا نعرف تاريخ اول ارسلالة نسطورية قصدت الصين للتبشير  
ولكننا نعلم يقيناً انه في القرن الثامن ليلاد بشت (سلايسكا<sup>(٢)</sup>) الاول النسطوري بمطران  
الى الصين<sup>(٣)</sup> .

وهل بعد كل هذا يمكننا ان نقول — اعتماداً على عبارة ابن النديم — ان مؤلفنا  
هبط القسطنطينية — اللهم لا !

وأعود الآن الى ما كنا بصدده من البحث في حياة ابن النديم : فنليس سيرة ابيه ،  
فنجد — كما يتضح من المقالات الثلاث الاخيرة — وراثاً . ولنا ندري أكان النديم  
لقبه او لقب ابيه او احد اجداده الاقدمين . وهو في كتابه ذكر تراجم طائفة من الندماء  
فبدأ باسم بن ابراهيم الموصللي وانتهى بالآمدي ، لكنه لم يودع كتابه شيئاً يصح ان  
نستنتج منه انه كانت تربطه صلة قرابة باحد هؤلاء الندماء ، ولذلك فاني أرجح ان (النديم)  
كان لقباً له ، ويزيد ثقتي بهذا الترجيح ان ابن النديم عاصر عضد الدولة بن بويه وهو الذي  
« احبا العلوم وكانت موانا وجمع اهلها وكانوا اشناقاً<sup>(٤)</sup> » بل انه كان فوق ذلك « فاضلاً  
محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون<sup>(٥)</sup> » ولا يستبعد ابداً ان يكون مؤلفنا احد ندماء هذا

(١) جزيرة ثناوح عدن من الجنوب ( ياقوت : معجم البلدان ) .

(٢) Slibazka و معناه « المصلوب النصر (كذا) » .

(٣) Assemani - Bibl. Orient, p.p. 414 - 434

(٤) تجارب الامم لابن مسكويه ، ج ٦ ص ٨ : ٤ .

(٥) ابن خلكان ، ج ١ ص ٤١٦ بولاق .

السلطان العظيم أو من رجال خاصته<sup>(١)</sup> .

ومعها يكن من أمر فالذي نعتقه ان ابن النديم كان من أفاضل رواة العلم ويصح ان يقال انه كان كأبيه - وراقاً - اذ يتمذر على غير وراقي ذلك الزمن ان تحيط دائرة معارفهم بكل ما أورده مؤلفنا في فهرسته من ذكر مؤلفين ومؤلفات . فهو ترجم مشاهير الشعراء وخاملي الذكر ، وأتم باخبار الندماء والجلساء والمغنين والمضحكين وذكر أسماء كتبهم بالتفصيل ووصف أحوال المعزّمين والمتمبذين والسحرة وأصحاب الخيل والحركات وذكر كثيراً من الخرافات وأتم بعلوم الدين وأخبار الملوك والكتاب والمرسلين وشرح تعاليم مختلف الملل والنحل . أضف الى هذا انه عدد من الكتب والاسفار وذكر ادراكها وصفحاتها واسطرها مما لم يثن لغيره من سبقه ادعاه ان يعدد ذلك .

ثم ضمن كتابه تراجم وراقيين كثيرين منهم فيلسوف اليمانية يحيى بن عدي قال : « قال لي يوماً وقد عاتبته على كثرة نسخته من اي شيء تعجب في هذا الوقت ؟ من صبري . وقد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعمري بنفسي وانا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقل » . ومن هذا يستدل على انه كان يخاطب طبقة من الناس لا يخاطب بها الا وراقيو ذلك العصر .

وانك لتلمس خبرته بمهنة الوراقه حين يتحدث اليك عن نعمت اقلام الامم وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها . وحين يعدد لك أسماء مذمّي المصاحف ومجلديها ، ومثل هذه الملاحظات الدقيقة التي لا يسترعيا انتباه من لم يمارس الوراقه . والظاهر من مطابقة أشكال الخطوط التي أوردها في مؤلفه للخطوط التي رسمها ابن وحشية في كتابه<sup>(٢)</sup> ان ابن النديم استقى شيئاً كثيراً من هذا المؤلف الثمين مما يتعلق بالخط وأشكاله . وحسبك ان

(١) وذكر ابن مسكويه ايضاً ، ج ٦ ص ٤٠٨ مانصه : « وأورد (عبدالدولة) لاهل خصوصه من الحكماء والفلاسفة موضعاً يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها التجارب فكانوا يجتمعون فيها للمناقضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تصل بهم » .

(٢) شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام تحقيق هاسر سنة ١٨٠٦ .



تقابل ماجاء في صحائف ٩٢-١٣٤ من (رموز) ابن وحشية مع المقالة التاسعة لابن النديم للتحقق ذلك . ولم يخف ابن النديم ما نقله وانما قال حين روى بعضه : « قرأت في بعض الكتب القديمة » وقال في الآخر : « قرأت في بعض التواريخ القديمة » .

والذي امتاز به مؤلفنا عن غيره تسامحه المذهبي ، فهو مع كونه شيعياً انصف اهل السنة وغيرهم من الفرق الاسلامية فذكر ما ذكر عنهم باسناده الى قائله حتى انه حين ترجم حياة ابي عمر الزاهد قال : « سمعت جماعة من العلماء يصفون حكايته وانتسبوا به الى التزبد وكان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام . . . وتوفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة وسنة ثمانون سنة ، لقاء الله عمله » . وهذا منتهى التعنف في الاداء على الخصم ومنتهى التسامح المذهبي الذي لا يتجده الا عند جهابذة المفكرين وفطاحل العلماء الانذاذ .

اما نظره في المذاهب غير الاسلامية التي يذكرها في المقالة التاسعة من الكتاب ، فقد جهر برأيه في هذا الباب الى حد قل من جراه فيه من المؤلفين القدماء . والفن الاول من هذه المقالة « يحتوي على وصف مذاهب الخيرية الكلدانية المعروفين بالصابئة » ( وهم الذين اتحلوا اسم الصابئة نقيّة كي ينجوا به ويسلموا من القتل بعد ان انكروا المأمون عليهم لبس الاقبية وأحل دماءهم يوم رحل يريد بلاد الروم فأفتاهم فقيه ان يقولوا نحن الصابئة الذين ورد ذكرهم في الكتاب ) .

وقد ترجم ابن النديم حياة ابن وحشية الكلداني قال : « وكان يدعي انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة » ثم قال : « وقرأت نسخة هذه الأقسام بعضها في جملة أجزاء . . . وربما وقعت هذه المخطوط في كتب العلوم التي ذكرت من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث اهلها العلم فلا تفهم — اللهم الا ان يكون الانسان عارفاً بذلك اللغة وهذا معوز وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي الى اللغة العربية فينبغي ان يتأمل وتجعل هذه الأقسام مثالا لها ويرجع اليها ان شاء الله تعالى » . فانظر كيف انه احترام علم ابن وحشية واخذ عنه مع انه قال كان يدعي ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة »

وذكر ابن النديم شيئاً كثيراً من مذهب المانوية ولم يشير الى المصادر التي اخذ عنها والظاهر انه بنى اقواله في هذه المرة على ما كان يقوله له اتبباع هذا المذهب في ايام معز الدولة ( سنة ٣٣٦ — سنة ٥٣٥٦ ) وقد ترجم حياة رئيسهم ابي علي رجاء يزيد بن جندب بن

قال : « قال له المأمون أسلم بإيزدانبخت فلولا ما اعطيناك اياه من الأمان لكان اما ولك شأن - فقال يزدانبخت : نصيحتك يا اير المؤمنين مستمرة وقولك مقبول ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم - فقال المأمون : اجل - وكان أنزله بتأحية المحرم ووكل به حفظة خوفاً عليه من القوغاء » - ولم يعلق ابن النديم على هذه الحادثة شيئاً بل استحسن صنمها من المأمون على ما يظهر وعندما كان يذكر الملوك والرؤساء الذين كانوا يرمون بالزندقة كانت لا يضيف اليهم كلمة تقربع اولوم - أليس هذا من تسامح ديني وسعة عقل ؟

اما أبحاث ابن النديم في الادب ان القديمة فلا تزال حتى يومنا هذا مصدراً يقتبس منه علماء المشرقيات من مؤرخين وفلاسفة وهم يثقون بأقوال المؤلف ثقة تامة جعلت لكتابه بينهم مكاناً علياً .

وقبل ان أختتم كلمتي هذه في ابن النديم وكتابه أذكر شيئاً عن الأسلوب الذي نهجه في جمع تأليفه فقد قال في كتابه : « اذا ذكرت من المصنفين المشهورين انساناً أتبعته بذكر من يقاربه ويشبهه وان تأخرت مدته عن مدة من أذكره بعده وهذه سبيلي في جمع الكتاب والله يعين بمنه وفضله » -

وقال في موضع آخر حين يتحدث عن الامام الناصر للحق الحسن بن علي : « هذا ما رأينا من كتبه وزعم بعض الزيدية ان له نحواً من مائة كتاب ولم نرها - فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها أحققا بموضعها ان شاء الله تعالى » - وكذلك تراه سيف في كل بحث طرفه يسند الروايات الى أصحابها وما رآه من التصانيف بقول رأيت وما سمع به بقول : « يقال كبت وكبت » ومن هذا نستنتج اموراً أربعة «

اولها - ان ابن النديم كان يجمع تراجم الذين يرغب في ذكرهم ويرتبها حسب الفنون لا حسب العصور .

ثانيها - ان غاية ابن النديم من تأليفه كانت خدمة العلم لانه سمح لغيره ان يضيف الى كتابه معلومات جديدة متى عثر عليها رغبة منه في إتمام الفائدة - واين من هذا قول الجاحظ : « خطر ببالنا كثرة العيايين من الجهال يرب العالمين فلم نأمن ان يسرعوا بسفيه رأيهم

(١) مع العلم بان ابن النديم كان يروي واما الجاحظ فكان يرى آراء حاسمة نخشي ان يبدس عليه بالبس له .

وخفة احلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتخريفه عن مواضعه . . . وأحيينا ان نأخذ به ذلك بالحزم وان نحناط منه لانه منا . . . ونبادر الى تفريق نسخة منها ( من رسالة الشبعة ) وتصيرها في ايدي الثقات والمستبصرين . . . فان شبيب به شوب يخالفه أو أخيف اليه ما لا يلائمه رجعنا الى النسخة المصوبة . . . واستعملنا بها على المبطلين <sup>(١)</sup> . . . بل واين منه مارواه ابن النديم نفسه في كتابه قال :

قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد ( الزاهد ) هذه العرصة هي التي نورد بها ابو اسحق الطبري آخر عرصة اسمعها بعده فن روى عني في هذه النسخة هذه العرصة وحرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب علي وهي من الساعة الى الساعة من قراءة ابي اسحق على سائر الناس وانا اسمعها حرفاً حرفاً . . . فانت ترى الفرق البين بين نزعة ابن النديم العلمية ونزعة الآخرين المتشعبة بروح الأتانية .

ثالثاً = ان ابن النديم نحا في جميع كتابه منحي العلماء المحققين فأعطى كل ذي حق حقه وأرجع الامور الى مصادرها ولم يبخس الناس اشياءهم بل تعمد الصدق فيما قال وروى .  
رابعاً = « انه لم يبرز في فن من الفنون ادعاه من العلوم سوى ترجمة الرجال باختصار وضافة مؤلفاتهم اليهم مع ملخص محتوياتها ، وهذا عمل مفيد جداً ، ولكني لا ادري لم أهمل ترجمته المؤلفون والمؤرخون ؟ الفضة نسبة ؟ اولضيق يده ؟ او لاحتباس شهرته في عصره او لسوء حفظه ؟ او ان ترجمته دوت فلم تصل الينا ؟ وهذا هو الأرجح .  
وبعد فكتاب الفهرست ذخيرة للعربي وأثر يشهد بما انتجته عقولهم ، واعتقد انه يجب على كل من يُعنى بالعرب واخبارهم وعلومهم وفلسفتهم ان يرجع اليه فيأخذ منه بعض حاجته من علم وفن ادب .

بيت المقدس : محمد يونس الحسيني



## المغلاظة في اللغة

- ٤ -

( تابع لوصف الارض ) = الجرع والجراعة والجرعة والأجرع ، الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل وكذلك الجرعاء . والأرضان من الارض ، الحزنة . والركشاء ، الارض الغليظة المرتفعة . والجهد ، مكان الحزن . والحزباء ، الارض الغليظة الشديدة الحزنة — ومكان غليظ مرتفع . والعووة ، ما غلظ وارتفع من الارض ولم يبلغ ان يكون جبلاً . والعزيم ما غلظ وصلب من الارض مع اشراف قليل ج عزائم قال كعب ابن زهير :

ترمي الفيوب بعيني مفرد كتهق اذا توقدت العزائم والميل  
والكندرة ، ما غلظ من الارض وارتفع . والحةو ، موضع غليظ مرتفع عن السيل  
ج حقاء . والواعر والوعر المكان الحزن ومثله الوعر والأوعر . والعووة ، قطعة  
من الارض فيها غلظ . والتروس من جلد الارض ، الغليظ منها . والعزيم ، ما غلظ  
من الارض وكثرت حجارته وكانت أغلظ وأخشن من حجارة الاكمة غير ان ظهره عريض  
طويل . والعومانة ، المكان الغليظ المنقاد ج حومان وحوامين . والزبزي والزبزا  
والزانية ما غلظ من الارض ومثله الحرشف والحرشفة . والخشباء الارض الغليظة  
الشديدة بها حجارة وحصى وطين . والخرشائف والخرشفة ، الارض الغليظة من الكدان  
لا يستطيع ان يمشي فيها وانما هي كالاضراس . والخرشمة الارض الغليظة الصلبة .  
والدكدك والدكدك ارض فيها غلظ مثل جرير بن عبد الله عن منزله فقال :  
« سهل ودكدك وسلم وأراك » والقراز ، الغليظ من الارض . والشأز والشيز  
المكان الشديد الغليظ . والصبارة ، الارض الغليظة المشرفة لا تقبث شيئاً . والقادم



والقدم ، ماغلظ من الحرة . والضارب ، القطعة من الارض الغليظة تستطيل في السهل .  
 واخطائط ، طرائق تفارق الشقائق في غلظها ولينها . والأبس ، المكان الغليظ الخشن .  
 والحذرية ، القطعة الغليظة من الارض . والصليداء والصليداء ، الارض الغليظة  
 الصلبة . والصليفاء والصليفاء ، الغليظة الشديدة . والصنعة ماغلظ من الحرة .  
 والنشر لمكان الغليظ الشديد . والكأدي القطعة الغليظة من الارض من غير حصي .  
 والقضفة قطعة من الارض تغلظ وتحدودب وتطول قليلاً . والكأدية الغليظة الصلب  
 ج كأدي . السبك الغليظة القليلة الخير . والجأدد الغليظة الصلبة - والمستوية .  
 والقرو التي لا تكاد تقطع . والأحزم الغليظ من الارض . والضمرة الحرة الغليظة التي  
 لا أملك بالليل . والضمز المكان الغليظ . واليدار غلظ من الارض يعترض في فضاء  
 واسع . والارض الظلمة والظلمة الغليظة التي لا تؤدي اثرأ وقد ظلمت الارض  
 اي كانت ظلمة . والمكأوك المكان الغليظ الصلب . ومثله الفدفد . والحزين الحزن .  
 (الغليظة) والعكباء الجانية الخلق . والعبيلة الغليظة . والضمز المرأة الغليظة ومثله  
 الضمزة . والشالة والشلة من الاقدام . والشفة القلفة والحماة الكأمة والكشمة والاثنان  
 الكأدرة والشجة الكدرة . وقالوا عصاة قشبار غليظة كالخشبة . وامرأة متكأكة  
 غليظة كثيرة اللحم . ودوحولة ضخمة غليظة . وجولة غليظة عظيمة الخلق . والصلاية  
 شريحة خشنة غليظة من القف . والجألدية من الفراسن ، الغليظة الوكبة .  
 والعركية والعركانية الغليظة .

(القصير ايضاً) والكأادر الغليظ القصير مع شدة ويوصف به الغليظ من حمر  
 الوحش كقوله : كأن تحني كأدراً كنادراً . والثمة رور الرجل الغليظ القصير ومثله  
 سمار جأمد وحفاسي . والجأذر القصير الغليظ من الرجال الشثن الأطراف وهي بهاء  
 ومثله المجذر .

(الزنجي او الاحمر) والعأبلي الزنجي الغليظ . والفراص الغليظ الاحمر .  
 (الضخم) والعأيل الغليظ الضخم ومثله الكأهدل والمأد والهزيز والجأيس  
 والجأخاب والجأادي والجأادباء (من الرجال والجر) والضمدة يقال عبد ضمدة .  
 والدأعس والجأردحل (من البشر) .

(الكثير اللحم) والغُدْبُ الغليظ الكثير العُضْل . ورجل معتَر غليظ كثير اللحم .  
ومثله البلخص . والثُلَّاقِل النار الغليظ .

(تقى) والغضنر والغضنفر الجاسي الغليظ . ومثله الخَضِيج والحُضَاجِم والفحل  
الخُجَارِز والاعرابي الجليظ والجلف واصله من اجلاف الشاة وهي المسلوخة بلا رأس  
ولا فؤاد ولا بطن اي ان جوفه هواء لا عقل فيه . والدُّحَامِل الغليظ المكثّر . والدُّخْل  
الغليظ الجسم لمداخله . والهَرَش المائت الجاني . والهَجْرُم والهَجَارِم الشديد الغليظ  
المعقد . والقنور الفظ الغليظ . والآبَدِر الغليظ من حر الوحش والبهائم الغليظ  
الجسم . والجَرَازِب الغليظ الثقيل . والعَرَك كك الغليظ القوي . والدُّمَاحِل الدحامل .  
والعَزَوَر المكان الغليظ . وقدح مُكْدَم زجاجة غليظ . ورُبّ عقيد غليظ شديد  
وقدح خاضر حادر صلب . واسد شربث غليظ ومثله حمار كُدُر ورجل جَرْعَب .  
وسقاء جازن قد ييس وغلط من العمل . وحَيْس جَعْد غليظ غير مبط . والجِلْمُود  
الغليظ الشديد ومثله المكَّند . واليَاسِدَم اليبد الجاني الغليظ .

وقالوا هو مستعجب الخلق اي غليظ جاف . وطمنه في مستغله ذراعه اسبه حيث  
غلظت ذراعه . وهؤلاء قوم غلاظ الرقاب اي اجلاف عتاة . والحادر الغليظ من الرماح  
والهُسْقُود النار الجاني الخلق . والقَفْنُ الجلف الجاني . والآنِيج الجاسي الغليظ .  
والهَيَبُوس الرجل الاحوج الجاني . والهَشَوَز والهَشَوَز الشديد الخلق الغليظ .  
والفرافص السبع الغليظ . والفُرْنِي الرجل الغليظ . والَنْضَعُ ما كان غليظاً كالخلق  
والغالية . وخبز قَدَم غليظ ومثله رجل قُصَّةُ صُ وُقُصَّةُ صَة . ويقولون هذا سقاء  
لا يستوكي ولا يستكسب اذا كان فيه غليظ الاديم . والاوزاز من الامور الغلاظ منها .

(النبك) : سالم خليل رزق

## آراء وافكار

—(١)—

### مطالعات و مراجعات

— في اللغة والأدب والتشريع والتاريخ —

قرأت في ص ٣٨ من مجلد هذه السنة من مجلة المجمع « وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال ، يسبق الظلام . . . » أذكر انني كنت قرأت مثل هذه العبارة في رسالة الانتقاد لابن شرف القيرواني التي نشرت في مجلة رسائل البلغاء وانه ورد فيها « الظلم » مكان « الظلام » وهو الصواب لان الظلم هو المعروف والموصوف عند العرب بسرعة الجري ولا مفهوم لسبق الفرس الظلام<sup>(١)</sup> . جاء في حديث احدى الجوارى الخمس اللاتي نعتن خيل آبائهن ورواه القاضي في اماليه قول احدها : « ان أقبل نظمي معاج وان أدير فظليم هداج ، وان أحضر فعلم هداج . . . » قال أستاذنا الامام الأتوسي عليه رحمة الله في بلوغ الأرب . مطلقا عليه : « معناه انه سريع الجري في كل حال من الأحوال الثلاثة ، فهو كالظلي المسرع اذا قبل ، وكالظلم اذا أدير ، وكهار الوحش اذا أحضر . . . والظلم ولد النعام وهو بوصف بسرعة المشي الخ » . وأحسب ان في تفسيره الظلم بولد النعام تحريفا صوابه ذكر النعام ، والنعام مشهور بالخفة وشدّة الحذر وسرعة الجري عند العرب . ومن ماثور اقوالهم « ركب جنح نعام » بضربونه مثلاً لمن جد في امر كانه زام او غيره . قال يزيد بن قنافة من شعراء حماسة ابي تمام :

لعمري وما عمرى عليّ بهين . لبس الفتي المدعو بالليل حاتم  
غداة اتي كالشور أخرج فائق . يجهشه أفتاله وهو قائم  
كان بصحراء المُرّ يَط نعام . تبادرها جنح الظلام نعام

(١) «المجمع» وللظلام وجه وجيه بدليل قول النابغة :

وانك كالليل الذي هو مدركي وان نخلت ان المنشأى عنك واسع

أعزتك رجلها وهاتي إليها وقد جردت بعض اشتون صوارم  
وقال أحدهم يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :  
جزى الله خيراً من امام وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق  
فمن يسم أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق  
وفي ص ٢١ رأيت الكاتب وهو في سبيل البحث عن حياة الألفاظ ، يتساجح في استعمال  
ملاحجة بنا إليه من اللفظ الدخيل . فقد وجد في ( الاكاديمية ) لذة فرددها ثلاث مرات  
في بضعة أسطر متقاربات ، وفي ( المجمع ) الذي ساغته الاسنة وسالت به الأفلام ودرج  
عليه الاصطلاح غنى عن ( الاكاديمية ) فليئت الاكاديمية ولنحي المجمع . وارجو ان  
لا بأسف الكاتب العربي على ذلك أسف الكاتب الفرنسي صاحب مقالة الطان على كلمة  
( Midinettes ) التي اطرحتها ( الاكاديمية الفرنسية ) فإنه إنما أسف لأنها استغنت عما  
لا غنى للغة الفرنسية عنه ، وليس شأننا ازاء ( الاكاديمية ) كذلك .  
واستعمل كلمة ( الاويرا ) الدخيلة التي زعم من زعم انها عربية الاصل منقولة عن ابي  
العبر ، ماجن خليم ، نقلها الايطاليون عن العرب ايام احتكاك العنصرين ببعضهما ببعض  
فحرفوها الى اويرا ، واننا جهلنا ذلك فحسيناها دخيلة وهي اصيلة .  
لا أريد ان أناقش هذا النوع من الضرب بالرمل او الطرق بالحصى وانما أريد ان  
أعذر مستعملها على كونها دخيلة في رأيي ورأي الاكثيرة المطلقة من الباحثين حتى نقيم  
مقامها كلمة مفردة من العربي الاصيل تؤدي المعنى الفرنسي احسن اداء فالبقاء على  
الاويرا افضل من قبول العبرة التي يزعم اصلها الروم ولا يؤيده النص ولا المعنى الغني  
الدقيق لهذه اللفظة في لغة القوم ، فما رأي الاكياس الألباء ؟  
وفي ص ٥٣ ورد ( حسن البزار ) بالزاي والراء وانما هو البزاز نسبة الى البز ، وقد  
نظمه الكاتب في حلقة كاظم الأزرعي والأخرس والعشاري والحبيبي من فحول شعراء  
العراق في القرن الماضي وليس بذلك . ونظم معهم ايضاً اسم السيد حسن الداودي  
ولست أعرفه بل لم أسمع باسمه الا من طريقه فهل له ان ينفصل علينا بترجمته ؟  
ووصف احد اعضاء المجمع نادرة دواوين اللغة «المقاييس» ٦٥ - ٧١ ، وقد وصفه  
قبله كاتب نجني منشور في المجلد الثاني من مجلة لغة العرب لسنة ١٣٣٠ هـ ولكنه لم يذكر



اسم مالك النسخة . وأرجح انها نسخة آل كاشف الغطاء التي أشير اليها ولعل واجهه مالكا . وقد قال في جملة كلامه ( طولها ٣٦ سنتيمتراً وعرضها ١٩ وطول المكتوب منها ٢٥ وعرضه ١٤ وفي كل صفحة ٣١ سطراً . وعدد اوراقها ٤٩٧ . وقد خرقتمها الأرضة ولكن لم تؤثر في نفس الكتابة كثيراً والظاهر ان في حبرها شيئاً لا تستطيع الأرضة اكله وهي كثيرة الغلط لا ينفع بها الا من مارس هذا الفن وأخذ باطرافه . وكانها لم يذكّر تاريخ الفراغ من نسخها الا ان المتدبر العارف بتاريخ الخط العربي يحكم بانها كتبت بعد الألف وفي بخط واحد ٠٠٠ ) ومما يكن من امر هذه النسخة فان مقابلة نسخة المجموع العلمي العربي بها اذا تيسرت لا تخلو من فائدة . . .

وفي ص ٧٤ ( الخلفاء اللامعين ) ولعل الكاتب الفرنسي أراد — بحسب الظاهر — ( الخلفاء الأمويين ) فخرقتمها الترجمة ، والا فاهو معنى الخلفاء اللامعين . فهل اراد الخلفاء الراشدين فوصفهم باللعان لحسن سيرتهم ؟ وعلى كل فان في التعبير غموضاً يحتاج الى ابصار .

وفي ص ٨١ ( وراقوا بغداد ) وزيادة الالف بعد واو الجماعة في الاسم المضاف خطأ . وفي ١٣٠ ( الشيخ محمد محمود الذكرى ) والصواب التركي . وفي ١٣٨ و ١٤٠ استعمال فعل وفق متعدياً بالي تارة وباللام أخرى ، وميل الكتاب اليوم الى الاول اكثر بل قل من رأيت بعد به باللام ، والذي اعلمه ان الثاني هو الصحيح وان قبل ان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . اني لأطأطي الرأس لعلم الفقيه الاكبر صديقتنا احمد تيمور باشا ولكنني مستفهم مستفيد . وقد رأيت كذلك يستعمل فعل راق متعدياً باللام ( ص ١٤٣ و ١٤٤ ) وهو انما يتعدى بنفسه ، اما تأول الحام اللام فتمحل لا يعدو ان يكون من الحرفشة التي نعت بها ابن خلدون النخاعة ، وقد اغنانا العلامة الامير شكيب أرسلان فيما كتبه في ابطال زيادة هذه اللام هنا عن تفصيل القول فليرجع اليه من شاء في مجلة المجموع العلمي م ٩ ص ٦٨ .

وقرظ احد الاعضاء كتاب الخارج سيف الحيل المنسوب للامام محمد والذي نشره المستشرق الالماني يوسف شخت ( Joseph Schacht ) ( ص ١٨٠ — ١٨٣ ) فكان جد موفى في نظره الى الحيل التي تضاف الى الشرع الاسلامي وهو منها براء ولن يزال

المجمع العلمي بخير وهو يكمل الامور الى اربابها . وأحب ان ألفت الناشر وغيره من الذين لم يكتب لهم الوقوف التام على الثقة الذببت من مراجع الاسلام الى مناقشات الامام ابن القيم لأصحاب الحيل في كتابه اعلام الموقعين فانها أوسع ما كتبه علماء الاسلام في إبطال الحيل تتنازع بأسلوبها العلمي الدقيق وإيراد الحيل واحدة واحدة وتقضها بالدليل النقلي والبرهان العقلي في أناة وهدوء وانجام . وفي رأبي ان هذه الحيل من وضع الشعوبية الذين هاموا لهدم الاسلام في كل واد ونفذوا اليه من كل سبيل ، ولا أكثر شراً على الاسلام من فتح هذه الشجرة التي فتحوها ووقع فيها من وقع من بسطاء المنقمة . ألفت نظراً للناشر وغيره الى كتاب الامام ابن القيم وأريد العلامة المغربي على ان يوافقني على ان نسميته الامام محمد كتابه - اذا صححت نسبته اليه - ( كتاب الخارج في الحيل ) ليست من الاحسان شيء لان علينا أن نلاحظ المسمى قبل اسمه وننزعه الخلق من الباطل ولو مته الباطل اسماً او وهمّاً وخيالاً ، اما قوله « لو سماه كتاب الخارج في الخارج اي في المضايق والمآزق لكان أكثر احساناً لعمرى » فاني لنجمل جداً ان اقول في التعليق عليه : ان اصحاب الحيل لما رأوا قفرة الناس من اسم الحيل سموه ( وجوه الخارج من المضايق ) - انظر اعلام الموقعين م ٣ ص ١٥٧ ط ١ - .

وبني ص ٢٠٢ ( وهو كناني : قيل صليبه ، وقيل مولى ) هكذا ورد صليبه بالباء الموحدة فالياء المثناة ، ومثله في ترجمة الجاحظ التي نشرها المستشرق ف . كرنكو في مجلة المجمع العلمي العربي م ٩ ص ٢٠٣-٢١٢ نقلاً عن تاريخ ابن عساکر من نسخة المتحف البريطاني . وهو تحريف عن صليبة بتقديم المثناة على الموحدة كما ترد كثيراً في كتب الانساب والتراجم وصفاً للرجل الذي كان عربياً نسباً لا ولأولاداً ، وان شئت راجعتهما في الاغانى في نسب الحزبين ووالبة بن الحباب ومحمد بن وهيب ومحمد بن ذؤيب وغيرهم . ومن الغريب ان هذه الكلمة على شيوخها في كتب الانساب والتراجم لم تأت في كتب اللغة وصفاً للمذكر يحرف التأنيث ، وانما قالوا : رجل صليب وامرأة صليبة ، ففي اساس البلاغة « ومن الجواز عربي صليب : خالص النسب ، قال أمية : ( وبعرفنا ذوراً أيها وصليبيها ) وامرأة صليبة كريمة المنصب عريقة » اه .

وجاء في الكلام على الجاحظ ص ٢٠٤ ( وكان يقال له ايضاً الحلاتي ) والصواب الحدقي

كما في: فيات الأعيان م ١ ص ٣٨٨ ومعجم الادباء م ٦ ص ٦٢ . ولعل الجاحظ هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب استندرا كاً على غلط غلام عجمي - عرفت: رطائلة الجاحظ الى الجاحد فقال له قل الحدقي فقال الحلقي في قصة ذكرها باقوت الحموي البغدادي في معجم الادباء وهي : ان الجاحظ صار الى منزل بعض إخوانه ، فاستأذن عليه ، فخرج اليه غلام عجمي فقال : من انت ؟ قال : الجاحظ . فدخل الى صاحب الدار فقال : الجاحد على الباب ، وسمها الجاحظ فقال صاحب الدار للغلام : أخرُج فانظر من الرجل ؟ فخرج يستخير عن اسمه ، فقال : انا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ا وسمها الجاحظ فصاح به في الباب : رُدنا الى الاول ا يريد ان قوله الجاحد مكان الجاحظ اسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فمره الرجل فأوصله واعتذر اليه .

وفي ص ٢٠٦ ( كتاب الزرع والنخل ) وكذلك ورد في معجم الادباء ، ولعل الاصل «النخل» مكان «النخل» .

وفي ص ٢٠٧ المزوة ، وصوابه المزوة اذا سكن الزاي ، والمزوة بوضع المزوة فوق الواو اذا ضم الزاي .

وفي ص ٢٠٨ ( . . . فقال الجاحظ : سألتني عن الجملة . . . ) وذلك في جواب رجل دخل عليه فقال له : يا ابا عثمان كيف حالك ؟ وقد نبه الكاتب الى ان الاصل الذي اخذه منه «الجملة» وفي نسخة أخرى «المجلة» مكان «الجملة» . ورأيت مجلة المجمع العلمي م ٩ ص ٢٧ نقول في التعليق عليه ( ولعل صوابه : عن الحالة ) فاجتمع عندنا اربع روايات وآراء في الكلمة : الجملة ، والمجلة ، والمجلة ، والحالة . واني أوافق الكاتب على تصحيحه لأن سياق الكلام يؤيده وذلك قوله بعد ( فاسمعها مني واحداً واحداً . . . ) فالسائل يسأل الجاحظ عن حاله جملةً والجاحظ يريد ان يسمعه اياها واحداً واحداً تفضيلاً ، فهل يصح في هذا الموضع غير كلمة الجملة ؟

وفي ص ٢٠٥ كتابة الرئاسة بالهمزة تارة وبالياء أخرى ، فأبعا الصحيح او الاصح ؟ اما الكتاب - اليوم - فيميلون في الاكثر الى الثاني ، واني أصححه بالهمزة لانه الاصل في الكلمة فلاوجه لهذا القلب .

وجاء في ص ٢٠٩ ( . . . ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك . . . ) وعلق

عنها في الحاشي ما يأتي : ( في الاصل : لا تصلح منك الاً لفساد طوبيتك ٠٠٠ فأظن ان «الا» زائدة فلا محل لها ) قلت : الذي أراد ولا أكاد أتردد فيه ان «الا» هنا ليست باداة استثناء فتكون زائدة وانما هي «الا» بكسر الحززة وتشديد اللام في موضع النصب على المنعولية : ومعناها العهد والخلف ، ويؤيد هذا قول احمد بن ابي دؤاد الجاحظ حاجي به اليه مقيداً : « والله ما عرفتك الا مناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة الخ » . وفي ص ٢١٠ من اواخر ( فوالله لئن يكون لك الامر ٠٠٠ ولئن أسي ) والصواب في الجملةين لأن ٠ وفيها في س ٤ أما قلبك والصواب أمام قلبك ، وهو من غلط الطبع . وفي ص ٢١٧ يذهب الكاتب الى ان الجاحظ ألف كتابه الحيوان وهو مبتلى بالفالج مستنداً الى كلام الجاحظ في اول كتابه هذا « وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه ، اول ذلك العلة الشديدة » وانا أستغرب كل الاستغراب ان نفس هذه العلة الشديدة بالفالج دون غيره فن الفالج — كما شاهدناه — داء اذا أصاب الانسان عطل جسده نصفه او كله ، وأحال فكره ، وأبطل عمله . ويغلب عليه ان يرافق المبتلى به الى خده ، لذلك أرى ان الجاحظ ألف هذا الكتاب الجليل قبل ان يمتنى بالفالج وان هذه العلة التي يذكرها مرض عرض له في اثناء كتابته ثم زال وبري واستمر يؤلفه حتى وفق لإكمالها ، والا فليرشدني الاستاذ الكاتب كيف يستطيع ان يؤلف مثل هذا الكتاب بل دونه بكثير « من نصفه مغلوج لو حزن بالمنساخير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار اللذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك صت وتسمون سنة هو فيها » كما قال الجاحظ عن نفسه رحمه الله فيما حدث المبرد ؟ ١ ودليل آخر نتيجته مبنية على مقدمات تاريخية نقلها الكاتب نفسه في محاضراته ، وهو ان الجاحظ ألف كتاب الحيوان هذا لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم فأعطاه خمسة آلاف دينار ، ومحمد هذا توفي سنة ٢٣٣ هـ ووفاء الجاحظ كانت سنة ٢٥٥ هـ ، فبين موتها اثنتان وعشرون سنة ، اذا أضفنا اليها ثلاث سنوات سلخها في التأليف على اقل تقدير ، وذلك قبل موت الوزير صاحبها طبعاً ، حصل عندنا تمام ربع القرن . والاستاذ مؤمن بان الجاحظ يوم قبض المتوكل على محمد ابن عبد الملك الزيات والقاء في النور خاف ان يكون فيه ثاني اثنين ، لأنه كان صاحب محمد وصديقه ، ولأنه كان متعرفاً عن احمد بن ابي دؤاد للمداوة بين محمد واحمد واحمد



هذا هو الذي أغرى المتوكل بابين الزبات ففرّ على وجهه لثلاً يلحقه منه مالحق صاحبه الوزير  
الا انه لم ينج منه بل قبض عليه فجئ به الى احمد بن ابي دراد فلما نظر اليه قال : والله  
ما علمتك إلا مناسياً للنعمة ٠٠٠ فاستلانه الجاحظ بتزويق كلامه حتى أمر بفك القيود  
عنه وأمر بان يصار به الى الحمام ويماط عنه الأذى ويحمل اليه تحت ثياب وطوبلة  
وخف ، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك  
يا ابا عثمان في قصة طوبلة نقلها الكتّاب في محاضراته عن معجم الادباء ٠٠٠ فهل كان كل  
ذلك — وكل ذلك كان بعد تأليف كتاب الحيوان ولا شك ! — والجاحظ مفلوج .  
« ليس بطائل ، ذو شقى مائل ، ولعاب سائل الخ » ؟ ١ .

ورأيت في المجلة عدا ما تقدم أشياء أخرى ، منها - في ص ٢٢٧ من ٦ (عري) جمع  
عروة والاصح<sup>(١)</sup> كتابتها بالالف لا أصلها وار ، وفيها في ص ١٩ (بتودة) بالهمزة فوق  
الواو ويجب (?) ان تكون منفردة قائمة بنفسها . وفي ص ٢٣٦ ولا يمكن مؤرخاً ان ينسى الخ .  
ولعل الافصح ان يقال : ولا يسمع مؤرخاً ان ينسى وصاحب المقال من الذين بنقيلون  
الفصح . وفي ص ٢٣٧ من ١٢ أرى الارض تطوى الي - والصواب تطوى لي . وورد  
في كتابنا عن كتاب واسطة السلوك من أغلاط الطبع ص ٢٤٩ اما الطبعة التونسية وهي  
والصواب فهي . وفيها ايضاً ص ٢٦ - طر صوابه سطرأ . وفي ص ٢٥٠ من ١٤ وانما هو  
موسى والاصل : وأنه هو موسى . وفيها ص ١٦ موسى بن حمو - والاصل موسى  
أبو حمو .

والنيت أحد الاعضاء في ١٨٢ يستعمل المديون بدل المدين ، وعهدي به أنه جد  
حريص على اتباع القياس لا يميل الى ما فيه تجوز وتسامح ، وفي الطرة على الغرة للحريري  
والألوسي بحث في هذا نقى الإشارة اليه عن نقله ، فليراجع في ص ٣٨٥ .  
بغداد : محمد بهجة الاثري

(١) «المجمع» بل الاصح ان نكتب بالواو بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضمى  
والغُطى .

## المحكمة (١)

« كلمة غير قاموسية »

من الغريب ان كتب اللغة التي بين ايدينا لم تذكر كلمة (مَحْكَمَة) بفتح الميم وتخفيف الكاف في مادة (حكم) . مع اننا نستعملها اليوم كثيراً ونزيد بها المكان الذي يجتمع فيه القضاة للحكم بين الناس . فهي إذن كلمة دخيلة غير قاموسية . ولعل الذين أدخلوها في اللغة أرادوا بها تأنيث (المحكم) اسم مكان بمعنى (مكان الحكم) ثم توسعوا بها فاستعملوها في الأحكام أنفسهم . وذلك منذ نقول : « حكمت المحكمة على فلان » فقد نسبنا الحكم الى المحل والمراد الحال مجازاً كقولهم (جري النهر) اي ماء النهر .

ويحتمل ان لا يكون المراد بالمحكمة مكان الحكم ولا الحكماء أنفسهم . وانما المراد بها المصدر اليميني بمعنى الحكم (كالمضيعة) بمعنى الضياع والمثربة بمعنى الفقر فنكون أخذنا في لغة مخاطبنا من فعل حكم مصدرية : « الحكومة » مرادين بها الهيئة التنفيذية التي تباشر الحكم الإداري في البلاد — و « المحكمة » مرادين بها الهيئة القضائية التي تباشر فصل الخصومات بين الناس .

وقرأ بعض الاخوان بيتاً من الشعر للفرزدق جاءت فيه كلمة (محكمة) فظنها (المحكمة) في اصطلاحنا اليوم . وهو قوله من قصيدة بهج . بها احد بني باهلة :  
(أباهل أي محكمة أحأت لكم أخوانكم تحت الثياب)

فظن لأول وهلة ان الفرزدق انما اراد بالمحكمة القضاة والحكام . وقد اتفق ان سياق البيت يروج ظنه .

ولكننا استبعدنا ان يكون الفرزدق أراد هذا المعنى فراجعنا البيت المذكور في مظان وجوده ثم عثرنا عليه في كتاب (تقائض جرير والفرزدق) المطبوع في اوربا فاذا فيه كلمة (محكمة) مضبوطة بالشكل : بضم ميمها الاولى وفتح انكاف على صيغة اسم المفعول

(١) قرئت في إحدى جلسات الجمع .

من (أحكم) الأمر إذا انقضى . ومنه (آيةٌ مُحْكَمَةٌ وآياتٌ مُحْكَمَاتٌ) وهي التي لا تحتاج إلى تأويل لظهور معناها .

فلا جرم أن يكون هذا المعنى هو المراد من كلمة (محكمة) في شعر الفرزدق . كأنه يقول لباهلة : أَيْتَةُ آيَةِ مُحْكَمَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ أَخْلَتْ لَكُمْ إِنْ بَانَ هَذَا الْمُنْكَرُ .

فلا شاهد إذن في الشعر وتبقى كلمة (المُحْكَمَةُ) المفتوحة الميم دخيلةً في اللغة لا يعرفها أهل اللسان الأولون .

ويمكن أن يقال : إن (محكمة) كما نطقها اليوم محرفة عن كلمة (مُحْكِمَةٌ) بصيغة اسم الفاعل من فعل (أحكم) بمعنى أيقن لأن رجال المحكمة يُحْكِمُونَ أحكامهم وينقنونها . فالْمُحْكِمَةُ جمع بمعنى (المُحْكِمِينَ) كما أن (المُحْكِمَةَ) بمعنى (المسلمين) . ومنه قول الراجز في خبر فتح مكة :

(وفرّ صفوان وفرّ عكرمة وتبعثنا بالسيوف المسلة) الخ

وبحتمل أن تكون (مُحْكِمَةٌ) بصيغة اسم الفاعل مشتقة من (الأحكام) مصدر أحكم الفرس إذا جعل حكمة اللجام في فيه لينتج جماعه . وهكذا المحاكم فإنها تُحْكِمُ الأشرار والمبطلين وتمنعهم من الظلم والفساد . على حد قول جرير :

(أبني حنيفة أحكموا سنهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضباً)

والحاصل أن كلمة (محكمة) من وضع أو اشتقاق المولدين . وأول من وضعها أراد بها اسم المكان مثل مدرسة ومصبغة — أو المصدر الميمى مثل (مُضَيِّعَةٌ) و (مُتَرَبِّعَةٌ) أو أن (محكمة) محرفة عن (مُحْكِمَةٌ) بمعنى مثقنة ومُجَيِّدَةٌ .

« المغربي »

## مطبوعات حديثة

ديوان رامي

« مطبع في مصر بمطبعة نواد عدد صفحاته ٢٥٥ »

هو مجموعة ما نظمه صاحبه السيد احمد رامي المصري بين سنة ١٩١٦ وسنة ١٩٣٠ من أغنزال ونسيب ومراث وفي آخره طائفة من الاغاني العامية المصرية التي كانت تشدو بها المطربة الشهيرة السيدة أم كلثوم ونقلتها الى الآلة المعروفة بالخاكي فتذاع في جميع البلاد العربية بحيث أصبحت مستبضة على أصوات السنة العوام والخواص في كل بلد وقطر وذلك من مثل الأنشودة التي ابلاها « ان كنت أسمع وأنسى الأسية » و « خايف بكوي حبك في » و « خايف لتبرد نار حبي » فان الديوان مشحون بكثير من هذه (الطفاطيق) التي يقبل عليها الناس ساعات لوم فيسمعونها في المقاهي وحوانيت الباعة ويجدون في سماعها ارتياحاً وعلوى لانفسهم التي تاورما العموم في الشطر الكبير من أعمارهم .

ومما نفرد به هذا الديوان عن سواء خالته من المطبوعات فان اكثره مقطوعات أبيات كل منها دون العشرة واذا وجد فيه بعض القصائد فلا تتجاوز احداها العشرين وهو خال من النثر حتى من البسطة والحمدلة والمقدمة واول ما يستقبلك منه أبيات تشف عن اهدائه إياه الى من يهواه !! وهي هذه :

الى غراب افكاري      ومهبط وحي اشعاري  
الى القلب الذي حرّ -      لك بالاشجار أوتاري !!؟  
الى جنة أحلامي      الى تزمة أبصاري  
الى الروح التي أحيت      مني نفسي وأوطاري



الى الفجر الذي رجع - بالانداء نواري<sup>(١)</sup>

الى الطير الذي آ - نس بالتغريد اسخاري

اقدم كأس اشعاري واحدي غصن ازداري

وهذه الأبيات على غرابة أسلوبها وتغاليها في اظهار صاحبها مبيحه من هيام وصباية بالمهدي اليه تكاد لا تجد فيها من الرشاقة والحلاوة ماثير الإعجاب وغاية مايقال عنها انها تستمد الايماء الى أنوثة المهدي اليه وتعبّد المهدي لمحرابه وجنانه وجمال تغريده ولو كان ظاهر المراد يقتضي اللبس والابهام والنكتم .

والديوان في سائر مشتملاته - هل الالفاظ صحيح التركيب مستقيم الأوزان فيه شيء من الطلاوة والروثق وان كانت ابتكاراته نادرة فهو من قبيل الكلام المنظوم فان النظر غير الشعر كالايجني وان كان هو هو من حيث آداب اللغة والفنون التي يترتب على الشاعر الاوحاطة بها والاشتغال عليها ، ومن مستلحات شعره قوله :

هيشوا لي من الشماع خيوطاً اعطي متنها الى الأجرام

ودعوني اخط في صفحة الد - هر سطوراً أبقي من الاهرام

ومنها وهو بيت القصيد :

سكنت نأمني وكان لقاوي رفصات تحكي حباب مدام

(ص ٣٨ و ٣٩) ويتجني البيت الاول والاخير من قوله :

أزن الحديث افوله عند اللقا فيضبع عند تقابل النظرات

واعود بعد ترقبي اقناعها والنفس صاهمة من الحصرات

فاقول ملثني وملت (خأني) والغدر طبع في هوى الفتيات

وأناصب النفس العداة فتشطوي ولربما يجني علي ثباتي

(١) «النوار» على وزن رمان «النور» وهو الزهر وقد جاءت في بيت من قصيدة

قديمة للشاعر المعروف سليمان الصولة وهو قوله :

نبية معجزات الحسن في فها فالماء والنار والنوار في فيها

عاش سليمان في دمشق على عهد المفقور له الامير عبد القادر الجزائري وكان خالصاً به واكثر

مداشحه فيه ثم ارتحل في آخر بات زمانه الى مصر ومات فيها في أوائل هذا القرن .

(ص ٢٢١) ويستحسن بين مراثيه القليلة قوله في المرحوم محمد تيمور من قصيدة :

كيف أرثيك يارفتي شابي      يا نجيتي من زمرة الأحياب  
أبدمي؟ الدمع أرخص ما به -      سكي به صاحب على الأصحاب  
انت أولى بأن يبدل مشوا -      لك بطل من النوآد المذاب

فان البيت الاخير لا يخلو من رقة وشجن (ص ١٣٦) . وجل ما في الديوان بنطوي  
على وقائم غرامية ومواقف شوق ووصل تدل على ان قبله أغزاه واحدة. وانها من  
ذوات الشهرة سب في عالم الغناء والطرب ولذلك طاب الولوع بها والتجادي في حبها والله في  
خلقه شؤون .

وللناظم في محمد عبد الوهاب المطرب المشهور خمسة ابيات وهي الى مطارحة الوجد  
اقرب منها الى المديح اولها :

هذه روعي انا : تصفي اليك      وفؤادي خافق بين يديك

وآخرها :

يحمل النفس الى دنيا المني      حيث يسري عنك ساجي ناظريك  
وبالجملة والتفصيل فان الديوان تحفة جديدة بالافتناء يستوجب ناظمه المدح وناشره  
الثناء . « سليم عنخوري »

### البصريات الهندسية والطبيعية

« تأليف السيد مصطفى نظيف أستاذ الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا بمصر »

« مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م »

تخطو الثقافة العلمية العربية في مصر والشام بخطوات واسعة هذه السنتين الأخيرة .  
فقد لا يمضي حين من الزمن الا وتخرج فيه للعالم العربي نورا جديداً يدل على حركة  
مستمرة واتجاه فكري مفيد . وعلى الرغم مما يمتور هذا الانتاج الجديد من نقص يعده محبو  
الطفرة عيباً شيناً ينقص من فضل صاحبه . اما نحن فلا يسعنا الا ان نرحب بهذا الانتاج  
لانا نرى فيه الحجر الاساسي الذي سيقوم عليه بناء الثقافة العربية المنشود في المستقبل .

ومن الكتب العلمية النافعة التي وقفنا عليها أخيراً البصريات الهندسية والطبيعية للسيد مصطفى نظيف . فقد ألم فيه المؤلف بكل ما يحتاج إليه الطالب في الجامعات من إلمام في ميث الضوء من الوجهة العلمية والعملية ، بعبارة فصحة سهلة لا يضرها ما يعتورها سب في قليل من المواضع من ركائز أو تعقيد في التركيب ناشئ عن حداثة العهد بالتأليف في الموضوعات العلمية الحديثة في اللغة العربية .

وفي الكتاب خطأ مطبعي لم يأت ذكره في باب تصحيح الخطأ ، من ذلك ما في ص ٧ س ١ (لناسيا) والصواب لناسياً . وفي ص ٢٦ س ١ (على متداد) والصواب امتداد . وقد جعل المؤلف في بعض المواضع الحروف الرمزية التي تختل العبارة من شكل حروف كلمات العبارة مما يوقع في الإشكال أحياناً . مثال ذلك ما جاء في ص ٤٣ س ١٢ « فإذا رسمنا من نقطة الشعاع أو بحيث يكون الخ » فان حرفي ( أ و ) جاء هنا كلمة تظلل القاري زمتاً عن المعنى المقصود .

وقد جاءت حروف القواعد والشروح واحدة في الكتاب مما يجعل مطالعته متعبة للنظر لا تستدعي استمرار الانتباه .

وبلي الكتاب ملحق بالاصطلاحات الانكليزية الواردة في الكتاب ومانها العربية مرتب على حروف المعجم الانكليزي وقد كان الأفضل جعلها على الحروف العربية لانها لغة الكتاب والقاري يضطر لمراجعة مصطلحاته العربية ليعلم مدلولها الأجنبي فيلحق صعوبة كبرى في عمله هذا .

تلك نواقص لا يضر جوهر الكتاب وجودها ولكن اصلاحها يزيد في محاسنه لعل ان يتلافها المؤلف في المطبعة المقبلة .

اسعد الحكيم

## دروس التاريخ القديم

للسيد محمد عزة دروزه أسلوب جميل في سرد التاريخ يقر به لفهم الدارسين بدعيات مستدرجة ، وله سلسلة دروس تاريخية خاصة ببناء المدارس الابتدائية ودروس في فن التربية لقيت إقبالاً عظيماً في المدارس ، وقد رتبها بأساليب فنية جذابة تبث في الأولاد ولماً على قراءتها وحفظها .

ومن هذه الطبقة كتابه « دروس التاريخ القديم » فهو كتاب مدرسي جاء في مئتين وثمانين وثمانين صفحة . وقد زينه بكثير من الرسوم والخرائط بما يساعد على فهم الحوادث المسرودة وبنقشها في مخيلة الدارس والمطالع ، ونمقه بأفانصيص اخلاقية وادبية نثرها ملحقاً بين أسطور التاريخ تستريح اليها ذاكرة الدارس وتكشف له القناع الذي يغشي احبائنا إدراك الوقائع فيما لو جاءت متتابعة مترابطة بلا اداة ربط . وقد جاء في آخر كتابه على ذكر المراجع التي اقتبس منها فاذا هي ثقة لا غبار عليها .

صور الانسان في كتابه هذا الى التلاميذ مذكاً صباداً منتقلاً يعيش عيش الوحوش ثم تدرج به خطوة بعد خطوة مستقرباً اطواره وتطوراته ، وازمانه واقتباساته ، ومعيشتة واجتماعياته ، حتى بلغ به الى تأليف الدول القديمة فتكلم عن الاشوريين والكلدانيين والحثيين والفينيقيين والبرانيين والفرس واليونانيين الى ان ختم كتابه بالدولة الرومانية وسقوطها في عهد هرقل آخر قياصرتها وصيرورة ملكها الى العرب الفاتحين . ولم يكتف المؤلف بسوق حوادث الحروب وكبار الملوك والقواد ، وذكر الفتوحات وتغير الدول بل اتى ايضاً على نقد الاسباب الاجتماعية التي ادت الى نفوق المنصورين على المقهورين ، والم باهم ما يجدر ذكره إبان كل حقبة من الدهر عن الادب والقوانين والزراعة والعمران نعمة للفائدة .

عبد الله رعد



## الشوآن

في علم النحو

عجالة أنعرض فيها لذكر شيء من شواذ علم النحو أقدمها كالنموذج لمن أحب الاطلاع على ما في هذا الفن من الشواذ التي لو تعرضت لحصرها واستقصائها لملأت بسوادها بياض هذه الصفحة بأسرها .

واني أتمنى ان يتاح لي التصدي للاعلام بما في معارج اللغة من الكلمات الشاذة والألفاظ الوحشية المهجورة التي تيجها الذوق ويستثقلها اللسان فأجمع منها سفراً كبيراً أنفي فيه غثها عن سمينها وأنفي لبابها من قسورها التي يستغني عنها اللبيب استغناء الحلي عن الميت . على ان عجالي هذه لا يعدم الناظم والناثر من ان يجني منها عدة فوائد :

١ — وقونها على ما يجوز استعماله من الشواذ وما لا يجوز فيستعملان منها في الاختيار وحين الاضطرار الجائز ويهملان الممنوع .

٢ — اطلاعها على بعض اشعار غريبة في لغتها وتركيبها مما لا يتسنى لما الاطلاع عليه الا بعد عناء طويل بصرفاته في تتبع كتب الأدب ودواوين العرب .

٣ — استفادة المتأدب بعض أحكام وفوائد في فن النحو بعبارة بسيطة وأسلوب سهل يفنيانه في تتبعها عن مراجعة المطولات من كتب هذا الفن .

٤ — اطلاع الأديب على ما في هذه المقالة من الأشعار التي يصلح الكثير منها لأن يكون مثلاً سائراً بذخره الأديب في حافظته فيورده في محاضراته وكتاباته حين الحاجة اليه .

وقد أعرضت عن شرح ما أورده من الشعر روماً للاختصار وبقادياً من ملل القاري لان شرحها كما يجب يحتاج الى كتاب على حدته .

وهنا أشرع بالتقصود مصدراً إياه بهذا التمهيد فأقول :

« المطرد والشاذ »

المطرد عند النحاة ما استمر في الاعراب وغيره .

والشاذ عندهم ما انفارق بقية بابيه وانفرد عنها الى غيرها .

والمطرد والشاذ على اربعة أضرب .

« الضرب الاول »

هو ما طرد قياساً واستعمالاً أي هو الذي يقتضيه القياس ويستعمل في حر الكلام وذلك كالرفع في الفاعل والنصب في المفعول وانخفاض في الجرور نحو قام زيد ورأيت زيدا وصردت بكر ، هذا الضرب هو الغاية المطلوبة من وضع فن النحو وتقرير قواعده وضبط مناهجه على الوجه الذي نطق به فصحاء العرب وذو اللسان منهم .

« الضرب الثاني »

هو ما طرد في القياس وشذ في الاستعمال أي ان القياس يقتضيه لكنه غير مستعمل في حر الكلام وذلك نحو الماضي من يذر<sup>(١)</sup> وبدع ، اصل الاول وذره يذره كوصفه يسهه فان القياس يوجب ان يكون له ماضٍ أسوة بأمثاله من الأفعال التي فاعلها واو كيرث ويشق ويرم ويرع فنقول في ماضيها ورث ووثق وورم وورع ، اما يذر فليس له ماضٍ أي لم يستعمل له ماضٍ في حر الكلام ، واما يدع فأصله ودعته ادعه ودعاً ، يقول النحاة ان العرب أمات ماضيه ومصدره واسم الفاعل منه كما أمات هذه الكلمات من يذر ، لكن قرأ بجامد وغيره من أئمة القراء « ماودعك ربك » وورد في الحديث « لينتهين قوم عن ودعهم » وقد جاء في بعض الاشعار ودع ماضياً فليس لنا ان نقول ان العرب أمات من هذه الكلمة ماضيها ومصدرها انما لنا ان نقول انها قليلتنا الاستعمال . من أمثلة هذا الضرب ، خبر عسى اسماً صريحاً نحو فولك عسى زيد قائماً او قياماً ، هذا هو القياس أسوة بأكثر أخوات عسى التي يكون الخبر فيها اسماً صريحاً ، غير ان استعمال خبرها اسماً صريحاً في حر الكلام محظور وما ورد منه في الشعر يمد شاذاً .

(١) كما ان يذر لا ماضي له فليس له مصدر ولا اسم فاعل فنقول بطل هذه الكلمات المانة « ترك وترك وتارك » وجاء عن بعضهم ليذر ماضٍ شعراً وذرتة وهو شاذ .

## « حكم هذا الضرب »

هذا الضرب من الشاذ لا يجوز استعماله في حر الكلام ولا الاحتجاج به في تمهيد  
الاصول لانه كالمرفوض ، انما للشاعر ان ينطق به مضطراً . قال ابن جني « يجوز للشاعر  
ان ينطق بما ينتج القياس حين الاضطرار اليه كإظهار التضعيف في قوله ( الحمد لله العلي  
الأجل ) وقوله ( اني اجود لا أقوام وان ضنونا ) .

قلت يفهم من كلام ابن جني ان الشاعر حين الاضطرار ان ينطق بماضي يذر  
وماضي بدع وان يأتي بخبر عسى اسماً صريحاً وبكل ما يرتضيه القياس وان خالف الاستعمال .

## « الضرب الثالث »

هو ما اطرده في الاستعمال وشذ في القياس اي المستعمل في حر الكلام وان كان  
القياس بأباه وذلك نحو استصوبت الرأي واستخوذت على الكتاب واستنوق الجمل فان  
هذه الأمثلة شاذة عن القياس اذ هو يقتضي في استصوبت ان يقال استصبت وبه  
استخوذت استخذت وفي استنوق الجمل استناق كما تقول استتمت لا استقوم واستقام  
لا استقوم .

من هذا الضرب اي الشاذ قياساً المطرد استعمالاً ( احزنه ) فان مضارعه المقبس  
( يحزنه ) بضم اوله لان ماضيه رباعي يجب ان يكون مضارعه مضموم الاول وانما اطرده  
استعمالاً <sup>(١)</sup> يفتح اوله وضم ثالثه ومثله احمد الله فهو محموم وقياسه محم بضم ففتح  
لانه اسم مفعول لرباعي ومنه اجنه الله فهو محنوت وقياسه محن بضم ففتح وهو شاذ  
في الاستعمال .

## « حكم هذا الضرب »

حكم هذا الضرب من الشواذ — اتباع السمع الوارد فيه نفسه فيستعمل في حر الكلام  
لكن لا يقاس عليه غيره . .

(١) كان الاصمعي يقول الفصح ويلغي ما سواه وابوزيد يجعل الشاذ والفصح واحداً  
فيميز كل شيء قيل ، قال ومثال ذلك ان الاصمعي يقول حزني الامر يحزني ولا يقول  
احزني ، قال ابو حاتم وهما جائزان لان القراء قرأوا لا يحزنهم الفزع الا كبر ولا يحزنهم  
جميعاً بفتح الياء وضمها .

## « الضرب الرابع »

هو الشاذ قياساً واستعمالاً ومن أمثلته قولهم ثوب مصوون ومسك مدووف وفرس معورود فان القياس يأبى تعاقب الواوین كما ان استعمال مثل هذه الكلمات مما لا يرضاه فصحاء العرب ، ومن هذا الباب كلمات يؤتى منها ببعض حروفها بحيث لا يعرف منها اصلها كقول لبيد ( درس المنا يتالع فابان ) فان المنا لا تفيد ان المراد منها منازل وانما استفيد هذا من القرينة .

## « حكم هذا الضرب »

حكم هذا الضرب من الشواذ الرفض فلا يستعمل في حر الكلام ولا في ضرورة الشعر لانه غير مقبول عند الفصحاء والبلغاء .

قلت من هذا الضرب تشديد النون من لدنه في قول ابي الطيب :

فأرحام شعر يتصلن لده وأرحام مال مائتي لنقطع

فهو مما شذ قياساً واستعمالاً وقد قيل لابي الطيب ان تشديد النون من لدن غير معروف في لغة العرب فأجاب بما خلاصته : ان للشاعر من الكلام ما ليس لغيره لاللاضطرار اليه لكن للاتساع فيه واتفاق اهله عليه فيحذفون ويزيدون واورد في ذلك ابياتاً منها :

إذا غاب غدوا عنك بلم<sup>(١)</sup> لم يكن جليداً ولم تعطف عليه العواطف

ومنها قول لبيد ( درس المنا ) واتى من هذا النوع بكثير من كلام شعراء العرب الذي يخالف القياس والاستعمال ومن جملة ما استشهد به على قوله ان للشاعر من الكلام ما ليس لغيره قول بعض الاعراب :

( من له شولاً فالى اتلائها ) حيث حذف كاف واسمها بعد له وهو شاذ قياساً واستعمالاً كما سبقته :

وقد ردّ عليه ناقدو شعره فيما احتج به عليهم وقالوا خلط هذا الرجل باحتجاجه واجرى كلامه الى غاية توجب قلب اللغة وتقض مباني العربية لانه جعل الشعراء يزعمه امراء الكلام وابعاح لهم التصرف على غير ضرورة ، وهذه القضية ان سيقب على اطراد قياسها زال نظام الاعراب وجاز للشاعر ان يقول ما شاء وانما أجاز للشاعر ابواب محصورة مثل

(١) يريد ابن العم .



صرف مالا ينصرف وقصر الممدود واظهار التضعيف كقوله « اتي أجود لا أقوام وانت ضننوا » وغير ذلك لا يسامح به الشاعر مما ليس له اصل يرجع اليه ويبني أسسه عليه ، اما تشديد النون من لدنه فليس هو من هذا القبيل بل هو مما شذَّ قياساً واستعمالاً فهو غلط محض اهـ .

هنا أشرع بذكر طائفة مما سقنا هذا التمهيد من اجله وقد تثنى لنا جمعه من الكتب الموضوعة في فن النحو متوخياً به مذهب اهل البصرة دون مذهب اهل الكوفة جرباً مع جمهور علماء هذا الفن من حيث اتباعهم مذاهب البصر بين في اكثر المسائل المختلف فيها بين اهل المصرين المذكورين فأقول :

— ما انعل — لا يجوز استعمال ما فعل في التعجب من البياض والسواد كما لا يجوز استعماله في غيرهما من الألوان وما ورد من ذلك في قوله :

إذا الرجال شتوا واشتد اكلمهم فأتت ابيضهم سر بال — طباخ

وقوله :

جارية في درعها الفضفاض تقطع الحديث بالاباض

ابيض من اخت بني اباض

فمر شاذ قياساً واستعمالاً او يكون مراد الشاعر بابيض الذي مؤنثه بضاء فيكون معناه فأتت مبيضهم وفي درعها جسد ابيض .

— لا في خبر لكن — لا يجوز دخول لا في خبر لكن وشذَّ دخولها عليه في قوله :

( ولكنتي من حبها لعמיד ) .

— النيف — لا يجوز اضافة النيف الى عشرة وشذَّ قياساً واستعمالاً ، اضافتها الى عشرة بقوله :

كلف من عنائه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجنه

على ان العدد المركب بمنزلة اسم واحد والاسم الواحد لا يضاف بعضه الى بعض ، واذم أضيف النيف الى العشرة يبطل المعنى فانك اذا قلت قبضت خمسة عشر من غير إضافة دل على انك قبضت خمسة وعشرة ، واذا قلت قبضت خمسة عشر بالاضافة قال انك قبضت الخمسة دون العشرة كما لو قلت قبضت مال زيد فأت المال بدخل في

القبض دون زيد كذلك ضربت غلام زيد فان الضرب يكون للغلام دون زيد .  
 - استطراد - اذكر هنا الحكم في تعريف العدد استطراداً لكثرة ما تمس الحاجة  
 اليه اذ كان الكثيرون من محوري الصحف يغلطون به فأقول :

اذا أردت ان تعرف العدد بأل فصلها بجزئيه ان كان معطوفاً فقل اخذت الواحد  
 والاثني والحادي عشر والثاني عشر والعشرين والثلاثين والمائة والمائتين الخ ، وصل  
 أل بجزئه الاول ان كان مركباً اي ان كان من احد عشر حتى تسعة عشر فقل اخذت  
 الاحد عشر ديناراً والاثني عشر درهماً الخ ، وصل أل بجزئه الثاني ان كان مضافاً فقل  
 جاءني خمسة الرجال وتسعة الرجال الخ .

هذا هو الحكم في تعريف العدد وعليه اتفاق الطائفتين ، غير ان الكوفي منها يميز  
 في المضاف والمركب تعريف الجزئين فيقول في خمسة عشر درهماً ( الخمسة العشر الدرهم )  
 ويقول في المضاف جاءني الخمسة الرجال ، على ان البصريين ينكرون ذلك ويقولون ان  
 تعريف الجزء الثاني ايضاً من المركب غير جائز لان الاسمين لما ركب احدهما مع الآخر  
 صاراً بمنزلة اسم واحد لا ينبغي ان يجمع فيه بين علامتي التعريف بل تلحق الاسم الاول  
 منها لات الثاني بتزل منزلة بعض الحروف ولذا عرف العرب الجزء الاول من الاسم  
 المركب فقال ابن حمر :

انفقا فوقه القلم السواربي وجن الخاز باز<sup>(١)</sup> به جنونا

فقال الخاز باز ولم يقل الخاز باز فعرف الجزء الاول ولم يكرر التعريف بالثاني ولم  
 يحك عن العرب ذلك في شعر ولا في اختيار الكلام ، واما تعريف الدرهم فغير جائز  
 لانه تمييز والتمييز لا يكون الا نكرة .

اذا اتضح لك حكم تعريف العدد فاعلم ان كثيرين ممن يكتبون في صحف الاخبار  
 يعرفون الجزء الثاني من العدد المركب فيقولون مثلاً اخذت خمسة العشر قرشاً وهذا غلط  
 يأباه المذهبان ومنهم من يعرف الجزء الاول من العدد المضاف فيقول مثلاً ، اخذت  
 الخمسة قروش وهذا ايضاً خطأ يخالف للمذهبين ، ومن هذا القبيل غلطهم في كلمة ( غير )  
 فانها من الاسماء الملازمة للاضافة فهي معرفة بما نضاف اليه فيلزم تعريفه فيقال مثلاً

(١) الخاز باز هو صوت القباب او هو اسم للسور وقيل فيه غير ذلك .

هذا غير المطلوب منه ولا يجوز ان يقال هذا الغير مطلوب منه لما علمت .

رجعاً الى الكلام على الشواذ

( باء النداء ) لا يجوز دخول هذه الباء على لام الليم لانت الميم عوض عنها وشذ دخولها عليها قياساً واستعمالاً في قوله :

اني اذا ما حادث الما اقول يا اللهم يا اللهما

وقوله :

وما عليك ان تقول كما سجت او صليت يا اللهما

فان هذه الاشعار لا يعرف قائلوها فليس فيها حجة ار يقال انت الشاعر جمع بين العوض والمعوض شذوذاً كما جمع بينهما كذلك في قوله :

هما انشا ب في من فويهما على النابح العادي اشد رجام

( الخفض في القسم ) لا يجوز الخفض في القسم باضمار حرف الخفض الا بعوض نحو الف الاستفهام كقولك للرجل آ الله ما فعلت كذا او هاء النبيه نحو هاء الله ، وما عدا ذلك فهو شاذ استعمالاً .

( الفصل بين المتضامين ) لا يجوز الفصل بينهما بغير الظرف وحرف الجر لضرورة الشعر وشذ الفصل بينهما بغير ذلك قياساً واستعمالاً بقوله :

فزجها بمزجة زج القلوص ابي مراده

والنقدير زج ابي مرادة القلوص .

وقوله :

تمر على ما تستقر وقد شفت غلائل عبد القيس منها صدورها

والنقدير شفت عبد قيس غلائل صدورها منها .

وقوله :

لما رأت سائيدما استميرت لله در اليوم من لامها

يريد الله در من لامها اليوم .

( سائيدما ) جبل ما طلعت عليه الشمس الا اريق فيه دم .

وقوله :

كنحيد الكتاب بكف يوما يهودي يقارب او يزول  
يريد بكف يهودي .

وقول ابي الطيب وقد اخذ عليه :

حملت اليه من ثنائي حديقة سقاها التجبي سقي الرياض السحاب  
يريد سقي السحاب الرياض .

الى غير ذلك من الاشعار التي فصل فيها بين المتضامين وكلها مما لا يحتاج بها لان  
قائلها غير معروفين سوى المثنوي .

( تأكيذ النكرة ) لا يجوز تأكيذ النكرة بغير لفظها فلا يقال جاءني رجل نفسه  
وشذ تأكيذها بغير لفظها بقوله :

لكنه عاقه ان قيل ذا رجب ياليت عدة حول كله رجب  
والبصريون يروونه (حولى) .

وقوله :

( قد صرت البكرة يوما اجمعا ) هذه الشطرة لا يعرف قائلها .

( العطف على الضمير المرفوع المتصل ) لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل  
في حر الكلام فلا يقال ضربت وزيد وشذ في قوله :

قلت اذ اقبلت وزهر نهادي كنعاج الفلا تعسفن رملا

وقوله :

ورجا الأخيطل من سفاهة رأبه ما لم يكن واب له لينالا

( العطف على الضمير المخفوض ) غير جائز فلا يقال صرت بك وزيد وشذ ما ورد  
من ذلك .

— أظن أن بعد كي شاذ —

— لا تأتي كما بمعنى كما فنصب ما بعدها وما جاء من ذلك فهو شاذ .

( الحال ) يجب ان تكون نكرة ولا يجوز ان تكون معرفة وشذ في ذلك قياسا قول

بعض العرب ( ارسلها العراك ) و ( طلبته جهداك ) و ( رجع عوده على بدئه ) .

( نون جمع المذكر السالم ) لا يجوز كسره وشذ ذلك قياسا واستعمالا في قوله :



عرفنا جعفرًا وبني أخيه وانكرنا زعانف آخرين  
— الا لا يليها من الضمائر غير الضمير المنفصل وشذ ايلاؤها الضمير المتصل بقوله :  
اعوذ برب الناس من فئة بفت علي فمالي عرض الاء ناصر  
وقد اخذ علي المنني قوله :

ليس الاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول  
وقوله : ( لم تر من نادمت الاكا )

— مني وعني بالتشديد تلزمها نون الوقاية وشذ تخفيفها لحذف نون الوقاية منها  
بقوله :

أيها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني  
— لا يجوز دخول ال الموصولة على الفعل المضارع وشذ دخولها عليه قياسًا واستعمالاً  
بقوله :

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بني معد  
وقوله :

من لا يزال شاكرًا على المعه فهو حر بعيشة ذات صمه  
— اذا كان متعلق الظرف والجار والمجرور — خبرين وجب حذف متعلقها وشذ  
التصريح به في قوله :

لك العزان مولاك عز وانهم فانت لدي يبحوحة الهون كائن  
وقد صرح ابن جني بجواز اظهاره لكونه اصلاً .

— لا يجوز تقديم الخبر المحصور فيه المبتداً بالا — على المبتداً وشذ قياساً واستعمالاً  
تقديمه على المبتداً المحصور بالاً في قوله :

فيارب هل الا بك النصر يرتجي عليهم وهل الا عليك المعول  
— لا يجوز تقديم الخبر على المبتداً الذي دخلت عليه لام الابتداء وشذ تقديم الخبر  
على المبتداً الداخلة عليه لام الابتداء في قوله :

إخالي لانت ومن جرير خاله بئل الغلاء وتكرم الاخوال  
— لا يجوز حذف كان مع اسمها بعد لد وشذ حذفها قياساً واستعمالاً في قوله :

( من لا شولاً فالي انلاها ) والتقدير من لا كانت التياق شولاً الى زمن تبعية ولدها لها ، وقد سبق الكلام على استشهاد المتنبي بهذه الشطرة محتجاً على من انكر عليه تشديد لده في قوله ( فارحام شعر بتصلن لده ) .

— لا يجوز ان تعمل ان النافية عمل لبس وشذ عملها كذلك بقوله  
ان هو مستولياً على احد الا على اخضع المجانين  
— لا يجوز دخول اللام على خبر غير ان المكسورة وشذ دخولها على خبر أمسى بقوله  
مروا عجلاً فقالوا كيف سيدكم فقال من سئلوا أمسى لجهودا

— لا يجوز دخول اللام على الخبر وشذ دخولها عليه بقوله  
ام الحليس لعجوز شهيرة ترضى من اللحم بعظم الرقبة  
— لا يجوز دخول اللام على خبر أن المنني بلا وشذ دخولها عليه بقوله  
واعلم أن تسليماً وتركاً للا متشابهان ولا سواء  
— لا يجوز ان تجر رب الضمير وشذ جرهما اياه بقوله  
واه رأيت وشبكاً صدع اعظمه وربّه عطب انتذت من عطبه  
( حتى لا تجر الضمير ) وشذ جرهما اياه بقوله  
فلا والله لا يلني أقاس فحقى ك يا ابن ابي زياد

( الكاف لا تجر الضمير ) لانها مخصوصة بجر الظاهر وشذ جرهما اياه بقول بعضهم  
( رب ) لا يجوز ان تجذف و يبق عملها من غير ان يتقدمها واو او فاء او بل وشذ  
جرهما دون ان يتقدمها احد الثلاثة بقوله  
رسم دار وقفت بفي طلاه كدت اقضي الحياة من جلله  
( كلا تضاف الى مفهم اثنين ) دون ان يكون بينهما ما يفرقهما فيقال كلا الرجلين كما  
جاء في قوله

ان للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل  
فاما اذا اضيفت الى مفهم اثنين لكنهما متفرقان كقوله  
كلا أخي وخليلي واجدي عضداً في النائبات والمأم الملمات

فان اخي وخليبي وان كانا مفهمي اثنين الا انها قد فرق بينهما براوالمطف فاضافة  
كلا اليهما في هذا البيت شاذة .

( الجمع بين حرف النداء وال في غير اسم الله تعالى وما سمي به من الجمل ) غير جائز  
وشذ الجمع بينهما في قوله

فيا الغلامان اللذان سرا ايا كما ان تعقبان شرا  
( المضارع ) لا ينصب بان محذوفة في غير المواضع التي تحذف فيها وجوباً او جوازاً  
وشذ نصبها اياه محذوفة في غير ذلك كقوله

الا ايها ذا الزاجري اخذت بر الوعى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي  
والبصريون يروونه احضر بضم الراء ، وقد اخذ على المتنبي نصبه المضارع بان محذوفة  
في قوله

ببضاء يمنعا تكلام دأها تيبها ويمنعها الحياء تيبها  
( من الاستفهامية ) تلحقها الواو والنون في حالة الوقف فقط كما اذا قيل لك جاء  
القوم فقل منون بسكون النون الاخيرة ولا يجوز الحاقها بالواو والنون في حالة الوصل  
وشذ ذلك في قوله

اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما  
والقياس هنا بقول من انتم وفي هذا البيت عدة شذوذات منها تحريك النون الاخيرة  
من منون مع انها ساكنة .

( الاسم المفرد ) الواري العين اذا كانت صيغة جمعه على وزن فُعَال جاز بقاء عينه  
في الجمع واواً وجاز اعلالها اي قلبها ياء فنقول في جمع صائم وقائم صوأم ونوم وصيأم ونيم .  
واذا كانت صيغة جمع الاسم المذكور على وزن فُعَال وجب بقاء عينه واواً ولا  
يجوز اعلالها اي قلبها ياء فنقول في جمع صائم وقائم صوام ونوام ولا يجوز ان نقول صيام  
ونيام وشذ عن ذلك قوله

ألا طرقتنا مية ابنة منذر فما أرق النيام إلا كلامها  
( سواء ) لا يجوز تثنيها للاستغناء عنها بسي وشذ تثنيها بقوله  
فيارب ان لم تجعل الحب بيننا سوائين فاجعلني على حبها جلدا





## ليس للغة قاموس

### محيط بها

يظن بعضهم ان كل كلمة لم ترد في قاموس الفيروزابادي وفي صحاح الجوهرى وسيفى لسان العرب ليست من اللغة وان استعمالها يكون خطأ ويهجمون على الكاتب الذي يكون قد استعملها بالتجھيل والتشديد . ويتوسع بعضهم في الامور فيضيف الى هذه المعاجم الثلاثة مخصص ابن سيده وأساس البلاغة والمصباح وتاج العروس فاذا كانت اللفظة لم ترد في هذه المعاجم السبعة فهي عنده ليست من كلام العرب في قليل ولا كثير .

وقد غلب هذا الوم على اكثر الناس ونسوا ان مؤلفي هذه الكتب بشر مثلنا وانه لا يمكن ان تكون تأليفهم أحاطت بكل شيء فلم تدع شاردة ولا فاردة وانما تقل بعضهم عن بعض وقلد الآخر الاول حتى في الخطأ . ونسوا انه من المأثور انه لا يحيط بلسان العرب الا نبي .

ولست أريد بذلك ان هذه الكتب ليست معياراً يصح الرجوع اليه او ان وجود اللفظة فيها وعدمه سواء وان للانسان ان يستشهد بها وان لا يستشهد . كلا . ليس هذا المقصود بل كل ما أريد ان أقوله هو ان الإحاطة لم تقع وان كلمات كثيرة شردت من هذه المتون كلها او بعضها وهي لا نقل عمروية عن الكلمات المقيدة فيها .

ولا ينبغي ان يؤخذ من هذا ايضاً ان الخطأ الذي يجوز ان يقع فيه بعض الكتاب والمؤلفين من استعمال لفظ لم يسمع او لم يزد بالمعنى الذي استعمله فيه ذلك المؤلف لا يكون معدوداً من باب الخطأ ولو خلت منه المتون التي ذكرناها .

كلا لا يزال الخطأ خطأ والصحيح صحيحاً ولن تبرح هذه المعاجم لا سيما متى انفتحت رواياتهما أحسن مراجع اللغة العربية .

ولكن تأتي لفظة في كلام علي بن ابي طالب او غيره من الصحابة رضي الله عنهم وتدل القرائن مما سبق ولحق على ان اللفظة ليست من تحريف النساخ ولا تصغيرهم بل هي هكذا من الاصل فهل تقول انت عليها خطأ في الكلام العربي لكون تلك اللفظة لم تجئ في تاج العروس ؟

وتأتي أخرى في كلام الجاحظ او ابن المقفع او كتاب وشعراء متأخرين عنهما لكنهم ممن حفظ من اللغة أكثر مما حفظ الفيروزابادي وابن منظور والمرئسي الزبيدي فهل نحكم عليها بانها غلط لمجرد خلل لسان العرب منها ؟

كلا لا يخطئ الثقات والاثبات والذين يتزلون ما يقولون بمنزلة ما يروون لاجل خلوهذه المعاجم من كلمات استعملها هؤلاء الائمة .

وقد كانت الاستاذ الطيب الذكر الشرتوني صاحب أقرب الموارد صديقاً حميماً لي وكثير الاجتماع معي فكشفت له مرة بما في نفسي من هذا الامر فوافقني عليه وسردت له عدة الفاظ وجدت في كلام الفصحاء فنقلها وعثر هو على أخرى من بابها وأوعب ذلك كله في ذيل كتابه أقرب الموارد وأثبتها تحت إشارة حرف « س » اي سعيد الذي هو سعيد الشرتوني أجزل الله ثوابه . وسماها بالاضوال « التي افلنت يراع اللغويين فلم يذكروها في مظانها من كتبهم » واني أذكر منها ما نبيته اليه من قول ابن المقفع في الدرة البشيمة « وان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا » اي رأيتها صغيرة فثبتها في ذيل أقرب الموارد وكنت انتهيت لما يوم طبعت درة ابن المقفع وهي الطبعة الاولى لها .

وذكرت له ايضاً قول ابن الأبار القضاعي البلسني في سبنيته الشهيرة التي يستصرخ بها صاحب تونس الحفصي لتجدة الاندلس وهو هذا البيت :

وحال ما حولها من منظر عجب . . . يستوقف الركب او يستركب الجلوس

لقد جاء في معاجم اللغة (استوقف) بمعنى طلب الوقوف . ولم يحس (استركب) بمعنى طلب الركوب . الا ان الحافظ الشهير ابن الأبار القضاعي كان مجراً زاخراً من أبحر اللغة ولم يكن ممن يضع من عنده او ممن يتعسف في النقل .

فهذه ايضاً أثبتتها الشرتوني في ذيل كتابه وهي مما نبيته اليه مع غير ذلك من الألفاظ وقد جاءت ايضاً في كلام لسان الدين بن الخطيب في وصف اهل الاندلس وناهيك

بلسان الدين بن الخطيب رواية وثقة وحافظاً للغة .

الا ان الاستاذ صاحب المنار ينهي الى ان الأساس أورد ( استركبه فاركبي ) ولم يزدني هذا التنبه الا اقتناعاً بصحة مذهبي الذي هو عدم الجزء بخطأ استعمال لم يرد في احد المعاجم الشهيرة فأتت ترى ان لسان العرب والقاموس لم يذكر ( استركب ) وان الأساس أوردها . ومن الغريب ان صاحب التاج فيما استدركه على القاموس في مادة ( ركب ) نقل عن الأساس كلمات ولم ينقل جملة ( استركبه فاركبي ) فوردتها في معجم وعدم ورودها في معجم آخر أدل دليل على عدم الاطاحة وكذلك عدم نقل صاحب التاج لهذه اللفظة عن الأساس مع نقله غيرها في هذه المادة عنه دليل على عدم ثقته بصحتها .

ومما جاء في يتيمة ابن المقفع لفظه ( راكم ) اي ركم بعضه على بعض ولم يرد ( راكم ) لاني لسان العرب ولا في القاموس ولا فيما استدركه التاج ولا في أساس البلاغة وكلهم قالوا : أرتكم الشيء وتراكم اجتمع بعضه فوق بعض وركمه ركناً فارتكم وتراكم .

ولنفرض ان ( راكم ) هنا هي من تحريف النساخ ولم تكن في اصل كلام عبدالله بن المقفع فخذ لك لفظه لم ترد في معاجم اللغة وهي من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتحرى بعيد عنها .

جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد في الجزء الثالث ص ١٩٨ طبعة بيروت مايلي من قول عمر : « ثم إئت رجلاً من قومك من تجارهم فقم الى جنبه فاذا اشترى شيئاً فاستشركه فاستنق وأتفق على أهلك » .

ورد في المعاجم ( استنقه ) لكن لم يرد ( استشركه ) في لسان العرب ولا في القاموس ولا في التاج ولا في أساس البلاغة . فهل نقول ان عمر لا يعرف اللسان العربي ؟ ألا ان هؤلاء هم أهل اللسان وعندهم اخذ .

ومن كلام عمر ايضاً ص ٢٢٩ من الجزء الثالث من الطبقات طبعة اوربة ( أحصوا العيالات الذين لا يأتون ) ولم أجد ( عيالات ) في كتب اللغة بلى جمع العيل عيال وعبائل ولقد ورد رجالات في جمع رجل . فكان العيالات جمع الجمع .

ولم يرد في معاجم اللغة ( عديد ) بمعنى كثير بل هي بمعنى عدد يقال لا يحصى عدده

او عديده . ولكن صاحب تاج العروس نفسه في مقدمة التاج في الصفحة العاشرة يقول ما يلي :

وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملى ابو العباس ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخيم .

ولم يرد ( النوادي ) بمعنى المجالس في كتب اللغة اي جمع ناد ( وذكروا جمع ناد ) على أندية وجمع الجمع أنديات . وقالوا في النوادي انها جمع نادية اي النخلة البعيدة عن الماء . ومما استدركه صاحب التاج على القاموس : نوادي الكلام ما يخرج وقتاً بعد وقت والنوادي النواحي عن ابي عمرو والنوادي النوق المتفرقة ومما جاء في معنى النوادي الحوادث .

والحال ان صاحب القاموس يقول في مقدمة القاموس ( محمد خير من حضر النوادي ) وفسرها صاحب التاج بقوله : المجالس مطلقاً او خاص بمجالس النهار او المجالس ماداموا مجتمعين فيها .

وجاء في تاريخ خلفاء العباسيين من ( كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ) من جملة اخبار مازيار وعبد الله بن طاهر ما يأتي : « وكان قادن هذا ابن اخي مازيار وقد قوده وجعله مع اخيه قادن وضم اليه عدة من كبار قوادد » يريد ان يقول جملة قائداً كما يقال ( امثوه ) جملة اميراً . ولكنني لم اجد ( قوده ) بهذا المعنى لا في لسان العرب ولا في القاموس ولا في مستدرك التاج ولا في أساس البلاغة للزمخشري . وهم يقولون ( قوده ) كقواده شدد للكثرة وفي الأساس قود فرسه اكثر قياده واذا نزلت من فرسك فقوده .

وعبارة كتاب العيون والحدائق لا تؤتي من ضعف وهي من أفصح الفصح وفي العيون والحدائق ( ايضاً ) : وكتب الى عبد الله بن طاهر في تحصيل الحسن ولدا لافشين فحصله عبد الله بادر حيلة .

وطاهر هنا انه يريد بلفظة ( تحصيل ) معنى الادراك او المسك والحال انه لم يرد في هذا المعنى للأشخاص بل للأشياء يقال حصلت الشيء تحصيلاً أدركته قاله ابو البقاء . وجاء في القاموس التحصيل تمهيز ما يحصل . وقال الراغب التحصيل اخراج اللب من



الفشرة وجمعه كإخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التين قال الله تعالى ( وحصل ما في الصدور ) أي أظهر ما فيها وجمع . وفي التاج تحصيل الكلام رده إلى محصله وقد جاء ذلك في الأساس ومما ورد في الأساس من هذه المادة : حصل العلم واجتهد فما تحصل له شيء وحصل تراب المعدن ميز الذهب منه وخلصه وحصل الدقيق بالمحصل وهو المنخل وحصلوا الناس في الديوان ميزوا بين شاهدهم وغائبهم وميتهم وقال ذو الرمة :

( إذا الأشياء حصلت الرجال )

أي ميزت خيارها من شرارها . وسمي كتاب الحاصل لأن صاحبه زعم أنه حصل فيه ما فات الخليل اه .

فأما حصل رجلاً بمعنى أدركه أو قبض عليه فلم ترد في معاجم اللغة وإنما نجد العامة يقولونها فإذا أدرك إنسان آخر بعد لأي يقال حصله بعد أن كاد يفوته وحصلت فلاناً في المحل الفلاني وما أشبه ذلك .

وفي الجزء الأول من طبقات ابن سعد (ص ١١٥) طبعة ليدن عن ابن عباس من حديث « فتخرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليبه عثمان ( يعني عثمان بن مظعون ) إلى حيث وضع بصره فأخذ بنفض رأسه ( بنفض رأسه ويرأسه حركة ) كأنه يستنقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضي حاجته واستنقه ما يقال له وشخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما لشخص أول مرة ( إلى أن يقول ) : فتخرفت إليه وتركنتي فأخذت بنفض رأسك كأنك تستنقه شيئاً يقال لك أو فطنت لذلك قال عثمان نعم الخ » .

والحاصل أنه استعمل فعل ( استنقه ) وكرره ثلاث مرات وهو هنا بمعنى ( استوعب ) أو ( استفهم ) وليس في القاموس ولا التاج ولا اللسان ولا أساس البلاغة ( استنقه ) وكل ما هناك المستنقة التي تجاوب النائمة .

والحديث هو عن عبد الله بن عباس وفي الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد وقد تكررت اللفظة ثلاث مرات بحيث لا محل لاحتمال التكرير أو التصحيف فضلاً عن كون القرينة تقضي بأنها ( استنقه ) وكون القياس يؤيدها .

وقد جاء في كتاب ( نواذر الحقى والمغفلين ) المائتي بمعنى الاحتمى . ولم أجد هذه اللفظة

بهذا المعنى لا في لسان العرب ولا في القاموس ولا في استدرாகات التاج ولا في الاساس  
وانما وجدت في التخصيص لابن سيده في الجزء الثالث طبعة بولاق في باب ضعف العقل :  
رجل مائق بين الموق اي الجمق .

وجاء في التخصيص في تعريف الهلابة انه الاحمق (المائق) .

وعن ابن السكيت : الهلابة الاحمق المائق القليل العقل الخبيث الذي لاخير فيه  
ولا عمل عنده وبلى سيعمل وعمله ضعيف وخرسه (بفتح فسكون) أشد من عمله ولا يحاضر  
به القوم وبلى سيخسر ولا يتكلم .

وراجعت أقرب الموارد لصديقنا الاستاذ الشرتوني فوجدته تابع القاموس واللسان  
والتاج فلم يذكر سوى . مثق الصبي يماق مأقأ اخذته المأقة فهو مثق والمأقة شبه الفواق  
كأنه نفس يقلعه من الصدر عند البكاء والنشيج . والمثق الباكي ومنه انت مثق وانا مثق  
فكيف نثثق .

وفي الجزء الاول من طبقات ابن سعد الصفح ٤٣ عن عثمان رضي الله عنه : خرج  
الى الناس فخطبهم . وقد رأيت هذا الاستعمال في غير موضع من كتب الاولين . والحال  
اني لم أجد في كتب اللغة خطب الناس بمعنى خطب عليهم او قال خطبة فيهم . وانما فعل  
(خطب) يتعدى رأساً اذا كان بمعنى طلب كأن نقول خطب وده او بمعنى طلب التزوج  
كأن نقول خطب فلان فلانة .

وجاء في رسائل بدیع الزمان المحمدي فعل (ثقل) بمعنى تكلف القلب ولم يرد هذا  
في كتب اللغة وانما العامة نقوله . وكثيراً ما يقولون رأيت منقلباً اي في قلب . وقد  
يقولون : ثقلت في الليل بمعنى أرق .

وقد جاء في تاج العروس لفظة (اشهار) اتي بها عند تفسير (لنديداً) فقال (اشهارآله)  
ثم عند تفسير (شاهر سيف العدل رد الفرار الى الاجفان بسلاً) فقال : يعني ان  
اشهار سيف العدل كان سبباً في ذلك .

والحال انه في مادة شهر لم يأت بها في هذا المعنى بل قال : واشهروا اتي عليهم شهر  
نقول العرب : أشهرنا مذ لم نلتق . وقال : شهر زيد سيفه كمنع سله بشهره شهرآ . وفي  
حديث ابن الزبير : من شهر سيفه ثم وضعه هدر دمه اي من أخرجه من غمده للقتال .

وفي الحديث : ليس ما من شهر علينا السلاح .  
والعامة في بلادنا نقول ( شهر ) الثلاثي ولا نقول ( أشهر ) ولكن صاحب الناج  
استعمل مع تقلد هذا الفعل عن الفيروز آبادي مجرداً .  
ولقد استعمل عبد الله بن المقفع في الدرة البتجة لفظه ( التبجيل ) بمعنى الحمل على البخل  
وهو استعمال صحيح ومنه الحديث عن الاولاد : انكم تبخلون وتجنون . وفي حديث آخر  
الولد مبخله بحبنة مما يؤيد هذا المعنى ولكن لسان العرب في تعريف التبجيل لا يزيد على  
قوله ( بخله رماه بالبخل او نسيه الى البخل ) .  
وأقرب الموارد لا يقول سوى ( بخله ) رماه بالبخل . وراجعت ذيل أقرب الموارد  
لعلي أجد على ذلك استدراكاً فلم أجد .  
ولكن الناج ذكر التبجيل بالمعنى الذي جاء في الحديث الشريف والذي جاء في  
كلام عبد الله بن المقفع فقال : ( وبخله تبخيلاً رماه بالبخل ) وفسرها الزبيدي هكذا :  
او نسيه اليه او جعله بخيلاً .  
وفي نهج البلاغة لسيدنا علي كرم الله وجهه لفظه ( التركاض ) في كتابه لابن حنيف  
ولا تجد هذه اللفظة في كتب اللغة . وقد اشار اليها الشرتوني في ذيل أقرب الموارد .  
وفي تاريخ الوزراء للصابي ( وكان محمد بن داود قد وزر لعبد الله بن المعتز وديره )  
ومعناه انه كان يدبر اموره او كان مستشاراً عنده . ولم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة  
على هذا الوجه بل يقولون دبر الامر ودبر الوالي البلاد ولم يقولوا دبر الوزير السلطان  
او الخليفة .

شكيب ارسلان

## ابن خفاجة الاندلسي

— «X» —

هو ابو اسحق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس واحد  
وصاف الطبيعة .

ولم نعلم من نسبه اكثر مما ذكرنا . وقرأنا ديوانه فلم نتعرف منه أكان عربي الأصل  
أم أعجزيه . ولعلنا بعد عثرون على ما يقفنا على حقيقة عصره اذا كان في الاجل فسحة ،  
وللجهد ندحة .

« الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصره »

لملك أيها الفاري ذاك ما وصفنا به في ترجمة ابن زيدون ( المنشورة في الأجزاء  
الماضية ) احوال البيئة السياسية والاجتماعية والادبية في الاندلس عصر ذلك الرجل وما  
كان لها من الاثر في طباعه ومعرفته ، فكذلك كانت البيئة التي نشأ فيها مترجمنا لأن  
ابن خفاجة الا قليلاً ، فانه نشأ في وسط هذا العصر اي في زمن ملوك الطوائف ،  
وعاش طويلاً حتى زالت دولهم . وورث المرابطون المثلثون ديارهم وولوا عليها السادة من  
ابناء سلطانهم ، فشاهد كل حكمهم في الاندلس .

وهؤلاء المرابطون وان أسس اوائلهم دولتهم على مبدأ الانتصار للإسلام والزهادة  
في الدنيا ، وابشار الخشونة في العيش ، فان ابناهم في الاندلس وولاتهم بها لم يلبثوا  
ان حذوا حذو ملوك الطوائف في التمتع والالتق ، وان لم يستطيعوا الترفيه على كل  
المقيمين بالاندلس من اهل العلم والادب ، اذ كان فضل جباية الأموال والثمرات منقولا  
الى الحضرة براكش . فمن لم يستطع العيش بالاندلس ممن ادركته حرفة الأدب  
أجاز الزقاق الى عدوة المغرب الاقصى وافريقية ، ومن كان له بقية من تراث آبائه تبلغ



بها عن مفارقة الوطن ، وتصون عن خدعة السادة من الابناء او الثائرين عليهم المستبدين  
ببعض النواحي من اهل البلاد كترجمنا ابن خفاجة .

ولكل هذه الاحوال تأثير بين سيف نشأة ابن خفاجة فوق تأثير طبيعة اقليمه الذي  
كان يقطنه من شرقي الاندلس ، وهو مدينة شقر التي تقع على نهاية وادي نهر شقر بين  
بلنسية وشاطبة ( وهما من اطيب البلاد واكثرها بساتين ومنازه ) وعلى مقربة من بحر  
الروم ( البحر المتوسط ) وتحيط بها المياه من اكثر جوانبها حتى سميت لذلك جزيرة شقر  
وفيها يقول ياقوت صاحب المعجم « جزيرة شقر في شرقي الاندلس وهي أنزه بلاد الله  
واكثرها روضة وشجراً وماء » وفيها يقول الاديب ابو عبد الله محمد بن عائشة من  
قصيدة بدعة :

فيا راكبا مستعجل الخطر قاصداً الا عجم بشقر رائحاً ومغاديا  
وقف حيث سال النهر ينساب أرقماً وهب نسيم الأيك ينفث راقيا  
وقل لأثيلات هناك وأجرع سقيت أثيلات وحييت واديا  
فكان في صباه شاباً طروباً مرحاً لعوباً يستبق الى اللذات وهاكر الرياض يصفها  
ويناغي اطيارها ، كأنه عندليب يحط من الوادي على سرحة ، فيصدح صدحة ، ثم  
يتخلل منه جنات الفافا ، فيناشد ألقاً ، طبعته على ذلك طبيعة الوادي الذي يقطنه ،  
والدولة التي يعيش في سلطانها ، فقد نشأ في ملك بني عبد العزيز العاصرين ومواليهم<sup>(١)</sup>  
المستبدين بملك بلنسية وشرقي الاندلس ، وكانوا من خير ملوك الطوائف اشارة للادب  
وحدبا على امله وضبطاً لامور بلدهم ، فطاب العيش في اكنافهم ، واشتمل الامن على  
رحابهم . وكان يتاخم ملكهم الى الجنوب من موالي العاصرين ايضا ملك المعنصم بن صمادح  
صاحب المربة ، وطال ملكه وعز سلطانه ، حتى لم يكن في آخر ملوك الطوائف من هو  
أقوى منه سلطاناً عند عبور المرابطين الى البلاد غير المعتمد بن عباد .

ولم يهرح ابن خفاجة في كهولته وشيخوخته وطنه ، بل أقام في سلطان المرابطين  
مقرباً الى ولائهم والسادة من ابناؤهم ، متعففا عما في ايديهم بما في يده ، مهتلاً

(١) نسبة الى المنصور بن ابي عامر الحاسب المستبد بملك بني أمية مدة المؤيد

العافية والخصب والامن في دولتهم، حتى واثاء اجله عند انتهاء اجل دولتهم باسنيلاء بني عبد المؤمن من الموحدين على ملكهم .

فقد علمت مما تقدم ان نشأته الاولى وهي سن التأديب والتحصيل كانت في بهرة عصر ملوك الطوائف ، وكانت الاندلس حينئذ غاصة بالادباء والشعراء والعلماء ، وكان ملوكها انفسهم شعراء وادباء ومؤلفين ، وكانوا على اشد تنافس في اصطفاء كل ذي إجادة واستيزار وزرائهم من جلة الكتاب والشعراء .

فالعيش في ظلال هذا الوادي البانع ، وعلى ساحل هذا البحر المتوسط ، وتحت سراقى هذا الرخاء الشامل ، وبين هؤلاء المثقفين بالعلم الغزير والادب الرائع ، وحوالى هذه النعمة الموروثة ، ظنين بان يخرج في أفق الادب شاعراً مثل ابن خفاجة بهجاً بالصبا طبعاً بالهوى ، ولعاً بالجمال ، منقلباً في اللذات ، وصافاً لبدائع المشاهدات من روضات الجنات ، حتى اذا ما اقتضت سحب شبابه ، وتشتت شمل أحبابه ، وعدت شعوب على اثرابه أخلص في اوبته ، وأقلع عن ضبونه ، الا بقية من ذكرى أيام الصبا واجتلاء محاسن الطبيعة لا تزال عالقة بشعره سائر حياته وما فارقت الا بمانه .

« نشأته ومعيشتة »

ولد ابن خفاجة سنة ٤٥٠ هـ بمدينة ( شقر ) وضبطها ابن خلكان بضم فسكون وضبطها باقوت في مجمع البلدان بفتح فسكون وعندى ان ضبط ابن خلكان اقرب الى الصحة لان اسمها أعجمي هي الوادي المسى باسمها الذي تقع هي عنده صبه وهو نهر شقر . وكتب قديماً على المصورات التاريخية للمملكة الرومانية بشين مشمة الى الضم .

ومدينة شقر هذه من اعمال بلنسية المشهورة بكثرة سكانها وفاكهتها الى وقتنا هذا . وجنوبي شقر مدينة شاطبة ، ولا تقل عن بلنسية في طيبها . وكلتا المدينتين اخرجت الكثيرين من فحول الادباء والقراء واهل الحديث والعربية ، ولا غرو فان اكتنافها المدينة شقر عن يمين وشمال كان له اثر اي اثر في نشئة ابن خفاجة ، ولقنه من علمائها فنون الادب وعلوم العربية ، وان لم نقف على اسماء من اخذ عنهم ، ولا على شيء من اخبار تربيته الاولى غير كونه في شبابه صاحب لمه ونطرب وقصيف ومجون يختلف مع احبته وندمانه الى

الرياض والبساتين ويحتلي الثار والرباحين . ثم تاب واثاب . وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان وهو من معاصريه .

« وكان في شبيبته مخلوع الرسن في ميدان مجونه ، كثير الوسن بين حفا الانتهاك  
وسجونه ، لا يبالي بمن التبس ، ولا اي نار اقتبس ، الا انه نسك اليوم نسك ابن اذينة ،  
وغض عن ارسال نظره في أعقاب الهوى عينه » .

ولم يعرف عنه انه تكسب بالادب والشعر او خدم في دولة ملك من ملوك الطوائف  
بالكتابة وبالحجوبة كدأب اكثر أدباء الاندلس في التعيش فقال ابن بسام صاحب الذخيرة  
بعد ان أثنى عليه .

« وكان مقنياً بشرق الاندلس ، ولم يتعرض لاستماعة ملوك طوائفها ، مع تهاونهم  
على اهل الادب » .

اذن فمن اين كان يعيش ؟ إن من قرأ ديوانه يجد في خلاله انه كان يعيش من فضل  
تراث خلفه له آباؤه ، وانه كان له ضيعة ارضياع يتبلغ بغلتها ، واستغنى بها عن قصد الملوك  
الا اذا ظلم بمصادرة او ارهاق بضريبة ، فرجأ قصد بعض الملوك او اسراء المرابطين في  
التظلم اليه ، فمدحه ييمض القوائد ، وفي ذلك المعنى قصيدته الرائية البليغة التي بعث بها الى  
الامير ابو يحيى بن ابراهيم يمدحه ويأله شكر القائد الاعلى ابي عبدالله محمد بن عائشة عن  
يره به وحمله في امر ضياعه . واولها :

سمح الخيال على النوى بمزار والصبح يمسح عن جبين نهار

وفيها يقول في استغاثته :

حرم اذا اشتعل الطريد بظله لم يخش من جور هنالك جاري

وقوله من قطعة كتب اليها الى الامير ابي بكر :

اوجبك بسام وطرفي باك وعدلك موجود ومثلي شاكر

ونأبى امتضامي في جنابك همه تهزك هن الریح فرع أراك

وقد نام عني ظالم لي ذاعر فيا هبة السيف الجسام دراك

وفي غير ذلك كانت صحبته للوزراء والامراء والرؤساء صحبة مؤانسة ومنادمة ،

وكان تعفقه عما في ايديهم داعية لا كباره في صدورهم ، ورفعته عن مرتبة الملل من

نفوسهم ، فعاش فيهم عبثة النظير لنظيره ، وحفظ على نفسه كرامتها .  
 والمطلع على ديوانه يرى من خلال الاغراض التي نظم فيها الشعر انه لم يغادر شرقي  
 الاندلس كثيراً ، وربما رحل الى غربيها في بعض الحاجات فزار اشبيلية ونواحيها ، ثم  
 يرى انه أجاز الى عدوة المغرب الأقصى في حكم المرابطين وطالت غيبته عن الاندلس حتى  
 تشوقها وتلهف الى العودة ، فهل كانت سفره الى عدوة المغرب طلباً لتصرف في خدمة  
 المرابطين في دار سلطانهم كما فعل كثير من أدباء الاندلس ؟ هذا ما يتناهى قوله في كثير  
 من المواضع وما اخذ به نفسه من التصون . ولعله كان في رفع ظلامه طال الامل على الفصل  
 فيها ، حتى تهرم بالمقام وحن الى وطنه ، وفي ذلك يقول من قصيدة :

ويا لقذى طرف من الدمع ملآن	ويا لشجا قلب من الصبر فارغ
وقلب الى أفق الجزيرة حسان	ونفس الى جو الكنيسة صبة
يهون ومن اخوان صدق بخوان	تعوضت من واهاباء ومن هوى
وما كل مرعى ترتعبه بسعدات	وما كل بفساء يروق بشحمة
فتجمع أوطاري على وأوطاني	فياليت شعري هل لدهري عطفة
ومنشأ تهيبي وملعب غزلاني	مبادين أوطاري ولذة لذني
لما وصدغاه يراحي وريحاني	كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لي
أبيت لذكراه بغلة ظمآن	فسقيا لواديهي وإن كنت انما
نجوم كؤوس بين أقمار ندمان	فكم يوم هو قد أدركنا بافقه

وفي تشوقه الاندلس يقول ايضا :

محتلى حسن وريا نفس	ان للجنة في الاندلس
ودجى ظلمتها من لعس	فسنا صحتها من شنب
صحت واشوقاً الى الاندلس	فاذا ما هبت الريح صبا

وعاش ابن خفاجة بقية عمره في نسك وزهادة وحنين الى الصبا وذكرى لفقد أحيائه  
 ولدانه لتأخر اجله ؛ ولكن كل اولئك لم يسله عن اجتلاء محاسن الطبيعة ووصفها بأبلغ  
 القول حتى وافته منيته سنة ٥٣٣ هـ بجزيرة شقر مسقط رأسه .



« شعره »

يعتبر ابن خفاجة من شعراء الطبقة الثانية في الاندلس اي بعد طبقة ابن هاني ، وان لم يكن له قريع فيها ، فهو لا يقل سب في جزالة لفظه وتصرفه في المعاني عن اكبر شاعر بعد ابن هاني ، وهو بفضل ابن زيدون في اختراعه كثيراً من المعاني الرائعة وحسن توليده لها ويفضله ابن زيدون في غلبة السهولة والانجاء على شعره .

وامتاز ابن خفاجة عن سائر شعراء الاندلس في حسن وصفه لمشاهد الطبيعة وكثرة تصرفه في معاني الوصف على كثرة ولوع شعراء الاندلس بهذا الفن من الشعر ، حتى عده أدباؤهم ومؤرخوهم فريداً قطره ووحيد نسجه ، بل غالى بعضهم حتى جعله في هذا الباب مقطوع النظير في المشارقة والمغاربة ، فلا يدانيه أمثال ابن الرومي والبحتري وابن المعتز والصنوبري وكشاجم والمأموني من وصافي المشارقة ، ولا ابن هاني وابن دراج وابن وهيون وابن عمار والشتربني والايادي وابن شرف وابن رشيق وابن حمديس من وصافي المغاربة ، وهو قول لا يخلو من شبهة ، ولا يقبل الا بعد مراجعة وتعقب . واعلنا تشير الى ذلك بعد .

واذا حللنا — كما يقولون — شعره من حيث أغراضه ومعانيه والفاظه استطعنا ان نجعل ذلك فيما يأتي :

أغراض شعره اي أبوابه وفنونه وضروب مقاصده فيه .

(١) الوصف — لا يغلو من يقول ان جل بضاعة ابن خفاجة من شعره الوصف بانواعه فلا تكاد قصيدة او قطعة له تخلو منه ويخاصة وصف مشاهد الطبيعة ، وربما أحله من صدور قصائده محل النسيب وذكر الديار ، بل أدخله سب في كل شيء من أغراض الشعر حتى الرثاء ولذلك عد عند جمهور الادباء من اكبر وصاف الطبيعة مع انه وصف غيرها كثيراً من المشاهدات والأحوال ، الا ان وصف تلك هو الغالب عليه . ومن قرأ ديوانه وجد ان وصفه يتناول جملة أشياء .

فقد وصف من النبات وبقاعه الرياض والساتين والربا المخضرة والاشجار والازهار وبعض الثمار .

ووصف من المياه وما بداخلها ، البحار وسفنها وزوارقها ، والانهار وشواطئها وصفاءها

وحصاها ، والجداول والتواءها ، والسحب والأقطار والثلج والبرق ، وما يشا كل ذلك من النار وضوئها وهو مغري بوصفها .

ووصف من السماء غيمها وصحوها وشمسها والبدر والحلال والكواكب ذوات العصور والاسماء الشهيرة كالنريا والفراقدا ، والليل وطوله وقصره وظلامه والسرى فيه وهو من أحسن واصفيه .

ووصف من الحيوان الخيل و كلاب الصيد والذئاب والارانب والحيات .

ووصف من الارض الجبال والادوية والديار والمنازل وقبور الموتى .

ووصف من أحوال الانسان السواد والبياض والشيب والشباب ونبات العذار وسواد الخال والنوم وطيف الخيال ومعارك القتال .

ووصف من الادوات السيف والرمح ومحك الذهب والكناس وآنية الشراب الخ .

ولو شئنا ان نأتي لوصفه كل شيء بشاهد واحد من قوله لاتسع بنا مجال القول وعن علي الطالب استحضاره ، ولكننا منذ ذكر بعد بعض شيء من وصفه مع جملة من شعره في الاغراض المختلفة ومن أراد الاستيعاب والتوسع فليقرأ ديوانه وهو مطبوع مشهور . ولم نأت بشيء مما ذكرنا الا بعد ان قرأناه في ديوانه .

(٢) النسب — اكثر نسبه من نوع الغزل الخاص بذكر الشوق والغرام وذكر محاسن النساء والعلمان على طريقة المشارقة ، و يقل في كلامه النسب بذكر ديار العرب ومنازلها في جزيرتها ووصف الأطلال والدمن والظمائن — وقد يستبدل بالنسب الذي يمدح به للمدح في القصائد المطولة وصف الطبيعة .

(٣) المدح — لم يتكسب ابن خفاجة بالشعر بمدح به الملوك والامراء . وتلك القصائد الطنانة التي نمد أطول قصائده انما مدح بها من ذكرنا إما استعداداً على جائر عليه في امر ضياعة او استصلاحاً لها ، وإما شكراً على بد ابتداء بها ذي سلطان ، وإما وفاء بحق الصداقة واستبقاء لدواعي المودة ، ويدخل في معنى ذلك تهنئة صديق بارثقاء او قائد بفتح مدينة وفي ذلك بقول :

وأنتى لوعة لمرار نجد . صبا نجد أسائلها شيبا

و كنت رجوت ان اعتاض منه زعيماً او علياً او حليماً  
ولما انت نظرت مع الليالي فلم أنظر بها الا مليماً  
عباساً او سكهاً او جهاماً لثماً او ذميماً او زنياً  
شدت على القوافي كف حر كريم لا يسوغها لثماً  
فما أطربني اذا اطربت الا حميماً او خبيثاً او حميماً  
ومطروراً أجرد صفيلاً ريعوباً أكره به كرمياً  
ويقصد بالحمي ذا السلطان الذي يستعين به على حماية عقاره ويستشفعه في قضاء حاجته .

ويشهد له في تأييد دعواه هذه قول ابن بسام صاحب الذخيرة في ترجمته اياه  
( وكان مقبلاً بشارقي الاندلس ولم يمرض لاستراحة ملوك طوائفها مع نهافتهم على اهل الادب ) .

وابن خفاجة اذا مدح أجاد المديح وطال فيه نفسه ، واتى بيمان غريبة .

(٤) الرثاء — وهو من الاغراض التي أكثر فيها القول وأبدع فيها الماعاني بعد الوصف . واكثر ما قاله منه في رثاء إخوانه ولداته لوفاتهم قبله وتعميره بعدهم وتوحيده في قرن بغايرهم تربية وطباعاً ، ولذلك كان توجهه لفقدهم وأسفه على ماضي اياه معهم من أبلغ كلامه اثرأ في النفس وأهيبه للشجوت .

وربما استعمل بعض قصائده في الرثاء بما يناسب مذهبه في وصف الطبيعة كقوله :

الاليت لمج البارق المتألق يلف ذبول العارض المتدفق  
ويركب من ريح الصبا متن ساج كريم ومن ليل السرى ظهر أبلق  
فيهدي الى قبر بحمص تحية متى تحتملها راحة الريح تعبق  
فغندي لحمص اسي نظرة لوعة وللنجم وهنا اي نظرة مطرق

وحمص هذه التي يذكرها اسم مدينة اشبيلية لانه تزها بعد الفتح جند حمص من اهل الشام .

وقوله وهو من بديع الافتناز من قصيدة يتصرف فيها بجملة فنون ويرثي إخوانه :

أفما تؤدي الريح عرف سلام      ومما يشب البرق نار غرام  
والأفما إذا أرج الريح سمرة      واذكي على الاحشاء لفح ضرام  
أما وجانت من حديث علاقة      يهز إليه الشيخ عطف غلام  
تحلت به ما بين سلى ومربع      سوائف إمام سلفن كرام  
لقد هنئي في ربطة الشيب هنرة      أراني ورأني في الشباب أمامي

إلى أن يقول في الرثاء :

وقفت وقوف الشك بين قبورهم      أعظمها من أعظم ورجام  
واندب أشجى رنة من حمامة      وأبكي واقضي من ذمام رمام  
قضوا بين واد للسماح ومشعر      وغارب عن في العلا وسنام

(٥) الشكوى والتوجع — واكثر ما يكون منه ذلك في شكوى الشيب والكبرة وفوات لذات الصبا واعياء الجسم وموت الأحبة فمن ذلك قوله :

فمن مبلغ الحسناء عني اني      خلعت نجاد السيف خلع التأم  
وكنت اذا ما أعضل الخطب لاجئاً      إلى كالي من ضرب السيف عاصم  
فها أنا لا يسرى أواخي على الشرى      عناناً ولا يميني تلوذ بقائم

وقوله :

الاساجل دموعي يا غمام      وطارحني بشجوك يا حمام  
فقد وفيتها ستين حولاً      ونادني ورأني هل أمام  
وكنت ومن لباناتي أبيني      هناك ومن مراضعي المدام  
بطالنا الصباح ببطن حزدي      فينكرنا ويعرفنا الظلام  
وكان بها البشام مراح أنس      فماذا بعدنا فعل البشام  
فيا شرخ الشباب الا لقاء      يبل به على بأس أوام  
ويا ظل الشباب وكنت لندي      على أقباء مرحتك السلام

وقوله يندب الشيب ويأسف على فوات الشباب (ويا أسفا على الشباب ١) :



وما راغني الا تبسمُ شذبة  
فعمت غراباً يصدع الشمل ايضاً  
فآه طويلاً ثم آه لكبرة  
وقد صدئت مرآة طرفي ومسمي  
كأن لم يشقني مبسم الصبح باللوى  
ولم اطرق الحناء تهتز خوطه  
ولا سرت عنها اركب الصبح اشهباً  
ولا جاذبتني الريح فضل ذؤابة  
وقوله في آخر عمره وهي من لزوم ما لا يلزم :

اي عيش او غذاء او رسته  
قلص الشيب به ظل امريء  
ناره تسطو به سيئة  
لا بن احدي وثمانين سنة  
طالما جر صباه رسته  
تخزن العين وأخرى حسنة

وقوله :

الا عرّس الاخوان في ساحة البلى  
فدمع كما مسح الغمام ولوعة  
اذا استوقفتني في الديار عشية  
اكر بطرفي في معاهد فتية  
فطالب وقوفي بين وجد وزفرة  
وأبحو جميل الصبر طوراً بعبرة  
وقد درست أجسامهم وديارهم  
وحسي شجواً ان اري الدار بلفماً  
وما رفعوا غير القبور قباباً  
كما أضرمت ريح الشمال شهاباً  
تلذذت فيها جيئة وذهاباً  
ثم كلتهم ببض الوجوه شباباً  
أنادي رسوماً لا تحير جواباً  
أخط بها في صفحتي كتاباً  
فلم أر الا أقبراً ويباباً  
خلاء واشلاء الصديق ثراباً

(٦) الفخر — واكثر نفخه من نوع الفخر المحكي المزعوم المخول الذي لا يرجع فيه الشاعر الى منقبة معروفة عنه او منسوبة لآبائه ، فهو يتفخر بالشجاعة وقهر الاقربان في مواطن القتال ونيل المجد بظبي السيوف وأسننة الرماح مع انه من ارباب الأقلام لا الحسام .

نعم لا يكثر عليه تغره في بعض قصائده ومقطعاته بامتلاك ناصية الفصاحة في الشعر والكتابة لانهما كل صناعته ومنتهى غايته ، ومع ذلك فهو لا يجيده في الجملة وإنما يجيد الفخر أصحاب الحزم الطامحة او النسب الشريف ، وصاحبنا كاتب خليعاً في صباه متزهداً متعقفاً في كهولته وشيخوخته وكثرتا اخلصتين بحجة للغمول ، ولو كان له من الحمرة وطموح النفس دوت حاله من علو الكعب في الشعر والكتابة لاقترع مرتبة الوزارة او الامارة كما فعل غيره من أمثال ابن عمار وابن زيدون .

(٧) الحكم والأمثال — يقل في كلام ابن خفاجة الحكم والأمثال العامة في سياسة الناس وتدبير المعيشة ، وان خاض في الحكم الخاصة بالزهادة والعزلة والاعتبار بالموت ورب الزمان .

(٨) الهجاء — وأقل ما في شعره الهجاء وهو لا يحسنه بطبيعته ، وإنما يعجز عن بكسر اعداؤه وحساده يتنافسته لهم ، وهو قد أراح نفسه بالعزلة وعدم التعرض لمزاحمة الشعراء والنظر على أبواب الملوك .

(٩) محبة الوطن والشوق اليه — وابن خفاجة ممن غلب على قلبه حب وطنه فأثر ملازمته أكثر حياته ، واقد قضت عليه بمض الضرورة بالجواز الى عدوة المغرب فما هو الا ان عبر الزقاق حتى ألحبت قواده لوعة الفراق ، وحن الى العيش بين الامل والرفاق ، وخيل اليه ان حياته وديناه هي الاندلس واهلها ، بل هي جنة الدنيا ومنية النفوس القصوي بل رغب بها عن الاخرى وصاح وشدا :

يا اهل اندلس الله دركم      ماء وظل وانهار واشجار  
ماجنة الخلد الا في دياركم      ولوتخيرات مذي كنت اختار  
لا تحنوا بعد ما ان تدخلوا سقراً      فليس تدخل بعد الجنة النار

وقال :

اجبت وقد نادى الغرام فاسمعا      عشية غناني الحمام فرجما  
فقلت ولي دمع تفرق فانهمي      يسيل وصبر قد وهي فتضمضما  
الاهل الى اهل الجزيرة اوبة      فأسكن أنفاساً واحداً مهجعما

وأغدو بواديها وقد نضج الندى      معاطف هاتيك الربا ثم أفتحا  
أغازلُ فيها للغزاة مُنة      تحط الصبا عنها من الغيم برفعا  
وقد فضّ عقد الة طر في كل نلعة      نسيم تمشي بيتها فتضوتا  
وبات سقيطُ الطل بضرب مريحة      ترف بواديها ، وينضح أجرا  
واير - فسا دار الي حبيبة      وخسبك مصطافا هناك ومربعا  
لقد تركتني بين جفن جفا الكرى      وجنب نلقى لا بلائم مضجعا  
اقلب طر في في السماء لعلي      أشيم سنا برق هناك تطلعا  
وقد مر بك من هذا الباب ما فيه غناء .      « للبحث صلة »

القاهرة : احمد الاسكندري

## ضحك الجاحظ (١)

— « » —

أدرج بكم من أفق من آفاق الجاحظ نتسح فيه أفياء الحقيقة الى أفق ينبسط فيه سلطان الجمال ، ان قطع عضو من أعضاء الحيوان ، او إلقاء السم على هذا الحيوان او استقصاء صفاته او دفنه في النبات او ذوقه او بجم بطنه او جمع أضداده في إناء ، ان هذا كله لا تلتبس فيه الا الحقيقة ، وسواء أكانت هذه الحقيقة بنت الحواس أم كانت بنت العقل انها جاذبة واي طراوة في تجريب على ضب او على حبة او على ظليم او على خنفساء او على عقرب او على جرّذر او على نملة ، ولكن عبقرية البشر لا يتماثلها تصوير الحقائق في صورة بتغير فيها الجفاف الى الطراوة واليبس الى الفضاضة وهذا التصوير انما هو من عمل الفن ، فاذا أردنا ان ندرك قدرة الجاحظ عليه لزمنا ان نبحل الى الإحاطة بناحية من نواحيه ننشي لنا لغة تروض قوانا العقلية فيخرج العقل من هذه الرابضة أقوى سلطاناً وأمرن طبيعة وأغنى مادة .

فها انا أخرج بكم من باب علم الجاحظ الى باب فنه . ولا يخطر على بال احد ان العلم والفن ضدان فالحقيقة أخت الجمال واذا أردنا ان نعلم مقدار اتصالها بالجمال فلنسمع ما قاله واضع علم الكيمياء الحديث ، قال ( Lavoisier ) : « ولما كانت الالفاظ هي التي تحفظ الأفكار وتنقلها نشأ عن ذلك اننا لا نستطيع تجويد اللغة الا اذا جودنا العلم ، ولا نستطيع تجويد العلم الا اذا جودنا اللغة ، وهما كانت الامور أكيدة ثابتة وهما كانت الأفكار التي تولدها هذه الامور صحيحة اننا اذا لم يتهيأ لنا بيان صحيح بعرب عن هذه الأفكار لا نتقل الا انفعالات خاطئة .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .



هذا مقدار عطف عالم من أهل العلماء على الفن واليكم رأي اديب يفصح عن عطفه على العالم فقد تبنى (Maurice Donnay) في خطاب خطبه في الاكاديمية ارنشاً الادب والعلم معاً كما ينشأ الشقيقان . —

فالعلم والفن صنوان ، فلتعجل الى البحث عن فن الجاحظ ، اول جهة من جهات هذا الفن تهكم الجاحظ وقبل ان تعرض للكلام على تهكمه لا بأس بامضاء القول في اضاحيك الجاحظ .

للجاحظ ولم شديد بالضحك والايضحاك فكأنما لا ينظر الى الحياة الا من وجهها المشرق باي شيء أدل على فرط اهتمامه بالضحك من قراءة هذه السطور التي تمثل لنا مقدار نفسته في بيان وجوه استحسانه وتأثيره في الطباع . قال ابو عثمان (١) :

« ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك لما قيل للزهوة والهجرة والعلامة والقصر المنى كأنه يضحك ضحكاً وقد قال الله جل ذكره : وانه هو اضحك وأبكى وانه هو أمان وأحبي . فوضع الضحك بجذاء الحياة ، ووضع البكاء بجذاء الموت ، وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمين على خلقه ، بالنقص وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ومن مصلحة الطباع كبيراً وهو شيء في اصل الطباع وفي اساس التركيب لان الضحك اول خير يظهر من الصبي وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شجوه وبكثردمه الذي هو علة سروره ، مادة قوته ولنفل خصال الضحك عند العرب تسمى اولادها بالضحاك وببسام وبطلتي وبطليق ، وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وفرح وضحك الصالحون وفرحوا واذا مدحوا قالوا : هو ضحكوك السن ، وبسام المشيات وحش الى الضيف ، وذو أريحية واعتزاز ، واذا ذموا قالوا : هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتم الحيا وهو مكفر ابدأ وهو كربه ومقبض الوجه وحامض الوجه ، كأنما وجهه باخل منضوح وللضحك موضع وله مقدار والمزح موضع وله مقدار متى جازهما احد وقصر عنهما احد صار الفاضل خطلاً والنقصير نقصاً ، فالناس لم يعجبوا الضحك الا بقدر ولم يعجبوا المزح الا بقدر ومق أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك ، صار المزح جداً والضحك وقاراً » .

(١) كتاب البخلاء ( مطبعة الجمهور ص ٦ ) .

لم نفلت الجاحظ حجة من التججيج في دفاعه عن الضحك فهو يستعين بكل شيء في هذا الدفاع ، يستعين بالأدب والقراءن والطب وبالنبي وبالصالحين ، وهذه طريقته في تقرير معنى يستأنس به ، وما هذا المعنى في مقامنا إلا الضحك فالجاحظ مولع بالضحك ولصكته لا يريد ان يفرد به وإنما يحاول ان يشارك فيه قراءه كئنه فكأنما يحاول ان يحمل هؤلاء القراء على النظر الى الحياة من الوجه الذي ينظر اليه منها فهو يحرص الحرص كذا على إضحاك القاري خوفاً من ملالته ومآتمه فيصرف كل همه الى إدخال السرور على قلبه والنشاط على ذهنه بما يهتدي اليه من النوادر والفرائب ولقد وضع حرصه هذا في مواطن كثيرة من كتبه وخاصة كتاب الحيوان ، وما خصصت هذا الكتاب إلا لجعله فيه للعلم أوفى نصيب فقبل ان يتفرغ للبحث عن الضب والغل والجبن والهدم والتمساح والظبي والأرانب والظربان وغير ذلك يستوقف القاري في مقدمة كلامه وبما هذه على إضحاكه بشيء من النوادر أو الأخبار أو الأشعار خوفاً من إضجاره فمن المواطن التي استوقف فيها القاري قبل ان يندفع في مباحث جافة وعالمه فيها بالإنضحاك موطن يقول فيه <sup>(١)</sup> :

« وليس من هذه الأبواب باب إلا وقد يدخله تنف من ابواب آخر على قدر ما يتعلق به من الأسباب ويعرض فيها من التضمير ولعلك ان تكون بها أشد انتفاعاً ، وعلى اني ربما وثقت . فصلت فيه بين الجزء والجزء بنوادر كلام وطرف أخبار وغرر اشعار مع طرفة مضاحك ولولا الذي نحاول من استعطافك على استمتاع انتفاعكم لقد كنا سيجتذا وسيجتدنا شأن كتابنا » .

فأنتم ترون في هذا الكلام مقدار اعتناؤه بالإشارة الى مضاحكه والنبيه عليها . ولقد فصل مذهب أوضح تفصيل في قوله <sup>(٢)</sup> :

### — باب ذكر الحمام —

« وان كنا قد أملناك بالجد والاحتياجات الصحيحة والمزوجة لتكثر الخواطر وتشد العقول فاستنشطتك ببعض البطالات وبذكر العلل الظرفية والاحتياجات الغريبة

(١) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٦ .

(٢) ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ الثالث ص ٢ .

فرب شعر يبلغ بفرط غباوة صاحب مالا يبلغه أحر النوارد وأجود المعاني وأنا استظرف  
 امرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماع حديث الأعراب والأمر الآخر احتياج  
 متنازعين في الكلام وهما لا يحسنان منه شيئاً فإنهما يشيران من غريب الطيب ما يضحك  
 كل ثكلان وإن تشدد وكل غضبان وإن أحرقه لميب الغضب ولو أن ذلك لا يحل  
 لكان في باب اللهو والضحك والسرور والبطالة والتشاغل ما يجوز كل فن وسنذكر من هذا  
 الشكل عللاً ونورد عليك من احتياجات الأغبياء جميعاً فإن كنت ممن يستعمل الملالة  
 وتعمل إليه الآمة كان هذا الباب تنشيطاً لقلبك وأجماً لقوتك ولتبتدي النظر في باب  
 الحمام فقد ذهب الكلال وأحدث النشاط وإن كنت صاحب علم وجدته وكنت ممرتاً  
 موثقاً وكنت الف تفكير وثقير ودراسة كتب وحلف تبين وكانت ذلك عادة لك لم  
 بضررك مكانه من الكتاب وتخطبه إلى ما هو أولى بك وعلى أني عزمت والله الموفق أني  
 أوشع هذا الكتاب وأفصل أبوابه بنوارد من غروب الشعر وغروب الأحداث لينرج  
 قاري هذا الكتاب من باب إلى باب ومن شكل إلى شكل فاني رأيت الأسماع تمل  
 الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها وما ذلك إلا في  
 طريق الراحة التي إذا طالت أورثت النقلة وإذا كانت الأوتار قد سارت في صفار  
 الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح وما غابننا من ذلك كله إلا  
 أن تسفيدوا .

وللجاحظ مقامات كثيرة أشار فيها إلى ولعه بالاضحاك اكنني بالقدر اليسير الذي  
 ذكرته تفادياً من التطويل . ولقد كان في تكريره هذه الإشارة دليل واضح على شغل ذهنه  
 بالاضحاك ، وإذا علمنا أن الجاحظ عاش في عصر نقلت فيه كتب الهند وترجمت حكم  
 اليونانيين وحولت آداب الفرس ، إذا علمنا أن عصر الجاحظ كان عصر حساب وطب  
 ومنطق وهندسة وفلسفة وفلاحة وتجارة وغير ذلك من الأبواب التي قد تشعب الأذهان  
 وتجهد العقول ، إذا علمنا هذا كله لم نعجب من ميل الجاحظ إلى الاستنشاس ببعض  
 البطالات وبذكر العلل الغريبة والاحتياجات الغريبة .

ولكن العلم وحده وما طبع به من طبائع جاف لم يكن السبب الأكبر الذي من أجله  
 لجأ الجاحظ إلى الاضحاك حرصاً على نشاط القاري ، أفلم يضع كتاب الجلاء الذي





الريم ولم أقدر على دابة فمررت في عشب ونبات ملتف كثير الذبان ، فسقط ذباب من ذلك الذبان على أنفي فطرده ، فلم أقدر ، فتحول الى عيني فزدت في تحريك يدي ، فتنحى عني بقدر شدة حركتي وذلي عن عيني ، ولذبان الكلال والقباض والرياض وقع ليس لغيرها ثم عاد اليّ فعدت عليه ، ثم عاد فعدت بأشد من ذلك فلما عاد استعملت كمي فذبت به عن وجهي ثم عاد وأنا في ذلك أحت السير أو مل بسرعة انقطاعه عني فلما عاد نزع طيلساني من عني فذبت به بدل كمي فلما عاود ولم أجده له حيلة استعملت العادو ، فعدت منه شرطاً لم اتكلف مثله مذ كنت صبياً فتلقاني الأندلسي فقال لي : مالك يا اباعثمان ، هل من حادثة ؟ قلت : نعم ، أريد ان اخرج من موضع للذبان عليّ فيه سلطان فضحك حتى جلس وانهطم عني وما صدقت بانقطاعه عني حتى نباعد جداً<sup>(١)</sup> .

كلف الجاحظ بالاضحاك امرين وقد بسط مذهبه هذا في أكثر كلامه ولست في حاجة الى ذكر نادرة من نوادره في اثناء كلام له على بعض الحيوان او على الفلسفة ادعى الدين فان هذه النوادر مبعثرة في كتبه والحقيقة ان الدهن قد تبعه امور العلم فيحتاج الى التنشيط فبين الجاحظ يمضي القول في العقرب وفي مقدار الانتفاع برمادها وفي طلبها الانسا . ونحوه وفي استخراجها من بيوتها اذ تمنى على باله نادرة سمعها من ابي عبيدة فيقول<sup>(٢)</sup> « قال ابرعبيدة : سمعت اعرابياً عقرباً بالبصرة يخيف عليه واشتد جزعه ، فقال بعض الناس : لبس شيء خيره من ان تضل له خُصية زنجبي عُرَاق ، وكانت لبلة عميقة ، فلما سقوه قطب ثقيل : طعم ماذا تجد ، قال : طعم قرينة جديدة » .

أو يخبره محمد وعلي ابنا بشير بهذا الخبر فيرويه فيقول<sup>(٣)</sup> :

« ان ظئراً لسليمان بن دباس سمعها عقرب فملاأت الدنيا صراخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها هذه العقرب فان دوائها ان تلعسها لسعة أخرى في ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئت وقد مكن وجهي ، لا حاجة لي في هذا العلاج ، قال : فأزوه بعقرب لا والله ما ندري أمي تلك ام غيرها ، فأمر بها فأمسكت ، فقالت : نشدتك بالله وباللبن فأرسلها

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث من ١٠٧ .

(٢) « « « « « الخامس من ١١١ .

(٣) « « « « «

عليها ، فلهعتها ، فغشي عليها ومرضت وتساقط شعر رأسها ، فقبل سليمان في ذلك فقال :  
يا مجازين لا والله ان ردة عليها روحها الآلسة الثانية ولولا هي لقد كانت ماتت .  
ولا شك في أن أمثال هذه النوادر تخفف من مؤنة البحث والتنقيب والتعمق والتدقيق ،  
وإذا جاز لنا ان نؤاخذ الجاحظ بشيء في هذا الباب فانما نؤاخذ في بعض الاحايين بفرط  
ولعه بالاضحاح فقد يخرج غلوه في هذا المعنى عن المقدار فيرسل مثلاً في كلامه على بعض  
الحيوان أحداث ونوادر من الشعر قد لا تتعلق بهذا الحيوان ، فكأنما الجاحظ يريد ان  
يفضح القاري ويسره كيف كان الامر ، فهو يعتمد هذا الاضحاح أحياناً وهنا موطن  
الكلفة وموقع الإفراط فاذا تممنا الاضحاح قليلاً ما نضحك والنادرة ان لم تكن بنت  
الطبع كانت فاترة .

وهذا المذهب الذي يلجأ اليه ليس فيه شيء من قوارص الكلام وربما أوحاه اليه  
عصره وطبعه وقد قلنا فيه الاوائل وصمم قول في هذا المعنى : وإذا كانت الاوائل قد  
سارت في صفار الكتب هذه السيرة . . . ولكننا لا ندري من هم الاوائل ، أم العرب  
أنفسهم ؟ أم هم اليونانيون أم الفرس أم اهل الهند ؟ وفي كل حال لم يتوخ الجاحظ في  
اضحاح القاري الا التنشيط والاستبهام ومنعروض في الاسبوع الآتي للمذهب المبني  
على القوارص وهو التهكم .

دمشق : في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

## الحلاج<sup>(١)</sup>

رجلٌ شِعْوَبيٌّ عُرِفَ بالكتابة والشعر والتصوف والزهد ثم شاع عنه ادعاء الربوبية ( والعباذ بالله ) اسمه الحسين بن منصور وبكنى بابي مغيث . ولد في البيضاء بفرس من أعمال سجستان ونشأ بواسط العراق وهو مجهول تاريخ الولادة ولا نعلم شيئاً عن كيفية نشأته ودراسته قبل ان ذهب الى مكة المكرمة فقد اقام فيها مجاوراً زمناً طويلاً وقُتل في بغداد على عهد خلافة المقتدر ووزارة حامد بن العباس وذلك يوم الثلاثاء لسبع اوست بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ للهجرة على ما سيجي تفصيله وهو احد الذين قُتلوا في زمن العباسيين لقول روي عنهم او شعر أُسب اليهم كبشار بن برد الذي قتله المهدي لقوله :

لا يؤيسنك من مخدرةٍ      قولاً تغلظه وان جرحا  
عسر النساء الى مياسرة      والصعب يركب بعدما جحما

وكصالح بن عبد القدوس الذي اتهم عند الخليفة بالزندقة فانكرها وأصرَّ على صحبة عقيدته وكان شيئاً مستغرباً عنه حتى اذا خرج من حضرته قال القاضي وكان يريد قتله هذا يا امير المؤمنين الذي يقول :

والشيخ لا يرجع عن غيبه      حتى يوارى في ثرى رمسه

فكيف يتوب عن شيء قد ألفه فاسترده الخليفة وامر بصلبه فصلب .

وهكذا جرى بالحلاج فانه اتهم باقوال داعية للشبهة صادرة عن لسانه وابيات شعر منسوبة اليه فيها ما يدعو الى الشك والارتياب فأخذ ثم جردل فامتحن ففُترب فعذب ثم

(١) مأخوذ من حلج القطن اي تجريده من قشوره وبزوره وثنقيته على ما هو معروف قيل لقب بذلك لانه جاء حلاجاً في مكانه وكلفه الذهاب في غرض له فغضب الرجل وعاد فوجد قطنه كله محلوجاً .

قتل وشتم للناس وكتب كل ذلك جائزاً مألوفاً في ذلك العهد عهد السيطرة على الآراء  
والضماير . واخذ الناس حتى بالشبهات صيانة للعودة وزرداً عن العقيدة ولا سيما بعد ان  
ظهر من الاباضية والشراسة وسائر الخوارج وادل انذاهب الباطنية ماظهر مما أزعج الاسلام  
وارمضه ردحاً طويلاً وهو لا يزال في ريق شبابه ومقتبل ازدهاره .

ولقد سحب الخلاج حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري وعمر بن  
عثمان انكي والتوطيني ونفذ على بعضهم وبعد ان مات على هذه الصورة قال عنه ابو العباس  
ابن عطاء ومحمد بن حنيفة وابو القاسم النصراني وغيرهم كثيرون انه طاهر الجيب نقي  
الصحيفة صحيح العقيدة وانه احد الاقطاب الربانيين والجهابذة المحققين . والحق يقال انه  
لم يوجد احد تباينت فيه آراء العلماء وتضاربت أقوال المؤرخين وارباب السير والمنقهبين  
كالخلاج فانهم اختلفوا في وصف حاله وقاله والحكم على سيرته وعلائقه اختلافاً بعيداً  
حتى تعذر على المستعري المحقق الدقيق استجلاء الواقع مهما امكن في مطالعته وبالغ في  
درس واستقصاء ما كتب عنه وله وعليه مع ان الكتابين عند — على ما حقق العلامة السيد  
ماسينيون الفرنسي قد بلغوا حتى هذا القرن الستمائة والسنة وثلاثين مابين عربي وفارسي  
وهندي ومغربي واوروبي — فالعباس بن مريج كان يقول اذا سئل عنه « هذا رجل  
خفي عني حاله فلا اقول فيه شيئاً » بينما تجدد ابن خلكان على علمه وفضله بصرح بتدوينه  
وبقول بان اكثر علماء زمانه افتوا بنبأه دمه ثم لم تبرح ان ترى العُشيري محبذاً كلامه  
وآراءه مثنياً عليه من كماله ، وبتابعه في ذلك الامام الغزالي الشهير الذي افرد للكلام  
عنه فصلاً طويلاً ضافي الذيل خرج فيه ما كان داعياً الى النك من كلامه مخزيجاً حسناً  
وبراً ساحته من كل ما استنكره الناس ناسباً كل ذلك الى شدة الوجد في الكمالات  
الالهية والتوأم في جمال صفاتها المطلق . اما ابن الاثير والقزويني وغيرهما ممن تابعها  
فيقولون انه كان سيفه بدء نشأته زاهداً متصوفاً يظهر الكرامات ويخرج الآيات ويأتي  
بالخوارق والمعجزات حتى انه كان يركب الاسد ويتخذ الحية سوطاً ويأتي بفأكة الشتاء  
في الصيف وبفأكة الصيف في الشتاء ويمد يده في الهواء فيميدها مملوءة دراهم يسميها دراهم  
القدرة مكتوباً عليها « قل هو الله احد » ويخبر الناس بما اكواه وما صنعوه في منازلهم ومشاعلهم  
— كما كان يفعل الحاكم بامرہ الفاطمي في مصر عندما ادعى الألوهية فافتن به خلق



كثير واعتقدوا فيه الخلول فقال بعضهم انه رب قدير وقال غيرهم انه ولي كبير وقال آخرون انه ساحر مشعوذ كذاب تطيعه الجن والعفاريت فتأثبه بالفاكمة في غير اوانها الى غير ذلك من مثلونات الأفاعيل مما تطيش ببعضه الألباب وتحار بجزء منه المدارك . ومن المأثور من اقواله اثناء تواجده في محبة الله عز وجل :

اذا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان طلنا بدنا

فاذا ابصراني ابصرته واذا ابصرته ابصرنا

فأخلاج هذا على ما رأيت اختلط طريقة من الشعر لم يسبقه اليها سواء وانما تابعه عليها بعد . كثيرون من كبار المتصوفين الروحانيين كالامام بن الفارض المصري صاحب الديوان المشهور والشيخ محيي الدين بن عربي<sup>(١)</sup> وغيرهما ممن اتخذوا الشعر وسيلة لهبات تجردهم عن الدنيا وولوعهم بكالات الله ووضفها وصفا يدعو الى الخيرة بتفسير ما يردونه من اقوالهم المألوفة عرفاً وعقلاً على نحو ذل الخلاج هذا :

عجبت منك ومني اغنيني بك عني

ادنيني منك حتى ظننت انك اني

وقوله وهو غير التفسير جداً على من لم يطلع منه او من احد صريديه على ما يريد :

ارسلت تسأل عني كيف كنت وما لاقيت بعدك من هم ومن حز

(١) ذكره صفي الدين ابن ابي المنصور كقطب من الاقطاب الربانية وقال عنه الذهبي انه لولا شطوه في الكلام لم يكن به بأس . ولعل ذلك في حالة سكره بالمحبة وغيبوته . ولد بمصر سنة ٥٦٠ وتوفي في دمشق سنة ٦٠٨ للهجرة . ومن شعره الذي يجري مجرى نظم الخلاج قوله :

قلي قطبي وقالني اجفاني سرني خفري وعينه عرفاني

روحي هارون وكليحي موسى نفسي فرعون والهوى هاماني

ومن قوله في الغزل القلمي :

مروا وظلام الليل ارخي سدوله فقلت لها صبا غريبك متبا

فأبدت ثناياها وابغضى بارق فلم ادر من شق الحنادس منها

وقالت اما يكفيه اني بقلبه يشاهدني في كل وقت أما

لا كنت ان كنت ادري كيف كنت ولا كنتم اذا كنت ادري كيف لم اكن  
وكقول ابن الشلفاني<sup>(١)</sup> وهو يدل على مذهب الحلول الذي تبرأ منه ابن الفارض  
في قصيدته التالية :

بكم اتحدث هو ي فلو حيثكم قلت السلام علي اذ انتم انا

والذي دعانا الى ترجمة الحلاج في هذه المجلة انما هو هذه الجهة من جهات حياته اي  
كونه ادبياً متكلماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لا مغمز فيه ولا لحن يذهب فيه مذهباً  
غريباً يرمي الى مرام روحانية كلها رموز واشارات لا سبيل الى تفسيرها تفسيراً جليلاً جازماً

(١) هو ابو جعفر محمد بن علي الشلفاني الكاتب المعروف بابن ابي العزاقير ولد في شلفان  
ولا يُعرف تاريخ ولادته ولا كيفية تعلمه ودراسته وغاية ما علمناه في بدء امره اتصاله بابي  
القاسم بن روح الذي يسميه الامامية الباب وكان من خواص الوزير حامد بن العباس ثم  
نفارقا واتصل ابن الشلفاني بالحسن بن ابي الحسن بن الفرات في وزارة ابيه الثالثة للمقتدر  
فشاع عنه اذ ذاك ادعاء الربوبية واحداث مذهب جديد فطلب في وزارة الخاقاني فلم يوجد  
بل فرّ الى الموصل واستتر هناك عند ناصر الدولة الحمداني ولما احس بانقطاع الطلب عاد  
الى بغداد سنة ٣٢٢ وتبسط في اظهار مذهبه حتى قال عن نفسه انه رب الارباب وظهر  
له اشباع فقبض عليه الوزير ابن مقله في شهر شوال من تلك السنة وأخذ معه ابن عبدوس  
وابن ابي عون ثم ضبط من داره رقاع ورسائل يخاطبه بها ويريدوه خطاب العباد لمعبودهم  
فعرضت الخطوط على الناس فعرفوها واقرّوها ابن الشلفاني ولكنه انكر ادعاء الربوبية  
والخروج عن السنة ولما أمر صاحبه بصفه بصفه ابن عبدوس وامتنع ابن ابي عون مقبلاً  
لحيته ورأسه ثم قال « آهي وسبيدي ورازقي » بسد ان الرجل ردّ دعواه ولبث مصرّاً  
على الانكار بخضرة الخليفة الراضي بالله وجمع غفير من الفقهاء وبعد اخذ ورد طال امره  
أنقى هؤلاء باباحة دمه ودم كل من ابي عون والحسين بن القاسم بن وهب الذي وزير للمقتدر وقد  
وجد بخطه وتوقيعه كتاب الى ابن الشلفاني يعترف فيه بربوبيته فطلب هو وابو عون في  
بغداد وأحرقا بالنار وكان الحسين في الرقة فقتل هناك وحمل رأسه الى بغداد وكان ذلك  
في شهر ذي القعدة من سنة ٣٢٢ هجرية وهذه الحادثة تشاكل من أكثر وجوهها حادثة  
الحلاج وكلناهما وقعتا في عصر واحد وبين الاولى والثانية ثلاثة عشر عاماً فقط .

فيه مقنع لدوي الافهام كأنما القصد منها منذ إنشائها ان تكون كالأحاجي مغلقة مبهمة وان كانت منسجمة الألفاظ صحيحة التراكيب كقول الحلّاج عندما أخرج بيباب الطاق للتعذيب والقتل :

نديبي غير منسوبٍ الى شيء من الحيف  
سقائي مثلاً يشرب - بفعل الضيف للضيف  
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف  
كذا من يشرب الراح مع الثين بالصيف

وكان قد قال قبلما فارق الحبس « حسب الواحد افراد الواحد له » وكلا القولين مما لا يستطاع دركه واستجلاء معناه بخلاف مقالته وهو على الخشبة حيث كانت روحه تفيض بين السوط والسيف :

طلبتُ المسفرة بكل ارضٍ فلم ارَ لي بارضٍ مستقراً  
اطمتُ مطامعي فاستعبدتني ولو اني قنعت لكنتُ حراً

وهو قول بليغ واضح القصد جلي المعنى يرب عن زيادة طموح صاحبه الى الجدة وحرصه على التفوق والشهرة ، ثم يتم في الشطر الاخير منه عن ندمه وامغه لاوقداه على المركب الخشن الذي اختاره سلباً يرقى به الى ذروة أمتيته وهي جلب إعجاب الناس وحيرتهم وتوخي فتنهم عن طريق الاغراب في الأقوال والشذوذ في الأفعال مما أدى به اخيراً الى تلك الخطاة التبعة الاليمة وجعله في التاريخ علماً يستحق الرثاء أزاء ما كابده من ضرور المحنة واصناف البلاء .

فالحلّاج إذن شاعر له منزلة على غيره هي نفردة بطريقة اختطها لنفسه يريد منها امرأ خاصاً خفيت حقائقه عنا وان كنا نستخرج منها هنا حب الاشتيهار عن طريق الفلسفة في العقائد - ولكي يتسنى لنا تصوير حالة الرجل لقرائنا الافاضل من حيث خلقه وحذقه واقتداره العجيب على إدهاش معاصريه باظهاره غرائب الاعمال - وخوارق العادات والشذوذ في سائر مناحيه الكلامية والمعيشية نبسط لهم هنا ملخص ما روى الثقات من سيرة حياته فنقول :

بعد ان قدم الحلّاج من خراسان الى العراق - وكان اذذاك مجهولاً خامل الذكر -

أزمع الرحلة الى مكة المكرمة فأقام بها على ما قيل سنة كاملة في العراء لا يستظل تحت سقف وكان بصوم يفاض نهاره حتى اذا أمسى احضر له القواماء وقرصاً من الخبز فيشرب الماء ثم بعض من القرص ثلاث عضات ويترك الباقي . وكان شيخ الصوفية بمكة اذ ذاك عبد الله المغربي فلما اشتهر امر الحلاج اخذ اصحابه ومشى الى زيارته فوجده في جبل ابي قبيس جالساً على صخرة مكشوف الرأس حافي القدمين يتصبب العرق من جسمه مثابعا فعاد باصحابه من حيث اتى ولم يكلمه . بل قال عنه لائله : « هذا رجل يتقوى على قضاء الله فلسوف يبتليه سبحانه بما يفوق صبره وقدرته » ومنذ ذلك الحين شاع ذكره وذاع امره واخذ يقول عنه الناس اموراً كلها غرائب وأعاجيب . قيل انه خرج يوماً من الحمام فلقبه بعض الهازئين به الخالفين له فصغفه صغمة شديدة فقال يا هذا لم صغفني . قال الحق أسرني بذلك فقال بحق الحق اردفها باخري فلما رفع يده يبت . وقال التزويبي لما ظهر قوله « انا الحق » ونكوا فيه قالوا له تداركاً للأسرُ قل « انا الحق » بهمز الألف وتخفيف القاف فقال لا اقول الا انا الحق فأساؤا الظن فيه وقال له احدهم انت كنت صادقاً فاستغني فرداً فقال لو هممت بذلك لكان نصف العمل مفروغاً له . وما قاله في استنكار الناس لقوله انا الحق :

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا      جبال حنين ما سقيت تغن  
تمنيت سلبي انت نموت بمحبها      واهون شيء عندنا ما تمنيت

وما قاله متمزداً :

دنيا تخادعني كأنه      بي لست اعرف حالها  
حظر الملك مراياها      فانا اجنيت حلالها  
فني طلبت زواجها      حتى اردت وصالها  
ورايتهما محتاجة      فوهبت جملتها لها

قال بعضهم لقيت الحلاج فأنشدني :

ولي نفس ستلف أولترقي      لعمر ابي الى امر عظيم

وهذا مما يؤيد القول ايضاً انه من أولئك الافذاذ الشديدي الطموح الى عالم الظهور



والاشتهار ولو عن هذا الطريق الوعر المسلك فعثر ومن لم يسلك البعد هيات انت  
بأسن العثار .

قال عبدالله محمد بن حبيب دخت على الحلاج وهو محبوب من مقيد فرأته يبكي ولما  
أدركته الصلوة رأته نهض وقد سقطت عنه القيود فصل . فقلت يا هذا لم لم تخلص  
نفسك قال ما انا بمحبوس ثم انشد :

والله لو حلف العشاق انهم موتى من الحب او قتلى لما حنثوا  
قوم اذا شجروا من بعدما وصلوا ماتوا وان عاد وصل بعدهم مشوا  
تري المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا  
ثم قال : يا ابن حبيب لا يكون الحزن الا لفقد محبوب وفوات مطلوب وهم الناس  
على قدر احوالهم واحوالهم مطبوعة بعلم الغيب وعلم الغيب محبوب عنهم . فالخلق كلهم  
حيارى وانشأ يقول :

أنين المرید لشوق یزید أنین المریض لفقد الطیب  
قد اشتد حال المرید فيه لفقد الوصال وبعد الحبيب  
ثم قال ايضاً يا ابن حبيب حججت الى زيارة القديم فلم اجد لقديمي موثقاً من كثرة  
الزائرین فوفقت وقفة المبهوتين فنظر اليّ نظرة فاذا انا متصل به ثم قال من عرفني ثم  
أعرض عني ؟ فقلت :

عذابه فيك عذب وبعدك عنك قرب  
وانت للعين عين وانت للقلب قلب  
حق من الحب الي لما تحب احب

وقيل في سبب قتله انه نقل عنه الى الوزير حامد بن العباس انه يحكي الموتى وان الجن  
يخدمونه ويحضرون له ما يشتهي وان نصرأ حاجب الخليفة يقول بقوله ويميل الى رأيه فالتمس  
الوزير من الخليفة المقنندر ان يسلم اليه والحق في ذلك كل الاحاح فسلم اليه على الرغم من  
نصر ودفاعه فأخذه حامد واخذ معه انساناً يُعرف بالشعري وغيره ممن يعتقدون انه الله  
فقرروهم فاعترفوا بربوبيته وانه يحكي الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فانكره وقال حادثاً لي  
انت ادعي الربوبية او النبوة انما انا رجل اعبد الله عز وجل فاحضر حامد القاضيين

ابا عمرو ابن الملا، وجمهر بن بهلول وجماعة من وجوه الفقهاء فاستنقاهم فما أفتوا بشيء بل قالوا لا يجوز قبول من يدعي عليه الا بيينة او إقرار وكان حامد يخرج الحلاج مراراً الى مجلسه فيستنطقه فلا يصد عنه ما يخالف الشرع او يوجب المؤاخذه وظال الامر على ذلك والوزير مجد في امره يلتمس علة ليقنله بها وجرى له معه امور بطول شرحها الى ان رأى الوزير كتاباً له ورد فيه ان الاناس اذا أراد الحج ولم يمكنه افرد من بيته حجرة طاهرة لا يدخلها احد فاذا ازفت ايام الحج بطوف حولها وبعد ان يفعل ما يفعله الحجاج بمكة يحجم ثلاثين بئياً ويطعمهم ويخدمهم بنفسه ثم يكسومهم ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم فاذا فعل ذلك كان كأنه حج فلما قري هذا في المجلس قال القاضي للحلاج من اين لك هذا قال من كتاب الاخلاص للحن البصري فقال القاضي « كذبت يا حلال الدم » فقد سمعناه في مكة وليس فيه هذا فلما سمع الوزير قوله له « يا حلال الدم » طالبه بالافتاء كتاباً فدافعه ابو عمرو ولكن حامداً ألزمه فكتب باياحة دمه وكتب بعده من حضر فلما سمع الحلاج قال لم « ظهري حمي ودمي حرام وما يحل لكم فاعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في السنة فالله الله في دمي » ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون حتى انصرفوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن وكتب حامد الى المقتدر بما كان فعاد الجواب انه يسلم الى صاحب الشرطة حيثما يضرب الف سوط فان مات من الضرب والا فليضرب الف سوط أخرى ثم يضرب عنقه فليه الوزير الى صاحب الشرطة وقال له ان لم يتلف بالضرب تقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ، ثم تحز رقبتة وتحرق جثته فأخرج الى باب الطاق صبيحة يوم الثلاثاء في ٢٣ ذي القعدة سنة ٣٠٩ كما قلنا وقد اجتمع خلق كثير لا يحصى عددهم فأتهم الشرط ما أمروا به مع كمال القسوة فلم يتأوه ولم يتوجع ثم لحق رأسه بعد قطع أطرافه وأحرق جثته ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد ليراه اصحابه واشياعه ثم أرسل الى خراسان حيث يوجد له مربدون يقولون يرجعنه بعد اربعين يوماً وهم ينسبون اليه من خوارق المعجزات ما لا يحذر بنا سرده هنا وآخر ما اتصل بنا من شعره قوله :

لم يبق بيني وبين الحق اثنان      ولا دليل بآيات وبرهان  
كن الدليل له منه اليه به      وقد وجدناه في علم وفرقان

هذا وجودي وتصريحي: معتقدي هذا توحيدي وإيماني

لا يستدل على الباري بصنفته وانتم حدثتني بآزمان

والأدعى إلى الغرابة والدهشة أن يقوم في القرن العشرين أي بعد مرور زهاء ألف سنة على قتل الحلاج رجل كالسيد ماسينيون من كبراء علماء المشرقيات من الفرنسيين فيخصص شطراً من صفوة أيامه ولباب حياته باحثاً عن الحلاج وعلم الحلاج ومذهب الحلاج وعدد من كتبوا أدلاً وأخيراً عن الحلاج من عرب وعجم وترك وهنود وأوربيين وما هي كتبهم وأين طبعت وأين توجد ومن هم أولئك الكاتِبون وما هي اللغات التي كتبوا فيها وما هي مؤلفات الحلاج وماذا قيل عن حياته وماذا قال ابنه عنه وشفع كل ذلك بصفحة مطبوعة بالزئكوغراف مأخوذة من كتاب عربي خطي الفه المرحوم السيد محمد سعيد القاسمي في الصناعات الشامية قال عنه أنه من جملة كتب ابنه المغفور له السيد جمال الدين القاسمي وتقتصر هذه الصفحة على تعريف اسم الحلاج وما هي صناعة الحلاج وكيف يحلج القطن وما هي الآلة التي يحلج بها العامة القطن ، ثم يجمع — أي ماسينيون — كل هذا في كتاب بالفرنسية يقع في مجلدين ضخمين .

ولقد اتينا استطراداً بهذه الإشارة لكي يرجع إلى الكتاب من يرى من وقته متسكاً وفي نفسه ارتياحاً للاشتغال على هذه التفاصيل وغير ما مما يخرج عن الغاية التي نشوئها من معرفة الحياة وهي تعريف حياة الحلاج من حيث هو شاعر ذو خطة معينة وطريق خاص كما قدمنا لا من حيث آرائه الدينية وما ترتب عليها من العقاب السياسي فإنت كلاً الموضوعين — الدين والسياسة — يخرج عن دائرة العمل عندنا ولم نذكر ما ذكرناه من هذا القبيل إلماماً وإلماعاً إلا توصلنا للهدف الذي نرمي إليه من إيقاف المطالعين على ضربة الرجل الشريفة والأدبية واتخاذها إياها وسيلة للخطة التي اختارها لنفسه في معترك هذه الحياة ليس إلا .

على أننا نعرض هنا أننا لم نرفقها قرأناه حتى الآن من تراجم أحوال الرجال حياة أكثر غرابة وشذوذاً وميتة أعظم عبرة وأشد هولاً من حياة هذا الرجل وميتته فأنها مرآة وضاعة ترمم لنا بُعد الإنسان مما ارتقى إلى مراتب الحضارة والعبقريّة والعلم عن ذروة الكمال والله وحده ولي المرجع والمآل .

دمشق : سليم عنخوري

عضو المجمع العلمي العربي

## المهاجرة

لقد سحبت في بلاد الغرب نحو عشرة اشهر صرفت معظمها في الولايات المتحدة الاميركية واجتازت تلك البلاد من الشرق الى الغرب وزرت اعظم ولاياتها ومدنها وشارفت عن كثب حالة السوري المهاجر فيها ، ومع ان الوقت الذي صرفته هناك لا احسبه كافياً لا عطاء رأي حاسم في المهاجرة ، فما انا انقل لابناء بلادتي باخلاص تام رأياً اعتقده صواباً غير مدع العصمة فيه او التفوق فيما انقله وابديه .

يرجع عهد المهاجرة الاول الى منتصف القرن الماضي على وجه التقريب . وهو زمن الطلائع ولكن المهاجرة كانت على أشدها في الربع الاخير منه وفي اوائل هذا القرن حتى وفور الحرب الكبرى ثم بعد انتهائها ولبس هنالك احصاء دقيق لعدد المهاجرين من بلادنا يمكننا الرجوع اليه انما يعتقد العارفون ان هنالك على اقل تقدير ما يقارب نصف المليون من السود بين والبنانيين والفلسطينيين المهاجرين الى الاميركتين وجزر البحر واوقيانوسيا وغربي افريقية وجنوبها وشمالها واكثرهم من خيار الشبان الافوياء . ففي بعض مدن الغرب الكبرى كنيو يورك وبوسطن وديترويت من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وساوبولور وبودي جنيرو من اعمال البرازيل وبونس ايرس من اعمال الارجنطين وغير هذه جاليات سورية تملأ مدناً صغيرى برمتها عندنا كطرابلس وصور وصيدا . ففي نيويورك نحو اثنين وثلاثين الفا وفي بوسطن نحو سبعة عشر الفا وفي ديترويت نحو العشرين الفا ويزيد العدد كثيراً في ساوبولور وبودي جنيرو وبونس ايرس على هذا التقدير . وهنالك مدن كثيرة لا يقل عدد نفوس الجاليات السورية في كل منها عن اربعة او خمسة آلاف والسوريون قد تغفلوا في بلاد المهجر حتى في اصغر القرى واحقر الدساكر يهملون بلاد الاغاب وبلادهم تكاد تنقر من ساكنيها التي يقال انها كانت الى ثلاثة آلاف سنة خلت



نعد نحو الثلاثين مليوناً من النفوس . ولوحسبنا معدل نفقة المهاجر الواحد من بلادنا لا يصله الى ديار المهجر ثلاثين ليرة عثمانية ذمياً . وانه يحتاج الى اتفاق مثلها ليتمكن من العودة الى هذه البلاد لبلغ مجموع اتفاق المهاجرين في هذا السيل ثلاثين مليون ليرة عثمانية ذمياً وذلك على أقل تقدير . وهل تملك بلادنا اليوم هذه القيمة من الذهب نقداً ؟؟؟ او لا تحبها من العدم ونهض بها نهضة عظمى ثروة هذا مقدارها ؟؟؟

وما انا بمبالغ ان قلت لكم ان ثروة جميع المهاجرين السوريين في الولايات المتحدة وكندا الذين قد لا يربو عددهم كثيراً على المئة والخمسين الفا من النفوس لا يتجاوز هذا المقدار المذكور عند التصفية لابل قد تنقص عنه كثيراً . والسبب الا هم في ذلك هو ان السوري المهاجر يعاني أشد المنافسة في تلك البلاد التي تفوق غيرها من بلاد المهجر مدنية وعلمية ومباراة وامرافاً . ولعل اخواننا السوريين القاطنين في مصر القطر العربي الشقيق هم اوفر حظاً واعداء عيشاً وانعم بالاً واكثر عزاً واوسع جاهاً من جميع السوريين المهاجرين في جميع انحاء المعمور .

( اسباب الهجرة ) — ولعل في عداد الاسباب التي كانت تبعث على الهجرة ظلم الحكومة التركية البائدة وارهافها العنصر العربي في المملكة وعدم تسهيل اسباب العمل والتجارية او لا زدياد الامراف في بلادنا بعد احتكاكنا بالغرب الذي فتح سوقاً رائجة لمصنوعاته عندنا وبدأ القوم تدريجاً يقلدون الغربين في انفاقهم برغم ان مداخل البلاد بقيت شرفية صرفة فلم يك اذذاك بدء من ايجاد ما يسد النقص في الايراد ليعادل الاتفاق وقد جاء ذلك عن طريق الهجرة التي كانت لبلادنا شبه تجارة الرقيق نعطي رجالاً لناخذ مالاً . او ما كان يروج بين البسطاء من ان اميركا هي بلاد الذهب والثروة ويؤبد ذلك احياناً عودة احد المهاجرين الساجدين الذي كان يتخذ القوم عندنا مثلاً يقتدون به وينسجون على منواله — واذا ما مثلت اليوم هل تعتقد بافضلية الهجرة وقائدتها لهذه البلاد او للمهاجرين انفسهم لما ترددت لحظة عن الجواب بمنتهى الصراحة — كلاً .

كلاً لا اعتقد مطلقاً بافضلية الهجرة لبلادنا ولا لمهاجريها وليس معنى ذلك انني لا اجد في الهجرة حسنات ولا في حالة البلاد التي تدفع ببنيتها الى هجرتها سيئات ولكنني اجمع حسنات الهجرة الى سيئات البقاء في الوطن واقابل مجموعها بسيئات الهجرة وحسنات

الافامة فأفضل البقاء على المهجرة و كفة ميزانه عندي ترجح كثيراً على تلك وخصوصاً في هذه الايام .

أليس مما يدمي الفؤاد ويقرح الجفون ان نشاهد القوم عندنا مقبلين على المهاجرة حتى في حالة منع الحكومات الاميركية لها وتضييق حلقتها دونهم باعتبارهم مادة شرقية لا تصلح للتصدير الى الغرب ولا تأخذنا على الأقل ائمة العرب الكرام التي ندعها في كثير من المواقف منذ نسمع القوم يصرحون لنا انهم لا يريدوننا عندهم ولكننا نقبل عليهم اي اذلال وها هي دور فواصل الحكومات الاميركية ملأى بالوف طالبي المهجرة لا يصدح عنها ابصار الأبواب دونهم او ردع القوانين .

يؤلمني جداً فوق ذلك ان أشاهد حالة السور بين المهاجرين خصوصاً في هذه الايام وشدة جهادهم في بلاد لا تعرف غير الجهاد وكم يقاسون من عرق القربة في تحصيل الثروة التي لا يحجزها غير القليلين منهم وبقى نصيب الاكثرية الساحقة الخيبة وكم منهم من لا يحصل قوت اليوم فيبقى عالة على المحسنين او رهن الدل والمسكنة والامراض . يؤلمني ان أعرف ذلك وان يجهله الكثيرون من طلاب المهجرة ويحسبون القوم هنالك جميعهم يخفرون على الذهب وبتاجرون بالجواهر والماس ويعيشون عيش الاسراف والترف . ويسوءني ايضاً كيف ان بعض قديمي العهد بالمهجرة قاموا الامرين في نفوسهم وفوتهم والبستهم وجميع احوال معيشتهم وشدة جهادهم قبل ان اقتصدوا بعض درنهمات جعلوها رأسمالهم الاول وقبل ان حق لم ان يكونوا في عداد التجار الحقيقيين ومع ذلك ما من احد منهم اليوم الا وهو تحت رحمة الأقدار وثروته غير مضمونة البقاء .

ولعل الخطأ الاكبر والباعث الاول في جو عقلية بلادنا بشأن المهاجرة وانها السبيل الوحيد الى الثراء حاصل من حنان بعض اخواتنا المهاجرين لدوي قربانهم في هذه البلاد فهم احياناً كثيرة يقطعون القوت الضروري عن نفوسهم او قد يستدينون ليقدموا لدويهم مبلغاً صغيراً من المال هو عندهم عنوان النجاح وتحقيق الآمال وكثيرون منهم يخفون هذه الحقيقة الراعدة عن اهليهم استبقاء لاطمئنان نفوسهم او خوف الفضيحة وهنء الشامتين .

ويخيفني جداً ان تكون هذه هي حالة الكثيرين من ابناء بلادنا في المهجر وان الاكثريّة

الساحقة منهم لا تملك شيئاً سوى الكفاف وانها تشتغل بالبدل اليومي ونقاسي المذاب الشديد في جهاد الحياة بين قوم تختلف مدينتهم عن مدينتنا وعاداتهم عن عاداتنا ومعيشتهم عن معيشتنا ولغتهم عن لغتنا و يكفي ان نقول ان السور بين اللبنانيين هم هنالك في بلاد غربة يذهبون اليها صفراليدن ولبس لديهم عضد او عون سوى الصحة والآمال وكثيراً ما يضيع بالجهل كلاهما ويحترق في أتون جهاد تلك البلاد الحامية وتجاربها الخلاقة وامراضها المختلفة المميتة .

لا عبرة بنجاح افراد قليلين من السور بين في بلاد الغرب وهؤلاء المصامبون لا شك في نجاحهم على تلك النسبة حتى في هذه البلاد بشرط ان يجاهدوا هنا كما يجاهدون هنالك فالسور في شخصية الافراد لا في الهجرة عنها وذوو الشخصيات البارزة ناجحون في كل بلاد وزمان . او لم يكن السوري يوماً زعيم المدينة في العالم ورسول الاديان والاشتراع ومؤسس العلوم والصناعات ؟؟ بلى . وما هو اليوم ولم يعد سباقاً في الميدان . شاهد في بلاد الهجرة فاذا به يذكر اسمه واسم بلاده غير مقرون بالاحترام التام إن عدلاً وان ظلماً فليس للسوري عموماً ذلك المقام الذي نريده نحن له بينا الامم والشعوب التي تحسب نفسها سبقته كثيراً في مضمار العلم والمدينة والارتقاء والعمران . وهذه حقيقة مع انها مؤلمة جارحة تستحق الذكر والتصریح . وما هي الاسباب الباعثة على هذا الحال ؟ اترك للقاري اللبيب ان يجيب على هذا السؤال ويحلل معاً وأبقي لنفسه حرية عدم الاسباب والتطويل . بلادنا افضل بلاد الله لنا بقطع النظر عن ذكر حقوقنا علينا وواجباتنا نحوها فهي تصلح لنا ونصلح نحن لها اكثر مما لسواها وهي واسعة جداً ولا خوف عليها من ان تزده او تنقص بنا ، هي ارحب صدرأ وارحم قلباً وارق عاطفةً وأرأف بنا ، هواؤها وماؤها ، شمسها وقمرها ونجومها ، ارضها وسماؤها ، فصولها ، نباتها وغرسها ، درها وفاكهتها ، كل ما فيها حبيب الينا وحبيب جداً . الا فلنشفق على نفوسنا وهذا الوطن ولننعمده قبل ان نلعمده سواء بسواء عدنا وقلوبنا وارواحنا ولنجتهد ان نجعل الصادر في تجارتنا من انتاج ارضنا وايدينا لا من انتاج ارواحنا وقلوبنا حتى اذا ما نقص هذا الانتاج نهلك ونهلك معنا البلاد .

لقد جبت كثيراً من الآفاق وتجولت في كثير من بلاد الناس واشهد عن يقين واختبار



انني لم أشاهد بلاداً أجمل من سورية ولبنان . اطلت من عرض البحار على موانئ كثيرة في مختلف البلدان وشاهدت ، ناظر تأخذ العقول وتسي الخواطر والالباب ولكن ما سحرتُ بمنظر احدهما كما سحرت عندما اطلت من عرض البحر على بيروت ولبنان ولم أشاهد منظرأً أروع من ذلك المنظر البديع الفتان . . . . . أطل من قم لبنان ان كنت من غواة التصعيد في الجبال . أطل من اعالي الكنيسة اوصنين اوظهر القضيبي او من حرمون وشاهد تحت سماء صافية وجو أزرق بديع الجبال والاودية والوهاد ، السهول والبطاح والانجاد ، المروج والجداول والبحيرات . وحقق بناظر بك الى أبعد مرمى البصر الى فلسطين والشرق العربي - الى حوران وجبل الدروز - الى طرابلس وعكار - الى ساحل البحر وعرض البحر - الى بيروت وصيدا وصور - الى سهول البقاع وبعلبك وحمص وحماة وحلب - الى لبنان الغربي والشرقي - الى دمشق والغوطة الخضراء . بلاد هي اجمل البلدان ، رهبط الوحي ومنبت الشرائع والاديان ، هي موطن المردة ، وعربين الآساد . ومرتع الغزلان .

وان كنت أقل ظموحاً في التصعيد فأطل ولو من ظهر اليبدر على بقاع المزيـز - على المروج السندسية الخضراء الملتفة بالألوان المختلفة البديعة مقطعة تقطيعاً هندسياً جميلاً يخالها المشاهد قطعاً من الطنافس الثينة منبسطة فوق تلك البطاح ، او اطل من ميسلون ، او اطل من قا-يون وشاهد شروق الغزلة وغروبها ، او انتبه وكن يقظاً عند مدخل دمشق الزمردة الخضراء ، على كنف الصحراء . مشاهد كلها تملأ القلب روعةً وجمالاً وتبعث في النفس عزّة وجلالاً ، وتهبط بالوحي على العقول المولدة المجددة الماكسة تلك الصور البديعة الخالدة شعراً وخيالاً في الخواطر ، ووحياً وإلهاماً في القلوب ، وإطعاماً وهمّة في النفوس ، وانعاماً شجية في الاسماع ، وآمالاً ورؤى وإحلاماً ذهبية على لوحة المستقبل وصفحات الأقدار .

بلاد يأتيها السائح من بلاد الغرب فيؤخذ بها الطيبي ويندهش لآثارها التاريخية ويتخثّع في أماكنها المقدسة ويعود غنياً بتأثير ذكرياتها الخالدة .

لم أشاهد شمساً ساطعة مشرقة كشمس هذه البلاد وسماء صافية كسمائها ولبالي قراء زهراء كلياليها وفصولاً سنوبة كفصولها . فربيع بلادنا ربيع تام وصيفها صيف تام وهكذا قل عن خريفها وشتائها . وفيها ما يوافق جميع الامزجة لجميع الفصول : فن



دمشق بيروت وساحل البحر المعتدل الى مصايف لبنان الجميلة وبمضها يعلوا اكثر من اربعة آلاف قدم عن سطح البحر ولا يقتضي الانتقال من هذه الى تلك سوى مسير اقل من ساعة واحدة بالسيارة الحديثة ، وهناك دمشق طبرية حيث الهبوط اكثر من ثلاثمائة قدم عن سطح البحر — الى دمشق اريحاً حيث الهبوط اكثر من الف قدم عنه وحيث الشتاء ربيع دائم .  
وعلى يوجد في الدنيا ربيع اجمل من ربيع دمشق ؟ ؟ ؟ لم أنشئ نسباً عطراً عليلاً كنسيم هذه البلاد ولم أرشف ماءً زلالاً عذياً كياعها ولم أذوق طعاماً شهياً كطعامها .

لقد سألتني المدمشقيون في المهجر عن الشمس الحموي والعنب الزيني وثفاح الزبداني واللبنانيون عن عنب زحلة وبحمدين وعن تين الجبل ومنوبره والخلييون عن فستق حلب والفلسطينيون عن برثقال يافا . ولعمري ليس لهذا البلاد في جميع مميزاتها من مثيل في جميع الاقطار والامصار . أمن اجل هذه المميزات تستحق هجرة بنيتها والبلاد والنسيان .  
ترسل الى بلاد الغرب شاباً في ريعان القوة وعنفوان الصبا وتأخذ عرض ذلك بعض الدربعات نبشت التجارة الخاسرة هنا وهناك وبئس المصير أنباع الأرواح بالمال وهل تشري النفوس بالدنانير ؟

ارسلوا هؤلاء الفتية من طالبي الهجرة في حقول البلاد يغرسون اشراسها ويزرعون حبوبها وزرعهم في مصانعها ليكون الاصواف والحرير ، أوجدوا لهم عملاً فيعملون او أوجدوهم عندنا فهم يوجدون الاعمال ويحبون المال .

علموهم أن سعادة الحياة ليست في ثراء الغرب ولا هي في خزن الاموال ولا في اقتناء السيارات بل هي في الصحة والعلم والعمل ، وان العمل شريف جداً زراعة كانت ام صناعة او في اي مهنة خرة تحتاج اليها البلاد .

لا تبعثوا الوالد عن عائلته ولا الفتى عن ذويه ولا تقضوا على سعادة الشرق بشفكك عرى بنيه فما الفوائد بمادلة ما تبذلون وما النتيجة عندما تؤملون .

أفتبي ابتها الحكومة مع الشعب وعالجي هذا الداء داء المهاجرة القتال وحاربه لابقوة المنع والشرائع فقط بل تخطي الى الوجهة الايجابية وسهلي على القوم العمل فتبين على فلذات الاكباد في الوطن لا بل تحيين العودة الى كثيرين من ابنائك في ديار الهجرة ممن بقي في نفوسهم حنين اليك ولكنهم يخافون الفشل وعدم ايجاد اسباب النجاح .

بلادنا زراعية في الدرجة الاولى فأين ومائل الري ؟ اين تسيلات المزارعين والفلاحين ؟ عندنا صناعات وطنية اين نشيطتها النشيط الثمر وحمايتها ؟ هنالك ما نستورده من بلاد الغرب ويمكن صنعه في بلادنا فأين ماعملناه في هذا السبيل ؟؟ -

ليذهب المهاجر منا في سبيل نقل العلم والصناعة والفنون اللازمة لنا ليذهب وليعد فاذا هو قوة جديدة في البلاد . وليهاجر فقط من يتعاطى ترويج صناعات بلادنا ويتولى اصدارها لبلاد الغرب ولتحترز ان لا يكون في عداد هؤلاء من يسي سمعة البلاد وليذهب منا من يشاهد عن كثب نفوق الغربين فيعود مهازاً لنا في طلب المثري مثلهم . ولنجهده ان نعيد الاحترام السابق لنا بين الامم والشعوب فيكون هذا الاحترام رأسمال المسافر منا في سبيل شريف وليس للفرد والامة من مرمى أبعد وأسمى من احراز الرفعة والاحترام .

السوريون في الولايات المتحدة الاميركية قد تجنست اكثريتهم الساحقة بجنسية تلك البلاد والفقير منهم لا يطعم بالعودة صفر اليدين والقليلون من ذوي الثروة لا يرغبون في ترك مجال النجاح والنفوق هنالك والمركز الذي أحرزوه بشق الانفس والتعب الشديد وجهاد السنين الطوال . وبعد زمن غير بعيد ستصبح الجالية هنالك من قلب الاميركيين فيقضي العجز والشيخوخ فيها ومن كانت لم صلة بهذه البلاد والنش الجديده منها اكثره لا يقرأ اللغة العربية ولا يكتبها ولا هو باحتياج اليها فقد ولد في تلك البلاد ونشأ فيها واحبها وهو لا يعرف شيئاً مذكوراً عن هذه البلاد . ومن الجهل ان نطمع بقدمه اليها او باستمراره على مساعدة ذويه عندنا .

اذا سنكون الصنفه خامسة لنا فهل نطمع ان نزيدها خسارة بان نستمر على الهجرة وان ننكب البلاد بضياع بنيتها وفلذات اكبادها عاماً بعد عام .

بلاد الغرب ثنن اليوم من العطلة وعدم توفر العمل للملايين العديده من الشبان وفي الولايات المتحدة الاميركية ما لا يقل عن ستة الملايين منهم بطالين لا يجدون سبيلاً للعمل والارتزاق والضائقة مستحكمة في تلك البلاد بصفة لم نعهد لها مثيلاً فيما مضى . وقد لا نشعر نحن بشدة هذه الضائقة العالمية لاننا نسير على مهل فتأتي صدتها خفيفة عندنا لكنها قوية جداً عندهم لانهم يسرون بسرعة هائلة . وبالبلية الاصطدام عند المسرعين ولعل نسبة سرعنا في اعمالنا لسرعيتهم هم كنسبة سرعة قطار بيروت - دمشق وهو

مصعد في طريقه بين محطتي عاريا وعاليه الى سرعة سيارة من الطراز الحديث تقطع سهل البقاع في طريق دمشق — بيروت المعبدة تعبيداً فنياً حديثاً لا بل قد يسرون هم بالنسبة اليها على أسرع من هذا القياس بشيء كثير .

الحياة عندنا فيها شيء من التعاون العائلي وحفظ حقوق الجوار المقدسة وقد ينتقل الى جانبك جار جديد فيجمل له اقتراض بضعة أرغفة من الخبز لقوت عياله ولا يجد هو أو أوانت في ذلك نكراً أو فضيحة وقد تستعير امرأة بعض الادوات البيتية اللازمة لها فلانفشل في طلب الاعارة . اما في بلاد الغرب فما للجار من حق على جاره حتى ولا للأخ على اخيه فهم من هذه الجهة يعيشون حياة فردية استقلالية جافة مجردة من هذه الحسنة التي لنا نحن في هذه البلاد وفيها ما فيها من معنى الانسانية الصحيح والتآخي البشري الحقيقي الناضج .

يمرض الإنسان في بلادنا وقد يشقى في أكثر الأحيان او يطول أجله لا من عقاقير الطب وذكاء الأطباء بل من محبة العاملين وعبادة الاصدقاء وسيال الحنان الصادق ينبعث في عيون زائريه وذويه ويمرض هنالك في بلاد الغربية وقد يقضي عليه لمجرد فقد هذه المزايا لديه هناك .

السعادة التي نشدها يحجبها أكثرها من خزان الدماغ الباطن في الانسان واجمل ما في هذا الخزان تذكارات زمن الصبا وصوره الحلوة واحلامه الجميلة ولطوه البديع وهذه جميعها تأتي مرتبطة بشاهد الارض التي يمرح عليها الوليد ، وصفاء السماء التي يشاهدها فيها نسيمه نحن الوطن ، وفيه البيت الذي نأوي اليه والاهل والاحباء والرفاق والمواطنون . لذا يشعر المهاجر بالغربة عند عودته ولو الى مزرعة صغيرة تركها منذ زمن طويل ويحن اليها الحنين الكثير لانها توفظ فيه تلك التذكارات الجميلة تذكارات الصبا التي تبعث المرح في القلب والامان في العيون وترجع الكهل شاباً اوفئاً بروحه بعد ان نهكته الايام ولوعته المحن والمشقات وشدة الجهاد . ولولا هذا الارتباط والحنين وتلك التذكارات الجميلة الناعمة لأقفر دساكر كثيرة لا تجلو سوى لساكنيها فقط ولنعمق فوقها اليوم واضحت أطلالا دارسة .

الا يفرح طائر السنونو المهاجر بعودته الى العش الذي بناه في عامه الاول ولا ينفك ملازماً له عاماً بعد عام ؟ أليس هو مقدماً لديه أكثر من كل بقعة أخرى تحت السماء ؟ بلى .



صررت في عودتي الى بلادتي على ميناء « نابولي » من اعمال ايطاليا وقد كان على ظهر الباخرة عدد من السور بين العائدين الى الوطن وعند رسو الباخرة « بروثيدانسر » في مينائها سمح لجميع المسافرين بالتزول الى المدينة دون ادنى مازعة او تضيق ولكن حظر ذلك على السور بين فقط ما لم يسلموا جوازات السفر للبوليس الايطالي الموافق على . أم الباخرة فقلت في نفسي ولم ادم المساواة في وقت كهذا ام ان الحكومة الفاشيستية تريد ان نعتز بشيء ولو على الضعفاء مع انهم لم يفعلوا هكذا عند مرورنا بتلك المدينة ونحن مسافرون على ظهر الباخرة « موريتانيا » ولعل ذلك لاحترامهم الشركة التابعة لها هذه الباخرة اكثر من احترامهم شركة « فايرلاين » التابعة لها الباخرة الاولى ، او لعل ذلك لاختلاف . بلغ الاحترام الذي يتمتع به السوري المهاجر في بلاد الغرب . ان في الاسفار دروساً قيمة يتعلمها المرء في هذه البلاد وهي بحاجة شديدة اليها ألا وهي دروس القومية والاتحاد والتعاقد . فلا قوة في بلاد اجنبية بغير هذه المبارزة القوية وليس ما نشاهده من التعصبات المذهبية عندنا سوى مظهر من مظاهر الجهل النادح والشقاق وما نفور الاقلية في البلاد من اكثر بتها او سلوكها مسلكتاً مخالفاً لها سوى دليل الذل والصغار وما ادعاء الاكثريّة وتماظمها على الاقلية سوى كبرياء فارغة لا وجود لها في قاموس ارتقاء الامم البالغة من الرشد والادراك ، لا تبنى القوميات على الأديان ، وان فيما تبنيه تركيا الحديثة اليوم من عزّ ورفق وفلاح ، ونجاحها في هذا البناء لدليلاً بيناً على صدق ما اقول فهي لا تقف بين غيرها من الدول باسم الدين بل باسم الانسانية المطلقة وباسم العنصر التركي الذي يحق له الحياة كبقية العناصر البشرية في العالم . وعند تعريجي على استانبول قدرت ان احترم المجهودات التي تبذلها الحكومة التركية في هذا السبيل القويم الشريف .

بلادنا واحدة ومصالحنا فيها مشتركة . والمهاجرة هي بلاؤنا الاكبر وداؤنا القتال فلنقلع عنها الا في احوالها المفيدة فقط وحيث لا نضطر الى تغيير جنسية المهاجر منا فنبقى اميناً على حقوق قومه وبلادهم .

عرفت رجلاً انكليزياً كان في هذه البلاد ايام الحرب الكبرى وعندما أبعد جمال السّاح الاجانب الى داخلية بلاد الاناضول وضيق عليهم جداً واستولى على ممتلكاتهم



عرض على هذا الرجل ان يجنس بالجنسية العثمانية وهو يعبد اليه حر يته وجميع حقوقه وممتلكاته ويمكنه من السكنى في بيته ولكنه ابى ذلك بانفة عظمى وقال يهون علي كل شيء حتى تجرع غصص النفي والجوع والامراض والموت ولن أغير جنسية دولتي وبلادي . وان كان في عمل هذا الرجل التهم ما بدعو الى الاعجاب والاحترام فان لسوري يعمل عمله في احوال كهذه فضلاً اكبر ، اعجاباً بي نفوسنا أشد بالنسبة للثوب التاسع في المكانة بين الدلائل . فأين هي مكانة السوري المهاجر من هذا القليل حيث لا ضغط ولا تهديد حتى ولا ترغيب ولا وعيد وكم هم الذين حافظوا على جنسيتهم السورية في بلاد المهجر . وقد شامت في استنبول انهم لم يأذنوا لركاب السفينة السورية بين المتجنسين بالجنسية الاميركية بالنزول الى البر باننا هم سمحوا بذلك لسواهم لعدم احترامهم او اعترافهم بتبديل الجنسية هذه .

ولوات المهاجرة بقيت عند غابتها السابقة قبل الحرب الكبرى اي طمعاً بالارتزاق فقط ولا يقطع المهاجر صلته ببلاده ولا يغير جنسيته ثم يعود بعد حصوله على ما يشاء الى وطنه وبلاده — لما وجدت فيها الفبن العظيم الذي أجده هذه الايام ، ومالك من مهاجر اليوم الى بلادنا قصد السكنى والارتزاق وعندنا من يرحل عن بلاده وهو بها ادى وهي به ارحب وحنانها عليه أشد . فلندبر هذا الامر بالحكمة وبمد النظر قبل ان يعم البلاء ويستعصي الداء وهو ذو شأن اي شأن لما ولبادنا التي نحلم لها بمستقبل زاهر ونؤمن بوصولها يوماً الى ما نتمناه لها من سعادة وحرية وفلاح<sup>(١)</sup> .

سليمان سعد

رئيس مدرسة الجامعة العلمية في دمشق



(١) ألفت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي العربي بشاريح ١٩ آذار سنة ١٩٣١ .

## على اطلال الشعر الجاهلي

- «» -

أَيْدٍ أَبْشَرَ قَامَ كَالطَّلَالِ الْبَالِي      يُمَثِّلُ نَفْسَ الْقَوْمِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي  
وَأَتْرَاحَ نَاسٍ بَعْدَ خَفَضِ وَنَعْمَةٍ      عَلَيْهِمْ أَنَاخُ الدَّهْرِ يُقَسُّ بِكَكَالِ  
وَأَشْجَانٍ جَبِلَ فِي الشَّقَاءِ تَجَرَّعُوا      كُؤُوسَ الْمُنَايَا ثَرَةً قَبْلَ أَجْيَالِ  
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مَا يُمَثِّلُ إِلَهَ      فَيَنْقُلُ مِنْ مَاضٍ أَنَاثًا إِلَى الْحَالِ  
وَمَا كُلُّ شَعْرٍ قَدْ سَمِعْتَ بِجِيدِهِ      وَلَا كُلُّ مَاءٍ قَدْ وَرَدَتْ بِسَلَالِ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ شَعْرُ الْفَتَى مِنْ شَعُورِهِ      فَمَا هُوَ عِنْدَ السَّامِعِيهِ بِذِي بَالِ  
وَأَنْ قَعَّرْتَ الْفَاضِلَ عَنْ مِرَادِهِ      فَمَا هُوَ فِي يَوْمٍ جَدِيرٍ بِأَجْلَالِ  
وَأَنْ يَزُكَّ مَعْنَاهُ وَلَمْ يَزُكَّ لَفْظُهُ      فَذَاكَ كُحُودٌ فِي دَرِيْسٍ وَأَسْمَالِ

\* \* \*

وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَقْدٍ عَهْدِهِ      سَوَى الصَّدَقِ إِنْ الصَّدَقُ أَجْمَلُ مَرَبَالِ  
وَيَا حَبِذَا هَذَا الْجَدِيدِ لَوْ أَنَّهُ      مِنَ الْغُرِّ أَوْ كَذِبٍ بَغْرٌ بِهِ خَالِ  
وَمَا عَنْ قَلْبِي رَفَضِي الْغُلَاةَ وَأَنَا      هُنَاكَ أَمِيَالٌ تَخَالِفُ أَمِيَالِي  
قَدْ أَنْهَارَ صَرْحُ الشَّعْرِ إِلَّا أَقْلَاهُ      وَقَدْ كَانَ مَلَأَ الْهَيْنَ كَالْجَبَلِ الْعَالِي  
وَأَمَّا حِيَاضُ بُرٍّ مِنْهُ نَمِيرُهَا      فَلَسْتُ تَرَى مِنْ مَائِهَا غَيْرَ أَوْشَالِ  
وَلَمْ أَرَ فِيمَنْ خَابَ لِلْجَهْلِ سَعِيرُهُ      كَمُغْتَرَفٍ مَاءٍ بِنَيْضِ بَغْرٍ بَالِ  
وَأكْبَرُ فِي عَيْنِي مِنَ الشَّعْرِ شَاعِرُهُ      يَرَى مَا لَهُ لِلشَّعْرِ لَا الشَّعْرَ لِلْمَالِ  
رَأَيْتُ ابْتِدَالَ نِيكَ يَا شَعْرَ مَرْيَا      وَمَا كَانَ هَذَا فِي مَصِيرِكَ آمَالِي  
أَرَدْنَاكَ خَلْوًا مِنْ عَيُوبِ زُرِّيَّةِ      فَانْكَ عِنْدِي ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الْعَالِي

« كأنك لم تركب جواداً لغارة ولم تثبطن كاعباً ذات خلخال »

\*\*\*

يحيادلني سبب الشعر لا عن روية      فربق من الأشياخ كهمم قال  
كلانا مليم بالصواب يزعمه      ولكن صوت المبطلين هو العالي  
كلانا اذا خاض العجاجة مبدل      ولكننا ابسالهم غير ابسالي  
هنالك حرب شبة السخط والرضى      وما كل من خاضوا الحروب بابطال  
وكل امرئ يقنو هو في فواده      لما هو سبب عين يراه بها حال  
نشأت على استقلال نفسي بامرها      فلا أرتقي نجاة على غير منوالي  
ولا أدعي اني انقردت بمقولي      ولكنني راض كغيري بانوالي  
سوى ما أرى بهم اني انقروهم      شأوت واني فوق أجرد ذبال

\*\*\*

لقد ظل هذا الشعر خمسين حجة      يقوم أقوالي ويزعم أعمالي  
فسرر على ما سنده لهدابتي      وان رام في تلك الهداية اضلالي  
صدعت فلما أوهنتني كبرة      وقفت عن الافصاح كالطلل البالي  
وقلت أقلني أيها الشعر عثرتي      فقدزل رجلي وهي تحمل أثقالي  
وخذ بيدي في حقة قد أبتدتها      فمالي حتى الموت غيرك من وال  
فأعرض عني لا يريد إقالي      واشمت بي عند النهاية عندالي  
واني ان أهلك فلت بخاسر      لشيء كثير من نعم واموال  
لعمرك ما في الموت شيء يهواني      ولكن حياتي هذه ذات أهوال  
على ان لي بعد التمهق كربة      اصول بها تجلداً على كل محنال  
سأجهر بالحق الذي يكتفونه      وان قطع الاعداء بالسيف اوصالي  
واني سبب غيلي كرتبال غبطة      ومزدا ترى في غيله غير رتبال  
لحي الله ناساً اخطأوا طرقي العلى      ولم يطلبوا الغايات الا من المال

\*\*\*

## « تمثال ليلي من الشعر »

نصبتُ ليلي من قريظ نخته  
 حكما كما كتف الله صاعها معاً  
 وشبهه ناسٌ طرفها وقوامها  
 على خطا منهم فما السيف باتراً  
 واحسب اني لا أشطه عن الهدى  
 مري حب ليلي في جميع جوارحي  
 ويلي كنار الشمس يحمل ضوءها  
 فطوبى لعين لا تزال تشبها  
 وان لك ليلي اليوم شطابها النوى  
 ولو كنت في يوم الوداع يجنبنا  
 يمز على عيني الشقبة ان ترى  
 أريد رحيلاً عن بلاد تهيني  
 وفي القوم من لا يبتغي أقلة له  
 ولكن حراً ليس يرضيه حاله  
 اري النخس في بغداد لي متجباً  
 يربدون بالاذلال جرح كرامتي

بغداد : جميل صدقي الزهاوي



## مطبوعات حديثة

—«»—

### الآداب العربية وتاريخها

« تأليف السيد جرجي كنعان طبع في المطبعة الادبية في بيروت »

« سنة ١٩٣١ ص ٦٢٨ »

نوخى المؤلف ان يكون تأليفه حسب منهاج البكلوريا اللبنانية والسورية . وقد اقتبس أسلوب تاريخ الأدب العربي للاستاذ الزيات وكتاب الوسيط للاستاذين الاسكندري وعنايني وما صدر بعد ذلك في هذا الموضوع . فلم يأت المؤلف اذآ بجديد من مثل تحليل حياة الادباء والعلماء وما كان من اثر البيشة والافليم والحضارة في منشورهم ومنظومهم . وتوسع في أدباء القرن التاسع عشر حتى يخيّل للطالب ان العلم فيه انحصر في جبل لبنان وغير اللبناني لم يعمل شيئاً لخدمة الآداب العربية وهذا غمط لحق كثير من رجال الشام ومصر وتونس والعراق الذين عاثوا فروع العلم والأدب وبرزوا مصنفات لا يسع عاقلًا تجاهل وجودها وتأثيرها في تكوين روح القومية والنهضة .

فقد ذكر المؤلف أناسًا ماتوا اوائل الربع الثالث من القرن العشرين ليكثر بهم سواد المؤانين في لبنان وهم ممن عملوا لخدمة الآداب ، فكان عليه ان لا يغفل ذكر غيرهم وهم لبنانيون ايضاً ، فقد ذكر الاب لويس شيخو وغفل عن ذكر الدكتور شبلي شميل والدكتور يعقوب صروف وهما مامها في العلم والفلسفة وبث روح التجدد . ونظن انها نقعا اللغة العربية اكثر مما تنفعها حبيقة وفرحات والصائغ ممن ذكرهم ليكثر بهم سواد العاملين من غير المسلمين وأغفل ذكر عشرات من عظماء المؤلفين في الاقطار العربية ممن قامت على أيديهم نهضة الامة أمثال من ذكرهم الاستاذ الزيات كمحمد المهدي وحسن المطار وعلي الدرويش

وشهاب الدين ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الحادي نجما الابراري وحسن المرصفي ، عبدالله فكري وعلي مبارك وعبدالله نديم ومحمد عثمان جلال وعائشة التيمورية وملك ناصف وقاسم امين ، مصطفى كامل وفنحي زغلول ومصطفى لطفي المنفلوطي وسعد زغلول وعبد الرحمن الكواكبي وطاهر الجزائري ومحمود شكري الألوسي وعبد الباقى العمري ومحمد بيره وخير الدين التونسي وابراهيم المويلحي ومحمد المويلحي وعلي يوسف وحفني ناصف وحمزة فتح الله واسماعيل صبري . واذا جئت تعدد من هلكوا منذ ثلاثين سنة من رجال مصر فقط عدت منهم عشرات كان على المؤلف اذا لم يثأ ان يترجم لهم لضيق مجال كتابه ان يذكر جريده باسمائهم واسماء كتبهم ليعرف الطالب ان اللغة العربية وخدامها اكثر مما تصورهم المؤلف ، وان في مصر وحدها من الرجال الذين يجيدون الكتابة والتأليف اكثر من جميع من اخرجهم لبنان من مدارس . فعسى ان يتدبر المؤلف هذه الحقيقة ويبادر الى تلافي هذا النقص في الطبعة الثانية وان يعطف قليلا على قوم هم الذين عملوا للغة وحفظوها هذه القرون الطويلة . والدعاية لا تثبت بمجرد الاعلان والدعوى .

م . ك

—

### الكوكب الدرّي المنير

— في احكام الذهب والفضة ولبس الحرير —

« تأليف الشيخ محمد سعيد الباني طبع في مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٣٤٩ هـ »

« سنة ١٩٣١ م ص ٢٧٨ »

هذا كتاب في موضوع لا يهم جمهور الناس اليوم لان من يلبسون الحرير ويتحلون بالذهب والفضة لا يتوقفون فيما يعملون على استصدار فتوى في الغالب . بيد ان المؤلف عاجل هذا البحث كما قال نزولا على ارادة من اراده على الافصاح عنه وبيان حكم الشرع فيه فكان جوابه مناقشة من قالوا بجرمة ذلك من النقباء ، والقول يحله مع بعض القيود . وبذلك خرج عن حمود الجامدين في الحكم في هذه المسائل ممن بضيقون على الناس ويحرمون الزينة والطيبات . ومع تقديرنا حرية المؤلف قدرها لانري مانعا من ان نقول ان كتابه

كتب في اوقات مختلفة فلم يصبر عليه زمناً لينسخ قبل دفعه الى الطبع ولونظر فيه نظرة اخيرة لما اتى اشياء في باب المكررات الغير المستحبة والمنكورة في صنعة التأليف اليوم . فقد كان الاولى مثلاً ان يعتمد عن ذكر حوادث لا يستفاد منها الا ان المؤلف كان له صلة بها فأصبحت في حاشية الكتاب وربما في مثله من دون مناسبة . وأورد منامات لأفاس ليسوا من العالم والدين في العير ولا في التنوير كان الاولى ان تجل كتب العلم عن الاستشهاد بها ، وما كانت الأحلام يوماً من الأيام لتؤيد ديناً او تقوّم ديناً . وترجم بعض العلماء في أسلوب ربما نعمده ليلبس كلامه حلة اهل القرون المتأخرة والمتفهمة والمتصوّفة ، ولو حذف من ترجمته لما ماجاء فيها من الغلو والمبالغة وأضاف اليها صورة أخلافها لجاءت مقبولة في أذواق الدالّمين من اهل هذا العصر . فقد قال صمول سميلز في كتابه الاخلاق : « والترجمة كالتصوير لا بد فيه من الظل والنور فلا المصور يختار لمن يصوره الوضع الذي يظهر عيوبه ، ولا المترجم يبالغ في بيان عيوب المترجم له ، وليس من الناس كثيرون فيهم صراحة كرمول حين جلس الى كُؤبر ليصوره فقال له : صورني كما انا بكل ما في حتى التآليل اه ولا بد من تصوير الوجوه والأخلاق كما هي ان أريد ان تكون الصورة صحيحة اه » .

م . ك

### فتح العرب للشام

« تأليف السيد جورج مرعي حداد طبع في المطبعة الادبية في بيروت »

« سنة ١٩٣١ ص ١١٣ »

هي رسالة في فتوح دمشق على ايدي العرب المسلمين على الطريقة الجديدة في التحليل والانتقاد . ترجم المؤلف في كتابتها الى مصادر افرنجية وعربية واعتمد على آراء بعض علماء المشرقيات في الفتح الاسلامي وقد نقل رأي العلامة بكر في قوله ان كتابات العرب عن الفتوحات الاسلامية مفعمة بالكاذيب والاغلاط خصوصاً في مسألة التواريخ وترتيب زمن الحوادث وروى مقاله المؤرخ جين من ان النبوغ في فن التاريخ مفقود عند الشعوب الاسيوية لانهم يجهلون قوانين النقد والفلسفة . اما المؤلف فأشفق على هذا التراث العظيم

الذي خلفه العرب في التاريخ فلم يوافق المؤرخين المشار اليهما كل الموافقة وشعر انها لا تخلو من الصحة على رأي بكر وجبن في الحكم على تاريخنا بخالفه رأي سيديليو ويراون وغيرهما في قولها انه لم يكتب لغير العرب حتى اليوم ان اجادوا في وضع تاريخهم اجادتهم . وكيف كانت الحال فان هذا المختصر نافع على ما سيجي بعض احكامه من الشطط وحبذا لو تعاور كتابنا مسائلنا التاريخية بمثل هذا النقد والتحليل .

م . ك



### تهذيب تاريخ ابن عساكر

« للشيخ عبدالقادر بدران الجزء السادس الطبعة الاولى بنفقة المكتبة العربية »

« بدمشق ص ٤٨٠ طبع بمطبعة النعني »

كان المرحوم الشيخ عبدالقادر بدران الدومي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ اختصر تاريخ ابن عساكر مؤرخ دمشق وحذف منه الاسانيد وغيرها بما رآه يورث الكتاب تطويلاً ونشر منه الاجزاء الخمسة الاولى في حياته وصححت مؤخراً عزيزة المكتبة العربية بإدارة صاحبها الاستاذ السيد احمد عبيد على تكملة نشر هذا المذهب . ولا يخفى ان تاريخ ابن عساكر ضم كنزاً عظيماً من تاريخ الاسلام يتأني لكل باحث ان يستقي من موارده العذبة . وفي هذا الجزء من المسائل التاريخية مالا يكد القاري بمثر عليه في المؤلفات الاخرى لان بعض من اخذ ابن عساكر من كتبهم ضاعت مصنفاتهم هذا الى ما جاء في تأليفه من أبحاثه الخاصة وتحقيقاته المدققة ومنها كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام الى أهل اليمن في الخراج والديات (ص ٢٧٣) وكلام هشام لمؤدب ولده ومنها جناديه (٢٧٧) ورحبة شريح لمؤدب ابنه (٣١٢) وقصيدة في قبس ومضر (٢٩٤) وسيرة ابن فاذك الذي شهد فتح دمشق وهو الذي تولى قسمة الأماكُن بين اهلبيا بعد الفتح فكان يترك الرومي في العلو ويترك المسلم في أسفل لئلا يضر المسلم بالذي . وهذا من أغرب ما سمع في العدل البشري . وفيه وصف عمر لشريح الذي كان يقول : اذا دخلت المدينة من الباب خرجت الحكومة من الكوة . وكان شريح اذا قيل له كيف أصبحت يقول : أصبحت وشطر الناس علي غضاب . وفيه سيرة ابي علي الأزدي البلخي الزامد .



واشياء من الاسرائيليات واحاديث صحيحة وضعيفة وترجمة صالح بن جناسح وصالح بن  
عبد القدوس من الحكماء وترجمة ابي ربحانة الازدي من الصحابة وهو اول من طوى  
الطومار وكتب فيه مدرجاً مقلوباً وفيه وصية عمر لشریح (٣٠٥) الى غير ذلك من  
المسائل التي تبين عقل هذه الامة وفضل الاقدمين من رجالها عليها . وكلها ننادي بلسان  
الحال والمقال ان الناس كانت مهمهم في طلب العلم لاني وان همم أحفاد أحفادهم ضعفت  
وقرت .

م . ك



### طبقات الخبابة

« تأليف القاضي ابي الحسين محمد بن القاضي ابي يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ »  
« واختصار شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي المتوفى »  
« سنة ٧٩٧ و صححه وعلق عليه السيد احمد عبيد طبع بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ »

أثبت ناشر هذا الكتاب الاستاذ احمد عبيد بما نشره من تركة السلف حتى الآن  
انه سائر على الطريقة العصرية في نشر كتب الأدب والتاريخ يخدمها بحلب النسخ المختلفة  
من الافاصي وبعارضها على الاصول التي تصل الى علمه وبعلق عليها و يشفعها بفهارس كثيرة  
تفتح مخابها وتجلي مغالقها . وهذه الطبقات على ايجازها تحمل فوائد تاريخية واجتماعية كثيرة  
ولئن كان المؤلف الاصلي ترجم أناسا كانوا من عبار أحط من العيار العالي فان فيه تراجم  
علماء نفعي الرووس لذكراهم ويجب على كل باحث ان يتقبل بخطام ، مثل ابي اسحق الحاربي  
العالم المؤلف المشهور و ابي عبيد القاسم بن سلام وأمثالها من أئمة الحديث والفقه واصحاب  
التأليف الممنعة من اصحاب احمد بن حنبل رضي الله عنه . وقد ترجم المؤلف بعض النساء  
الفقيهات المحدثات ايام كان نساء المسلمين لا يخرجن من الاجتماع الى الرجال بأخذن عنهم  
وبأخذون عنهم . وفي آخر هذا الجزء اللطيف ست فهارس : الاول في مسائل الامام  
احمد والثاني في الاسماء والثالث في الكنى والرابع في الابناء والخامس في الالقاب والسادس  
في الانساب . وهذه الطبقات مفيدة من عدة وجوه ولا تقتصر فائدتها على المشتغلين

م : ٩

بعلوم هذا المذهب ومعرفة رجاله بل نفيد كل أديب وباحث ، وليس أجمل من كتب التراجم ولا أبعث على التسلية والاستفادة من تلاوة ما كتب الأسلاف وما عانوه من ضروب المعارف .

م . ك

### نبيل الوطر

— من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر —

« جمعه محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليمني الصنعاني الجزء الاول من ٤٢٥ »  
 « الجزء الثاني ٤٢٨ وكلاهما مطبوع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ »  
 « سنة ١٣٥٠ هـ »

مؤلف هذا الكتاب من فضلاء اليمن المعاصرين اخذ كتابه هذا من بضعة مصنفات في تراجم الرجال في القطر اليمني ومنها ( البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ) للعلامة الشوكاني وقد طبع هذا ايضاً بمصر بفضل ارشاده وفي مجلدين بمطبعة دارالسعادة . وقد هذا المؤلف في ترجمة الرجال حذر اهل القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة فجاءت تراجم من ترجم لهم متشابهة متشاككة على ان المجلدين من حيث الجملة يحويان كثيراً من الفوائد الأدبية والاجتماعية والتاريخية . وبعض المترجمين ان انصفنا لا يستحقون ان تشغل الصحف لهم لضوالة مقامهم في المجتمع . وكان الاولى ان يقتصر المؤلف على المبرزين أصحاب السير والفضائل من اليابانيين ويتوسع في تراجمهم ويصورهم لقارئهم بأعمالهم وعلومهم وآدابهم ومحيطهم وعصرهم . وحبذا لو تصدى لهذا الأسلوب الجديد بمدات مارس الأسلوب القديم فان التطويل في التأليف بلا محصل كبير مضيعة للاوقات ولا يلتئم مع ذوق العصر الحاضر .

م . ك

## الرسالة العذراء

« لبراهيم بن المدير »

ص ٥٢ الاصل العربي و٣٢ المقدمة الفرنسية طبعت في مطبعة دار الكتب

المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م

عثرنا على هذه الرسالة لأول مرة في مخطوطات أستاذنا المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري فنشرناها أولاً في الجزء التاسع من المجلد الرابع من مجلة المقتبس الصادر سنة ١٣٢٧ في ١٨ صفحة ثم جعلت مع ما يماثلها من الرسائل النادرة التي نشرناها في تلك المجلة في مجموعة أسميناها « رسائل البلغاء » ونشرت في مصر سنة ١٣٣١ - ١٩١٣ وقد أعاد الآن طبعها على حدة الأستاذ الدكتور زكي مبارك من أدباء مصر وجعل لها مقدمة باللغة الفرنسية وقدمها الى مدرسة اللغات الشرقية بباريز وقال انه قرأها مع الأستاذ مارسيه من علماء المشرقيات في فرنسا وعلى كثرة بحثه لم يجد نسخة مخطوطة أخرى لهذه الرسالة يعارضها عليها غير نسختنا فأصلح بعض ما توقفنا فيه ولم نرد ان نصححه من عندنا وعلق عليها حواشي لطيفة وعارضها على اصول كتبت في عصر المؤلف فشكره الادب العربي على عنايته .

م . ك



## الاكلیل

« تأليف ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود المشهور »  
 « بالهداني المتوفى في سجن صنعاء في سنة ٣٣٤ هـ ( ٩٤٥ م ) اخرجته الى الطبع »  
 « وصححه وعلق حواشيه وألحق به خمسة عشر فهرساً الاب انتاس ماري »  
 « الكرملی البغدادي طبع في بغداد بمطبعة السريان الكاثوليك في سنة ١٩٣١ »  
 « ص ( ١٤٨٨ ) الجزء الثامن »

اشتهر كتاب الاكلیل عند الادباء وصحت هم بعضهم في مصر والشام والعراق على نقله ونشره وقد وفق الاستاذ الكرملی الى العثور على اجد اجزائه فبادر حالاً الى نشره بما عهد فيه من التحقيق وسار على مثال علماء المشرقيات في معارضته والتعليق عليه

وإشباعه من الفهارس ما استغرق نحو ثلث المطبوع من المتن . وهذا الجزء ، في محافد  
اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات وسميت محافد لحفود الناس  
حرفها وقصدهم إياها . لا جرم ان في هذا الجزء مثلاً مصغراً من مدينة اليمن في عهد  
المؤلف وقبله فقد ذكر الناشر « ان هذا الاكليل يكشف لنا ان اليابانيين كانوا قد توصلوا  
الى ان ينجحوا تماثيل البشر والحيوانات والطيور والأنبئة حتى نوحهم كثيرون ان تلك  
النماذج كانت أحياء مسخها الله صغراً او جلوداً او حجراً . ويرى القاري في بعض هذه  
النحوتات من دقة الصنع وعجيب النقش ما يتحدى كل مصور غربي في مجاراة وقد تصرفوا  
في نحت الرخام تصرف العجائز في عجينه . ان هذا الاكليل يوح لنا بان السلف كانوا قد  
احكموا عمل الآلات المتحركة من نفسها وكذلك الساعات المائية العظيمة المعروفة  
« بالقطارات » فقد جاء عن قصر غمدان قوله :

يسمو الى كبد السماء مصعدا عشر ين سقفاً صمكها لا يقصر . .

وبكل ركن رأس نسر طائر او رأس ليث من نحاس يزأر

منضماً في صدره قطاره لحساب أجزاء النهار تقطر

قال العلامة الناشر : فهذا دليل واضح على ان ذبالك القصر جاء على ابداع هيئة يحلم  
بها انسان هذا العهد . وحبذا اليوم الذي يتم نشر الاكليل برمته للتجلى به أجزاء مدينة  
اليمن المدهشة .

م . ك

### كتاب مالية مصر

« من عهد الفرعون الى الآن لسمو الأمير عمر طوسون »

طبع بمطبعة صلاح الدين الكبرى بالاسكندرية سنة ١٣٥٠ - ١٩٣١

ص ٣٤٠ عدا الفهارس

هذا كتاب كان وضعه . مؤلفه النيل العالم بالفرنسية وقدمه الى المجمع العلمي المصري .  
وقد عربه الآن ونشره وعسى ان يتم له أمنيته الشريفة فيعرب كل ما خطته يراعتة في  
الموضوعات المفيدة لمصر ولغير مصر . وهذا السفر مجموعة فوائد بتعذر على الباحث الوصول



اليها الا بعد الدرس الطويل . ولقد وفق الامير الى بلوغ غرضه من التحقيق وبلغ الذروة منه وصورت لنا مصر في اكثر ادوارها في الغنى وهل أنتم من الجباية على درجة الثروة في الامة . فقد نقل ان فرعون موسى استخرج مصر تسعين الف الف دينار ( ٥٤ مليون جنيه مصري ) ونقل ان مال مصر ارتفع على يد ندراس بن صا مائة الف الف دينار وخمسين الف الف دينار ( ٩٠ مليون جنيه ) وذلك في ايام القبط وبلغت جبايتها مرة في عهدهم ١٦٢ مليوناً . وجبت مصر لعهد فرعون يوسف ( ١٤١٦٤٠٠٠٠ ج م ) وجبت في بعض الادوار مائة الف الف دينار . ونزل خراج مصر على عهد البطالسة الى ٣١٣٩٥١٨٠٠ ج ومليون ونصف ارب قح في عهد بطليموس فيلادلف والى ٢١٢٠٠٠٠٠ ج في عهد بطليموس اوليت . وبلغت جبايتها في بعض عهد الرومان ٦١٢٤٥١٩٠٥ وجباها هرقل اليوناني ١٨ مليون جنيه والمقوقس ٢٠ مليوناً وعمرو بن العاص في الاسلام ٧١٢٠٠٠٠٠ ج . وجباها عشرة ملايين ونصف مليون وظلت على هذا النحو في خلافة الراشدين وانحط الخراج في عهد معاوية لاسلام رجال مصر فبلغ ثلاثة ملايين جنيه وبلغت جبايتها في عهد سليمان بن عبد الملك ٧١٢٠٠٠٠٠ ج م ونزل في عهد الرشيد الى ٢١٤٠٠٠٠٠ ج وارتفع في ايام احمد بن طولون الى ثلاثة ملايين وجباها خمارويه ٢١٤٠٠٠٠٠ ج وفي ايام الاخشيدى ١١٢٠٠٠٠٠ ج وفي زمن كافور ١١٩٦٢١٠٠٠ ج وفي اوائل عهد الماظميين ٢١٠٤٠٠٠٠ ج وجبت في آخر عهدهم ٧٢٠٠٠٠٠ ج وجباها صلاح الدين ٣١٢٨٨١٠٩٤ ج والظاهر بيبرس ٧١٢٠٠٠٠٠ ج وكانت جبايتها في عهد الترك العثمانيين ١١٠٨٠٠٠٠ ج أوائل القرن السابع عشر و١٦٢٠٣١٥٠٧ و١٤٤٠٠٠٠ في القرن الثامن عشر وجباها نابوليون ١٦٣٦٩١٥١٩ ج وجباها محمد علي الكبير سنة ١٨٤٧ م ٣١٩٥٠٠٠٠ ج وبلغت في عهد الخديوي عباس الثاني ١٧١٥١٥١٧٤٣ ج م وفي عهد الملك فؤاد الاول سنة ١٩٣١ م ٤٦١٤٤٦١٩٢١ جنيه الخ . وقد توسع الموائف في ذكر الاتاة على عهد الناصحين والغالب ان سمارة مصر كانت تبعاً لانخفاض النيل وارتفاعه وعدل الولاة وظلمهم وذكر المساحات المزروعة من ارض النيل ونواحيها وبلادها وما طراً عليها وما اصاب الفدان من الخراج في مختلف صور وختم كلامه بان مساحة الارض القابلة للزراعة في مصر هي ٧١١٠٠٠٠٠٠ فدان

منها ٢٠٠٦٠٠٠ تربي فيها الأسماك وقال ان ارض المنوفية أخصب ارض مصر وان  
السكان يزيدون ناذاً لم تجفف مياه إقليم البحيرات بحيث تصلح للزراعة تضيق مصر باهلها .  
م . ك

— — —

### ذكرى فوزي المملوف

وان امراً ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت .  
أفتستطيع هذه الكفة على بلاغة صدقها أن تهوّن من خطب هذا الموت وخاصة ان  
كان الميت في غضاضة من عوده ورطابة من غصنه قد اتسمت له اتياء الامل ، فانبطت  
بانيساطها جوانب الحياة فلما استعدّ للتجريح في هذه الجوانب جاء أجله فلم يستقدم ساعة  
ولم يستأخر . —

لابدع اذا دمعت العين وحزن القلب على فوزي المملوف ، ولقد تفرق هذا الدمع  
وتجلى هذا الحزن في كتاب : ذكرى فوزي المملوف . —  
تضمنت هذه الذكرى ترجمة الفقيد وعدد آثار تريحته من منظوم القول ومنشوره ،  
وآراء الكتاب والشعراء في أدبه وذكر مرضه ووفاته ومآله وأقوال الصحف فيه والمراثي  
التي رُثي بها . —

تبارت أندبة الأدب ورجال الصحف في اميركة ولبنان في البكاء على الفقيد فكان  
في هذا النباري دليل فاطح على قدر الأدب حتى قدره وعلى تضامن المتأديين واذا أمضينا  
مانشاهد في بعض الأحياء من تضافر بعض الطوائف على الاظفار من نور كل أدب  
بتلاؤله نوره في سماء الأدب فقد أبهجنا نعاون طوائف أخرى على تنشيط كل أدب  
بنشأ وبترعرع فاذا استحك الحسد في فريق استحكمت الغبطة في فريق آخر فكان لنا  
من هذه الغبطة عظة وعبرة . —

لقد تجلى الأمل في قصائد الذين بكوا على فوزي المملوف واذا كان في بعض هذه  
القصائد موطن . واخذة فهذا الموطن انما هو من ناحية الفن فان بعض الذين بكوا على  
الفقيد لم يستطيعوا الافصاح عن حقيقة شجورهم فلم يصوروا فوزي المملوف تصويراً يناسبه

ولا يناسب غيره وهذا عيب مراثينا في القديم وبعض مراثينا في الحديث فلم نهتد بعد  
الى الاعراب عن صدق العواطف . —

اما شعر الفقيده فمن خصائصه امتداد الخيال فيه فصاحبه نزاع الى ادخال صور  
شعرية حديثة عليه ولكن الله لم يمد له في الأجل حتى يتمكن من افراغ هذا الخيال  
في قالب خالد . —

شفيق جبيري

رحم الله شبابه الناضر !

== «وقفه» ==

### الحياة البسيطة

خير كتاب وصف مساوي الحياة النفسية الاجتماعية الحاضرة وطرق معالجتها  
« الحياة البسيطة » تأليف شارل واغنار في اللغة الفرنسية وتعريف الارشمندريت  
انطونيوس بشير الذي نشره الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر  
سنة ١٩٢٨ . فقد استقرأ فيه المؤلف اسباب الاضطراب والتحمل النفسي السائد في  
الحياة الاجتماعية الحاضرة وقد وجد ان هذه الاسباب تمت من حيث المنشأ الى اصل عام  
واحد هو الخلط بين الضروري وغير الضروري من الحاجات وإهمال الاول والتمسك  
بالثاني إرضاء للشهوات والنقايد والعنصنات المتعقدة لحربة الانسان الحقيقية التي تتطلب  
السعادة في ظل الهدوء والطمانينة . ثم يبحث عن هذه السعادة المنشودة فلقبها في بساطة  
الحياة البعيدة عن الكلفة والتصنع . وبعد ان عرف هذه البساطة تكلم عن بساطة الفكر  
والكلام والواجب البسيط والحاجات والملاذات البسيطة والروح النفعية والبساطة والشهرة  
الكاذبة والخير المجرد عن المجد والعالم والبيت . والجمال البسيط والكبرياء والبساطة في  
معاملة الناس . والتهذيب على البساطة . وقد أجاد العرب سيفي نقل هذا الكتاب الى  
العربية بمباراة سهلة فصيحة . فهو عمري كتاب الشاب والفتاة والزوجة والمرأة يجدون فيه  
صورة الحياة الحاضرة بما فيها من . سعادة وتعاية واسباب الاولى وعلى الأخرى  
فيستنبهون بضوته ويهتدون بنصائحها .

اسعد الحكيم

## تقويم مصر

« لسنة ١٩٣١ ميلادية »

للدعاية في هذا العصر مكانة كبرى في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك بالنظر لما أوجدته وسائل النقل الحديثة من السرعة الهائلة في المواصلات بين جميع أقطار العالم الذي أصبح يؤلف باجمعه قطراً واحداً لا يختلف المسافة الزمنية ما بين أجزائه عن المسافة الزمنية التي كانت تفصل بين مدن المملكة الواحدة في العصور المتقدمة .

فمن الضروري والحالة هذه ان تتم معرفة القوانين والأوضاع الادارية والاجتماعية والاقتصادية المتبعة في كل مملكة تسهيلاً لسير الأعمال المشتركة وتوسيعاً للصلات التجارية التي لا يمكنها ان تشيع بغير العرض والدعاية .

وقد كانت الممالك الشرقية في معزل عن هذا الامر الحيوي حتى العصر الحالي . فكانت نصيبها من هذا الاموال بقاءها مجهولة مما أضرت بها ضرراً لم تقدره قدره الا في هذا اليوم الأخير . وقد كانت مصر سباقة الى تلافي هذا النقص فقد اطلعتنا اخيراً على تقويمها الذي أصدره قلم نشر مطبوعات الحكومة لسنة ١٩٣١ باللغة العربية فاذا به صورة مصغرة لأوضاعها ومصالحها واحصائاتها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية . « جغرافية مصر . الزراعة والتجارة والصناعة والري والحقانية . المالية . الجندية . الاشغال العامة . المواصلات . المعارف . الصحة الخ » مما يفتقر الى مطالعته كل من له صلة بالفطر المصري . وذلك بالحرف الصغير وفي زهاء ٦٦٥ صفحة يتخللها عدد من الرسوم والصور تفيد الموضوع .

اسعد الحكيم



الفهرس العام

« لا في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
١٢	اعضاء المجتمع العربي ( في سنة ١٩٣٠ )	٧٢٤
٥٧٤	ابن خفاجة الاندلسي ( ترجمته )	٥١٣
٧٧١	٦٥٦ و ٥٧٥ و ٦٥٦ ابن زيدون	٧٦٨
٤٤٠	ابن عساكر ( تهذيب تاريخه - جزؤه	السادس )
٤٤٢	الالفاظ التركية في لهجة الدماشق	١٢٩
العامة ( كراسة مقالات )	احمد تيمور باشا ( محاضرة عن حياته	رحمه الله )
٣٧٩	اسرائلنا في الشريعة والمجتمع ( كتاب )	٥٦٨
٣٩٣ و ٣٢١	اخبار الناس ( حب لاطلاع عليها )	٥٢٨
٦٣٧	الادب ( كتبه القديمة والحديثة )	٥٧٦
٤٣٢	الآداب العربية وتاريخها ( كتاب )	٥٥ و ٨٤ و ١٥٦ و ٢٣٧
« حرف الباء »	ادبنا القومي ( باحث )	٣٥٦ و ٣٠٠
١٢٧	البدع والنهي عنها ( كتاب )	٣١٩
١٨٣	الارشاد الاربي ( جزؤه السادس )	٦٣٦
٢٢٨	أمرار المراجعة في الفنى ( كتاب )	٦٣٧
٧٠٢	في الفتاة	٥٠٨
٦٣٨	أشعة روثين ( كتاب - جزؤه الاول )	٦٣٤
٦١	إصلاح الوعظ الديني	٤٤٤
٥٩٣	الاصول العربية لتاريخ سورية ( وثائق	تاريخية عنها )
« حرف التاء »	بين العامي والفصح	٢٧٤
٥٧٦	تاريخ الآداب العربية ( كتاب )	٢٥٧
٧٠٤	التاريخ القديم ( دروس فيه )	

صفحة	صفحة
٦٢١ حروف التاج	٤٤٥ التراتيب الادارية (جزؤه الثاني)
٤٢٧ الخطيئة	٦٣١ الترجمان العرب عن دول المشرق
١٩٠ حقائق ودقائق (مقالات مختارة . كتاب)	والمغرب (كتاب)
١٩١ حكايات الاطفال (كتاب)	١٩٠ النماون
١٠٩ حلب (تأويل كلمات في تاريخها)	٥٦٨ تعرف اخبار الناس وحب الاطلاع عليها
٧٤٣ الحلاج (ترجمته)	٣١٣ النفاؤل والتشاؤم بكلمات اللغة
٧٦٩ الخبالة (طبقاتهم . كتاب)	١ التقرير السادس عن اعمال المجمع
٧٧٥ الحياة البسيطة (كتاب)	(سنتي ١٩٢٩ - ١٩٣٠)
٥٠١ حيوان الجاحظ (مقتطفات منه)	٧٧٦ تقويم مصر لسنة ١٩٣١ (كتاب)
« حرف الخاء »	٥٣٩ نوم الاصاله (او انجذاب الطبع)
٣٨١ الخيل فضلها (كتاب)	١٢٥ تهافت التهافت (كتاب)
« حرف الدال »	٣٧٧ تهذيب الاخلاق
٧٠٤ دروس التاريخ القديم (كتاب)	« حرف الجيم »
٥٧٢ درهم (من ضرب زياد بن ابى سفيان)	(٢٠) ٣٧ و ٧٢ و ٧٨ و ١٤٨ و ٢٠١ و ٢٦٧
١١٦ دمشق (تحليل لفظها عن ابن عساكر)	و ٣٣٤ و ٣٤٣ و ٤٠٦ و ٤١٥ و ٤٦٨
١٨٨ الدواجن (كتاب)	و ٤٧٦ و ٥٤٨ و ٥٥٧ و ٦٠٣ و ٦١٣
٦٣ الديموقراطيون البلجيكيون (كتاب)	و ٦٧٠ و ٧٣٦
٧٠٠ ديوان رامي	٣٦٢ جرجس منش (حياته)
« حرف الذاال »	٦٣٤ جزيرة رودس (كتاب)
٧٧٤ ذكرى فوزي المملوف (كتاب)	٢٥٣ الجمعية الخلدونية (نشرة عنها)
« حرف الراء »	« حرف الحاء »
٧٠٠ رامي (ديوانه)	٢٥٧ حركات الاعراب في اللغة العربية
٧٧١ الرسالة العذراء	٢٥٥ الحركة القومية (تاريخها وتطور نظام الحكم في مصر . كتاب)

صفحة	« حرف الغين »	صفحة
٦٥ رسوم الاعضاء		
٦٣٤ رودس ( كتاب )		٤٩٢ و ٥٦٥ { الغلاظة في اللغة
« حرف الزاي »		٦٢٧ و ٦٨٨ {
٦٣٥ الزراعة ( مفكرة فيها )	« حرف الفاء »	
٥٧٢ زياد بن ابي سفيان ( درهم من ضربته )	٧٦٧ فتح العرب للشام ( كتاب )	
« حرف السين »	١٩٣ الفلاحة الاندلسية ( كتاب )	
٣٨٥ السحر والتائم الخ ( في معتقدات	٤٣٦ « ( حول كتاب فيها )	
الشعوب الشرقية )	٤٣٢ الفنون الحديثة ( حاجتها الى	
١٩٢ السريان ( نوابغهم - كتاب )	اصطلاحات لغوية )	
١٢٦ سورية ( تاريخها قبل الفتح - كتاب )	٧٧٤ فوزي المملوك ( ذكره )	
« حرف الثين »	٦٧٨ فهرست ابن النديم ( مقال فيه )	
٧٦٧ الشام ( فتح العرب لها )	« حرف القاف »	
٢٥٢ الشرع الدولي في الاسلام ( كتاب )	٥٣٩ قاعدة قوم الامالة	
٢٨٥ « ( محاضرة )	١٢٤ القبائل الرحالة ( كتاب افرنسي )	
٧٦٢ الشعر الجاهلي ( على اطلالة - قصيدة )	١٢٥ القضاء البدوي « «	
٧٠٥ الشواذ في علم النحو	« حرف الكاف »	
« حرف الصاد »	٣٧٤ كتاب الاعتبار ( استدراك )	
٤٨٤ الصنوبري ( الشاعر )	٦٤١ « الرموز ( مخطوط )	
« حرف الطاء »	٥٢٨ كتب الادب القديمة والحديثة	
٧٦٩ طبقات الحنابلة ( كتاب )	١٠٢ و ١٧٢ و ٢٤٣ { الكرم ( رسالة فيه )	
« حرف العين »	٣٠٧ و ٣٦٦ {	
٥٩٣ العامي والفصح	١٩٢ الكشفية ( مبادئها - كتاب )	
٤٩٥ عجز اللغات ( باحث )	٧٦٦ الصكوكب الدرري المنير في أحكام	
٧٠٥ علم النحو ( الشواذ فيه )	الذهب والفضة ولبس الحرير ( كتاب )	

« حرف اللام »	صفحة
١٢١ معجم اسماء النبات ( كتاب )	٤٩٥ اللغات (عجزها)
٣٧١ معهد مصر العلمي ( عن المقطم )	٤٤ اللغة العربية وخزائنها الادبية (محاضرة
٣٢٠ المعيد في ادب المفيد والمستفيد ( كتاب )	١٧٧ ( تأثيرها في لغات اوربا )
٦٣٥ المفكرة الزراعية	٣١٣ ( النفاؤل والتشاؤم بكتابتها )
٦٥ مقاييس اللغة	٤٣٢ ( والفنون الحديثة )
٣٥٢ ( نموذج منه )	٤٩٢ و ٥٦٥ اللغة ( الغلاظة فيها ) ٦٢٧ و ٦٨٨
١٢٨ مقبرة الرجال او مساوي الدعارة	٧١٧ اللغة ( ليس لها قاموس محيط بها )
١١٩ من مخطوطات المكتبة الظاهرية	« حرف الميم »
٧٥٢ المهاجرة ( محاضرة )	٧٧٣ مالية مصر ( كتاب )
« حرف النون »	٣٥ المجمع العلمي ( آراء المفكرين فيه )
٥٠٦ النثر العربي في القرن الرابع ( كتاب )	٢٣ محاضرات المجمع ( جدول فيها من
٤٤٥ نظام الحكومة النبوية ( كتاب )	سنة ١٩٢١ الى ١٩٣٠ )
جزؤه الثاني )	٦٩٨ المآخذ كحة ( بحث في تحليل معناها )
٤٤٩ النقد التاريخي وعروبة آل معروف	١٨٠ المخرج في الخيل ( كتاب )
٥٧٥ النواة في حقول الحياة ( كتاب )	٤٤٤ مختارات بعض زعماء البلاغة العربية
٧٧٠ نيل الوطن من تراجم رجال اليمن في	١٨٩ المختارات ( كتاب مدرسي )
القرن السادس عشر ( كتاب )	١٧٩ مختار الصحاح ( تعاليق لصاحبه )
« حرف الواو »	٦٣٩ مخطوطات المجمع ( التي اقتنأها )
٩٧ واسطة السلوك ( كتاب )	٣٧٩ المرأة في الشريعة والمجتمع ( كتاب )
٣٧٦ و ٣١٧ و ٢٤٩ واسطة السلوك	٣١٨ المراح في المزاج
( استدراك عليه )	٦٩١ مطالعات في اللغة والادب والتشريع
٦٣٤ الوعظ الديني ( اصلاحه - كتاب )	والتاريخ
« حرف الهاء »	٣٧٨ مطبعة المعارف وادقاؤها ( رسالة فيهم
٤٤٨ و ٣٨٣ هدايا كتب	
« حرف الياء »	
٧٧٠ اليمن ( تراجم رجالها - كتاب )	



## فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	حرف الالف -	حرف السين -	صفحة
٢٢٦	الاب انتاس ماري الكريلي	٤٩٢ و ٥٦٥ و ٦٢٧ و ٦٨٨	سالم خليل رزق
٣٧٤	ابو عبد الله الزنجاني	١٠٢ و ١٧٢ و ٢٤٣	سليم الجندي
٥٧٢	ابيات (الارمني)	٣٠٧ و ٣٦٦ و ٥٢٨	سليم عنخوري
٥١٣ و ٥٧٧ و ٦٥٦ و ٧٢٤	احمد الاسكندري	٤٢٧ و ٧٠٠ و ٧٤٣	سليم عنخوري
٢٥٧	احمد رضا	٧٥٢	سليمات سعد
٦٣٦ و ٦٣٧ و ٧٠٢ و ٧٧٥ و ٧٧٦	اسعد الحكيم	٦٤١	س م ح سين (الهندي)
٥٩٣	أدوار مرقص	حرف الشين -	
حرف الباء -		٣٧ و ٧٢ و ٧٨ و ١٤٨ و ٢٠١	شفيق جبري
٢٣٧ و ١٥٧ و ٨٤ و ٥٥	باحث	٢٦٧ و ٣٣٤ و ٣٤٢ و ٣٧٨	شفيق جبري
٤٩٥ و ٣٥٦ و ٣٠٠		٤٠٦ و ٤١٥ و ٤٦٨ و ٤٧٦	شفيق جبري
حرف التاء -		٥٠٦ و ٥٤٨ و ٥٥٧ و ٦٠٣	شفيق جبري
٣٧١	توفيق اسكاروس	٦١٣ و ٦٧٠ و ٧٣٦ و ٧٧٤	شفيق جبري
حرف الجيم -		٤٣٦ و ٤٤٩ و ٧١٧	شكيب أرسلان
٧٦٢	جميل صدقي الزهاوي	حرف العين -	
حرف الحاء -		١٨٣ و ٢٥٢	عارف النكدي
١١٩	حسني الكسم	١٢٨ و ١٩٠ و ١٩٣	عبد الله رعد
حرف الخاء -		٦٣٧ و ٦٣٨ و ٧٠٤	عبد الله رعد
٤٤	خليل مطران	١٧٩	عبد الله مخلص
		٤٤٠	علي باعبود

صفحة	— حرف الكاف —	صفحة
٦٥ و ٦١٦ و ١٢٧ و ١٨٠ و ١٩١	١٠٩ و ٤٨٤ و ٧٠٥ كامل الغزي	
١٩٢ و ٣١٣ و ٣١٨ و ٣٥٢ و ٣٧٩	— حرف الميم —	
٣٨٣ و ٤٣٢ و ٤٤٥ و ٤٤٨ و ٥٣٩	٣١٧ م . أسين (الاسباني)	
٥٦٨ و ٥٧٤ و ٥٧٦ و ٦٣٤ و ٦٣٩	٢٤٩ و ٦٩١ محمد بنجة الاثري	
٦٩٨	٢٣١ و ٣٧٦ محمد سعيد الزاهري	
١٢١ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٣	١ و ٦١ و ٦٣ و ٢٤ و ١٣٥ و ١٣٦	
٢٥٣ و ٢٥٥ و ٣٨١ و ٤٤٢	١٢٩ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٣١ و ٣٧٧	
٥٠١ و ٦٣٥	٣٩٣ و ٤٤٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧	
— حرف النون —	٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢	
٢٨٥ نجيب الارمنازي	٣٨٥ محمد لطفي جمعة	
— حرف الواو —	٦٧٨ محمد يونس الحسيني	
١٨٨ وصفي زكريا	٥٠٨ مرشد خاطر	
٦٢١ وزارة معارف مصر		

النوري

بهاقي الثاني

محمد كزعي



## جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبيها اليها فيما يلي :

- جاء في ص ٤٠ س ١١ اللفظ صوابها اللغة . وص ٤٢ س ١٤ فاللفظ صوابها فاللفظ .
- وص ٥٣ س ٦ حسن البزار صوابها حسن البزار . وص ٧٠ س ١٦ فيل صوابها قيل .
- وص ٧٩ س ١٦ كا صوابها كان . وص ٩٨ س ٧ اصلح للملك ولا يصلح لي الصواب اصلح للملك ويصلح لي . وص ١١٤ س ١٣ مرتضى صوابها مرتضى . وص ١٣٠ س ٣ الشيخ محمد محمود الذكرى صوابها الشيخ محمد محمود التركي . وص ١٣٣ س ١١ وصديقه صوابها وصديقه . وص ١٣٦ س ٩ وفد صوابها وفد . وفيها س ١٧ منع صوابها يمنع .
- وص ١٤٦ س ٥ احمد رسيد صوابها احمد رشيد . وص ١٥١ س ٢ اشتاشرتوا صوابها اشتروا . وص ١٦٣ س ١١ يتوحد صوابها بتوحيد . وص ١٦٧ س ١ ولقد ترجم العرب عن احساس الصواب ولقد ترجم العرب عن احساسهم . وص ٢٠٤ س ٢ الخلق صوابها الخلق . وص ٢٠٧ س ٣ لم يخلق صوابها لم يخلق . وفي ص ٢٠٨ س ٢٤ ابي داود صوابها ابي داود . وص ٢١٠ س ٢ او لئن صوابها لأن . وفيها س ٤ أما صوابها أمام . وص ٢١٤ سطر ١٠ والقتل صوابها والنقل . وص ٢٣٧ س ١٢ اري الارض تطوي الي الصواب اري الارض تطوي لي . وص ٢٤٧ س ٩ يؤند صوابها يؤند . وص ٢٥٠ س ١٤ وانما هو موسى الصواب وانه هو موسى . وفيها س ١٦ موسى بن حمير الصواب موسى ابو حمير . وص ٢٥٨ س ١٤ إمكا صوابها إمكان . وص ٢٦٤ س ١٧ ام ان اللغة صوابه ان أم اللغة . وص ٢٧٠ س ١٠ يطرب صوابها بطربهم . وص ٢٧٤ س ٤ بهرة صوابها بهرته . وص ٣٠٥ س ٢ رة صوابها مستورة . وفيها س ١٧ العاة صوابها العامة . وص ٣٠٦ س ٢٥ وبلغ صوابها ومبلغ . وص ٣٣٨ س ٢١ ناظره صوابها لناظره . وص ٣٥٩ س ٨ لا بازالة العامة صوابها لا بازالة العامة . وفي ص ٣٧٥ س ١١ جتمعت صوابها اجتمعت . وفي ص ٣٩١ س ٢٠ أتر صوابها اعتر . وفيها

س ٢٢ وكا صوابها وكان . وص ٣٩٦ س ١٦ والحرمة صوابها والحرمة . وص ٣٩٩  
 س ١١ بباغت الصواب تباغت . وص ٤٠٢ س ٨ منهم الصواب منهم . وص ٤١٩ س ١  
 كا الصواب كان . وص ٤٢٤ س ٣ نغ الصواب منع . وص ٤٢٨ س ٢٤ رالك الصواب  
 قرالك . وص ٤٣٠ س ٥ وإلا الصواب وإلا . وص ٤٣١ س ٦ فراش الصواب فراشه .  
 و ٤٤٢ س ١٥ قتبسوها الصواب اقتبسوها . و ٤٤٣ س ١ او من الفشة الصواب او من الفيشة  
 و ٤٤٦ س ١ الرقص الصواب الرقص . و ٤٥٨ س ٣ نهرا الصواب نهرا . و ٤٧٠ س ١٢  
 فمزم الصواب فعزم . و ٤٧١ س ١٠ بذق الصواب يذوق . و ٤٧٨ س ٩ تن الصواب  
 ثن . و ٤٨٠ س ١٨ لآحي الصواب فلاحي . و ٤٨٢ س ١٥ يقل الصواب ينقل .  
 و ٤٨٩ س ٤ ثجج الصواب ثجج . و ٤٩٠ س ٢ والماء الصواب والماء . و ٤٩٢ س ٢٠ انكا  
 الصواب المكان . و ٤٩٧ س ١٦ ميشك الصواب بعيشك . و ٥٠٠ س ٢١ مطاي  
 الصواب مطاوي . و ٥٠٢ س ١٨ ابرحنا الصواب مايرحنا . وفيها س ٢٤ اقتبس في مجمه  
 الصواب اقتبس في مجمه . و ٥٠٥ س ١ ينبت من الأراك الصواب ينبت من غيب الاراك .  
 وفيها س ٣ ave الصواب Cave . وفيها س ٩ ورحله الصواب ورجله . و ٥١٤ س ٩  
 فاه الصواب فاره . و ٥٢٩ س ١ الآلة الصواب الآلة . وفيها س ١١ فالادلة الصواب  
 والادلة . و ٥٣١ س ١٧ فانظر مانتير الصواب فانظر من تضير . وفيها س ٢٥ الفيناء  
 الصواب الفيناء . و ٥٣٢ س ١٣ ات الصواب مات . وفيها س ١٤ فكأني الصواب فكأني .  
 و ٥٣٤ س ٣ ساعيا الصواب ساعيا . و ٥٤٨ س ٥ وعيا الصواب وعيان . و ٥٥٠ س ٩  
 لرد ما الصواب لردها . و ٥٧٦ س ١٤ الثفري الصواب الثفري . و ٥٨٨ س ٢٤  
 في ذلك الصواب فيخذلك . و ٦٣٤ س ٢٠ علاقه الصواب علاقتها . و ٦٣٩ س ٦  
 ستة الصواب ستة . و ٦٤٤ س ١١ شخه الصواب شخه . و ٦٦٢ س ٢٢ والوند الصواب  
 والوند . و ٦٩٣ س ١ وأصفه الصواب وأصفها . و ٧٢٢ س ٢٤ مذ الصواب مذ .  
 و ٧٢٦ س ١٣ بماه الصواب بماته . و ٧٥٢ س ٤ ومع ن الصواب ومع إن .



(تنبيه) نقول هنا ماقلناه في آخر المجلد العاشر من ان معظم الاغلاط ناتج عن تساقط  
 الحروف وتكسرهما مما لا ينبغي عن فطنة القاري . كما يرى في هذا الجدول .













Bibliotheca Alexandrina



0652778